


دكتورة زبيدة محمد عطا

اليهود فى العالم العربى

اليهود فى العالم العربى

دراسة تاريخية فى قضايا

الهوية - الاندماج - القدس

الجزء الأول

تأليف

د. زبيدة محمد عطا

أستاذ التاريخ الوسيط

عميدكلية الآداب - جامعة حلوان

الطبعة الأولى

٢٠٠٣



عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

الناشــر: عين للدراســات والبحـوث الإنسـانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية – الهرم – ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

c

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar_Ein@hotmail.com



مقدمـــة

خلال النصف قرن الماضى تناولت دراسات عديدة تاريخ اليهود وأصولهم وعلاقتهم بالعالم العربى وخاصة بعد تفجر الصراع العربى الإسرائيلى نتيجة لقيام إسرائيل فى جزء من أرض فلسطين . وأغلب تلك الدراسات ركزت على فترة التاريخ الحديث والقضية الفلسطينية وموقف الدول الأوربية من القضية وأوضاع الدول العربية ومساهمتها فى هذه القضية التى مازالت تشغل وجدان العرب .

وهناك دراسات ربطت بين التاريخ القديم وتعاليم التوراة ثم تعاليم حكماء صهيون والموقف الدولى الحالى وفكرة الوطن القومى .

أما فترة العصور الوسطى الإسلامية والتى تبدأ من الفتح الإسلامى إلى قدوم العثمانيين ، وإن كنت أرى أنه من الأفضل أن تمتد أيضًا لتشمل الفترة العثمانية لتكتمل الصورة ، فإنها لم تلق دراسة شاملة من المؤرخين العرب والمسلمين .

وقد ذكر مارك كوهين فى كتابه "المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى"، أن تاريخ اليهود لم تتناوله إلا دراسات أكاديمية عربية محدودة . ومن الكتابات الرائدة فى تاريخ اليهود ما كتبه د. حسنين ربيع عن وثائق الجنيزة ، ومؤلفات د. قاسم عبده قاسم عن يهود مصر وعن أهل الذمة ، ومؤلفات د. المسيرى الموسوعية والتى تتضمن تعريفات للمصطلحات ، كذلك ما كتبه د. حسن ظاظا ، وإن كانت قد نوقشت فى الفترة الأخيرة عدة رسائل فى عدد من الجامعات المصرية عن اليهود فى مصر وعدد من الأقطار الإسلامية ، لكننا فى المقابل نواجه بكم هائل من الدراسات الغربية والعبرية سواء فى شكل رسائل علمية أو مقالات فى دوريات أو مؤتمرات علمية أو إصدارات لكتب وموسوعات ناقشت العلاقات العربية اليهودية فى عالم العصور الوسطى وندوات عقدت فى جامعات أوربا وأمريكا بالإضافة إلى الجامعة العبرية .

وتخصص عدد كبير من كبار الأساتذة فى أوربا وأمريكا غالبيتهم من اليهود فى تاريخ يهود هذه الفترة كمارك كوهين ، جوايتين ، أشتور ، شتلمان ، مارجليوث ، نيوباى ، موسى جيل ، إسرائيل ولفستون ، أبا إيبان ، جارتيز ، ماركيز ، نسيم زعفرانى ... إلخ . وصدرت كتاباتهم ومؤلفاتهم بلغات مختلفة فى أقطار عديدة ، وهى تقدم صورة ليهود العصور الوسطى من منظور يهودى ، ولقد استندوا فى مادتهم العلمية لوثائق الجنيزة وهى عبارة عن مجموعة من الوثائق اليهودية كتبت باللغة العبرية ، والعربية بحروف عبرية ، واللغة العربية ، وتخص اليهود الذين عاشوا فى مصر وتضم كثيراً من المراسلات مع يهود أقطار العالم الإسلامى وبعض أقطار الغرب ، وتشمل عقود زواج ومعاملات مالية وتجارية ورسائل شخصية وأموراً دينية ، والاسم فى الغالب مشتق من جنز بمعنى أخفى أو خبأ حيث اكتشفت فى معابد ومقابر اليهود ، فلقد نشأ لدى اليهود اعتقاد حاكوا به المسلمين بالاحتفاظ بالكتب الدينية البالية وحمايتها من الدنس ، ومن سوء التصرف فى تناولها ، صيانة لما حوته من ألفاظ القداسة والجلالة وهى تشمل وثائق تعود للعصرين الفاطمى والأيوبى وعدداً أقل للعصر المملوكى بالإضافة إلى بعض وثائق من بدايات العصر العثمانى كوثائق القرائيين التى نشرها D.S. Richards. Arabic Documents from the Karite Communty . ووثائق الجنيزة تشغل تقريبًا الفترة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م إلى ٦٩٤ هـ / ١٥٣٨م .

ولقد أصبحت تلك الوثائق مادة أساسية لعديد من الدراسات وخاصة أن غالبيتها نقلت إلى الجامعات الأوربية كمجموعة البودليان وسان بطرسبرج وباريس والمتحف البريطانى ... إلخ .

لقد طرح المؤرخون اليهود موضوعات عديدة كالقومية ، الاندماج ، الاضطهاد ، الحكم الذاتى ، الشخصية اليهودية ، وإن كان التناول يغلب عليه سمة التحيز فى موضوعات كالنقاء الجنسى والاضطهادات الإسلامية والمعنى المقصود بالحكم الذاتى .

ويقول ساسون سوميخ فى تقديمه لكتاب مارك كوهين : " المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى" إن هناك جدلاً مستمراً بين الدارسين والرأى العام فهناك من يعتبر هذه الفترة وهى فترة العصور الوسطى الإسلامية يوتوبيا ازدهر فيها اليهود ، بحيث انتجوا ثقافة رائعة فى ظل الحكم الإسلامى المتسامح وذلك فى وقت عانى فيه إخوانهم فى أوربا المسيحية من الاضطهاد المتواصل .

ومن ناحية أخرى هناك من يلتفتون إلى النواحى السلبية من تاريخ اليهود فى الدولة الإسلامية ، فيبرزون الفترات التى عاني فيها اليهود من الاضطهاد ، كما يؤكدون التعبيرات المعادية لليهود فى بعض المؤلفات الإسلامية التاريخية والفقهية وغيرها .

ويضيف سوماخ "إنه من الواضح أن الحقيقة تتوسط ذلك فإن الحديث عن يوتوبيا من ناحية أو عن اضطهاد من ناحية أخرى هو حديث سطحى بعيد عن الروح العلمية" ، ولنا أن نتساءل: هل التزم المؤرخون اليهود بالروح العلمية فعلا والحياد الذى ذكره سوماخ؟ سنجد أن نفس الكاتب الذى قدم له وهو مارك كوهين والذى كتب عن المجتمع اليهودى في ظل الحكم الإسلامى ووصفه بأنه عصر ذهبى ، له مقالة تناقض كل ما كتب حول الاضطهادات الإسلامية فى مؤتمر العلاقات اليهودية العربية ١٩٩٢م وعددها ، بدأ من موقف الرسول من يهود المدينة امتداداً للحاكم بأمر الله إلى المرابطين والموحدين وابن النغريلة اليهودى وهى ترسم صورة تختلف تماماً عما ورد فى كتابه الأول عن التسامح الإسلامى وتحمل فى ثناياها سمات تحيز واضح .

والأستاذ جوايتين فى كتابه اليهود والعرب ، وكتاب عالم البحر الأبيض عرض لتحليلات تعد تجنياً واضحاً وينقصها الموضوعية ، مثل ما عرضه بخصوص ما اتسمت به الدولة الأموية من تسامح أرجعه أساساً إلى أنها تحمل الطابع الوثنى وبعيدة عن الإسلام المتعصب ، وأن السبب الرئيسى للتسامح الإسلامى فى الفترة الأولى أن العرب كانوا أقلية تعتمد فى طعامها والنواحى المالية على الشعوب المغلوبة " .

ومارجليوث جعل كلمة عربى مرادفة لكلمة لص أو نهاب واعتبرهم من أربعة أشياء ندم الله على خلقها ، وذكر أنهم يعبدون تراب أقدامهم استناداً لقصة أوردها " عن الخليفة الأندلسى المنصور ، فذكر أن الخليفة كان إذا توقف فى مكان فى حملاته ينفض التراب عن ملابسه ويجمعها فى إناء لهذا الغرض » .

وهذه الكتب طبعت فى الغرب على نطاق واسع ولها قراؤها وهى تعكس صورة من جانب واحد ، وتفسر الأحداث وفقًا لمنظور شخصى . الهدف من إعداد هذه الدراسة ليس مجرد الرد على ما ورد فى تلك المؤالفات التى بلغت المئات ، ولكن عرض لصورة حقيقية للعلاقة بين المسلمين واليهود فى فترة العصور الوسطى .

وإذا كانت هناك فترة حدث فيها اضطهاد - كما ادعى البعض - فكانت الاستثناء لا القاعدة ، ولأسباب سياسية كحركة الهجوم على العالم الإسلامى من الغرب والتى حدثت فى أواخر العصور الوسطى وبداية الحديثة على المغرب العربى، وكان اليهود أنفسهم فى أحيان كثيرة سببًا فى اشتعال المواقف ضدهم كما حدث من ابن كمونة حين ألف كتابًا بعنوان " ثلاث مقالات فى الأديان" . أساء فيه إلى النبى والدين الإسلامى مما أثار عليه عامة بغداد ومع ذلك حمته الدولة، أو ما قام به الوزير بن النغريلة اليهودى من إساءته إلى المسلمين ، وحتى الحكام الذين يتخذ اليهود عهودهم سمة بارزة للاضطهاد كان اليهود أقل الفئات الدينية تعرضًا لاضطهاد بل إن إحدى الكتابات اليهودية Megellat sameul b - Hoshama يصف كاتبها عهد الحاكم بأمر الله بالتسامح والحكمة . وعامة فالحاكم كانت له مواقف أكثر تشدداً تجاه عامة شعبه من المسلمين أكثر من أهل الذمة وكان دائم التغيير لمواقفه، ومع ذلك فقد أعاد لليهود مزاياهم وأملاكهم ثانية .

ولا أدل على ما تمتع به اليهود فى ظل الحكم الإسلامى من تسامح ومن واقع وثائق الجنيزة، ما تملكوه من الثروات الطائلة فابن عوكل الذى وصفه شتليمان بشهبندر التجار وذكر أن ثروته تقدر بأربعة ملايين دولار بقيمة عصرنا الحاضر ، ونهارى بن نسيم الذى كان له عدة منازل فى مدن العالم الإسلامى فى المغرب والإسكندرية يتنقل فيها ولايمكن أن يكون هذا الوضع إلا فى ظل تسامح دينى ، وما ذخرت به أوراق الجنيزة والمصادر العربية من أسماء أطباء وتجار مجوهرات وصيارفة أقرضوا حتى الدولة ، وتجار تنقلوا فى أرجائها . وعلماء تأثروا بالثقافة العربية فى الأندلس وقلدوا فلاسفتها بل قلدوا أنظمة إسلامية مثل الفتوة والتصوف الإسلامى.

واعتقد أن دراسة شاملة ليهود العالم الإسلامى فى العصور الوسطى أجدى لإعطاء صورة حقيقية بدلاً من قصرها على دولة بعينها فيهود هذه الفترة دائمى الحركة والتنقل مع تجارتهم بين أقطار مختلفة من المغرب إلى مصر إلى الأندلس ، وحملوا أسماء المصرى والمغربى والدمشقى والتطيلى والأندلسى وكانت تربط عائلتهم فى مصر والمغرب روابط قربى فى حين كانت أصول بعضهم من إيران أو أسبانيا . فمن هنا جاء الاحتياج لإعطاء صورة بانورامية لهذا العالم وحركته .

ولذلك رأيت أن أجعل الدراسة فى شكل موسوعة تشمل كل ما يتصل بيهود العصور الوسطى من أصولهم وصلتهم ببيت المقدس واندماجهم وتفنيد نظريات الاضطهاد التى مازالت تحرك يهود العصر الحديث ، فمازال اليهود تحدوهم هذه الازدواجية فى الشخصية التى تجمع بين الشعور بالاضطهاد من جانب والشعور بالتفوق على الآخرين من جانب آخر والتى رسختها كتبهم الدينية عن شعب الله المختار المميز والمضطهد من جميع شعوب الأرض .

فتناولت فى الكتاب الأول ثلاثة محاور ، فكرة القومية القائمة على النقاء العرقى والدينى، وتفنيد هذه النظرية من واقع التوراة والأدلة التاريخية ، ثم صلتهم بالإسلام والدول التى دخلت فى دائرته فى القرون الثلاث الأولى والتى قال جوايتين أنه يسودها الغموض ويعوزها المصدر .

ثم الاندماج وناقشت فيه سؤالاً مهمًا : هل عاش اليهود فى جيتو سكنى وجيتو إنسانى واقتصادى؟ واثبت عدم صحة هذا .

ثم الاتجاه إلى بيت المقدس وناقشت مدى التواجد اليهودى فى فلسطين من واقع المصدرين الإسلامى واليهودى .

والكتاب الثانى عن ادعاءات الاضطهادات وهى ثلاثة مستويات : الدين - الدولة - الشعب، ولقد ثبت عدم صحة هذا من واقع كتبهم الدينية ووثائق الجنيزة وناقشت الرأى والرأى الآخر فى محاولة لتوخى الموضوعية .

والكتاب الثالث عن فكرة الحكم الذاتى التى طرحها المؤرخون اليهود كمارك كوهين وجوايتين من منظور استقلالية اليهود وتكوينهم لكيان ثانى ومناقشة هذا الرأى مع ذكر المؤسسات والفرق الدينية المختلفة .

فالهدف من الدراسة إعطاء صورة شاملة ليهود العصور الوسطى من واقع المصادر الإسلامية واليهودية مع مناقشة آراء المؤرخين اليهود والكتابات التى تطرح منظوراً أو مفهومًا خاصًا ينقصه الموضوعية فى أحيان كثيرة ، وبذلك تكتمل الصورة أمام القارىء لوجود الرأى والرأى الآخر .

زبيدة عطا

القاهرة ٢٠٠٢

تمهيـــد

تناول عدد كبير من مؤرخي اليهود سواء في أوربا وأمريكا ، أو في الجامعات العبرية تاريخ يهود الإسلام في العصور الوسطى بالدراسة واعتمدوا في دراستهم على هذا الكم الهائل من وثائق الجنيزة الموجودة في الجامعات والمكتبات العامة في أوربا والتي بلغت الآلاف، وأولها مجموعة فركوفتش Firkovich's وهي منسوبة إلى العالم اليهودي القرائي فركوفتش ١٧٨٦ - ١٨٧٤ وموجودة في المكتبة العامة في سان بطرسبرج ، ثم مجموعة البودليان بأكسفورد ، ثم مجموعة إلكان ناثان ادلر Elkan N . Adler's وموجودة في مكتبة السمنار اللاهوتي اليهودي بأمريكا ومجموعة انطونين Antonin's بالمكتبة العامة ببطرسبرج، ومجموعة كمبردج المعروفة بتايلور - شختر وهي أكبر مجموعة جنيزا في العالم ووجدت مجموعات في أماكن أخرى كالمتحف البريطاني وجامعة ستراسبورج وفي متحف الفرير في واشنطون وفي باريس .

والمجموعة تشمل وثائق وعقود رسمية وخطابات شخصية ومؤلفات دينية وأنواع معاملات تجارية ونقدية وتلقي أضواء على الحياة الاجتماعية الاقتصادية لمصر وأقطار أخرى عديدة[١].

وهذه الوثائق رغم أهميتها في استجلاء وإيضاح نواحي عديدة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لهذه الفترة فإن غالبية المشتغلين بها كانوا من الأساتذة اليهود في الجامعات المختلفة ؛ أما في العالم الإسلامي فالدراسات التي قامت على هذه الوثائق اعتمدت على الدراسات الغربية واليهودية لأن الوثائق الأصلية تسربت إلى الخارج ، ويقوم مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة وقطاع الآثار الإسلامية بهيئة الآثار المصرية بنشر الجنيزة الجديدة وهي مجموعة موصيري وتعود لفترة القرن التاسع عشر والعشرين وهي مجموعة متحف الفن الإسلامي (الجنيزا الجديدة) وتمثل أول كتالوج باللغة العربية ، ومن الضروري أن تحصل المكتبة العربية على صورة من تلك الأصول الموجودة بالمكتبات الأوربية والأمريكية لتصبح في متناول الباحث العربي وخاصة أن عدداً من النصوص جرى تفسيرها في ضوء فكر متحيز إلى حد كبير ، لأن تلك الدراسات مكتوبة بلغات عالمية لوجود علماء يهود في بلاد

مختلفة . فالصورة التى تصل للقارىء تمثل وجهة نظر واحدة تحمل فى بعض أجزائها تعصبًا لفكره وتفسيرات خاطئة منحازة .

ولقد أصبحت تلك الوثائق مادة أساسية لعدد من الدراسات والتى شملت موضوعات ومحاور عديدة كالقومية ، والاندماج ، الاضطهاد ، الحكم الذاتى ، الشخصية اليهودية ، ولقد ظهر فى الغرب وفى إسرائيل عدد من الأساتذة الذين تناولوها بالدراسة الوافية ، ولكن بما أن الغالبية كانوا من اليهود فتناولهم لبعض الموضوعات الرئيسة ، كانت من وجهة نظر منحازة إلى حد ما ، كتناولهم موضوعات النقاء العرقى والاضطهادات اليهودية فى العالم الإسلامى أو المعنى المقصود بالحكم الذاتى .

ومن أشهر من تناول تلك الوثائق شولومو جوايتين ومان وموسى جيل وأشتور وشتليمان وهارشبرج ومارك كوهين إلخ . ويأتى على قائمة الدارسين للجنيزة جوايتين Goitein والذى يعد كتابه ذو الخمسة أجزاء عن يهود عالم البحر الأبيض والذى تناول فيه الفرد والعائلة والمجتمع والاقتصاد والحياة اليومية موسوعة شاملة ليهود العالم الإسلامى فى العصور الوسطى ، والكتاب لا يعد دراسة لأوضاع اليهود فقط بل يلقى الضوء على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وبعض سمات الحكم ومظاهره .

ورغم ثراء المادة العلمية فإن الدراسة تحوى العديد من التحليلات التى تحتاج لدراسة نقدية ووجهة نظر محايدة فمن الصعب فصل ما هو ذاتى بصفته يهودى عما هو علمى ، وللأستاذ جوايتين كتاب آخر مهم عن العلاقات العربية اليهودية وهو : " اليهود والعرب " استعرض فيه علاقة اليهود بالعرب منذ التاريخ القديم إلى العصر الحديث وهذا الكتاب يحتاج هو الآخر لأكثر من دراسة نقدية لبعض الموضوعات التى تناولها ، وللدكتور جوايتين مئات الدراسات والأبحاث تتناول الصناعات ، والحرف ، والتجارة سواء فى الهند أو البحر الأحمر وتواجد اليهود فى مدن العصور الوسطى ، وإلى جانب جوايتين هناك مؤلفات الياهو آشتور Ashtor أمين مكتبة الجامعة العبرية والذى لديه عدد من الدراسات التى تناولت تاريخ اليهود فى أسبانيا ومصر والعالم الإسلامى وأنشطتهم المختلفة فى عالم العصور الوسطى [(٣)].

د. مارك كوهين الأستاذ بجامعة بنسلفانيا والذى كتب كتابًا عن المجتمع اليهودى فى مصر العصور الوسطى قام بترجمته إلى العربية ساسون سوماخ ، وكتابه عن الحكم الذاتى

ومؤلفاته المتنوعة ومتعددة ومنها ما تناول ما يسمى بالاضطهادات الإسلامية وناقشها من وجهة نظره فى المؤتمر الخامس الخاص بالعلاقات اليهودية العربية ١٩٩٢م [٤].

وهارشبرج وما كتبه عن الشمال الإفريقى Hirshberg : A History of the Jewsih of North Africa ، و د . جاكوب مان وهو من أوائل من كتبوا عن وثائق الجنيزة فى كتابه عن مصر فى العصور الوسطى بالإضافة إلى مجموعة الوثائق التى حققها من مجموعة الجنيزة[٥] وهناك أسماء عديدة مثل موسى جيل[٦] وكتابه عن المؤسسات الدينية وكتابه عن أرض الميعاد وما كتبه شتيلمان من دراسة عن ابن عوكل[٧] وفيشيل ومؤلفاته العديدة[٨] والقائمة تحوى كثير من الأسماء سنتعرض لمؤلفاتها من خلال البحث بالإضافة إلى الرسائل التى نوقشت فى الجامعات العبرية مثل تلك التى تناولت حياة التاجر نهارى بن نسيم .

ثم الندوات والمؤتمرات كالمؤتمر الذى عقده معهد الدراسات اليهودية فى جامعة لندن ١٩٩٢م وصدرت أبحاثه فى كتاب عام ١٩٩٥م بعنوان : " اليهود فى العصور الوسطى المجتمع والهوية " وشارك فيه نورمان شتليمن ومناحم ساسون وموسى جيل وجيديون ليسون ودانيل لاسكر وياديد شتليمن ، ودانييل فرانك وألفريد آفرى وبول فنتون وغيرهم ، وهم من جامعات مختلفة فى إسرائيل كالجامعة العبرية ومعهد بن زيفى وجامعة بن جوريون وجامعة تل أبيب ، ومن جامعات أمريكا برينستون وأوكلاهما[٩] .

وبالإضافة ما تصدره جامعة تل أبيب من دراسات عن القدس أصدرها البروفيسور آمنون كوهين بعنوان دراسات فى تاريخ المدينة ١٩٩٠م نشرت بالعبرية وترجمها للعربية سلمان مصالحة[١٠].

والقائمة طويلة وتتضمن أكثر من خمسمائة كتاب ودراسة سأورد بها قائمة فى نهاية الكتاب .

من واقع تلك الدراسات وجدت أننا نحتاج لوقفة لمناقشة ما حوته من آراء وما ورد فيها من فكر ، وبعضها يحمل موقفًا متحيزاً تنقصه الموضوعية ، وهذا الفكر يقرؤه القارىء الغربى فيرى صورة مخالفة لواقع كان موجوداً ، وإذا أخذنا عنصر الاضطهاد كمثال ، فبالرغم من أن هناك شبه إجماع من المؤرخين اليهود على تسمية العصور الوسطى الإسلامية بالعصر الذهبى ،

وهذا ما ذكره أيضًا أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل الأسبق فى كتابه الضخم عن تاريخ اليهود بعنوان : " التراث " (١١). فإن نغمة الاضطهاد التى تعد جزءاً من التكوين النفسى للشخصية اليهودية التى يعيش بداخلها عاملين - كما أثبتت الدراسات الحديثة - ، الإحساس بالاضطهاد مع الإحساس بالذاتية اليهودية ، وكما أكد إسرائيل شاحاك فى كتابه " التاريخ اليهودى وطأة ثلاثة آلاف سنة " وهو أحد الأقلام اليهودية المعتدلة . كل الدراسات الحديثة عن اليهود ، وخاصة تلك التى يقوم بها اليهود ، مازالت حتى اليوم تتسم بعلامات بارزة من أصولها : كالخداع والتبرير والجدل العدوانى واللامبالاة بتحرى الحقيقة أو العمل بنشاط على تحريفها ، ومعظم الدراسات المدعوة يهودية عن اليهودية ، منذ ذلك الوقت وحتى اليوم هى دفاع ضد عدو خارجى أكثر منها حواراً ذاتيًا "(١٢) . كذلك تكرر نفس المعنى فى ما كتبه جدع جلاد فى كتابه إسرائيل نحو الانفجار الداخلى فى الجزء الخاص بيهودية العصور الوسطى وتحرى فيه الموضوعية (١٣).

أما عن نغمة الاضطهاد المتكررة فنجد أن مارك كوهين فى مقاله عن الاضطهاد أجملها فى ثمانى نقاط رغم تأكيده أن الحكم الإسلامى اتسم بصفة عامة بالتسامح ، وأنه اختلف اختلافًا بينا عن موقف الغرب من يهود العصور الوسطى (١٤). فالأمثلة التى ذكرها وركز هو وغيره عليها كانت كالتالى موقف الرسول من بنى قريظة ، وفترة حكم الحاكم بأمر الله الفاطمى ، والمرابطين والموحدين وموقفهم من اليهود ، ومقتل ابن النغريلة بأسبانيا ، وأحداث الملاح . وهذه النقاط تحتاج إلى دراسة نقدية موضوعية لإثبات عدم صحة التحليلات الواردة فى ثنايا تلك المؤلفات ، فإذا كانت هناك مواقف عنف فى بعض الفترات فلم تكن موجهة إلى اليهودية كدين ، وإنما ترتبط بواقع سياسى قائم ونتيجة عوامل ترتبط بفترة زمنية أسهم اليهود أنفسهم فى إثارتها ، أو ثمة أحداث عامة تعرض لها اليهود والمسلمون على السواء ، كذلك ما ذكره د. جوايتين عن فكرة القومية اليهودية فى الفترة الإسلامية والنقاء العرقى وتشبيهه القومية اليهودية بالقومية الفارسية (١٥)، وأن كليهما بعثتا وازدهرتا مع القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى وازدهرتا أمر ثبت عدم صحته بعدد من الدراسات وأهمها ما كتبه كستلر عن القبيلة الثالثة عشر (١٦).

وهناك من تجاهل الواقع التاريخى وصنع أحداثًا تاريخية أسطورية لتتحول فى نظرهم إلى تاريخ ، فمثلاً كتاب أعحميس The Chronicle of Ahimaaz والذى ذكر المؤلف قصة أسطورية عن جده الذى كان يعمل لدى الخليفة المعز ، حاول البعض الربط بين هذه الشخصية وجوهر الصقلى ، ووفقًا لهذا فإن من بنى القاهرة كان يهوديًا وإن كان قد عارض هذا الرأى عدداً من المؤرخين ومنهم جوايتين .

ولذلك فقد رأيت أن أعد دراسة شاملة فى ثلاثة محاور لتاريخ اليهود فى العالم الإسلامى فى العصور الوسطى ولم أرغب أن أقصرها على دولة بعينها فى العالم الإسلامى ، فالعالم الإسلامى كان مترابط الأواصر وكانت حركة اليهود مع تجارتهم مستمرة عبر أقطاره ، فيهود مصر من أصول مغربية وأسبانية ، وهناك رابطة بين عائلات تجارية وبيوت مالية عبر العالم الإسلامى ، ولذلك رأيت تقسيم الدراسة لثلاثة محاور أولها القومية اليهودية وتشمل عدة عناصر :

(أ) النقاء العرقى .

(ب) أوضاع اليهود فى عالم الشرق قبل الإسلام .

(جـ) الاندماج .

(د) فكرة الاتجاه لبيت المقدس والمسيح المخلص .

المحور الثانى : الاضطهاد وهو دراسة لما كتبه المؤرخون اليهود عن الاضطهاد الإسلامى والرد عليه وقسمته إلى ثلاث عناصر :

(أ) على المستوى الدينى .

(ب) مستوى الدولة .

(جـ) المستوى الشعبى .

المحور الثالث : الحكم الذاتى ، ويتناول عدة عناصر :

(أ) فكرة الحكم الذاتى .

(ب) المؤسسات الدينية والأكاديمية اليهودية .

(جـ) موقف الدولة الإسلامية من التنظيمات اليهودية .

ولقد استندت فى هذه الدراسة لوثائق الجنيزة ولكتابات المؤرخين اليهود والأوربيين ، التى تناولت أوضاع اليهود فى عالم العصور الوسطى الإسلامية كدراسات مارجليوث وإسرائيل ولفنسون « بن زيفى »[١٧] ونيوبار وكراتيز ومارك كوهين وآشتور وشتلمان وجوايتين وغيرهم، هذا بالإضافة إلى التوراة والكتابات الدينية ومؤلفات موسى بن ميمون وابن كمونة والسموءل بن يحيى بن عباس[١٨] بالإضافة إلى المصادر العربية والقرآن الكريم وكتب الشريعة الإسلامية وكتب الأحكام الشرعية التى تناولت أهل الذمة . كابن قيم الجوزية «أحكام أهل الذمة »[١٩] و « هداية الحيارى » و الشهرستانى « الملل والنحل » إلخ [٢٠].

والهدف من الدراسة ليس إعداد بحث سياسى ، إنما هى دراسة تاريخية ، لا تنكر على الغير مهما كانت هويته ، الجهد الذى بذل فى تلك الدراسات ولكن من حق الجانب العربى الإسلامى الرد على ما ورد بها من تحيز . فهى هنا عملة لها وجهان وما عرضوه هو وجه يقوم بتطويع التاريخ للفكر الدينى ولوجهة نظر منحازة تحمل الأحداث أكثر من حقيقتها ، ويحتاج القارىء فى هذه التواريخ لوجهة نظر أخرى لمن يعيش فى العالم الإسلامى والتى تستند إلى المصدر والحقيقة التاريخية للرد على ما ورد فى تلك الكتابات ولإيضاح صورة حقيقية لليهود فى العصور الوسطى فإذا كانت الدراسات التى أصدرها أمنون كوهين عن القدس وشملت دراسات لشلومو دوف غويتاين عن القدس فى الفترة العربية « كما يحددها » ٦٣٨ - ١٠٦٩ [٢١] ، وما كتبته حواء لاتسردس عن قدسية القدس ومحاولتهم التأكيد على نفى التواجد الإسلامى بالقدس إلا فى نطاق ضيق فذكرت « لقد كانت القدس رغم قدسيتها فى الإسلام ، مدينة لم يقطنها من المسلمين إلا أعداداً قليلة نسبيًا حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى »[٢٢]، وهو قول يشتمل على كثير من المغالطة حيث أن التواجد اليهودى هو الذى كان محدوداً عبر العصور الوسطى الإسلامية[٢٣].

والمحور الأول ويتناول الكتاب الأول ، وهو القومية اليهودية التى طرحتها أغلب المؤلفات اليهودية فى محاولة لتأصيلها والتأكيد على النقاء العرقى وربط اليهود فى العصور الوسطى والعصور الحديثة بالأصول السامية الأولى ، والتأكيد على النقاء العرقى وعدم اختلاط الدماء اليهودية بغيرها واحتفاظ اليهود بخصوصيتهم العرقية عن بقية الشعوب . وهى أمور قد ثبت عدم صحتها حيث ثبت أن ما يقال عن النقاء العرقى والذى بدأ من فترة الأنبياء إلى السبى

إلى قيام دول متهودة لا تنسب إلى الأسباط كما يدعون ، مثل دولة اليهود فى اليمن وإمارة حدياب ودولة الخزر [٢٤] ، الذى أكد الأستاذ بولياك بالجامعة العبرية وكستلر أن يهود إسرائيل ويهود شرق أوربا يرجعون فى أغلب أصولهم إلى الخزر .

كذلك ناقشت الاختلاف الجوهرى بين المذاهب الدينية اليهودية فى أصول العقيدة وجوهرها وافتقارها إلى الوحدة ، وفكرة الاتجاه إلى بيت المقدس أو موقف يهود العصور الوسطى فى الاستيطان فى القدس والعودة إليها فلقد أكدت الدراسة من واقع وثائق الجنيزة ، ومن الدراسات الأوربية الحديثة ، أن يهود العصور الوسطى فضلوا الإقامة فى مصر والمغرب والأندلس عن الاتجاه إلى بيت المقدس ، بالرغم من تسامح الفاطميين ، فإن صلة اليهود ببيت المقدس تكاد تنحصر فى الحج وتقديم هبات للأكاديمية اليهودية التى انتقلت فيما بعد إلى مصر وأصبحت مصر مركزاً لها بدلاً من أورشليم فى عهد كل من الفاطميين والأيوبيين . بل إن الرحالة اليهود الذين زاروا القدس فى عصر سلاطين المماليك ، أشاروا إلى وجود عدد محدود من اليهود أغلبهم من الأشكناز [٢٥] « يهود الغرب » ، أو من كبار السن الذين أرادوا قضاء السنوات القليلة الباقية من عمرهم فى القدس ، وإن كان عدد منهم غادرها وعاد إلى بلاده [٢٦] ، ورحالة يهودى آخر أشار إلى أن أغلب اليهود الموجودين إما نساء أو أرامل لأولئك الرجال[٢٧] ومن إحصاء للسكان أجرته الإدارة العثمانية فى القرن السادس عشر كان عدد اليهود لايزيد على ثلاثين أسرة .

أما فكرة المسيح المخلص فلم تلق استجابة من يهود العصور الوسطى ويؤكد هذا موقفهم من داود الراؤبنى ، ولقد استغل البعض فترة الحروب الصليبية للدعوة إلى هذه الظاهرة والتى لم تلق بدورها استجابة[٢٨] حقيقية من يهود العالم الإسلامى .

والعنصر الثالث فى هذا المحور يتناول موضوع الاندماج وهل عاش اليهود كما يقول العديد من مؤرخى اليهودى كقومية منعزلة فى جيتو[٢٩] أو حى يهودى منفصل اجتماعيًا ودينيًا وفكريًا واقتصاديًا . ونجد أن الوثائق والدراسات التى أجراها المؤرخون اليهود تشير إلى أنه لم يكن هناك جيتو مهنى أو سكنى ، وكما ذكر جوايتين بأن أغلب الاتحادات المهنية فى العصور الوسطى لم تقوم على أساس دينى [٣٠] . وذخرت الوثائق بإشارات عديدة إلى مساكنة اليهود للمسلمين فى أحياء إسلامية ، وسكنى مسلمون فى أحياء اليهود بل هناك

منازل تشارك فى ملكيتها مماليك ويهود وحرف تشارك فيها اليهود مع المسلمين ، بل إن اليهود ، فضلوا فى التعامل المالى أسلوب القراض[٣١] الإسلامى عن الجونيم اليهودى ، وفى التجارة كان هناك عدد من كبار التجار كابن عوكل الذى وصفه شتلمان بأنه شهبندر التجار فى العصر الفاطمى وكان يتاجر فى ٨٢ نوع من البضاعة كالمجوهرات والنسيج ومواد الصباغة والخشب وغيرها ، وأن ثروته تقدر كما ذكر شتلمان بقيمة عصرنا بأربعة مليار دولار [٣٢] ، ونهراى بن نسيم التاجر المغربى الذى كان ينتقل بين مصر والمغرب وله منازل فى كل منها وغيرهم كثيرون حيث وردت فى الوثائق أسماء عائلات يهودية تعيش فى العالم الإسلامى أوضحت الوثائق مدى نشاطها التجارى ومدى اندماجها فى مجتمعها ؛ ومدى تأثر اليهود بالحضارة العربية الإسلامية حيث كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية حتى أن الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وصف موسى بن ميمون فى احتفالية كانت قد اقامتها كلية دار العلوم عام ١٩٣٦م بأنه فيلسوف إسلامى لأنه تأثر بالجو والبيئة الإسلامية وأفكار الفيلسوف ابن رشد [٣٣] ، ونجد أن بعضهم تسمى بأسماء عربية أو حمل اسمين عبرى وآخر عربى وتأثروا بالعادات العربية ، بل جعلوا لهم أنظمة شبيهة بالأنظمة الإسلامية كنظام الفتوة الإسلامية[٣٤] وحملت رسائلهم حنين إلى الوطن والوطن هنا ليس أورشليم إنما الأندلس أو مصر أو المغرب ، الوطن الذين عاشوا فيه آنذاك وأصبحوا جزءاً من أهله .

بل أن هناك رسالة من حاج إسرائيلى زار بيت المقدس يدعو الله أن يعيده إلى وطنه ليرثه أبناؤه والوطن هنا بلده التى كان يعيش فيها وليس بيت المقدس ، أما ارتباطهم بالأسباط والحفاظ على النقاء العرقى فلم يكن هناك نقاء عرقى ، وفى الجزيرة العربية حملوا أسماء عربية منذ فترة ما قبل الإسلام[٣٥] وفى أسبانيا تزوجوا من مسيحيين فى فترة الحكم القوطى، ويهود اليمن متهودين فليست هناك رابطة عرقية فعلية تجمعهم حيث ارتبطوا بمصالحهم الاقتصادية والاجتماعية فى الأقطار التى عاشوا فيها ، وكانت بيت المقدس تمثل لهم نفس ما تمثله للمسلم والمسيحى كمكان دينى مهم يرغبون فى الحج لا الإقامة الدائمة فيه .

أما المحور الثانى وهو موضوع الكتاب الثانى فيتناول الاضطهاد وقسمته إلى ثلاثة عناصر ، أولها : الاضطهادات التى نسبتها الكتابات اليهودية للمسلمين على المستوى الدينى وعزتها إلى الشريعة الإسلامية وادعاء قيام المسلمين بالتحيز الدينى ، وما كتبه

مؤرخوهم عن الشروط العمرية وناقشتها من واقع القرآن وكتب الشريعة الإسلامية ، ثم موقف التوراة والعقيدة اليهودية من غير اليهود أو كما يسمونهم جونيم أو الأغيار والتمييز الواضح بين ماهو يهودى وغير يهودى .

ثم الحديث عن الاضطهاد على مستوى الدولة وما ادعوه من اضطهادات تمت على مستوى الدولة ولقد نسبت إلى فترات زمنية معينة مع التركيز على موقف الرسول (ﷺ) من بنى قريظة ثم أحداث عهد الحاكم بأمر الله ، وموقف الحكام فى أسبانيا من موحدين ومرابطين من اليهود والوضع فى حى الملاح ، ومقتل ابن النغريلة وأوضحت الأحداث والدوافع وراء الحدث وفقًا لما ورد فى المصادر(٣٦) ، وكما ذكرت فإن الاضطهاد لم يكن موجه لليهودية كديانة ، إنما نتيجة مواقف سياسية معينة أو أحداث معينة لا صلة لها بالدين ، أو لظروف وضع سياسى فالوزير التسترى أحد وزراء العصر الفاطمى تأمر عليه الوزير ابن الفلاح الذى كان أصلاً يهوديًا ثم أسلم . والمؤامرات ضد الوزراء اليهود والشخصيات اليهودية كانت ستحدث سواء كان مسلمًا أو يهوديًا . وابن كمونة كان وراء ثورة العامة عليه بما أصدره ضد الإسلام من كتاب بعنوان : " ثلاث مقالات فى الأديان" تعمد فيها الإساءة إلى الإسلام ، ومع ذلك حمته الدولة من العامة (٣٧).

وعلى المستوى الشعبى حاولوا التأكيد على أن هناك موقفًا شعبيًا عام ضد اليهود فى حين كانت تصرفات بعض اليهود المستفزة وراء تحريك جموع العامة(٣٨) ، مثل حالة الوزير ابن نغريلة الذى كانت تصرفاته مسؤولة عما حدث (٣٩)، حيث أثار عداء الجميع أو ما حدث فى عصر سلاطين المماليك من كتابه عبارات تسىء إلى الإسلام على درجات المحراب فى المعبد، ولكن هذا لا يعنى أن هناك عنفًا على المستوى الشعبى ، فهناك خطابات تضمنت ضامنين مسلمين لليهود فى عقود وهناك تعاملات على كافة المستويات .

المحور الثالث : وهو موضوع الكتاب الثالث : الحكم الذاتى ، ولقد أكد مارك كوهين على أن هناك نوعًا من الحكم الذاتى مستقل لليهود فى العالم الإسلامى مما يؤدى إلى إثبات انعزالية اليهود وتكوينهم لكيان ذى استقلال سياسى واجتماعى (٤٠)، وهذا رأى تعوزه الصحة فإن الدولة الإسلامية احترمت عقائد غير المسلمين واعتبرتهم أهل ذمة لهم حقوقهم ، وقد حددت معاهدات الفتح الإسلامية ما لهم من حقوق والتى تضمنت إعطاءهم الحق فى إقرار

أمور عقيدتهم وتنظيمها والتصرف فى أمور الأحوال الشخصية ، وفقًا لعقيدتهم . ولكن هذا لا يعنى وجودهم منفصلين عن المجتمع . فالمسيحيون يكونون جزء أساسيًا من نسيج المجتمع المصرى ولهم كنيستهم وقوانين للأحوال الشخصية المستقلة . ولكنهم لا يمثلون حكمًا ذاتيًا منفصلاً ، إنما هم جزء من الشعب المصرى .

ولقد استعرضت قيام المؤسسات الدينية ، فعرضت لأكاديميات بابليون وأكاديمية أورشليم ، ثم انتقال أكاديمية أورشليم إلي مصر مما يؤكد أن النظرة إلى بيت المقدس كانت كمكان للحج وليس كوطن قومى للإقامة والاستقرار ، وأصبحت أكاديمية مصر لها استقلالها ودخلت أورشليم فى تبعيتها ، وفى أسبانيا حدث نفس الشيء حيث تم استقلال المؤسسة الدينية عن أكاديمية العراق مما يتضح ارتباط المؤسسات الدينية بالبيئة التى قامت بها أكثر من ارتباطها بالقدس أو أورشليم ، كذلك تضمن المحور ذكراً لفرقهم الدينية المختلفة والاختلافات الجوهرية بينها .

الهدف من الدراسة تكوين صورة شاملة عن أوضاع اليهود فى العالم الإسلامى ، ونوعية العلاقة ، فحركة انتقال اليهود بين أقطار العالم الإسلامى نشطة ، والسمة العامة التسامح والاضطهاد شذوذ عن القاعدة .

الفصل الأول

الهــويـــة

تردد تعبير القوميـة اليهـودية فى عـدد من المؤلفات التى تناولت تاريخ اليـهود فى العـالم الإسلامى فى العصور الوسطى كمؤلفات جوايتين ، ومارك كوهين ، وهر شبرج ، وآشتور ، آبا إيبـان ، وشتليـمان وغـيرهم كثيـرين . وهذا المصطلح لم يعد قاصراً على المؤرخين اليهـود ، بل استعمله بعض الكتـاب العرب المناهضين للصهيـونية ، ونجد أن كلمة شعـب تستعـمل فى مؤلفات كتاب اليهود مرادفة لكلمة قومية ، وهذه الكلمة استعـملها إسرائيل ولفنسون (بن زيفى) الذى كان يُدرس بكلية دار العلوم ثم هاجر بعد ذلك إلى إسرائيل[٤١]. فاستعمل هذا المصطلح فى كتابه « تاريخ اليهود فى بلاد العرب » ، كما نجد مصطلحات دينية مماثلة مثل الشعب المختار ، والشعب المقدس ، وهى اصطلاحات الغرض منها الإشارة إلى مجتمع دينى وحسب ، فمن المعروف أن الأمة والقومية بالمفهوم العلمى لم تظهر إلا فى القرن التاسع عشر والصهيونية تستخدم التشابه بين المصطلحين للتدليل على أن اليهود أول قومية .

اعتاد اليـهود صياغة نظرياتهم وفقًا لمعتقداتهم ، وإنى استعير تعبير أحد المؤرخين اليهود وهو المؤرخ Newby والذى كتب عن يهود الجزيرة العربية [٤٢]، فذكر : أن هناك فرقًا بين ما ترى وما هو واقع ، فإننا أحيانًا ، نصبح أسرى وسجناء فى إطار نظرياتنا ، وهذا ما فعله مؤرخو اليـهود من استـخدام تعبيـر قومـيـة والتـأكيـد عليـه . ويقـول موشى جيل فى كتـابه : "تاريخ فلسطين من ٦٤٣ - ١٠٩٩م " . السؤال الذى يثار اليوم عامة من عناصر غير صديقة لليهود ، هل اليهود أمة ، أو مجرد مجتمع دينى ، كان لا يشغل يهود العصور الوسطى ، فقد اعتبروا أنفسهم أمة ، بل يعتبرهم أمة أكثر من أى أمة لها أرض " [٤٣].

والأستاذ جوايتين فى كتابه : " العرب واليهود " عرض لفكرة القومية اليهودية وربط بينها وبين القومية الفارسية ، حيث ذكر أنه سيتناول موضوع على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لوضع اليهود فى العالم العربى وكيف استجاب اليهود لتحديات الحضارة الجديدة وتأقلموا مع شروطها . فيذكر أن التغيير لم يحدث فور مجيء الفتح الإسلامى أو الغزو العربى كما يسميه وأن المائتين والخمسين عامًا التى أعقبت الغزو العربى ، هى من أكثر فترات التاريخ اليهودى غموضًا . « ولا يظهر فى القرن الثالث الإسلامى ما يجعلنا نتبين ملامح التغيير الذى أثر فى كيان الشعب اليهودى الذى كان يعيش فى بلاد تتكلم العربية ، ونستطيع أن نلاحظ تشابهًا من ناحية تاريخ اليهود مع تاريخ الشعب الفارسى الذى بدأ فى الفترة الأولى من الغزو مشلولاً ، ولم يشعر باستعادة يقظته إلا فى القرن الثالث الهجرى وسبب الأفول المؤقت للفرس فى الفترة الأولى من الغزو كان سياسيًا ، فقد تم تصفية الدولة كأمة مستقلة نتيجة للمذابح التى قام بها العرب ، ومنذ القرن الثالث بدأ ظهور كل من اليهود والفرس كشعبين » (٤٤).

فالأستاذ جوايتين يحاول تشبيه الشعب اليهودى بالشعب الفارسى وأن كلا القوميتين تعرضت للاضطهاد على يد العرب ، ثم تم بعثها فى القرن الثالث ، ومن الواضح أن المقارنة تفتقد الموضوعية ، فالفرس كانوا دولة ذات كيان سياسى يربطها وحدة الجنس والأرض والتاريخ على أرض مشتركة كانوا ومازالوا يعيشون عليها وقوميتهم بعثت فى إطار الإسلام الذى اعتنقوه وتمسكوا به ، وإذا كانوا قد عارضوا فى بعض الفترات سيطرة العنصر العربى فإنهم لم يعارضوا الإسلام أو يحاولوا الخروج عن إطار الأمة الإسلامية . أما اليهود فلم يكونوا شعبًا متحداً ولا حتى مستقلاً . فاليهود الذين دخلوا فى إطار الحكم الإسلامى كانوا مجتمعات متنافرة تعانى من الحكم الرومانى ، ويكفى أن بيت المقدس كان محرمًا على اليهود دخوله ، وكان اليهود آنذاك أقليات تنتمى إلى شعوب عديدة لا تجمعها رابطة عرقية ، وعدد كبير منهم كان متهود كاليمن وحيداب وقد ارتبطوا بزيجات مع الشعوب الأخرى ، أما المشيح المخلص وأرض الميعاد فكانت رموزاً دينية ، ومع ما اكتسبوه من مزايا خلال الحكم الإسلامى فى العصور الوسطى ، فلم يسعوا إلى الثورة أو إقامة دولة منفصلة ، بل على العكس وكما ذكر مارك كوهين وجوايتين وآشتور ، فإن اليهود كانوا دائمًا فى معاونة الحاكم أيًا كان ، وكان من أسباب الاستعانة بهم فى إدارة الحكم وفى المناصب العليا سواء مع الفاطميين فى المغرب

ومصر ، أو فى الأندلس عدم وجود عصبية لهم تسعى للانفراد بالحكم ، وكان هناك نوع من الاندماج والارتباط بالأقطار التى عاشوا فيها ويحنون إليها إذا تركوها .

وكاربينى Garbini ذكر أن أهم ما تكشفه أمامنا المعلومات الجديدة المتوفرة خلال ربع القرن الماضى هو استقلال الصورة التاريخية لإسرائيل عن صورتها التوراتية ، ويرى أن الأسفار المدعوة بالتاريخية فى السياق العام لتاريخ فلسطين هو أخيلة آدمية تتخذ دوافعها فى المناخ الاجتماعى والنفسى للفترة المتأخرة التى كتبت فيها (٤٥).

ويرى رابلى Ribly أن أصول اليهود لم تعرف النقاء الجنسى وأن يهود اليوم لا يكونون جنسًا واحدًا ، ويوجن بيتارد فى كتابه الجنس والتاريخ Race and history ، يرى أن اليهود يتكونون من عناصر مختلفة تمامًا وليس هناك شىء اسمه جنس يهودى ، كما أنه ليس هناك جنس مسيحى . فاليهودية عقيدة دينية لها أتباع من كل الأجناس ، وهذا ما أكده روجيه جارودى بأنه لم يكن هناك قط جنس يهودى ، ففى كل مراحل التاريخ كانت الأقليات اليهودية أحد العناصر التى تكونت منها الشعوب ، وهادون Haddon يرى أن اليهود يتكونون من أصول مختلطة لا يمكن القول بأنهم جنس نقى (٤٦) .

وهنا يجدر مناقشة ما أطلق عليه القومية اليهودية وهى تستند إلى عنصرين ، الجانب العرقى والجانب الدينى ، ويقول د. مسيرى أن اليهود ينظرون إلى أنفسهم على أنهم جماعة دينية وقومية فى ذات الوقت يربطهم رباط عرقى ولغة وحضارة تاريخية مشتركة ، وبالرغم من محاولة اليهود ربط أنفسهم بالأسباط وادعاء محافظتهم على النقاء العرقى والتأكيد على أنهم ساميون ينتسبون إلى أرض فلسطين لم يختلطوا بالآخرين ، بل حرص رجال الدين التأكيد على عدم الزواج والاختلاط بالمجتمعات التى عاشوا فيها فإن الدراسات الحديثة والأبحاث العلمية التى تتصل بعلم الأجناس تدحض هذا الرأى" (٤٧)، فلا يوجد نموذج معين ليهودى أو جنس يهودى له خصائصه الجنسية والعرقية ومن أهم من عرض لهذا الرأى روجيه جارودى والذى نفى وجود جنس يهودى ، والأستاذ بولياك الأستاذ بالجامعة العبرية ، الذى أرجع أصول اليهود الحاليين فى إسرائيل وشرق أوربا إلى أصل خزرى ، وكستلر وهو يهودى أيضًا فى كتابه القيم : " القبيلة الثالثة عشر" : " يذكر أن غالبية اليهود فى الوقت الحاضر هم من أصل أوربى شرقى وبالتالى فهم من الدرجة الأولى من أصل خزرى ، وهذا يعنى أن أجدادهم لم يجيئوا من نهر الأردن بل من نهر الفولجا ، ولم يجيئوا من أرض كنعان بل من القوقاز التى

اعتقد فيما مضى أنها مهد الجنس الآرى ، وهم فى التركيب الوراثى أقرب إلى قبائل الهون والأيغور [٤٨] ، من ذرية إبراهيم واسحق ويعقوب فلا يوجد نموذج معين لليهودى ، وهو نفس الرأى الذى أكده Fishberg فذكر أنه من الأدلة الدامغة على كذب وجود جنس أسيوى ينتمى إليه يهود العالم ولم يعتره التغيير ولم تخالطه صفات أجنبية منذ نزول الكتاب المقدس ، وجود نسبة مئوية من مظاهر الشقرة والعيون الفاتحة الألوان بين اليهود وتوزيعها توزيعًا غير منتظم بين الأقليات اليهودية والتغير والاختلاف الشديد فى النسبة الرأسية وهو الاختلاف الذى نجده بين أى شعب من شعوب أوربا ووجود أقليات تظهر فيها الصفة المغولية والزنجية، فقد أظهرت نتائج أبحاث علم الأجناس البشرية أنه خلافًا للرأى الشائع ليس هناك جنس يهودى وتدل قياسات الأجسام البشرية التى أجريت على مجموعات من اليهود من أقطار مختلفة أنهم يختلفون عن بعضهم البعض اختلافًا بينًا فى كل الخصائص الجسدية الهامة ، كالقامة والوزن ولون البشرة ، الدليل الرأسى ، الدليل الوجهى . وأثبتت مقارنات مقاييس الجماجم ، وفحوص الدم ، أن هناك بين اليهود من مواطنى أى دولة وبقية أهلها تشابهًا يفوق الذى بين اليهود الذين يعيشون فى أقطار مختلفة ، ومن سلسلة الدراسات التى نشرتها اليونسكو نجزم أن اليهود يظهرون درجة كبيرة من التباين المورفولجى بين أنفسهم مثل ذلك الذى يمكن تواجده بين أفراد جنسيتين مختلفتين أو أكثر وعند معاينة جماجم اليهود بغيرهم Gentiels " الأغيار " الأميين[٤٩] ، "فاليهودى يعتبر كل من هو غير يهودى من الأغيار " فى بلد واحد وجد بينهما تشابه فى حين نجد اختلافًا بمقارنتها باليهود الذين يقطنون أقطاراً أخرى ، فالسفرديم وهم يهود الشرق[٥٠] رؤوسهم تختلف عن اليهود الأشكناز ذوى الرؤوس العريضة [٥١]، ومن السمات الجسدية التى تشهد ضد وحدة الجنس وبصفة عامة لليهود ما ذكر أن اليهود ذوى شعر داكن وعيون داكنة ، ولكن أكدت أن ٤٩٪ من يهود بولندا شعرهم فاتح، وأن ٤٥٪ من أطفال اليهود فى المدارس كانوا ذوى عيون زرقاء ، فى حين أن يهود الفلاشا سود البشرة ينتمون لجنس آخر ، وهناك يهود المغرب ذو البشرة السمراء فهل يمكن أن يطلق على جميع هؤلاء جنسٍ واحد؟ ، وكذلك لا ينطبق النمط السامى فى أواسط أوربا على أنماط يهود التيتون ولا يهود اليمن يتشابه مع يهود أوربا فالوحدة العرقية مفتقدة ونمط اليهودى ذو الأنف مثل : منقار الصقر لا يوجد فى الشعوب السامية التى يصر اليهود على أنها أصولهم ، ونقائهم العرقى[٥٢]. ولكن نجد هذا الأنف عند قبائل القوقاز وبين الأرمن

والجورجيين ، والهنود الحمر فى أمريكا الشمالية ، وينطبق هذا على بقية سمات الوجه فلا يوجد نموذج لليهود ولاجنس يمكن أن يطلق عليه يهودى، فنقاء العرق معدوم. ويؤكد R.N.Salman أن أكثر الاختلافات والتغيرات بين السلالات توجد بين اليهود وأنه فى ألمانيا وروسيا على وجه الخصوص يوجد يهود ولا تظهر عليهم إطلاقًا أى صفات ومميزات جسدية آسيوية ، على عكس موسى جيل فى كتابه " تاريخ فلسطين " والذى حاول أن ينفى عروبة فلسطين ، ويؤكد أن العرب لم يكونوا من سكانها ، وأن العرب يحاولون تأكيد أنهم من الساميين ، فى حين أن سكانها كانوا من المسيحيين واليهود من الواضح أنه يخلط بين الجنس والدين ، فالمسيحية واليهودية ديانات وليس أجناس(٥٣).

وهذا يدفعنا لدراسة أصول اليهود التاريخية وكيف دخلت على اليهود عناصر جنسية عديدة، فكما ذكر كستلر دخل على اليهود عناصر عديدة بالزواج من الشعوب الأخرى والسبى والاغتصاب والتهويد ، فى حين حاول إسرائيل ولفنستون نفى قيام اليهود بالتبشير رغم أن هناك كثيراً من النصوص فى العهد القديم وكتابات تاريخية تعود للتاريخ القديم والوسيط، تشير إلى استمرار عملية التهويد بدليل قيام ثلاث دول متهودة فى اليمن وإمارة حدياب ومملكة الخزر وجميعها من شعوب غير يهودية بل متهودة ، كذلك فإن عامل السبى والاغتصاب وما تعرضوا له من الآشوريين والبابليين والرومان من استرقاق ثم امتزاج جنسى فى مراحل عديدة من تاريخهم . بل إن هناك دراسات تؤكد أن اليهود ما هم إلا جزء من الكنعانيين وليسوا شعبًا مستقلاً (٥٤).

الأثرى فراس مؤلف كتاب " آرام دمشق وإسرائيل " يرى أن اليهود جزء من الكنعانيين وليسوا شعبًا منفصلا وأن وصف التوراة لوجود إسرائيلى وكنعانى جاء نتيجة لوصف تخيلى يعتمد على التوفيق بين الرواية التوراتية والمصادر التاريخية ، فصورة الكنعانيين مستمدة من النصوص المصرية لعصر البرونز مع تطعيمها بالصورة العرقية التوراتية ، أما صورة الإسرائيليين مستمدة من الرواية التوراتية المتأخرة ، فهو يرى أننا لا نستطيع التمييز بين ما هو كنعانى وما هو إسرائيلى . ففى المواقع القديمة مثل مجدو وحامور وشكيم ، والتى استمرت من عصر البرونز إلى عصر الحديد ، تظهر الآثار المادية صورة ثقافة محلية مستمرة وغير منقطعة من عصر البرونز الوسيط إلى البرونز الأخير ويؤيد هذا الرأى السيدة كافلين كينيدن التى قامت بالتنقيب فى أورشليم وأريحا وعدد آخر من المواقع الفلسطينية رأت أنه لا يوجد

فرق فيما بين عصر البرونز الأخير وعصر الحديد ، وعدم إمكانية التمييز بين ما هو إسرائيلي وكنعاني ويؤيد هذا Mendenhall وطور النظرية الباحث Gattwald الذى يرفض نظرية الأصل الخارجي للجماعات الإسرائيلية التى تسربت إلى المناطق الهضبية وهو يرى أن الجماعات التى شكلت إسرائيل فيما بعد هى شرائح فلاحية كنعانية لجأت إلى الثورة فى وجه حكام المدن الطغاة ، وإن أصل هذه الحركة الثورية كانت جماعة آبقة من العبودية فى مصر ، جاءت معها بعبادة يهوه التى تبنتها الجماعات الفلاحية ، وقد كان تبنى تلك الجماعات لعبادة يهوه بمثابة إعلان لرفضها لكل ما تمثله دويلات المدن الكنعانية المتسلطة على الشرائح الزراعية المضطهدة (٥٥).

وتاريخ اليهود عامة يؤكد سواء من واقع التوراة ذاتها أو من نصوصها ومن ثم أحداث التاريخ أنه لم يكن هناك نقاء عرقى ، رغم أن العقيدة اليهودية تعتبر كل من يأتى من أم غير يهودية ، غير يهودى أو ماميزر أى نتاج زواج مشترك . بل إن الزواج من الأشكناز والسفرديم كان نادراً حتى عهد قريب . وسأتناول بالعرض ما جاء فى التوراة وما كتبه مؤرخون يهود عن وجود اختلاط جنسى بالشعوب الأخرى وما حدث من اختلاط اليهود فى فترة ما قبل الإسلام بالشعوب الأخرى وقيام دول على أساس عملية التهويد ثم التواجد اليهودى فى الأقطار التى دخلت فيما بعد فى نطاق العالم الإسلامى ، كشبه الجزيرة العربية والحجاز واليمن ومصر والشام والمغرب ثم الأندلس .

أولاً : التوراة والزواج على مستوى الحكام :

نصوص التوراة أشارت إلى زيجات مع شعوب أخرى وإشارة إلى أن الأنبياء إبراهيم وموسى وداود وسليمان تزوجوا من نساء غير يهوديات مصريات ومؤابيات واردنيات ، وألف عالم النفس اليهودى الشهير سيجموند فرويد كتابًا يؤكد أن موسى مصريًا(٥٦) وليس عبرانيًا وهناك العديد من الدراسات عن التوراة تؤكد أن النبى أيوب كان عربيًا (٥٧). ومعلوماتنا عن العهد القديم وأجزائه فى صورته التى وصلت إلينا على ثلاثة أقسام : التوراة ، والأنبياء ، والكتب أو أسفار الحكمة (٥٨) ، والتوراة والأنبياء يسيران على نسق تاريخى فتظهر فيهما الشخصيات الإسرائيلية فى دور البطولة وتبدأ بخلق العالم وشعب الله المختار ويتضمن شرائع وقوانين وقواعد وسلوك وأركان اعتقاد وتجمع بين ما هو أسطورى وما هو تاريخى واقعى أما

الكتب فهى تراث دينى يكثر فيه الشعر والأمثال والقصص مستقلا عن الأحداث التالية ، وتشير التوراة إلى كثرة الاختلاط العرقى .

فالنبى إبراهيم تزوج هاجر المصرية وأنجب إسماعيل ، وإسماعيل تزوج مصرية[٥٩] ، وإبراهيم فى سفر التكوين [٦٠]. ينتمى إلى أسرة رعوية تزعمها أبوه تارح وموطنها الأصلى فى حران شمال غرب بلاد ما بين النهرين ، ثم انتقل لاجتياح العموريين المنطقة فى الغرب ، فاختار أرض كنعان ، ولقد انتقل إبراهيم أولاً لأرض الكلدانيين فى أور عبر نهر الفرات فوجد نفسه أمام جماعة من البدو الرحل الساميين هم الآراميون وتعايش معهم فترة وحصل بين الآراميين وقوم إبراهيم مصاهرة إلى أن اتجه العبرانيون إلى أرض كنعان ، وقيل أن شيوخهم مثل اسحق ويعقوب إذا أرادوا الزواج اتجهوا نحو تدان آرام مكان يجتمع فيه العبرانيون عبر الفرات من جهة سوريا ليتخذوا زوجات ، وكان آباؤهم ينهوهم عن الزواج من الكنعانيات «التكوين ٢٤:٢٧ » فالرواية التوراتية تجعل لهم أسلاف من الأراميين فعلى لسان موسى «كان أبى آراميًا تائهًا » [٦١]« سفر التثنية ٢٦ : ٥ » .

وسيجموند فرويد ذكر أن موسى كان مصريًا ولم يكن عبرانيًا ، واستند فى ذلك إلى أنه لم يرد فى الأسماء السامية سواء كانوا عبرانيين أو من غيرهم كالآراميين والكنعانيين والأكاديين اسم ينطق كموسى . والعبرانيون يقولون أن ابنة فرعون اسمته موسى ، وكما أشار دان شيربوك[٦٢] اعتبرته إبنًا لها وفقًا للتوراة وأنها انتشلته من الماء ومعنى اسمه « الذى انتشل من الماء » وهو فعل نادر الاستعمال فى العبرية والفاعل الذى اشتق منه اسم موسى لا يعطى معنى الذى انتشلوه ، وهل من الممكن أن تسمى ابنة فرعون الصبى الذى انتشلته بغير لغتها ، وتسميه بلغة قوم يعتبرون أعداء لفرعون ، وفى اللغة المصرية كلمة موسى تعنى طفل ونجد أسماء الفراعنة[٦٣] تحوتمس أى ابن الإله تحوت رعمسيس ابن الإله رع ، أما قوم موسى فيذكر فرويد أنهم ليسوا مصريين ، فلم يكن من المصريين إلا سبعين رجلاً أما البقية فمنهم ساميون من الفارين إلى البلاد من أور وكنعان ومن غيرها ومنهم إناس غير ساميين أيضًا من وادى النيل وأخلاط من الحرفيين والجنود المرتزقة والعبيد وأسرى الحروب ونحوهم مما لا تربطهم صلة بمصر[٦٤] ، ولا يملكون ومنها مالاً أو أرضًا وأن المصريين السبعين الذين جعل لهم القيادة واحتفظوا بإحدى عادات مصر وهى الختان [٦٥].

ومهما كانت صحة النظرية التى أوردها فرويد من عدمها فإن موسى وفقًا للتوراة تزوج أيضًا فتاة ميدانية اسمها زيبورا ويوسف تزوج ابنة كاهن مصرى ، وكان شمشون البطل اليهودى فلسطينيًا وهم سكان الشاطىء الجنوبى لفلسطين ، وكانوا قد استقروا فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد (٦٦) ، وكانت أم الملك داود مؤابية وهم شعب سام قديم ، وهناك تزوج النبى داود من أميرة من جشيبار Geshiar ١٠٤٠ ق.م. وقد ولد له ستة أبناء من زوجات مختلفات قبل جلوسه على العرش ، ولقد تزوج امرأة أوريا الحيثى(٦٧) بعد أن أرسله إلى الحرب « صموئيل الثانى ١١ » ويذكر إصحاح أخبار الأيام أبناءه من الزوجات فقط ولم يذكروا أبناءه من غيرهن.

وسليمان تزوج عدداً من النساء غير العبرانيات ، وفقًا للتوراة فتزوج ابنة فرعون « سفر الملوك الأول ١١ / » وتزوج عدداً من النساء غيرها من جنسيات مختلفة ، ففى سفر الملوك " أحب الملك سليمان نساء غريبة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبع من النساء السيدات وثلاث مائة من السرارى فأمالت النساء قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعه لكموش رجس الموآبيين الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون ، وهكذت فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن " (٦٨).

والنبى أيوب ذكر كثير من الباحثين منهم على سبيل المثال بنيامين فى تلخيصه للعهد القديم أن النبى أيوب أقدم من موسى وحدد تاريخه بعام ١٥٢٠ ق.م. وكان الأديب الفرنسى فلوتير قد سبق إلى القول بأن أيوب وسفره أقدم من التوراة وأن العبرانيين أخذوه من العرب وترجموه إلى لغتهم ويستدل على ذلك أن اسم الشيطان الذى يشغل مكانًا رئيسيًا فيه ليس كلمة عبرية بل هو كلدانى مما يدل على الأصل العربى لسفر أيوب(٦٩) ، وذكر فى سفر أيوب جمال ولحوم إبل محرمة على اليهود بل أن اسم أيوب نفسه لا مثيل له فى الأسماء العبرية «قال الكلدانيون عينوا ثلاث فرق فهجموا على الجمال وأخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف» "أيوب الإصحاح الأول " « جاء الشيطان أيضًا فى وسطهم ليمثل أمام الرب » " أيوب

الإصحاح الثانى " . ويذكر جواد على أن من علماء التوراة من يرى أن أيوب صاحب السفر المسمى باسمه ، وهو رجل عربى إذ كانت الدلائل الواردة فى سفره تدل على أنه من العرب ، فقد كان من أرض عوص ، وإن اختلف العلماء فى مكانها فالراجح عندهم أنها فى بلاد العرب أو فى بلاد الشام فى حران أو فى حوران أو على حدود آدوم أو من جنوب شرقها . ولقد ذكر فى سفر أيوب الإصحاح الأول « كانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم وثلاثة آلاف جمل وحمس مئة فدان بقر وخمسة مئة آتان وخدمه كثيرين جداً . فكان هذا الرجل أعظم كل بنى الشرق » ، أما وصفه أبناء الشرق وهى ترجمة لجملة بنى قيديم العبرانية .

وأصبح سفر أيوب من المشاكل الكبرى فى دراسة العهد القديم حتى الآن لغويًا وعقائديًا(٧٠) .

النقاء العرقى على المستوى الشعبى :

إذا كان النقاء الجنسى وفقًا للتوراة غير متوافر على مستوى الملوك فإنه على المستوى الشعبى أكثر وضوحًا ، فنصوص التوراة واضحة فى اختلاط اليهود جنسيًا بشعوب أخرى عديدة ، بل إن بعض المؤرخين طرح نظرية عدم وجود جنس وشعب عبرانى وجعلهم جزءاً من الكنعانيين(٧١) .

والكنعانيون كانوا بادىء الأمر قبائل سامية خرجت من الجزيرة العربية وكانت أراضيهم هى تلك التى غزاها العبرانيون حين كانوا يبحثون عن وطن ، وكان إبراهيم بعد تركه أور قد وصل إلى أرض الكلدانيين عبر نهر الفرات فوجد نفسه أمام جماعة من البدو الرحل الساميين وهم الآراميون وتعايشوا معهم فترة وحدثت مصاهرات بين الآراميين وقوم إبراهيم وظلوا على صلة بالآراميين بعد اتجاههم إلى أرض كنعان (٧٢) ، ولقد صور بعض المؤرخين إبراهيم شيخًا أو أمير قبيلة رعوية كان يتجول بها ووصل إلى أرض كنعان ليرعى ماشيته غير أنه كان يتميز عن أمثاله من رؤساء القبائل بأنه كان يدعو لدين جديد « قال الرب لإبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك » " التكوين الإصحاح ١٢ /١"، وكان إبراهيم قد خرج ومعه ابن اخيه لوط وتشير الرواية التوراتية إلى أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية هى التى كانت وراء هجرة إبراهيم ، فقد اختلف دعاة إبراهيم ودعاة لوط على المرعى وموارد الماء التى حددت لهم ، فقد كانت فلسطين مطمعًا لعدد من الهجرات مع نهاية الألف الثانية ق.م، وكانت تأتى لها عناصر شبه رعوية مع قطعانها (٧٣).

وكان على اليهود أن يخوضوا معارك ضارية ضد الكنعانيين ليستوطنوا بلادهم ومنذ البداية اختلط اليهود بالكنعانيين وامتزجوا بهم وعقدوا زيجات عديدة مختلطة بينهم وبين الكنعانيين[٧٤] ، وتحول هذا الأمر إلى ظاهرة واضحة ومستمرة فإن العهد القديم حرم عبادة آلهة الكنعانيين والزواج منهم « فاستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذى أنا ساكن بينهم » " التكوين ٢٤ " . ولكن اليهود استمروا فى الزواج منهم بل تحدثوا لغتهم وهى العبرية .

وهناك رأى طرحه مؤرخون آخرون فيما يتعلق بما ورد فى التوراة عن هجرة إبراهيم والأرض التى وعده بها الرب ، فلقد ذكر البعض استناداً لسفر التكوين وهو المصدر الوحيد للرواية ، أن إبراهيم خرج بامرأته وابن أخيه وزوجته فقط ولم يصحبوا معهم أحداً .

ولقد تكرر هذا مرتين فى سفر التكوين « الإصحاح ١١ / ٣٠ » " أخذ تارح إبرام ابنه ولوطًا بن هارون ابن ابنه وسارابى كنته امرأة إبرام ابنه فخرجوا معًا من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان فآتوا إلى حران وأقاموا هناك .

وفى سفر التكوين « الإصحاح ١٢ / ٥ »[٧٥] أخذ إبرام سارابى امرأته ولوطًا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا فى حاران وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان " فالإشارة الواضحة لخروج إبراهيم ولوط وعبيدهما فقط ، وهذا يؤدى إلى النظرية التى طرحها عدد من الباحثين وتتمثل فى أن الأباء الأوائل فى ديانة يهوه الجديدة ربما كانوا أبطالاً كنعانيين أو أنبياء محليين اغتصبتهم اليهود ونسبوهم إلى أنفسهم عندما هاجروا إلى أرض كنعان فى أوائل تاريخهم وأدخلوهم فى ديانة يهوه بهدف إعطاء الدليل على أن اليهود لم يكن لهم حق تاريخى فى دخول أرض كنعان [٧٦]، ويعترض على تسمية اليهود بشعب الله المختار فإنه يرى أنه مما يثير الدهشة أن يختار الله شعبًا ويجعله شعبه الخاص ، وأن هذه الحالة الوحيدة فى تاريخ الأديان البشرية[٧٧] .

وكان فى فلسطين بجانب الكنعانيين الفلسطينيون وكانوا سكان الشاطىء الجنوبى لفلسطين حيث استقروا منذ نصف القرن الثانى عشر ق.م. ، وجاء فى العهد القديم أنهم وفدوا من شبه جزيرة كريت ، أما أول إشارة إليهم فى الوثائق المصرية فكانت فى عهد رمسيس الثانى ١٠٤٠ق.م. ولقد سميت المنطقة التى عاشوا فيها فلسطينيا ، وكانت تشمل عدة مدن منها عسقلان وأشدود وغزة ، ثم توسعوا فى المناطق المجاورة وتصادموا مع العبرانيين الذين كانوا قد وفدوا حديثًا .

وكان العبرانيون أنفسهم ينتمون إلى عناصر عرقية مختلفة نتيجة الاختلاط الدائم وأول استخدام لكلمة عبرانى فى سفر التكوين (١٢/١٤) وذلك فى إشارة إلى إبراهيم « فأتى من نجا وأخبر إبرام العبرانى » ، وتستخدم فى العهد القديم إشارة إلى اليهود ، وأول نص تاريخى وردت فيه كلمة خابيرو كان فى ألواح تل العمارنة عام ١٢٠٠ق.م. وكلمة خابيرو لها معانى كثيرة مثل العابر والمتجول والبدوى(٧٨) .

أما كلمة يهودى فتعود لفترة متأخرة فقد وصف موسى أباه فى التوراة « آراميًا تائهًا كان أبى » « تثنية ٢٦ / ٥ » والتسمية لأحد أبناء يعقوب وهو يهوذا ومملكة يهوذا تعود لفترة ٩٣١ - ٥٨٦ ق.م. ولا صلة لها بإبراهيم ويعقوب اللذين عاشا فى القرن السابع عشر ق.م ، وهناك دلالة على أن مصطلح يهودى استعمل أول مرة فى بابل عندما كان اليهود فى الأسر وأول تسمية ليهودى وردت عند الملك الأشورى سنحاريب ٧٥٠ - ٦٨٠ ق.م. عند وصفه لانتصاره وانتشر استعمال الكلمة بعد السبى البابلى نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة ، وبالنسبة للتوراة فإن التوراة الموسوية قد فقدت لعدة قرون ومن المحتمل أن النص الذى كتبه عزرا مختلف عما أنزل على موسى ولم يحفظ العبرانيون من ذكره شىء ولايعرفون مكان قبره واختلفت اللغة العبرية تلك عن المستعملة أيام موسى ، ونجد التوراة فى سفر التثنية (٧/ ٢٠) تشير إلى أن الأرض التى دخلوها كان بها شعوبًا كثيرة وأجناسًا عديدة « شعوبًا كثيرة من أمامك الحيثيين والحرحاشيين والآموريين والكنعانيين القرويين والحوميين والبيوسيين سبع شعوب أكبر وأعظم منك » .

وهناك تناقض فى التوراة فالأرض التى حددت لموسى والتى سبق ذكرها أن بها أقوامًا حددت أماكن للأسباط أبناء يعقوب ، فكيف يملكون أرضًا وهم لم يوجدوا بعد ، ولم تظهر تسميتهم آنذاك بل ولا يمكن وجودهم فى الأرض إلا فى فترة تالية بعد انتهاء عهد القضاة إلى قيام مملكة شاؤول ، ونص التوراة كما يلى « ممن جلعاد إلى دان جميع نفتالى وأراضى أفرايم ومنسى وجميع أرض يهودا إلى البحر الغربى والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر وقال له الرب هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها »(٧٩).

وفى سفر القضاة « سكن بنو إسرائيل وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحوميين واليبوسيين واتخذوا ابناءهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا الهتهم فعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب ونسوا آلهتهم وعبدوا آلهتهم البعليم والسوارى فحمى غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيدكوشان وشقيام ملك آرام » « القضاة الإصحاح ٧/٦/٥/٣ » .

ونص آخر « أبيع بنيكم وبناتكم بيد بنى يهوذا ليبيعوهم للسبئيين لامه بعيدة لأن الرب قد تكلم » « يوئيل الإصحاح الثالث ٧/٦ » .

كذلك ورد فى التوراة « أقام إسرائيل فى شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب «العدد ١/٢٥ » .

ونستطيع أن نجمل القول بأن نصوص التوراة تثبت أن الشعب اليهودى الذى عاش فترة محددة فى فلسطين هو خليط من أجناس عدة اختلفت فى خصائصها الجنسية امتزج بها وتزوج منها فلم يعد هناك جنس يهودى نقى ، ونجد تباينًا واضحًا فى الخصائص العرقية لتلك الشعوب.

فالآموريين الذين كونوا دولة يهودية كانوا مستطيلى الرأس طوال القامة شقر البشرة ، والحيثيون كانوا جنسًا اسمر البشرة ويحتمل أنهم من نمط مغولى والكوسيون وهم جنس شبه زنجى ، بالإضافة إلى المؤابيين والعمونين والأموين والعرب .. إلخ ، وهم أجناس اختلفت أصولها العرقية واختلط دماء اليهود بهم .

والبعض كما ذكرنا استناداً لبعض نصوص التوراة ذكر أن هجرة إبراهيم ، كانت قاصرة عليه وعلى ابن أخيه وعائليتهما وأنه فى الغالب هناك عملية تهويد أو تحول لعبادة يهوه من الكنعانيين أى أن الكنعانيين يمثلون غالبية شعب يهوه وليس العبرانيين .

ولقد نشر الباحث الألمانى البرخت آلت Albreche Alt بحثًا بعنوان : " موطن الإسرائيليين فى فلسطين" ، ويبتدىء آلت دراسته لأصول إسرائيل من عصر القضاة أما ما قبل ذلك من المرويات فليست عنده إلا من قبيل الأدب الخيالى الذى تمت صياغته فى الفترات المتأخرة بهدف خلق أصول متجذرة لإسرائيل وديانتها .

وفراس يذكر فى كتابه آرام : " لم نعثر على أثر لإسرائيل التوراتية ، ولم يتقاطع الخبر التوراتى خلال ألف عام وفى أى أية نقطة من مسار القصة مع تاريخ وأركولوجيا فلسطين والشرق الأدنى القديم .

أما العنصر الثانى والخاص بعدم النقاء الجنس فقد جاء عن طريق السبى .

لقد سبى اليهود مرات عديدة على يد عدد من الدول وبيعوا مرات عديدة فى أسواق النخاسة وهنا لا نقف عند النص التوراتى فقط ولكن هناك أدلة وشواهد تاريخية تقود لفترة السبئيين والبابليين ، ثم لفترة الرومان فلم نعد نستطيع أن نعرّف من هو اليهودى ، فلقد اختلطوا وأجناس عديدة وتصاهروا معهم فلا يمكن الوصول إلى أصول عبرانية أولى ، ولايمكن لأى عالم للأجناس أن يخبرنا . وعلى ذلك نستطيع القول أن غالبية اليهود ما ميزر « طفل يهودى غير شرعى » وفقًا لأسفار موسى الخمس والشريعة اليهودية ، كما سبق أن ذكرنا(٨٠).

وأكثر أحداث السبى واختلاط الجنس العرقى كانت فى السبى البابلى ثم الآشورى ، وهذا يدفعنا لعرض ما ورد بخصوص الأسباط ومملكة اليهود فلقد انقسم أبناء يعقوب إلى إثنى عشرة قبيلة وهى تحتفظ بالرقم الصوفى اثنا عشرة وهذه الأسباط هى روبين شمعون لاوى يهوذا ويساكر ، زبولون يوسف بنيامين ، دان ، ونفتالى ، وجاد ، وأشير .

ولقد أوكل موسى إلى أبناء سبط لاوى أعمال الكهانة وقسمت قبيلة يوسف إلى قبيلتين إفرايم ومنشاه وقد قسمت أرض كنعان بين الأسباط وظل التقسيم الفعلى تحت حكم القضاة ، ولكن تحت حكم الملك شاؤول وداود وسليمان وجدت القبائل لفترة وجيزة ، وأصبحت مملكة موحدة ؛ ولكن ما لبثت أن انقسمت إلي مملكتى يهوذا فى الجنوب وعاصمتها أورشليم وكان على عرشها رحبعام بن سليمان ومملكة إسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامرة (٨١)، فى منطقة نابلس ، ولقد جلس على العرش ضابط يهودى متمرد على سليمان ، كان قد هرب منه ولجأ إلي مصر اسمه يربعام . وسقطت المملكة الشمالية إسرائيل أمام الجيوش الآشورية بقيادة الإمبراطور شليمانصر ولقد رويت الأحداث فى سفر الملوك الثانى الإصحاح ١٨/٩/١٠-١١) " فى السنة الرابعة للملك حزقيا وهى السنة السابعة لهوشع بن آيله ملك إسرايل صعد شلمناسر ملك آشور على السامرة وحصارها ، وأخذوها فى نهاية ثلاث سنين فى السنة السادسة لحزقيا وهى السنة التاسعة لهوشع بنى آيله ملك إسرائيل أخذت السامرة ، وسبى ملك آشور إسرائيل إلى آشور ووضعهم فى حلج وخابور نهر جوزان وفى مدن مادى » ولقد ذكر د. مصطفى عبد العليم أن غالبية المؤرخين يرون بخلاف ما ورد فى التوراة أن سقوط السامرة على يد سرجون فى عام ٧٢٢ ق.م. وأوائل عام ٧٢١ق.م. وليس ما ورد فى التوراة(٨٢). من أنه شلمناصر الخامس . وقد ورد فى أحد المتون الآشورية فى حوليات الملك

سرجون الثانى أنه خلال السنة الأولى من حكمه فى بداية حكم آما ... بلد الشاوين حاصرتها ومنحتها ... يلى ذلك سطران أصابهما التهشيم ، لأجل الإله ... الذى جعلنى أحرز النصر ولعدد ٢٧,٢٩٠ ألف من سكانها وجهزت من بينهم جنوداً ليقودوا خمسين . لأجل كرسى الملكى ، ولقد أعدت بناء المدينة بأحسن مما كانت عليه من قبل ، واسكنت فيها أناسا من ممالك فتحتها (أنا) وعينت ضابطًا من ضباطى حاكمًا عليهم وفرضت عليهم ضرائبًا كما هى عادة المواطنين الآشوريين » (٨٣).

ولقد ذكرت المصادر أنه فى أعقاب هزيمة المملكة الشمالية نقلت بعض قبائل اليهود إلى أشور ، قام سرجون بنقل بعض القبائل العربية : " ثمود واباديدى ومارسيمانو وههيايا التى كان سرجون قد هزمها إلى شمال فلسطين بالإضافة إلى قيامه بنقل عناصر من أشور وبابل كوت و ..... وأسكنهم مدينة فلسطين " (٨٤).

فهنا تمت عملية اختلاط مزدوج فاليهود المسبيون فى آشور تزوجوا من الأهالى وامتزجوا بهم وفى فلسطين هذا الخليط من الشعوب من آشوريين وعرب وبقايا يهودية وأجناس أخرى امتزجوا معًا ، وفى البداية كان كل يمارس عقيدته وفقًا لآلهته التى وفدت معه ثم باختلاطهم بالمستوطنين أرسلوا إلي السامرة يطلبون بعض الكهنة المنفيين فى أشور لكى يعلموا المستوطنين الجدد ديانة إله المنطقة يهوه واستقروا فى بيت إيل حيث قاموا بتعليمهم الديانة ، أى أن المواطنين الجدد من أشور والقبائل التى وطنوها تحولوا إلى اليهودية وأصبحوا متهودين بمعنى أصح ، ومن بقى من اليهود فى فلسطين امتزج مع المستعمرين وعرف بالسامرة ، أما اليهود والذين نقلوا إلى حران وضفاف الخابور أو أطراف مادى أصبحوا كما جاء فى نقش سرجون رعايا آشوريين . ولقد أرسل الأشوريون اليهود إلى المناطق الجبلية المنعزلة فى شمال سوريا وكان الهدف منعهم من التكتل والتجمع للعودة إلى المناطق التى أتوا منها ولقد نجحت هذه السياسة فعلاً . فلقد ارتبط اليهود بمواطنهم الجديدة وكانت سياسة آشور ثم بابل فيما بعد تقوم على نقل الرجال ذوى الكفاءة وحرمان الأمم المهزومة منهم ومن ناحية ثانية الاستفادة من ذوى الخبرات المبعدين لصالح إمبراطوريتهم .

ولقد اعتبر ملوك يهوذا أنفسهم خلفاء لملوك إسرائيل وحاولوا مد حمايتهم على سكان إسرائيل الذين بقوا بعد التخريب الأشورى للقبائل الشمالية وسعوا لامتداد سيطرتهم على مناطق الشمال التى كانت خاضعة لمملكة إسرائيل وإن كانوا قد دفعوا الجزية لآشور سواء الملك آخاب أو ابنه حزقيا(٨٥) .

سقطت نيونى عام ٦١٢ ق.م. أمام الميديين والكلدانيين وتم تقسيم أشور ، فأخذ الميديون المنطقة الممتدة من شمال العراق أعالى دجلة وحتى حدود آسيا الصغرى بما فى ذلك الإقليم الأشورى القديم ، أما بقية الإمبراطورية وهو ما تبقى من العراق وسوريا وفلسطين فكانت من نصيب نبوخذنصر وأسرته الكلدانية البابلية الجديدة ٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م. ، وأخضع يهوذا ولكنه ترك حزقيا ملكها فتمرد عليه فسير إليه لتأديبه قوات ولكنه توفى وخلفه ابنه يهوياكين الذى استسلم للملك البابلى وأخذ أسيراً إلى بابل ، ولقد أرسل مالك بابل جميع الحرفيين من أورشليم إلى بابل .

« سبى نبوخذ راصر ملك بابل يكنيا بن يهوياقيم ملك يهوذا ورؤساء يهوذا والنجارين والحدادين من أورشليم وأتى بهم إلى بابل »(٨٦) " أرميا الإصحاح ١/٢٤ " وهذا ما عرف بالسبى البابلى ، وقام البابليون بهدم هيكل سليمان وإحراقه ، وهربت أعداد من اليهود إلى مصر مع آراميا بعد قتل جداليا الحاكم من قبل البابليين . ولقد اختلفت الآراء حول عدد المسبيين . فلقد تم السبى على مراحل ، سفر الملوك الثانى (١٤/٢٤) " فى أيامه صعد نبوخذ ناصر ملك بابل فكان له يهوياقيم عبداً ثلاث سنين ثم عاد فتمرد عليه فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الآراميين وغزاة الموآبيين بنى عمون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب " .

ويذكر أن السبى الذى حدث فى عهد يهوياكين بلغ عشرة آلاف شخص " سبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبى وجميع الصناع والأقيان . لم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض ، وسبى يهوكاين إلى بابل وأم الملك ونساء الملك وخصيانه وأقوياء الأرض سباهم من أورشليم إلى بابل وجميع أصحاب البأس سبعة آلاف والصناع والأقيان ألف وجميع الأبطال أهل الحرب سباهم ملك بابل إلى بابل " .

وذكرت التوراة أنه فى المرة الثالثة جاء نبوخذنصر وحاصر المدينة فى العام الحادى عشر للملك صدقيا فقتل الملك وخرب المدينة وأخذ سبيًا جديداً عدداً من الرؤساء وستين رجلاً (٨٧).

وفى سفر أرميا (٥٢ / ٢٦ / ٢٧ / ٢٨) عاد فحدد الأعداد كما يلى " هذا هو الشعب الذى سباه نبوخذ ناصر فى السنة السابعة . من اليهود ثلاثة آلاف وثلاثة وعشرون فى السنة الثامنة عشرة لنبوخذ ناصر سبى من أورشليم ثمانى مئة واثنان وثلاثون نفسًا وفى السنة الثالثة والعشرين لنبوخذناصر سبى نبوزرابان رئيس الشرط من اليهود وسبع مائة وخمسًا

وأربعين نفسًا . جملة النفوس أربعة آلاف وستة مئة " والسنوات تقابل أعوام ٥٩٧ ق.م. - ٥٨٧ ق.م. - ٥٨١ ق.م. فهنا تضارب بين أسفار التوراة سفر الملوك حدد عشرة آلاف وسفر أرميا حدد العدد أربعة آلاف وستمائة .

ولقد اسكن اليهود المسبيين فى منطقة نهر الخابور وتل حرشا فرينيا وتل الملح ولم يعاملوا معاملة العبيد(٨٨) بل سمح لهم بالتجارة . كانوا يعملون بالزراعة ولقد امتزجوا بالأهالى وتزوجوا منهم .

ولما ظهرت قوة الفرس فى عهد الملك قورش الثانى ٥٥٩ - ٥٣٠ ق.م. وحقق نصراً على البابليين ٥١٩ق.م. أصدر أوامره بعودة اليهود من السبى إلى أورشليم وسمح بإعادة بناء الهيكل .

نجد التضارب والمبالغة فى أعداد اليهود العائدين كما ورد فى « سفر عزرا ٢ / ٦٤ - ٦٥ » " كل الجمهور معًا اثنان وأربعون ألفًا وثلاثة مئة وستون فضلاً عن عبيدهم ،إمائهم فهؤلاء كانوا سبعة آلاف وثلاثمئة وسبعة وثلاثين ولهم من المغنين والمغنيات مئتان " الرقم كنا هو واضح مبالغ فيه فالسبى كان أربعة آلاف وستمائة تضاعف وأصبح اثنان وأربعون ألفًا بخلاف العبيد والمغنيين يصبح قرب الخمسين ألف فالرقم واضح فيه المبالغة الشديدة ، ومن المؤكد أن هناك يهود ظلوا فى مدن بابل لارتباط حياتهم وتجارتهم وارتباطهم بزيجات هناك.

وخلال السنوات التى حدث فيها النفى حدثت زيجات مختلفة فى أورشليم وسكنها قبائل وشعوب بدليل أن نحميا فى اصلاحاته سعى للحد من الزواج المختلط بل وتحريمه وإن لم يطلب طلاق زوجاتهم الأجنبيات(٨٩) " فى تلك الأيام أيضًا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم إناسًا ونتفت شعورهم واستحلفتهم بالله قائلاً لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم . أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل ولم يكن فى الأمم الكثيرة ملك مثيله وكان محبوبًا إلى إلهه فجعله الله ملكًا على كل إسرائيل هو أيضًا جعلته النساء الأجنبيات يخطىء فهل نسكت لكم أن تعملوا كل هذا الشر العظيم بالخيانة ضد إلهنا بمساكنة نساء أجنبيات وكان واحد من بنى يرباداع بن الياشيب الكاهن العظيم صهر لسنباط الحورونى فطردته من عندى " ولقد ذكر يوسيفوس اسم الكاهن وهو منسى (٩٠).

واضح من النص السابق أن الزواج المختلط أصبح هو القاعدة حتى أن أحد الكهنة الذى تصفه التوراة بالعظيم كان متزوجًا من امرأة غير يهودية .

نفس الأمر تكرر فى سفر (عزرا الإصحاح العاشر ٢/ ٥) قال لعزرا إننا قد خنا إلهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض ولكن الآن يوجد رجاء لإسرائيل فى هذا ، فلنقطع الآن عهداً مع إلهنا أن تخرج كل النساء والذين ولدوا منهن حسب مشورة سيدى " ولقد ذكر أن هناك من بين الكهنة من اتخذ نساء غريبة وأورد السفر قائمة بأسماء العديد من الأشخاص من مختلف الفئات والقبائل اتخذوا زوجات أجنبيات ولهم منهن أبناء ، فوجد بين الكهنة من اتخذ نساء غريبة من بنى يوشع بن يوصادان وأخوته معشيا واليعزر وياريب وجدليا ، وأعطوا أيديهم لإخراج نسائهم مقربين كبش غنم لأجل إثمهم ومن بنى أمير حنانى وزبديا ، ومن بنى حاريم معسيا وإيليا وشمعيا ويحئيل وعزيا ومن بنى فخور اليوعيتاى ومعسيا وإسماعيل ونثنئيل ويوزارباد وألعاسه ... إلخ . " كل الذين فى مدنيا قد اتخذوا نساء غريبة فليأتوا فى أوقات معينة ومعهم شيوخ مدينة فمدينة وقضاتها حتى يرتد عنا حمو غضب إلهنا من أجل هذا الأمر ، (عزرا الإصحاح ١٠/ ١٤/ ١٥) ومن النص التوراتى يتضح مدى اتساع هذه الظاهرة وتغلغلها بين أعداد غفيرة .

فإذا انتقلنا للفترة اليونانية الرومانية نجد أن الظاهرة مستمرة وعملية التهويد مستمرة والاختلاط الجنسى العرقى مستمر ، ويشير مارجليوث Margoliuth أن فى بعض الأماكن دخل السكان الأصليين من اليهود فى زواج مع الفاتحين (٩١).

ولقد ذكر يوسيفوس أنه أثناء عبور الإسكندر على نابلس استقبله سنبلط السامرى وحمل إليه هدايا نفيسة وكان الغرض من ذلك أن يسمح له ببناء هيكل فى جبل جرزيم وهو طود تربل ، وكان السبب وراء بناء هذا الهيكل أن زوجته ابنة منسى ، الذى أبعدته اليهود وحطوا من مكانته لأنهم أجبروا جميع الذين تزوجوا بنساء غريبات من غير أمتهم أن يفارقوا نساءهم فقبلوا ما أمروهم به وفارقوا نساءهم غير منسى الكاهن فإنه امتنع عن مفارقة ابنه سنبلط السامرى . والهدف من طلب بناء هيكل أن يرفع منزلة صهره ويجعل له الرئاسة ثانية فسمح له (٩٢).

والأمر الذى يثير التساؤل أن اليهود العائدين كانوا هم أنفسهم نتاج زواج مختلط استمر عبر أجيال وكان لهم أبناء وأحفاد من تلك الزيجات ، ولقد نظر اليهود إلى طائفة اليهود

السامريين على أنهم أجانب لا يحق لهم أن يقربوا الهيكل لأنهم يدنسون الهيكل إذا ما دخلوه، ويعتبرونهم من الطائفة التى جاء بها الآشوريون وأسكنوهم منطقة السامرة وبناء عليه لا يعد يهوداً وفى عهد الإسكندر أحرق السامريون اندروماخوس الذى كان عينه حاكمًا على جوف سوريا ويشمل فلسطين وجنوب سوريا ويمتد شمالاً حتى جبل حرمون ، فأمر بتوطين جالية مقدونية فى السامرة بعد ذلك ، مما يشير إلى دخول عنصر عرقى جديد ، وهاجم انطيوخس ابيفانس الرابع(٩٣) Antiochus ١٧٥ - ١٦٤ ق.م. القدس واقتحم المذبح وأجبر اليهود أن يتخلوا عن عقيدتهم فى نفس الوقت اتخذ حكام الأسرة السلوقية انتيخوس وخلفاؤه موقفًا من اليهود ذكره يوسفيوس " أنهم قتلوا جماعة من بن جشمناى الكهنة أصحاب يهوذا ولقد أصبحت القدس آنذاك تضم أخلاطًا عديدة من البشر ويظهر ذلك فى " أعمال الرسل الإصحاح الثانى ٨ / ١١ "(٩٤) فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحى ليبية التى نحو القيروان والرومان المستوطنون يهود ودخلاء كريتيون وعرب ، ولقد دخلت طبقة من اليهود المتأغريقين ومع الحكم الرومانى تولى أمر اليهود هيرودوس الأدومى بناء على أوامر الإمبراطور الرومانى تيبيروس، ولقد حكم من عام ٣٧ ق.م. حتى عام ٤ ق.م. ، ولقد وصفه اليهود استهجانًا بأنه ملك نصف يهودى حيث كان ينتمى إلى أصل أدومى اعتنق الديانة اليهودية وتزوج ابنة الكاهن الأعظم هيركانوس(٩٥). ويقول يوسيفوس أن أباه " كان يهوديًا من أولاد بعض من طلع من بابل مع عزرا الكاهن " (٩٦). وأنه ولى أمر أدوم وتزوج امرأة من أهلها وأنجبت له أربعة أبناء كان من بينهم هيرودوس ، ويذكر أن هناك رواية أخرى أن أباه لم يكن من بنى إسرائيل بل كان عبداً وثنيًا لا عبرانيًا من عبيد الكهنة المكابيين بنى حشمناى (٩٧).

ولقد أثار اليهود العديد من المشاكل للرومان واشتدت الحرب بينهم فى الفترة من ٦٦ - ٧٠م فأرسل الإمبراطور نيرون ٥٤ - ٦٨م قائده فسبسيان لمواجهتهم . ولقد أصبح أمبراطوراً عام ٦٨م فأرسل ابنه تيتوس للاستيلاء على أورشليم فى أغسطس ٧٠م وسقطت المدينة ودمر هيكلها تمامًا وهكذا قضى على الكيان الذاتى لليهود فى فلسطين وكان يحكمها اغريباس اليهودى والذى ذكر يوسيفوس أن فى عهده كثرت شرور اليهود ، ويذكر يوسيفوس أن تيتوس أخذ معه سبيا بلغ ٩٩ ألف يهودى (٩٨)، هذا الرقم كما هو واضح مبالغ فيه وغير مقبول ، ولكن يشير إلى نفى اليهود خارج القدس ، وفى عهد هادريان ١١٧ - ١٣٨م تمت إقامة

مستعمرة رومانية محل أورشليم تحمل اسم إيليا كابتولينا Aleia - Captolina ولقد أبطلت عادة الختان .

وقد تم نقل أعداد من سبى اليهود إلى ألمانيا ، ولقد أشار جراتز Graitz فى كتابه عن تاريخ اليهود ، أن أفراد وحدة ألمانية فى الجيش الرومانى اسمها وحدة Vangioni فانجيونى حاربوا مع الحاميات الرومانية فى فلسطين ، اختار الجند من بين حشود الأسرى اليهود أجمل الفتيات وأخذوهن معهم إلى قواعدهم على شواطىء الراين والمين ، وأطفال هؤلاء النساء اليهوديات هم الذين أسسوا المحميات اليهودية الأولى بين ورمز Worms والمينز Maynse(٩٩).

بعد هذا العرض يجدر بنا أن نتساءل من هو اليهودى؟ ، فعامل النقاء العرقى غير متوافر. فلقد دخلت عليهم أجناس عديدة من كنعانيين ، أدوميين ، عموريين ، مصريين ، آشوريين ، بابليين ، يونان ، رومان ، عرب . وظلت عملية الزواج تلك مستمرة عبر تاريخهم فلا نستطيع أن نقول أن هناك يهوديًا واحداً لم تختلط دماؤه بالآخرين . والتوراة عبر فترات عديدة كانت تحاول الحد من عملية التزاوج المستمرة مع الشعوب الأخرى منذ عهد إبراهيم واختلاطهم بالكنعانيين ، بل البعض شكك فى وجود شعب يهودى حقيقى وأنهم قلة من العبرانيين جاءوا مع إبراهيم وإنما الغالبية من الكنعانيين وأنهم نسبوا إلى أنفسهم الأبطال المحليين هناك واليهود الذين عاشوا فى آشور سنوات وتزوجوا من أهلها ، وتلك الأجناس التى نقلها البابليون واستقرت فى القدس وكونت يهود السامرة وتزوجوا واختلطوا باليهود الأصليين.

وإذا كانت التوراة نسبت إلى الأنبياء الزيجات العديدة كالنبى سليمان الذى ذكروا أنه تزوج من عديد من الشعوب فأبناؤه فى نظرهم ووفقًا لشريعتهم لا ينتمون إلى الجنس اليهودى، ولو طبقنا الشريعة فجميع الشعب اليهودى ما ميزر لا ينتمون إلى أرض فلسطين ولا إلى أسباط يعقوب فوفقًا لنص التوراة تزوج الأنبياء داود وسليمان ويوسف نساء غير يهوديات .

وكما أكدت أبحاث علم الأجناس " أنثروبولجية " فاليهوديات اللاتى تزوجن من ألمان بعد طرد اليهود من فلسطين وعشن فى ألمانيا وبعد عدة أجيال أصبح أبناؤهم لا تربطهم بالدماء اليهودية شيء إلا الدين فصفاتهم الجسدية وارتباطاتهم الإنسانية مرتبطة بوطنهم االذى انتقلوا إليه وهذا يقودنا للعنصر الثالث والذى يشير إلى العناصر المتهودة عن طريق التبشير والتى لا

تنتمى إلى القدس والأسباط بأدنى صلة ومع ذلك كونت دول يهودية ثلاث خلال التاريخ القديم والوسيط .

العنصر الثالث : التبشير اليهودى :

حاول عدد من المؤرخين اليهود كإسرائيل ولفنسون[١٠٠] التأكيد على أن اليهود ليسوا من الأمم التى تقوم بالتبشير ، ونفس الرأى أكده جوايتين . ولكن إذا نظرنا ليهود الفلاشا فى الحبشة ذوى البشرة السمراء ويهود كاى فنج الذين يعيشون فى الصين ، ويهود شرق أوربا إلخ، هل نستطيع أن نربط هؤلاء جميعًا بالأسباط والملامح السامية .

اليهودية دين وليست قومية وممكن لأى فرد فى أى بلد من تلك أن يعتنقها وفى نفس الوقت يظل ألمانيًا أو حبشيًا أو بولنديًا وهى جنسيته الأصلية ووطنه الأصلى .

ويقول المؤرخ ماركس إنه لمن الخطأ الاعتقاد بأن اليهود لم يقصدوا التبشير بالديانة اليهودية أو لم يقبلوا التمذهب بالدين اليهودى [١٠١].

فالأدومويون الذين وفد عليهم اليهود اعتنقوا دينهم واعتنقتها الجماعات التى جاء بهم الأشوريون إلى فلسطين ليحلوا محل اليهود وليصبحوا يهود السامرة وإمارة حدياب اليهودية التى ظهرت على حدود العراق ودولة اليمن اليهودية التى تهودت نتيجة لحركة التجار اليهود ودولة الخزر وفى شرق أوربا أى أجناس متنوعة ليس بينها رابطة عرقية .

ويقول كاوتسكى فى بداية أية العصر المسيحى تعاظم الارتداد نحو اليهودية لأنه كان بالنسبة لبعض الناس الرغبة فى الانضمام إلى المجموعة التجارية المزدهرة وفى عام ١٣٩م طرد اليهود من روما لتهويدهم الرومان ، وكان التبشير اليهودى قد وصل إلى روما مع ظهور المسيحية حيث اعتنق اليهودية عدد من الأسر الأرستقراطية فى إيطاليا بل إلى الأسرة المالكة التى حكمت أدبايين Adebene ويتحدث فيلون عن كثير ممن اعتنقوا اليهودية فى اليونان ويرى فلافيوس يوسيفوس أن نسبة كبيرة من سكان أنطاكية - اعتنقوا اليهودية [١٠٢].

وإن القديس بولس أثناء مسيره فى الأماكن بين أثينا وآسيا الصغرى وجد أناسًا تحولوا إلى اليهودية ، وكتب المؤرخ اليهودى Recnach ريكناش أن الحماس التبشيرى كان أحد السمات المميزة لليهود فى العصرين اليونانى والرومانى ، وصار اعتناق اليهودية فى النصف الأول من القرن الأول الميلادى سمة العصر وكثر اعتناق اليهودية إلى الحد الذى أجبر الإمبراطور أن يصدر أمراً بمنع اليهود من التبشير ولاشك أن هناك أعداداً انضمت لليهود

بالتبشير خلال القرون الأولى ، ولقد استمر هذا أيضًا خلال العصور الوسطى فحاولت الكنيسة المسيحية أن تحارب الزواج المختلط فمجمع طليطلة ، ومجمع روما ٧٤٣م/١٢٦هـ ، ومجمع اللاتران الأول والثانى ١١٢٣ - ١٣٣٩م/ ٥١٧ - ٥٣٤هـ ، وكذلك مرسوم الملك لادسلاف الثانى المجرى ١٠٩٤م، ولم يكن لكل هذه الأوامر سوى أثر بسيط كما يتضح من تقرير رفعه إلى البابا ١٢٢٩م كبير أساقفة المجر روبرت فون جرى يشكو فيه من كثرة النساء المسيحيات المتزوجات من يهود الأمر الذى من شأنه أن يفقد الكنيسة عدة آلاف من المسيحيين فى سنوات قليلة(١٠٣) .

وهذا يطرح تساؤل إذا كانت نصوص التوراة تؤكد على عدم الاختلاط بالشعوب وعلى السعى لنقاء العرق ، وعلى أنهم شعب الله المختار « واسمع يا إسرائيل اليوم صرت شعبا للرب إلهك » (تثنية ٢٧-١٠) فهل تمسك اليهود بنصوص التوراة ، والإجابة عكس ذلك فقد قاموا بعملية تبشير وتهويد بين الشعوب الأخرى وفى الغالب أن اليهودى نفسه الذى قام بعملية التبشير لم يكن أصلاً من الأسباط فمع تداخل العرق وانتشارهم فى الأرض وارتباطهم بأقطار عدة لم يعد هناك رابطة معينة تدفعهم إلى العودة والإقامة فى القدس التى لم تعد مكانًا آمنًا وفكرة الإحياء القومى للوطن أصبحت مجرد نصوص توراتية وأصبحت المدينة رمزاً دينيًا ، فالتاجر اليهودى الذى يذهب لليمن ثم يقوم بعملية التبشير لم يفكر ولو للحظة فى تكوين جيش خلاص من أهالى اليمن للعودة إلى فلسطين فأهالى تلك البلاد من اليمنيين تربطهم بوطنهم أواصر عديدة واليهودية تمثل ديانة كالمسيحية التى ترتبط هى أيضًا ببيت المقدس والدول الثلاث التى اعتنقت اليهودية ليس لها صلة بالقدس بل من أفراد مرتبطين بأوطانهم .

وما ذكره جوايتين فى مقدمة كتابه عن الشعب اليهودى الذى بعثت قوميته بعد ثلاث قرون من الفتح الإسلامى أسوة بما حدث للشعب الفارسى ، أمر ينقصه المنطق ، والسؤال أين هو الشعب الذى بعثت قوميته فقد كان محظوراً عليهم دخول فلسطين لقرون إلا بأعداد قليلة، وهناك يهود متهودين ويهود ارتبطت مصالحهم بالأقطار التى أصبحوا من أبنائها أو كانوا أصلاً من أبنائها ، ولم يحدث البعث الفارسى « كما يقول » لأسباب دينية . فالفرس ارتبطوا بالإسلام ، ولم يسعوا إلى رفضه . والشعب الفارسى كان له دولة كان ومازال يعيش فيها ، فالحلقات متصلة . وهذا يدعونا إلى وضع تصور للدول التى اتخذت من اليهودية عقيدة لها وأولها إمارة حدياب .

إمارة حدياب :

وإمارة حدياب اليهودية شمال العراق فى منطقة أشور القديمة(١٠٤) ، ازدهرت فى القرن الأول بعد الميلاد وهى منطقة نقل إليها اليهود المسبيون فى زمن الأشوريين ودعيت حدياب (العمادية) ووصفها ياقوت فى معجم البلدان " بلد فى أربل فى أرض الموصل وكانت قصبة كورة من قبل " (١٠٥) ، وكانت هذه الإمارة فى أول الأمر محصورة بين الزابين الأعلى والأسفل عندما ظهرت فى نصف القرن الثانى قبل الميلاد ، ثم بلغت أوج اتساعها واستقلت عن البرثيين فى القرن الأول الميلادى وفرضت سيطرتها على منطقة نصبين وحران وماردين وشملت جزءاً من بلاد أرمينية وكانت هذه الإمارة فى البداية تابعة للإمبراطورية البرثية ٢٤٧ ق.م. - ٢٢٦ ق.م. وكانت الإمبراطورية تتألف من أقاليم وإدارات مستقلة مع ارتباط تبعيتها بالملك البرثى فى عاصمته طيسفون .

ولقد حققت مملكة حدياب فى القرن الأول استقلالاً فى الغالب فى عهد ملكها إبراط الثالث الذى اعتنق هو وأمه هيلانه الديانة اليهودية وذكر أن هذا الملك تهود على أحد التجار اليهود كما تهودت أمه على يد تاجر يهودى آخر يدعى مينا ، وكان إبراط الثالث قد تولى عرش الإمارة ٣٦م وامتد حكمه حتى توفى سنة ٦٠م فخلفه أخوه دونوفاروس الثانى ولقد ظلت إمارة حدياب هذه فى ظل حكم السلالة اليهودية حوالى ثمانين سنة حتى غزاها الرومان فى عهد الإمبراطور تراجان ١١٥ - ١١٦م فاحتلها لبضعة أشهر دون مقاومة عنيفة ، ولما كان أكثر أهل حدياب من الأرمن فالأرجح أن الملك إبراط كان قبل تهوده أرمينيًا ، ولقد أشار إليها المؤرخ يوسيفوس (١٠٦)، فيذكر أنها ساندت مملكة اليهود فى فلسطين فى ثورتها زمن الرومان ٦٩ - ٧٣ م. ، وكذلك أشار إسرائيل ولفستون استناداً ليوسيفوس لوجود تلك الدولة على أطراف العراق وهى دولة حريب .

ولقد ضمت إلى الإمبراطورية الرومانية فى عهد سفيروس ، وفى فترة حكم الساسانيين ٤٢١م - ٦١٧م شقت المسيحية طريقها إليها حتى أصبحت فى سنة ٥٠٠م مستقراً لأسقفية نسطورية ، وتحول أكثر اليهود للمسيحية وبقى إقليم حدياب وعاصمته أربيل تحت حكم الساسانيين إلى أن زالت دولتهم ودخل أهلها فى الإسلام ، وذكر بنيامين التطيلى الذى قام برحلته فى القرن الثانى عشر ٥٦١ / ٥٦٩هـ - ١١٦٥ / ١١٧٣م ، " أنه كان يقيم بها حوالى خمسة وعشرين ألف يهودى وهم جماعات منتشرة فى تخوم بلاد مادى ويهودها من بقايا الجالية الأولى التى أسرها شلمناصر ملك آشور ويتفاهمون بلسان الترجوم وبينهم عدد

من كبار العلماء ، ولقد ظهرت فيها فيما بعد فتنة داود الروحى ، وكانت المدينة تسمى فى العصر الآشورى Amat(١٠٧) .

ومن الواضح أن تلك الإمارة أهلها وحكامها لم يكونوا من العبرانيين ، وإنما غالبيتهم من الأرمن وتهودهم عن طريق التجار ، فهنا التهويد تم بالتبشير بين قوم لا ينتمون إلى الأسباط أو الساميين ولا تربطهم بأرض فلسطين صلة ، وإن كانوا ساعدوا يهود فلسطين فى ثورتهم آنذاك بحكم الانتماء الدينى لا العرقى .

أما الدولة اليهودية الثانية فهى الدولة اليهودية فى اليمن

كان عرب جنوب الجزيرة عربًا متهودين ولم ينتموا إلي نسل الأسباط كما حاول البعض نسج قصص أسطورية حول ذلك ونجد أن مصادرنا عن تاريخ العرب تعتمد على النقوش والكتابات وعلى التوراة والتلمود والكتب العبرانية وخاصة فى الفترة الأولى ثم الكتب اليونانية واللاتينية والسريانية ثم المصادر العربية وإن كانت قد اعتمدت فى الفترة الأولى من تاريخ الجزيرة على بعض قصص التوراة والإسرائيليات .

ومملكة اليهود فى اليمن ليست مملكة عبرية إنما هى مملكة عربية تهود ملكها وجزء من شعبه ، وكما يقول إسرائيل ولفنسون لم تعتمد اليهودية فى بلاد اليمن على العصبية اليهودية وكونت للدين اليهودى أتباعًا من سكان البلاد الأصليين(١٠٨) .

وعن كيفية اعتناق أهل اليمن لليهودية والدوافع وراء هذا ونهاية المملكة اليهودية فقد تعددت الآراء وتباينت ، فأرجعها البعض لأسباب سياسية واقتصادية ترتبط بصراع القوى آنذاك بين الفرس والبيزنطيين وأتباعهم من الأحباش وملوك الفرس والحيرة ، وأرجعه البعض إلى صراعات داخلية ارتبطت بصراع عقائدى بين بيزنطة والأحباش المسيحيين تجاه ملوك اليمن اليهود فنجد Graetz جراتز و Halvey welidown هالفى والدوان اللذان أرجعاه إلى الصراع بين المسيحية واليهودية التى وجدت استجابة من أهل اليمن . أما من يميلون إلى الباعث السياسى والاقتصادى فهم عدد كبير من المؤرخين الغربيين ، فقد رءوا أن بيزنطة فرغت من أمر الأقاليم المجاورة للجزيرة العربية متأهبة لضم أطرافها إلى أملاكها فأرسلوا مبشرين لنشر المسيحية ، ولكن حكام اليمن خوفًا من تسلط بيزنطة السياسى رفضوا المسيحية واعتنقوا اليهودية ، ويرى إسرائيل ولفستون أن اليهودية لم تكن دولة لها سلطان ونفوذ كبير كبيزنطة فلا يخشى من تسلطها عليهم وهو نفس الدافع الذى دفع الخزر فيما بعد لاعتناق اليهودية

واعتقد أنه أقرب الأسباب إلى الحقيقة ، ويضيف ولفستون أن اليهودية أقرب إلى العقلية العربية من المسيحية .

أما مارجليوث فيذكر أن سبب اعتناق عرب الجنوب لليهودية أن الملوك يحتاجون لدعم فريق قوى وأنصار الديانة القديمة لايمكن الوثوق بهم ،و ونفس الأمر بالنسبة للمسيحيين فاستعمل الملوك اليهود الذين لهم خبرة بالإدارة المالية لكى يضمنوا ولاء أولئك الذين يدبرون الأمور المالية ، ولكنه لا يؤيد أن صناعة المال تؤدى إلى كتابة التاريخ بل يرى العكس أن يهودية ملوك حمير هى التى جعلتهم يعتمدون على اليهود (١٠٩).

أما بالنسبة للمصادر الإسلامية فقد ربطت بين الصراع العقائدى والصراعات الداخلية وهذا ما أكده ابن كبر وهو مؤرخ مسيحى(١١٠) . أما المؤرخ ابن العبرى وهو يهودى فيرى أن ذا نواس من أصل يهودى فيذكر أن ذا نواس واسمه يوسف كان من أهل الحيرة فى الأصل وكانت أمه يهودية من أهل نصبين وقعت فى الأسر فتزوجها والده فأولده منها ، ومن الواضح أن ابن العبرى يبنى موقفه على أساس موقف دينى ولم ترد هذه الإشارة فى غيره من المصادر(١١١).

ويذكر ابن هشام أن ذا نواس كان آخر ملوك حمير(١١٢) ، وأشار الطبرى لتهود ذو نواس وأن حمير تهودت معه وسمى يوسف (١١٣). وذكر ابن قتيبة فى المعارف أن الملك ذو نواس تولى الملك بعد معد يكرب ، واسمه زرعة ذى نواس من تبان بن أسعد بن كرب بن ملكيكى ابن زيد بن عمر(١١٤) ، ويشير كتاب التيجان أن ذو نواس بن تبان أسعد أخى حسان التبع قتل لخيعه بن نيوف الذى اغتصب العرش ولم يكن من أهل الملك ولكنه من أبناء الأقيال واعتبره آخر ملوك حمير فهو يمنى بإجماع المصادر(١١٥).

أما عن التحديد الزمنى لدخول اليهودية ، فهناك أيضًا خلاف حوله فالمؤرخ القديم Philosirgius حوالى (٤٢٥م) أشار إلى أن السبئيين فى عهده كانوا يسمون حميرين ومارسوا شريعة إبراهيم ولكنهم كانوا يقدمون أضحيات لإله الشمس والقمر والآلهة المحلية ، ولقد قام عدد من اليهود بمعارضة ثيوفيلوس الذى أرسله الإمبراطور قسطنطينوس ٣٤٩ - ١٣٦١ ليهديهم إلى المسيحية وأنشأ ثلاث كنائس واحدة فى ظفار والآخريتين فى عدن ووفقًا لهذا فأهل حمير آنذاك كانوا وثنيين ، وإن كانت قد قامت مستعمرات يهودية بينهم (١١٦).

والمؤرخ ثيودوروس ليكتور Theodorus Lector والذى عاش فى بداية القرن السادس ذكر أن الحميرين اعتنقوا اليهودية أيام ملك سبأ ثم أصبحوا وثنيين ثم اعتنقوا المسيحية أيام

حستنيان ٤٩٠ - ٥١٨م ، ولم يشر إلى وجود اليهود فى عهده وكلا الرجلين لا يعرف ملوك اليهود ولم تصل إليهما معلومات عنهم .

وفى نقش نشره Claser جلزر ويرجع لعام ٤٥٠ " إلى شرحبيل يعفر ابن أسعد يكرب الاسم المشار إليه بعل السمائين والأرض " ويشير إلى ديانة تطورت عن الوثنية لا عن اليهودية واسم الملك لا يمثل اختلاف فى كتابته عن سابقيه من الوثنيين ولا ابيه الذى أشير إلى اعتناقه اليهودية ، وهذا يدل على أن اليهودية ربما انتشرت بين بعض الفئات وإن كانت الوثنية ظلت قائمة ، وفى الغالب تعود لعهد يوسف ذى نواس ومن الواضح أن هذا الحدث كان فى حوالى القرن السادس .

ولقد تسبب هذا الملك بسياسته تجاه المسيحيين وما قام به من اضطهادات أدت إلى دخول الحبشة إلى أراضى اليمن والقضاء على مملكة حمير ، وذكرت المصادر الإسلامية ما قام به ذى نواس من اضطهاد للمسيحيين ، وكيف أن هناك عملية تبشير أدخلت عدداً من اليمنين فى المسيحية ، وكيف ثارت ثائرة الملك اليهودى على المسيحيين فأعد لهم أخدود ، ويذكر ابن كثير " كان آخر ملوك حمير يسمى يوسف فأقام فى ملكه زمانًا ، وفى نجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الأنجيل ، أهل فضل واستقامة من أهل دينهم "(١١٧). ويذكر ابن إسحاق أن سبب دخول أهل نجران(١١٨) فى دين النصارى ، يرجع لشخص اسمه فيبميون فى أطراف الشام وهو رجل صالح ، ثم تنصر عبد الله بن الثامر على يد فيبميون وقتله ذى نواس هو وأصحابه ، وذكر ابن هشام قتل آخرين حتى قتل قرب عشرين ألف"(١١٩) وذكر ابن كثير " لم ينج إلا رجل واحد هو دوس ثعلبان على فرس وذهب لقيصر الروم . فاستنصره على ذى نواس وجنوده فأعجزهم فمضى على وجهه حتى أتى قيصر الروم فقال له " بعد بلادك عنا ولكنى سأكتب إلى ملك الحبشه فإنه على هذا الدين وأقرب إلى بلادك" (١٢٠).

والتفسير الوارد عند عدد من المؤرخين ومن أحد النقوش تضمن نصًا على أن الوضع فى اليمن لم يكن مستقراً وأن الأمور مضطربة ، وأن الفتنة كانت تقسم البلاد وأن الأحباش كانوا يملكون قسمًا كبيراً من أرض اليمن ، وكان مقرهم مدينة ظفار ، وكان لهم أعوانًا وأحلافًا من الأقيال والقبائل واستعان بهم الحبش فى صراعهم مع يوسف آسار حتى تمكنوا آخر الأمر من الاستيلاء على كل اليمن ومن انتزاع السلطة (١٢١).

ولقد عثر على نقشين Ryckmans 507 , 508 يشيران إلى حرب وقعت بين الأحباش وبين ملك يسمى "قها ذو يسف آسار" ، ولم يلقب النقشان يوسف باللقب الطويل المألوف ، ولكن لقباه ملك « ملك يسف آسار » ولقد كتب النقشان فى سنة واحدة ٦٣٣ من التقويم الحميرى، إلا أنهما كتبا فى شهرين مختلفين . وتحدثا عن الحرب بين الأحباش ومن كان يؤيدهم من أقيال اليمن فاستولى الملك على كنيسة أقليس ظفار ، ثم اتجه إلى الأساغر من قبائل اليمن وإلي مخا واستولى على كنيستها ، ومعاقل شحر ، ولقد أحصى عدد القتلى فبلغ ثلاثة آلاف قتيل .

ثم اتجه إلى نجران وهزم الأحباش وحلفاءهم من همدان وكنده ومذحج(١٢٢) ووردت إشارة إلى حصن باب المندب وتضمن النص عبارة مبهمة « رب هود يرحمنى » أى الرحمن رب اليهود.

ويذكر Newby أن يوسف هاجم الأحباش المقيمين فى مدينة ظفار فى كنيسة لهم وطلبوا أن يستسلموا ووعدهم الملك بالحرية ثم دمر الكنيسة وقتل كل مسيحى (١٢٣).

ولقد اختلف المؤرخون فى تاريخ تولية يوسف حيث أرجعه البعض إلى عام ٥١٥م والبعض إلى عام ٥٢٣م ولكن Newby يرى أن تاريخ ٥١٥م هو الأكثر دقة ، ويذكر أن أسباب الحادث ترجع للصراع السياسى الذى اتخذ طابعًا دينيًا ، فقد كان الفرس وبيزنطة قد عقدوا صلحًا لمدة سبع سنوات وبدؤا صراعهم عن طريق وكلائهم فى الجزيرة العربية ضد المستعمرة اليهودية .

ولقد اضطهد المكرب يوسف المسيحيين وذلك لدورهم كعملاء للأحباش المنوفزتيين .

ولما تولى جستنيان الأول العرش البيزنطى ٥١٨م سعى ملك الحبشة لغزو المملكة الحميرية. بسبب موقف يعفر وابنه ذو نواس ضد المخا ونجران ، ويقال أن أبا يوسف أخذ أموال أهل نجران، ثم طالبهم بمال أكثر ، وكانت التجارة تمثل العنصر الأول فى الدخل فى اليمن ، والصراعات القائمة أوقفت مسار التجارة فى الجزء الغربى من الجزيرة العربية .

ووفقًا للمصادر الإسلامية فهذه الفترة تمثل فترة انتعاش اقتصادى لمكة ويربط البعض بين سقوط مملكة حمير ٥٢٥م وضعف سيطرة اليهود على الطريق الشمالى جنوب تيماء وخيبر ووادى القرى ويثرب (١٢٤).

فالحيرة كعملاء للدولة الساسانية أيام قباذ ٤٤٨ - ٥٣٠ق اشتركوا مع يهود فلسطين فى مؤامرة غير ناجحة ضد البيزنطيين ، وسعى اللخميون وملك الحيرة المنذر الثالث إلى إيجاد عميل يهودى وحليف للحيرة ولكى يمتد سلطان ملك الحيرة والقوة الفارسية فى أرض يسعى إليها نفوذ بيزنطى حبشى . وكان هذا أهم أهداف المركز المنوفيزتى المسيحى فى مدينة نجران ويرى FianzAlthein أن يثرب "المدينة" ، وراء اعتناق يوسف لليهودية وأن هناك علاقة تربط ذو نواس اليهودى ، بيثرب وأنه وجد فى يهودها رابطة دينية وسياسية ، ويذكر مدن ، خيبر ، وفدك ، وهجر « مدائن صالح » والعلا وتيماء وتبوك وجزيرة العقبة التى تقع على طرق التجارة والاتصال الرئيسية لغرب الجزيرة ، وهذه المدن سكنها أو حكمها يهود ، وفى شاهد قبر يعود إلى عام ٣٥٥م فى هجر أشار للصلة بين تيماء وهجر تضمن " هذه لمقبرة التى أقامها أذنون ابن شموئيل أمير هجر لأجل زوجته متى ابنة عمر بن ادنون ابن شموئيل أمير تيماء ويعود تاريخه ٧ آب ٢٥١ توفيت عن عمر ٣٨ سنة " (١٢٥).

وظلت هجر وتيماء فى يد اليهود من منتصف القرن الرابع إلى السابع . ويضيف Newby إلى أن هناك إشارة إلى حاكم يهودى فى قلعة الأبلق بعد ٢٠٠ سنة من التاريخ السابق ، ويفترض أن معلومات ذى نواس عن اليهودية جاءته من يهود المدينة ، وفقًا لكتب السيرة الإسلامية ، ويرى أن أمه يهودية من نصيبين تزوجت أباه مكرب يعفر وعلمته اليهودية ، ويذكر أن هناك نقشًا يعود لعام ٤٩٦م ورد فيه اسم الملك مرثد اليان نوف وأن الأثر فى شكل النقوش اليهودية . ولذلك فإن ذا نواس قام بحرق الكنائس تدعيمًا لحلفه مع الفرس والحيرة ويهود المدينة ، ولكن فى النهاية قتل يوسف على يد الأقيال ودمرت مملكته .

ولقد وصف ابن هشام الحادثة فأشار إلى دعوة ذى نواس أهل نجران إلى اليهودية وسار إليهم بجنوده وخيرهم بين ذلك والقتل فاختاروا الموت فحفر لهم أخدود . فحرق من حرق بالنار(١٢٦) ، ولقد ذكر ذلك القرآن { قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، أنهم عليها قعود وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد}.

وقيل من قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رأسهم وإمامهم ، وأفلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان فرس فسلك الرمل فأعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغه منهم ومن ذى نواس ، ولقد التقى ذو نواس وفقًا لرواية ابن هشام بقوات الحبشة فلما حلت به الهزيمة وجه فرسه إلي البحر

"فدخل به البحر حتى أفضى به إلى عمقه فأدخله فيه وكان آخر العهد به ودخل أرياط اليمن فملكها".

ويذكر بروكبيوس Procopius قائد ومؤرخ عصر جستنيان ٥١٨ - ٦٠٠م إلى أن ملك الحمريين اعتنق ديانة قديمة معروفة إبان الهلينية فقام ملك الحبشة واسمه هيلاسيوس Hellesheasus بمحاربتهم (١٢٧).

يقال أن ذا نواس راسل ملك الحيرة لكى يقوم بقتل مسيحى مملكته مثل ما فعل ، ومن الآراء التى وردت فى المصادر المعاصرة ، ومن آراء المؤرخين المحدثين نستطيع أن نضع الحقائق التالية .

١ - أن مملكة اليمن كانت مملكة عربية اعتنق أحد حكامها اليهودية هو وجزء من شعبه نتيجة تأثيرات تجارية ، حيث لعب التجار دوراً رئيسيًا فى عملية نقل اليهودية إلي عرب اليمن ، وإن كان البعض يرجعه لوصول تأثيرات من يثرب إلى عرب اليمن ، وفى كلا الحالتين فهى عملية تهويد لشعب عربى انتهت بنهاية ذى نواس الحميرى .

٢ - من الواضح أن اعتناق الديانة اليهودية مرجعه اقتصادى وسياسى فى المقام الأول حيث وجد حكام اليمن أنفسهم بين قوتين بيزنطة المسيحية ، والفرس ففضلوا اعتناق اليهودية التى لم تكن ترتبط بسلطان سياسى أو تدعمها قوة فى محاولة للحفاظ على توازن القوى .

٣ - نهاية المملكة جاءت من واقع اقتصادى ، فتجارة الحرير سيطر عليها الفرس وعلى طرقها التجارية ، وقاموا بمنع الأحباش من شراء الحرير من الهند وبيعه للرومان .

ولعل ذو نواس كان يريد تكوين حلف سياسى مع ملوك الحيرة ومن ورائهم الفرس لمقاومة الأحباش ، الذين كانوا قد وطئوا سواحل اليمن وأقاموا لهم قواعد بها وعقدوا معاهدات مع أمراء منافسين لحمير وصاروا يحرضونهم على أولئك الملوك ليتمكنوا من السيطرة على أهم جزء فى الجزيرة العربية والموانى على البحر الأحمر والمحيط الهندى ، وإنزال ضربة عنيفة لسياسة خصوم الروم وهم الساسانيون . ولقد سبق أن ذكرنا أن المؤرخ Marcolis ماركوليز فى كتابه " الشعب اليهودى" ربط بين انهيار الدولة اليهودية فى حمير وضعف السيطرة اليهودية على طرق الشمال والجنوب إلى تيماء ، وفدك ويثرب وخيبر ووادى القرى (١٢٨).

٤ - ما قام به ذو نواس من قتل المسيحيين جعل اليهودية لاتبدو فى الصورة التى اعتادت أن تروج لها من أنها الديانة المضطهدة من الآخرين ، ولكن هنا بدت منتقمة ومضطهدة لأنصار ديانة أخرى ، فاليهود حين أتيحت لهم الفرصة قاموا باضطهاد مخالفيهم بأبشع الوسائل ويذكر المؤرخ Newby أنها من الأحداث التى سعى اليهود لتجاهلها وعدم ذكرها[١٢٩] ، ولكنها كما قلنا كانت ذكرى تهرب منها المؤرخون اليهود . ولقد حاول إسرائيل ولفستون التشكيك فى الأعداد الكثيرة التى قتلت من المسيحيين بدعوى صغر مدينة نجران .

٥ - استطاع بعض التجار اليهود من اليمن التأثير على بعض الأحباش نتيجة للاحتلال الحبشى لليمن ، فاعتنقت بعض العناصر الحبشية اليهودية وهم المعروفون الآن باسم الفلاشا .

أما الدولة اليهودية الثالثة فهى الخزر :

وكما ذكر كستلر فى كتابه القبيلة الثالثة عشر فإن تهود الخزر يمثل تحديًا للفكرة الصهيونية الخاصة بالنقاء العرقى والمعلومات عن هذه الدولة مستمدة من مصادر عربية كابن فضلان وجغرافيين عرب مثل ياقوت وابن حوقل والاصطخرى ، والمسعودى ، والمصادر البيزنطية كمؤلفات بورفجنتيوس ، ومصادر روسية ، ثم ما ورد من وثائق عبرية فى الجنيزة كرسالة حسداى بن شبروط طبيب ووزير الخليفة عبد الرحمن الناصر - " وإن كان هناك شك فى صحتها " - ولقد عرض للرسالة كل من مارك كوهين وأشتور وهارشبرج وفى عام ١١٤٠م كتب الشاعر اليهودى يهودا هاليفى كتابه الخوزرى . ومن المعاصرين كتب كل من دانلوب كستلر عن تلك المملكة .

ودولة الخزر تمتد من تخوم أوربا الشرقية من القوقاز ونهر الفولجا ، وقد بلغت أوج سلطانها فى القرن السابع إلى العاشر الميلادى[١٣٠] ، وواضح من المراسلات الخزرية أن أقصى ازدهار لها فى القرن العاشر ، فقد نال الخزر نجاحًا عسكريًا ملموسًا ولا سيما ضد البيزنطيين والغز وهم من أصل تركى كما وصفهم المؤرخ البيزنطى ثيوفانوس Thoophauus ، كذلك أشار إليهم ثيوفلاكت [١٣١] المؤرخ البيزنطى حوالى ٥٩٨م بخصوص حضور سفارة تركية تأكيداً على أنهم جيش تركى ، كذلك يرى دانلوب أن هناك شواهد عديدة تربط الخزر بشعب الأيغور، ولقد شغلوا موقعًا استراتيجيًا رئيسيًا فى المدخل الجنوبى من البحر الأسود وبحر قزوين .

وكانت بلاد الخزر بمثابة حاجز حمى بيزنطة ضد غارات قبائل البرابرة ولقد وقف الخزر ضد التقدم الإسلامى فى أطواره الأولى ، ولقد انتصر العرب فى ٧٣٧م/١١٩هـ ، ولكن انشغل

المسلمون فى الخلافات والصراعات الداخلية وفى ٧٤٠م/١٢٣هـ ، اعتنق ملك الخزر وحاشيته والطبقة العسكرية الحاكمة الديانة اليهودية وأصبحت الدين الرسمى .

ويعلن أحد المؤرخين عن حيرته " أن قبول العقيدة اليهودية ديانة رسمية لشعب غير يهودى عرقيًا يمكن أن يكون عرضة لتأملات مثيرة للملاحظة بأن هذا التحول الرسمى إلى دين جديد على الرغم من التبشير المسيحى على يد بيزنطة والتأثير الإسلامى فى الشرق" ، وبيورى فى كتابه تاريخ الإمبراطورية الرومانية يعتبره حادثًا فريداً ، ويرى كستلر أن اعتناق الخزر لليهودية أوائل القرن الثامن كان لأسباب سياسية أيديولوجية حيث أرادوا الاحتفاظ باستقلالهم بين المسيحية والإسلام لأن اعتناق أى من تلك الديانتين معناه خضوعها بطريقة ما إلى سلطان الإمبراطور الرومانى أو الخليفة العباسى .

ولقد ذكر المسعودى أن الخزر اعتنقوا اليهودية فى عصر هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م (١٣٢)، واعتبر اعتناقه اليهودية مناورة سياسية ، ولقد هاجر عدد من اليهود من بيزنطة وخاصة فى عهد ليو الثالث إلى الخزر نتيجة لاضطهادات بيزنطة لهم وتزوجوا منهم .

وكما ذكر جوايتين أنه لم يكن لليهودية مثلما كان للإسلام والمسيحية إمبراطوريات فهنا فضل ملك الخزر ديانة بلا قوة سياسية كما فعل حكام اليمن قديمًا ، ليحافظ على كيانه ووجوده وليظل فى حياد بين القوتين .

ومن الواضح أن المملكة الخزرية ليست ذات أصل سامى كما ذكر ملكها يوسف فى وثيقة الجنيزة حيث ذكر سلسلة أنساب يغلب عليها طابع الأسطورة والرسالة نفسها تحتاج لمناقشة صحتها ، فخطاب يوسف الذى كتب فى النصف الثانى من القرن العاشر أى بعد أكثر من مائتى عام من الأحداث التى يزعم وصفها ، وهى مزيج من الحقيقة والأسطورة .

ويشك دانلوب إلى حقيقة هذه الرسالة ، أما عن الرسائل المتبادلة بين ملك الخزر وحسداى بن شبروط فيقول إنه لايدرى إن كانت أصيلة أم لا وأن أصالتها وصحتها تظل غير مؤكدة ، والمؤكد أن الحاخام يهودا نفسه قد عبر عن شكوكه . وشك فى رد الملك الخزرى ، ويرى أنه يحوى مؤثرات عربية ، وقد توصل إلى نتيجة مفادها أنه لابد وأنه وضع فى الأندلس(١٣٣) من قبل يهودى يتحدث العربية ولقد تضمنت الرسالة :

" أحس بدافع يحثنى على أن أعرف الحقيقة عما إذا كان هناك حقًا مكان على الأرض يمكن لإسرائيل المنهكة أن تتولى حكم نفسها ولاتكون خاضعة لأحد ، فإذا قدر لى أن أعرف أن لهذه البقعة وجوداً حقيقيًا فلن أتردد فى أن أتخلى عن كل ما أتمتع به من امتيازات وأن استقيل من منصبى وأهجر أسرتى واجتاز الجبال والسهول وأخوض البر والبحر حتى أبلغ الأرض التى يحكها مولاى الملك اليهودى (١٣٤).

ولى أيضًا التماس إضافى واحد أن أخطر عما إذا كان لديك أى علم بالتاريخ المحتمل للمعجزة الختامية « قدوم المسيح المخلص » .

ولقد انهارت إمبراطورية الخزر فى القرن الثالث عشر حيث دمرتها الحملات الروسية .

ولقد ذكرت بعض مستوطنات الخزر فى القرم وأوكرانيا والمجر وبولندة ولوتوانيا ، وتعود لهجرة جماعات خزرية إلى الأقاليم الواقعة فى شرق ولاشيا وروسيا وبولندة حيث وجد فى فجر العصر الحديث أكبر تجمعات من اليهود الأمر الذى دفع كثير من المؤرخين إلى الحدث بأن جزءاً هامًا أو قل الأغلبية من يهود شرق أوربا وبالتالى يهود العالم ربما كانوا أصلاً من الخزر لا من أصل سامى (١٣٥)، وفى طبعة ١٩٣٣م من دائرة المعارف اليهودية وردت مقالة لدانلوب عن الخزر ولكن كان هناك فصلاً مستقلاً عن اليهود الخزر وسقوط مملكتهم كتبه محرر دائرة المعارف وذكر فيه أن اليهود القرائين الناطقين بالتركية من أبناء القرم وبولندة وأماكن أخرى وجدوا علاقة بينهم وبين الخزر وهى علاقة يعززها الدليل المتبقى من الفولكلور والأنثروبولوجيا وكذلك اللغة (١٣٦)، وهناك قدر ضخم من الأدلة التى تثبت الوجود المستمر لسلالة الخزر فى أوربا .

وأشار الأستاذ أرنامونوف إلى انهيار المملكة " لقد انقسمت مملكة الخزر إلى أجزاء أندمجت فيها الغالبية مع شعوب أخرى واستقرت الأقلية فى آتل وفقدت صفتها اليهودية وتحولت إلى طبقة طفيلية يهودية "

والأستاذ كوشير يقول إن يهود شرق أوربا مائة فى المائة من أصل خزرى وهم اليهود الذين يطلق عليهم الأشكناز(١٣٧) .

ويذكر بولياك أن بعض المثقفين من اليهود الخزر وأطلقوا على أنفسهم اسم الأشكناز حين هاجروا إلى بولندة ، فالأستاذ بولياك يرى أن اليهود فى فلسطين اليوم من أصل أوربى شرقى

من أصل خزرى وليس لهم صلة بأرض كنعان ولا الساميين بل من القوقاز وأنهم من الجنس الآرى .

ومن الواضح من دراسة كستلر وبولياك لدولة الخزر وما كتبه العديد من المؤرخين أن دولة الخزر دولة متهودة اعتنق ملكها اليهودية ، ثم تبعه شعبه الذى يعود فى أصله للترك والأيغور وهم جنس تركى ، وبعد سقوط دولتهم ذهبوا إلى بولندة وروسيا ، ونزح إليهم يهود من بيزنطة وهؤلاء هم يهود شرق أوربا الذين يمثلون جزءاً أساسيًا فى دولة إسرائيل الآن ولا ترتبط أصولهم الخزرية بأرض الميعاد بأى شىء .

إذن الأقليات اليهودية فى العالم الآن لا تمثل نقاءً عرقيًا ، فلا يوجد ما يسمى بالجنس اليهودى .

أما الشطر الآخر أو العنصر الآخر والذى يدحض مزاعم اليهود حول فكرة القومية اليهودية فيدور حول حقيقة تواجد أساس فكرى ودينى مشترك .

والسؤال هل كان اليهود تجمعهم ثقافة دينية مشتركة؟ ، والجواب سنجد هناك تمايز وتباين واضح بين المذاهب الدينية وهذا التباين كما ذكر الدكتور المسيرى لا يشبه الاختلافات التى توجد بين الفرق المختلفة فى الديانات التوحيدية الأخرى ، ومن ثم فإن كل فرقة لا تحمل فى اليهودية الدلالة نفسها التى يحملها فى سياق دين آخر ، فداخل اليهودية يمكن ألا يؤمن اليهودى بالإله ولا بالغيبية ولا باليوم الآخر ، ويعتبر مع هذا يهوديًا حتى فى منظور اليهودية نفسها ، وهذا يرجع لطبيعة اليهودية بوصفها تركيبًا جيولوجيًا تراكميًا يضم عناصر عديدة متناقضة متعايشة دون تمازج أو انصهار (١٣٨).

نفس الأمر يؤيده د. ظاظا فى كتاب الفكر الدينى اليهودى فيذكر أن الفكر الدينى لدى اليهود كان يتسم بظاهرة ينفرد بها دون الأديان السماوية وهو بقاء بابه مفتوحًا على مصراعيه لكل ألوان التطور ، بحيث أصبح اليهودى لا يشبه ما كان عليه اليهود على أيام داود وسليمان ، فضلاً عن أولئك الأقوام الذين عاشوا فى البداوة تحت حكم القضاة ، أو الرعيل الأول الذى اتبع تعاليم موسى وهارون ، فالنصوص تغيرت ، والظروف التاريخية كذلك والعقائد والطقوس أيضًا (١٣٩).

بحيث يجد مؤرخ الفكر اليهودى نفسه أمام عدة أديان ومجتمعات مختلفة غريبة بعضها عن بعض لا تتفق إلا فى الرسم وتدخل بسببه فى ركام متكتل ، فالخلاف بين المذاهب الدينية اليهودية لا يشبه الخلاف الموجود بين المذاهب فى كل من المسيحية والإسلام بل هناك تباين جوهرى فى مفهومهم لدعائم أساسية كالمسيح المنتظر الذى رأت بعض المذاهب أنه دروشة وتهريج ، وبعضهم تأثر بالفكر الهلينى وبآراء البراهمة والبوذيين ، وبعضهم كان يؤمن بالقضاء والقدر ، والبعض يؤمن بالإرادة الإنسانية ويلغى القضاء والقدر وبعضهم آمن بعيسى المسيح وكان التعميد لديهم أساسيًا . ولكنهم رفضوا بولس والبعض يرى أن يحى بن زكريا هو المسيح المنتظر واسمه يختلف عن اسمه الذى ورد فى التوراة ، ولكن بالاسم الذى ورد فى القرآن ولم يرد فى التوراة ، وبعضهم كالسهتريين تضمنت شعائرهم عادات وثنية وبعضهم تأثر بوجودهم فى وسط إسلامى وبعض فرقهم لا تؤمن بالتلمود والرواية الشفوية والسامريون لايؤمنون بالأسفار والأنبياء والقراؤون لهم تفسيرات يظهر تأثرها بالفكر الإسلامى فتأثروا " بالإجماع - القياس - العقل " و القراؤون لم يكذبوا عيسى أو محمد وهاجموا المشنا والتلمود والأكاديميات اليهودية ، وأتباع شبتاى صبى اعتنقوا الإسلام وتسموا بأسماء إسلامية ، ونصت تعاليم بعض فرقهم على اعتناق الإسلام والمسيحية ظاهريًا كاتباع شبتاى وفرانك .

واليهودية الفلاشا تحوى عناصر مسيحية ولايعرفون عن التلمود ولا العبرية وبينهم خلافات أساسية فى جوهر الاعتقاد وأسس العقيدة والإيمان . وسنعرض لبعض الفرق والمذاهب الأساسية وإيضاح مدى ما بينها من اختلاف وتباين .

اليهود الربانيون نسبة إلى الرب والتى تعنى باللغة العبرية الكبير أو الرئيس ، والمقصود اليهود الذين أبقوا باب المقدسات مفتوحًا على مصراعيه بعد وفاة موسى بل وبعد السبى البابلى بحيث دخلت منه المرويات الشفوية والاجتهادات ، وانقسموا إلى أشكيناز وسفرديم ، وكلمة أشكيناز تدل على الفكر اليهودى فى العصور الوسطى وهم اليهود الذين استقروا فى شمال أوربا وشرقها ، وكانت فى البداية تعنى الجنس الجرمانى ، وكان هؤلاء اليهود الأشكيناز قد فقدوا القدرة على استعمال اللغة العبرية نهائيًا وحلت محلها فى مجتمعاتهم رطانة خاصة بحارات اليهود فقط فى تلك الأقاليم والأشكيناز هم أقطاب الصهيونية الحديثة (١٤٠).

السفرديم يدل فى فكر العصور الوسطى اليهودى على يهود شبه جزيرة إيبريا وهؤلاء فقدوا اللغة العبرية بعد الدياسبورا أى التشتيت بعد طرد تتيوس لهم عام ٧٠م وهارديان عام ١٣٥م

وأصبحوا يتكلمون لهجة أسبانية محرفة تسمى لادينو ، وتأثر اليهود السفرد فى عباداتهم وتلاوتهم بالذوق العربى .

وأول صدام كان مع السامريين ، ولقد ظهرت الفرقة بعد توطين الأشوريين لخليط من الشعوب مع البقايا اليهودية فى القدس وامتزجوا معًا وتحول المهجرين إلى اليهودية ، وهؤلاء اختلفوا مع الربانيين فهم لايؤمنون بنبوة الأنبياء الذين جاءت أسفارهم بعد توراة موسى ولا يستثنون إلا يوشع بن نون ويرفضون النصوص اليهودية كالمشنا والتلمود والمدراش ، وجبل جرذيم يقدسه السامريون ويتجهون إليه فى الصلاة والحج فى حين يقدس الربانيون جبل صهيون والسامريون يؤمنون بالمسيح ولكنه من آل يوسف والتوراة السامرية مكونة من خمسة أسفار « التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية »[١٤١] .

ويعتبرون المشنا والتلمود من أعمال الكبر ، ويصفون أنفسهم شؤمريم " حفظة الشريعة " ويرون أنهم البقية الباقية من الدين الصحيح ، فى حين أن التلمود يشير إليهم بعبارة كوتيم وهى الغرباء ، ويوسفوس لايعدهم من اليهود واعتبرهم الربانيون من الجوينيم المتعاونين مع أعداء اليهود بل إن عزرا حرم الزواج منهم ونحميا سعى للحد من الزواج المختلط واعتبر السامريين أغيار بل طلب من أخ الكاهن الأعظم أن يترك زوجته ، وكان صهراً لسنبلاط السامرى[١٤٢] .

وسماهم بعض اليهود جيران السباع فى حين وصف السامريون اليهود الحاخاميين وديانتهم بأنها هرطقة وانحراف وأن قيادة اليهود الدينية أضافت إلى التوراة وأفسدت النص ليتفق مع وجهة نظرها ، وكان العبرانيون يلقبون الخارج على تعاليمهم سامريًا وممن أسلم من السامريين شموئيل بن يهوذا بن أيوب صاحب كتاب « بذل المجهود فى إفحام اليهود »[١٤٣] .

وهناك الفريسيون حيث واجهت اليهودية الهلينية فظهرت قوى دينية كان منها الفريسيون وهم طائفة من علماء الشريعة من الربانيين ، وكانوا أشد خصوم المسيح واسمهم بالعبرية فروشيم يعنى المعزولين الذين امتازوا عن الجمهور وعزلوا عنه ، وكانوا يلقبون أنفسهم باسم حسيديم وجريم أى الزملاء وترجع جذورهم إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ، وهم أغلبية أعضاء السنهدرين ، وهناك رأيان بالنسبة لهم ، فالدكتور المسيرى ذكر أن " الفرسيين دافعوا عن الهوية العبرانية ولم تكن الهوية العبرانية القديمة المرتبطة بالمجتمع القبلى العبرانى ، ولا حتى المجتمع الزراعى الملكى أو الكهنوتى ، وكانوا يدافعون عن هوية متفتحة استفادت من

الفكر البابلى الدينى ثم الفكر الهلينى لذا أعيد التعريف بالهوية بحيث أصبحت هوية دينية داخلية روحية ذات بعد إثنى ليس قوميًا بالضرورة ، وقد أدى هذا إلى محاولة مصالحة مع الدولة الحاكمة " (١٤٤).

والدكتور ظاظا يرى فيهم رأيًا آخر ، فيرى " أنهم كانوا يؤمنون بكل الأنبياء بعد موسى وبالمشنا والتلمود والمدراش ، ومعنى هذا إمكانية الاستمرار مع التطور ، وإن كانت التطورية محاطة بسياج من التقاليد والمقدسات لايسمحون باقتحامها ، وإن كانوا حريصين على غرس بذور الصهيونية فى نفوس عوام الأرض وتوجيههم إلي احتقار الأمم والأجناس والأديان الأخرى وحضهم على رفض أية حكومة أجنبية غير يهودية تنتمى عليهم ، وأنهم كانوا وراء الاضطرابات والثورات وأعمال التخريب والمؤامرات التى ظل اليهود يقومون بها فى منطقة الشرق الأوسط ، وأنهم كانوا قلة قليلة وسط ملايين كثيرة فى فلسطين طوال العهدين اليونانى والرومانى ، وانتهت بتشريدهم على يد تيتيوس ، وبتشددهم مسئولون عن الدياسبورا ، وهم المسئولون عن كل التفاسير التى وجهوا بها النصوص المقدسة وجهة صهيونية ، ووصفهم يتصف بالتزمت والتناقض والنفاق " (١٤٥).

ومنهم أيضًا الصدوقيون ، والبعض نسبهم إلى الكاهن الأعظم صدوق فى عهد سليمان والبعض ينسبهم إلى كاهن عاش عام ٣٠٠ق.م. وسماهم البعض البيوسيين وآخرون يذكرون أنهم فرقتان ، وكانوا لا يؤمنون بقيامة الأموات ويرفضون الثواب والعقاب وينكرون القضاء والقدر وأن الإنسان خالق أفعاله ولايؤمنون بالتلمود ، ولا حاجة لديهم إلى إقامة الصلاة أو دراسة التوراة ، وعدم وضوح فكرة المسيح فى عقائدهم وأنها فى رأيهم تحولت لنوع من الدروشة والتهريج الدينى .

والقناؤون وهم شعبة من الفريسين ويمتازون بالتطرف والعنف وهم غلاة اليهود وهم من كلمة قانا بمعنى غيور ، وكانت تنظيمًا يهوديًا سياسيًا وعسكريًا يرى استفحال القوة والإلتجاء إلى الإرهاب والقتل والاغتيال لتحقيق الأغراض السياسية البحتة وقتلوا فى الماسدا .

وهناك Essenionus وجدوا أيام ظهور المسيح اسمهم مشتق من كلمة أرمينية آسيا «الطبيب» ، ومن الكلمة العبرية حاشائيم أى الساكتين ، ووردوا فى كتابات فليون ويوسفوس وتأثروا بأعمال السحر وكانوا نباتيين وتأثروا بالفكر الهلينى وأفكار فيشاغورث وبآراء البراهمة والبوذيين ، ويقال إنهم آمنوا بالمسيح كواحد من الأنبياء جبرائيل من المصلحين(١٤٦) ، وكشفت مخطوطات البحر الميت عن كثير من عقائدهم وهى تتحدث عن

حرب نهائية يهلك فيها أبناء البشرية جميعًا ماعدا أعضاء هذه الطائفة ، وهم فى بعض تعاليمهم يقتربون من المسيحيين وعاشوا حياة التقشف وحب العزوبية واشتراكية الملكية(١٤٧).

ثم فرقة الأبيونيون أبيون معناها فقيراً أو مسكين ، وهم فرقة تلتزم بعمل الخير وسبيل الاستقامة واتخاذ نهج التصوف الذى وصل إلى تعطيل بعض أوامر الدين مثل ذبيحة القربان وظهرت فرقة منها بعد المسيح مباشرة واستمرت عقائدهم للقرن الرابع وآمنوا بعيسى المسيح مع الاحتفاظ بيهوديتهم وعنصريتهم العبرية وكان التعميد عندهم أساسيًا واعتبروا تعاليم بولس هرطقة ودخلوا فى عداء مع المسيحية .

والغنوضية مذهب العرفان وكان مذهب بعض المسيحيين وخلط الغنوصيون الإيمان بالمسيح بكثير من العقائد أو المذاهب الغامضة التى استمدوها من الفلسفة الشرقية ، لهم دين خاص بهم تعتبرهم المسيحية واليهودية من أصله كفراً يؤمنون بموسى والتوراة ويؤمنون بالمسيحية ولكن يعتبرون يوحنا المعمدان هو المسيح المنتظر ويسمونه يحيى بن زكريا ، متفقين مع المسلمين فى اسمه ، واعتبروا المسيح مغتصب لحق يوحنا ، وكانوا يقدسون بعض الكواكب ، ولها أساطير دينية عن الطوفان وخلق العالم وتسربت تلك الأساطير إلى التراث المسيحى(١٤٨).

وهناك ثيرابيوناى المعالجون ويذكر فيلون أنهم يبحثون عن المعنى الباطنى للنصوص اليهودية المقدسة ، كما يذكر فيلون أنهم كانوا يهتمون بدراسة الأرقام ومضمونها الزمنى والروحى .

وهناك فرق أخرى كالهيميروباتيست ، وأهم طقوسهم التعميد وكانوا يمارسونه يوميًا ، والهبسيستريون وتضمنت عبادتهم شعائر وثنية مثل تعظيم النور والأرض والشمس .

ولقد ظهرت بعض الفرق اليهودية فى العصر الإسلامى كالبودجانية نسبة إلي شخص يسمى بودجان كان تلميذاً الرجل ادعى النبوة اسمه أبو عيسى الأصفهانى بودجان وظهر فى منتصف القرن الثامن الميلادى فى عهد أبى جعفر المنصور وخالف اليهود فى كثير من أحكام الشريعة ، واسقط الشرائع طالما ليس لليهود مملكة وأشار الشهرستانى إلى شعبه من البودجانية ويسمى الموشكانية ومن بينهم من ذكر أن محمداً نبى حق وأن الله أرسله إلى العرب وإلى بقية الأمم ماعدا بنى إسرائيل(١٤٩) .

القراؤن أهل الكتاب لايؤمنون بالشريعة الشفوية ويؤمنون بالتوراة وأسسها عنان بن داود فى العراق فى القرن الثامن الميلادى وسميت أيضًا العنانية ، ويذكر البعض أن العقيدة القرائية تأثرت بمذهب المعتزلة الإسلامى ، ورجعوا إلى الكتابات القديمة التى تنكرت للعقلية التلمودية، كذلك رجعوا للإنجيل والقرآن ، واعتبر بعضهم المسيح مصلحًا ونادوا بأن محمداً نبى حق ، ولقد نهوا عن أكل كل ذى روح على الإطلاق وأوجب عشر صلوات(١٥٠).

وأعلن كل من الربانيين والقرائيين تكفير الآخر وسماهم الربانيون المنيم " الزنادقة " والأبيقوريين ، ويقال أن يهود الخزر اعتنقوا اليهودية القرائية وانتشر المذهب القرائى بين مختلف أعضاء الجماعات اليهودية خصوصًا فى مصر وفلسطين وأسبانيا الإسلامية ، حيث عمل اليهود الحاخاميين على طردهم منها وانتقل مركز النشاط القرائى إلى ليتوانيا وشبه جزيرة القرم .

وظهر تأثير الفكر الإسلامى فكان التفسير لديهم يستند إلى العناصر التالية الإجماع - القياس - العقل ، كما أنهم يصومون سبعين يومًا على طريقة المسلمين .

المارانوس ، وظهر المذهب فى فترة الاضطهادات فى أسبانيا ، وقيل أن أصلها اللغوى بادن آث ومعناها أنت مولانا يقصد المسيح ، وكان محتومًا على اليهودى الأندلسى الأصل أن ينطق بها كثيراً لإبعاد الشبهة عن نفسه .

ومارثوا باللهجة العامية الأسبانية القديمة كان معناها الخنزير ، واضطر اليهود لاعتناق المسيحية ويسميهم اليهود أنوسيم معناها المكرهين (١٥١).

الدونمة أشياع شبتاى ، أو المسيح الكذاب توفى ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م وأبناؤها مازالوا يعيشون فى تركيا وكانوا يدعون الإسلام ظاهراً وتسموا بأسماء إسلامية .

اليهودية الإصلاحية ومن شخصياتها الهامة موسى مندلسون (بن مناحم) والذى ولد فى ألمانيا ١٧٢٩م (١٥٢)، ويرى أن يندمج اليهود فى إنسانية العصر وأن اليهودية دين فقط وليست جنسية وأن المساواة فى الحقوق المدنية بين اليهود وغيرهم غير ممكنة ، إلا إذا اعتبر اليهود أنفسهم مواطنين فى البلاد التى يعيشون فيها ويرفضون فكرة الأغيار (جونيم) والعزلة والتميز .

ولقد امتدت تلك الحركة إلى الولايات المتحدة وعرفت بالتقدمية والليبرالية ، وهذا يتعارض مع اليهودية الحاخامية التى عرفت اليهودية تعريف اثنادينيا وأحيانًا عرقيًا واتجهوا

إلى إصلاح العقيدة نفسها وظهرت أسماء صمويل جولدهايم وكاوفمان كولر ، ولقد اختزلوا الصلاة ، وألغوا الصلوات ذات الطابع القومى اليهودى وأدوا الصلوات بلغة الوطن الذى يعيشون فيه لا العبرية وأبطلوا الفوارق بين الكهنة واللاديين وبقية اليهود وأعادوا تفسير اليهودية على أساس عقلى وأهملوا التحريمات التى ينص عليها القانون اليهودى المتعلقة بالطعام والكهانة وسمحوا بترسيم حاخامات إناث وأنكروا فكرة البعث والجنة والنار وأسقطوا شعائر السبت ونادى جايجر بحذف خصوصية الشعب اليهودى (١٥٣).

والخلافات فى داخل هذه الفرق كما هو واضح لاتعد اختلافات فى وجهات نظر أو تأدية شعائر بل الاختلافات فى جوهر الفكر الدينى وفى أركان العقيدة .

الإسلام واليهودية :

يتضمن هذا المحور موقف الإسلام من اليهود فى الأقطار التى دخلت فى دائرة الدولة الإسلامية خلال القرون الثلاث الأولى تحديداً ، وهى القرون التى يكتنفها الغموض بالنسبة لعلاقة الإسلام باليهود . فعهود الأمان تضمنت إقرار أهل الذمة على حياتهم وأموالهم ودينهم، ولكن من الصعب تكوين صورة تفصيلية لعلاقة المجتمع ككل باليهود ، وأوجه النشاط المختلفة من اقتصاد واجتماع وثقافة فهذه الفترة يعتريها الغموض فيما عدا شبه الجزيرة العربية ، فالقبائل اليهودية أو المتهودة بمعنى أصح فى الجزيرة وموقفها من النبى والإسلام أفاضت فيه كتب السيرة كابن هشام ، وكتب السمهودى والطبرى والبلاذرى ... إلخ . أما بالنسبة للأقطار الأخرى فنجد خبراً هنا وهناك فى كتب الجغرافيين العرب والرحالة وكتب الخطط والتواريخ الإسلامية ، وبعض الروايات تحتاج إلى تمحيص لاختلاطها بالإسرائيليات كما ورد عند الأصفهانى فى الأغانى عن الفترة السابقة للإسلام ، وهناك بعض القصص العبرية ، وهى أقرب للأساطير التى تحتاج لسند تتعلق بفتح الشام ومعاملة عمر بن الخطاب لليهود وتنبؤ قصصهم به ، وأعداد اليهود التى ذكرها بعض الرحالة والجغرافيون المسلمون يبلغ عليها طابع المبالغة ، ويهود المغرب من البربر تناولهم ابن خلدون وذكر قبائلهم فى الفترة الأولى للفتح(١٥٤)، ولذلك فقد حددت الفترة بالثلاثة قرون الأولى من الإسلام ؛ فالفترة التالية لدينا مادة علمية وافرة من وثائق الجنيزة ومن خلال كتب التاريخ وإن كان من الصعب تتبع ما ورد فى تلك الوثائق ومطابقته مع المصدر الإسلامى حيث أغفلت المصادر الإسلامية ذكر أنشطة عديدة لليهود ، وربما كان الدافع التركيز على الجانب السياسى ، ولذلك ظهرت

الأسماء اليهودية التى شاركت فى أحداث العصر السياسية عن تلك التى ساهمت فى النشاط الاقتصادى والفكرى ، وهذا دفع جوايتين كما سبق أن ذكرنا لإيراد تشبيه غير منطقى للقومية اليهودية على حد قوله بالقومية الفارسية والتى لم تظهر إلا بعد ثلاثة قرون من ظهور الإسلام، ولكن كما قلنا لم تكن هناك قومية يهودية بل أعداد من اليهود فى عدد من دول العالم الإسلامى مع بداية تكوين الدولة الإسلامية ولم يكن يمثلون آنذاك ثقلاً سياسيًا أو اجتماعيًا مؤثراً فيما عدا يهود الجزيرة العربية الذين كان لديهم كثافة فى بعض مناطق شمال الجزيرة العربية.

ولقد فضلت أن يكون محور العلاقة خلال هذا الفصل قاصراً على الدول التى اكتسبت صفة العروبة إلى جانب الإسلام بالإضافة إلى أسبانيا التى دخلت فى إطار الإمبراطورية الإسلامية، ولايمكن دراسة أوضاع يهود العالم العربى أو الإسلامى إلا بدراسة وضع اليهود فى أسبانيا ، فحركة الهجرة من أسبانيا وإليها من اليهود دائمة ، ولقد أصبحت مركزاً ثقافيًا يهوديًا تأثر بثقافة الإسلام آنذاك .

أولاً عرب الشمال « الحجاز » :

حاول بعض المؤرخين اليهود التأكيد على أن الجزيرة العربية كانت موطنًا لليهود ويذكر المؤرخ أحمد سوسة " أن هناك العديد من الدراسات التى كتبها مؤرخين يهود حاولوا إثبات أن الجزيرة العربية كانت موطنًا لليهود ، ومنهم برنز مؤلف كتاب المدينة الغربية ، الذى أكد أن أكثر الباحثين يعتقدون أن الجزيرة العربية هى موطن اليهود الأصلى ، وهذا الكتاب يعتبر من الكتب الجامعية التى تدرس فى العديد من جامعات العالم وطبع طبعات عديدة وتحمل فكراً مغلوطًا [١٥٥].

ولقد اختلفت وجهات النظر بين المؤرخين عن الفترة التى دخلت فيها اليهودية إلى الجزيرة العربية ، فمارجليوث قسم العلاقة إلى ثلاث فترات ما قبل التاريخ ، ثم مرحلة ثانية تبدأ بالعهد القديم والتوراة إلى عهد المؤرخ يوسفوس ، والفترة الثالثة التى انتشرت فيها اليهودية فى شمال وجنوب الجزيرة العربية [١٥٦].

أما إسرائيل ولفنسون فإنه يقسم تاريخ بنى إسرائيل فى بلاد العرب إلى طورين الأول يشمل بطون إسرائيل البائدة فى بلاد العرب ، وينتهى عند نهاية القرن الخامس قبل الميلاد ، أما الطور الثانى ينتهى بإجلاء عمربن الخطاب للطوائف اليهودية من جزيرة العرب [١٥٧].

ولقد أثارت مشكلة الفترة التى دخل فيها اليهود إلى الجزيرة العربية كثيراً من التساؤلات بين الباحثين .

وأول سؤال أثاره عدد من المؤرخين وخاصة اليهود ، هل عرب الجزيرة هم عرب متهودين أو يهود من الأسباط أم هم نتاج زواج مختلط بين الطرفين ؟ .

وكان Newby من الذين طرحوا هذا التساؤل فى كتابه فى الباب الخاص بيهود شمال الجزيرة العربية . حيث وُجد اليهود فى شمال الجزيرة كبدو وعشائر فى فترة ظهور الرسول والدعوة الإسلامية ، وذكرت المصادر الإسلامية كابن هشام والطبرى واليعقوبى وغيرهم ، أسماء قبائل كبنى قريظة وبنى النضير الذين كانوا أفخاذاً من جذام ، وأشار نيوباى إلى أن هناك دراسات فى القرن التاسع عشر أجريت حول نقاء العرق وتأثيرات اللغة والمجتمع ، وكان الاعتماد فى الفترة التاريخية الأولى على ما كتب فى التوراة ، ثم انتقل فى شكل قصص متواترة ، وعلى ما ورد فى كتب السيرة وماورد فى كتاب الأغانى للأصفهانى فيما يختص بالقبائل اليهودية وغيرها وإسرائيل ولفنسون يرى أن دخول اليهود إلى الجزيرة العربية بدأ ببطون شمعون الذين انتصروا على المعينين ، وإن كان هناك اختلاف فيما يتعلق بالفترة الزمنية، ويذكر إن كان حدث هذا بالفعل ؛ فالغالب أنه يعود للقرن الثانى عشر ق.م. رغم أن صحف العهد القديم لم تذكره (١٥٨).

ودورى يحاول أن يثبت أن الهجرة الشمعونية حدثت قبل عصر الملك داود حوالى عام ١٠٠٠ ق.م. ومارجليوث يرجعها لعام ٧١٧ - ٦٩٠ ق.م.(١٥٩) ، ولقد اعتمد أغلب المؤرخون الغربيون على أبى الفرج الأصفهانى فيما يختص بالقبائل اليهودية ، حيث ذكر أن سكان المدينة قومًا من العماليق ، ويقال أن موسى بعث إليهم جيشًا عرام وطلب منه قتلهم جميعًا(١٦٠) ، ولكنهم استبقوا شابًا فأمر خليفته يوشع بن نون بطردهم من الشام فغادروا واستوطنوا المدينة.

ولقد اعتمد مارجليوث وعدد من المؤرخين على هذه الرواية ولكن ابن خلدون يشكك فى صحتها. لأن هذه الرواية لم تذكر لدى اليهود ولا يعرفون شيئًا عن تلك القصة .

ونجد أن إسرائيل ولفنسون له تحليل منطقى لفترة التواجد اليهودى قبل الإسلام حيث يقول إنه لايمكن أن نعول على أقاصيص من هذا النوع سردتها المراجع العربية على أنها أساطير شائعة ، وروايات غير جديرة بالاعتماد عليها . وإذا لم يكن مؤرخو العرب قد استطاعوا أن

يصلوا إلى أخبار موثقة عن بداية ظهور بنى النضير وبنو قريظة فى بلاد العرب ، فكيف يستطيعون أن يصلوا إلى أخبار حقيقية عن طوائف إسرائيلية قديمة بادت واندثرت قبل أن يوجد بنو النضير وقريظة .

وكذلك لايمكن أن نطمئن إلى الأخبار القليلة التى نصت عليها بطريقة غير مباشرة صحف العهد القديم عن وصول جموع إسرائيلية وإنما يمكن القول على سبيل الظن اعتماداً على هذه الروايات أن القدماء يعتقدون أن جهات مثل يثرب وخيبر وصلت إليها جموع يهودية من ديارها لأسباب مختلفة (١٦١).

ومارجليوث ذكر رأى H. Winkler فيما يختص بأن اليهودية انتشرت فى الجزيرة العربية بالتبشير ، لأنه لايمكن لليهود إذا كانوا قادمين من أقطار على مستوى حضارى أعلى وأفضل، مما كانت عليه أوضاع الجزيرة العربية آنذاك أن يتحولوا بعد استقرارهم فيها إلى مجموعة بدائية بهذا الشكل الذى بدت فيه فى فترة دعوة الرسول ، ولذلك فإنه يرى أن يهود الجزيرة العربية عربًا تهودوا (١٦٢). ويذكر أن عربى لفظة متأخرة اقتبسها العبرانيون من الآشوريين والبابليين وهى نصوص تعود لما قبل التوراة ، وربط بينها وبين لفظة اسماعيلية .

ويذكر Newby استناداً لنقش لبختنصر آخر ملوك بابليون ٥٥٦ - ٥٣٩ ق.م ، والذى هاجم شمال الحجاز وهزم السكان وجعل مقره فى تيماء ، وسيطر على شمال الحجاز وامتداداً للجنوب إلى مدينة يثرب ، ولقد ذكر النقش أنه سيطر على مدن دادنو ، باداكو ، خيبرة ، ايدخو وأثريبو . ويرى نوباى أنها مسميات مدن عربية ومستعمرات يهودية ، ديدان العلا وفدك وخيبر ويثرب ،

وربما الدافع لهذا الغزو ثورة دينية ، وربما سعيه للحصول على مكاسب اقتصادية لأن المدن من مدن القوافل ، والبعض يعتقد أن جيشه ضم بعض اليهود ، حيث كان الجيش يتكون من شعوب من المنطقة القريبة من بابليون ، وكان به يهود من أسرى السبى البابلى ، وربما بقوا فى الحجاز (١٦٣).

ويرى المؤرخ يوسيفوس أنه بعد خراب الهيكل فى عهد شلمانصر تشتت اليهود فى أصقاع الأرض فقصدت بعض جموعهم بلاد الحجاز .

ومن الواضح أن كل ما ورد من المعلومات فى المراجع قائم على افتراضات كما ذكر أصحابها . فالغموض يحيط بالتواجد اليهودى أصلاً(١٦٤) .

والمرحلة الثانية تعتبر أكثر وضوحًا وإن كنا لا نستطيع أيضًا وضع حقيقة كاملة تستند على أسس من المصادر والوثائق ، ويرى مارجليوث أن الهجرة الثانية لليهود حدثت بعد طرد الرومان لليهود من سوريا ؛ فقبيلتي بنو النضير وبنو قريظة قرروا الذهاب إلى شمال الجزيرة ، وبقوا في وضع غير مستقر إلى انهيار سد مأرب ، فهاجرت عدد من القبائل من الجنوب مثل الأوس والخزرج الوثنيتين وقرروا الإقامة فى يثرب ، ومع بداية انتشار الإسلام نجد ثلاث قبائل يهودية مع قبيلتين عربيتين ، ولقد وجد نقش معينى يشير إلى أن يثرب لم تكن يهودية بل مستقر وثنى فى فترة ما قبل الميلاد ، وكل ما نعرفه وجود أعداد من اليهود هناك ، ومع فتح الرومان حملت اسم تمر الروم ، وكانت منطقة حدود رومانية(١٦٥) ، ويذكر إبا إيبان أنه بعد تدمير الهيكل تشتت اليهود إلى بابليون واليونان وعالم الرومان(١٦٦) .

ونستطيع أن نجمل الآراء السابقة فيما يلى :

وردت إشارات إلى هجرة يهودية إلى شمال الجزيرة العربيةوأغلبها كما قلنا قائم على الحدث والتخمين وعلى أساطير وقصص وإسرائيليات وصلت فى بعض المؤلفات الإسلامية أولها الإشارة إلى هجرة أيام موسى ، وهى لا تستند إلى أساس بخلاف الإسرائيليات ، وذكرت هجرة ثانية بعد أن تعرض الهيكل للتدمير على يد الأشوريين ، ثم البابليين ، ثم الهجرة الأخيرة بعد تدمير الهيكل على يد تيتوس عام ٧٠م ذكرها الأصفهانى فى كتاب الأغانى "لما ظهرت الروم على بنى إسرائيل جميعًا بالشام فوطئوهم وقتلوهم ونكحوا نساءهم خرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هاربين منهم إلى إلى تمرد بالحجاز ومن بنى إسرائيل لما غالبتهم الروم على الشام لما فصلوا عنهم بعث ملك الروم فى طلبهم فأعجزوه ، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز وصحارى لانبات فيها ولا ماء فلما طلب الروم التمر انقطعت أعناقهم عطشًا فماتوا وسمى الموضع تمر الروم " ومن الواضح أن القصص التى وصلت للأصفهانى بقايا أساطير وقصص متواترة من إسرائيليات من العصر السابق للإسلام وتنوقلت روايات مختلفة وليس لها سند حقيقى لها ، واعتمد عليها المؤرخون الغربيون فى وضع افتراضات(١٦٧) .

المستقرات اليهودية فى الجزيرة العربية فى فترة ظهور الدعوة الإسلامية :

يشير Marx إلى أن اليهود سيطروا على الواحات فى خط طريق القوافل من الشمال إلى الجنوب ، تيماء ، فدك ، خيبر ، وادى القرى وأخيراً يثرب ، وشملت أراضى وقرى وحصون وأطام وأشار Newby إلى أنه عند مولد الرسول ٥٧٥م كانت التجمعات اليهودية فى حالة

انحطاط . كذلك أشار إلى وجود اليهود فى أرض الأنباط فى عهد الحارث الرابع وكانت أملاكه تشمل دمشق والعربية من بتراء فى الجنوب عبر سيناء إلى الحجاز . وخلال هذه الطرق كانت هناك مستقرات لليهود ، وبعض اليهود المستقرين فى الجزيرة العربية شاركوا فى النشاط الاقتصادى والزراعى للأنباط .

والبعض يشير إلى هجرة يهودية إلى الجزيرة العربية بعد الثورة الثانية لليهود ضد الرومان التى قام بها سمعان بركوبا ١٣٢ وشهرته Barkozibah وانتهت بقتله (١٦٩).

أما ماذكرته المصادرالعربية عن أعداد القبائل اليهودية وأماكنها فى فترة ظهور الإسلام فلقد ذكر السمهودى أن قبائلهم تزيد عن العشرين وعدة أوطانهم وآطام من نزل معهم من العرب(١٧٠) تزيد على السبعين . فالقبائل اليهودية التى سكنت المدينة بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زعورا وبنو زيد ، وبنو النضير ، وبنو قريظة وبنو بهدل وبنو عوف العقيص .

وكان معهم من غير بطون إسرائيل بطون من العرب منهم بنو الحرفان حى من اليمن وبنو مرثد حى من بلى وبنو معاوية حى من سليم ومن بنى الحارث بن بهنه وبنو الشطة حى من غسان .

وكانت هناك فرق كثيرة فى أرض خيبر الواسعة شمال يثرب آهلة بأعداد كبيرة من اليهود .

ثم هناك وادى القرى وفيه بعض المستعمرات اليهودية فى تيماء ، ويذكر موسى جيل أن أهم قبيلة سكنت جنوب فلسطين كانت بنو جذام وأرضهم سميت مادين وأكبر مدنهم الحجاز وأسماهم رحالة إيطالى هو Antoninus platentius زار المنطقة عام ٥٧٠م ميادنيين Medianites وسكنوا فى أيلة فى طريق سيناء ، وأهم فروعهم بنو وائل وجزء منهم اعتنق اليهودية وعشيرة أخرى من بنى جذام اعتنق جزء منها المسيحية نتيجة الاتصال ببيزنطة (١٧١).

ولقد تضمنت الكتب التى وادع الرسول فيها اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم ذكرا لأسماء قبائلهم مع بداية الفترة الإسلامية ، " فذكر ابن هشام ما نصه : " إن اليهود يتفقون مع المؤمنين مادامـوا محاربين ، وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود بينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يرتغ إلا نفسه ، وأهل بيته، وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف، وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ثعلبة مثل

ما ليهود بنى عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يرتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبنى الطيب مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن البر دون الإثم وإن موالى ثعلبة كأنفسهم وإن بطانة يهود كأنفسهم "(١٧٢) .

ولقد نُسب بعض اليهود إلى القبائل العربية مثل كعب بن الأشرف أمه من بنى النضير وأباه من بنى طيىء ، ثم أحد بنى نبهان وأمه من بنى النضير ، والحجاج بن عرور حليف كعب ابن الأشرف ، وكروم بن قيس حليف كعب ين الأشرف فهؤلاء من بنى النضير ومن بنى ثعلبة ابن الفيطون « كلمة عبرية تطلق على بن ولى أمر اليهود » ومن يهود بن زريق لبيد بن أعصم ومن يهود بنى النجار سلسلة من برهام ، ومن يهود بنى حارثة كنانة بن صوريا ، وعبد الله بن صوريا وكعب بن أسد إلخ(١٧٣) ، وهذا يعود بنا إلى السؤال الذى طرحه المؤرخون الغربيون هل القبائل اليهودية التى كانت موجودة فى شمال شبه الجزيرة العربية فى فترة الرسول ترجع لأصول عربية أم يرجع لأصول عرقية يهودية أم هى نتاج زواج مختلط ، وما موقفها من المحيط العربى حولها .

يرى عدد من المؤرخين الأوربيين مثل وينكلر Winckler أن يهود الجزيرة عربًا تهويداً وأن اليهودية انتشرت بالتبشير . وإسرائيل ولفستون يشير إلى هجرة قبائل شمعون ولكنه يعود ويشكك فى أنهم هاجروا هجرة شاملة وتركوا بلادهم إلى بلاد أقل خصوبة وأن الجزيرة العربية انفردت بطابعها الخاص عن العالم المتمدين وأنها جعلت من يسكنها من اليهود مثل أهلها وقطعت كل علاقات بينهم وبين يهود البلدان الأخرى وأن الصفات المدنية زالت عنهم بعد استيطانهم بلاد العرب الصحراوية البعيدة عن الحركة العمرانية فوقعوا فى هوة الهمجية ، وأنهم أهملوا المحافظة على ديانتهم ، وصاروا مثل غيرهم من سكان تلك الجزيرة المنعزلين عن جميع العالم ، وأنه لم يظهر مطلقًا شيئًا من النبوغ بين اليهود ولم تشتهر من بينهم شخصية واحدة فى كل عصورها بالرقى الفكرى (١٧٤) .

ويذكر أن يهود مدينة دمشق وحلب فى القرن الثانى ق.م. كانوا ينكرون يهود الجزيرة العربية ، ويقولون أنهم ليسوا من اليهود وأنهم لم يحافظوا على ديانتهم ويذكر ولفستون أنها كانت يهودية من نوع خاص ، وكانت يهودية فى أساسها ولكنها غير خاضعة لكل ما يعرف بالقانون التلمودى . وكلام ولفستون به تناقض ، فالمجتمع العربى لم يكن معزولاً بل كانت له علاقة قائمة على التجارة ، وكان على صلة بالخارج ، فى رأيه أن عرب الجزيرة كانوا أقل حضارة ولذلك فهم عرب متهودين ويعود مرة أخرى ويذكر هجرة يهودية وأن أصحابها تأثروا

بعرب الجزيرة الذين وصفهم بالهمجية والتخلف وأنهم تركوا آثارهم تلك على اليهود الذين فقدوا آثار المدنية الأولى ، ومن الواضح أنه يحاول أن ينفى عن العرب أى صفة إنسانية أو حضارية ، بالإضافة إلى وصفهم بالهمج . ومما ينفى قوله عن العزلة عمل بعض اليهود بالتجارة فابن واقع الخيبرى الذى أرسل بضاعته بواسطة القوافل إلى الشام واستورد منها الأقمشة المختلفة(١٧٤) . فلم يكن ذلك المجتمع الذى صوره ولفنسون .

ويذكر Newby أنه مهما كان أصل اليهود فقد ارتبطوا بالمصالح والاهتمامات اليهودية خارج الجزيرة العربية ، ويضيف أن هناك هجرة يهودية جاءت منذ عام ٧٠م بعد تخريب الهيكل ولكن بالإضافة إلى هجرة يهودية فهناك عرب تهودوا .

ورغم محاولات كل من مارجليوث ولفنسون التأكيد أنهم يهود حملوا أسماء عربية وما حاول تأكيده إسرائيل ولفستون أن اليهود فى دورهم الأول كانوا ينسبون إلى الأماكن التى نزلوا فيها ، وأنهم اندمجوا بعد ذلك فى العرب . فمن المؤكد أن الغالبية كانت عربًا تهودوا . ولقد ذكر اليعقوبى أن أغلب الطوائف اليهودية من العنصر العربى وأقلها من اليهود ، ويقول أن بنى النضير فخذ من جذام إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضر فسموا به ونزل بنو قريظة بجبل يقال له قريظة فنسبوا إليه (١٧٥).

وهناك بعض قبائل الرعاة الذين عاشوا فى المدن وعايشوا أهلها واعتنقوا اليهودية .

ولقد ذكرت المصادر أن بنى حشنة بن عكرمة بن عوف سألوا الإقامة فى تيماء ، وكان يحكمها مجموعة من اليهود فحملوا على اعتناق اليهودية قبل أن يسمح لهم بالإقامة وانتقلوا بعد ذلك إلى المدينة .

ويقال أن بعضًا من بنى الأوس والخزرج اعتنقوا اليهودية لأن أمهاتهم نذرن فى حالة ما إذا عاش الطفل أن تهوده لأنهم اعتبروا اليهود أهل كتاب ، كذلك كان بعض الأنصار مسترضعًا من بنى قريظة ومن يهود يثرب فى الفترة قبل الإسلام فتهودوا .

ولما جاء الإسلام ودخلوا فيه وأرادوا إعادة أبنائهم الذين دخلوا فى اليهودية إلى الإسلام فنزل الوحى فى الآية { لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى } (١٧٦).

ولقد أشار الطبرى إلى أن الرسول (ﷺ) ترك لهم الخيار ، وكان عرب بنى حمر وبنى كنانة وبنى الحارث بن كعب وكندة قد أخذوا باليهودية قبل الإسلام ، وتحدث عنهم ابن قتيبة وصاعد الأندلسى (١٠٢٩-١٠٩٦م / ٤٢٠ - ٤٩٠هـ) فيما بعد .

ولقد ذكر ابن هشام كتاب الرسول للموادعة بين المهاجرين والأنصار وذكرت فيه القبائل اليهودية ، ومن تلك القبائل التى تهود بعض منها قبيلة بلى العربية وتهود منها عشيرة بنو مرثد وربنو ثعلبة من بنى غسان وبنى جذام من اليمن وبنى جفنة جزء من قبيلة غسان أيضًا ووضفوا كملوك فى فلسطين بالإضافة إلى بنى عوف وبنى بشم وبنو الحرث وبنى النجار وبنى ساعدة ، ولقد ذكر ابن سعد صحيفة ، كذلك ذكر البلاذرى صحيفة (١٧٧).

وأشار بنيامين التطيلى إلى وجود قبيلة عربية متهودة لم تندمج مع اليهود وظل أفرادها محتفظين بعبادتهم إلى القرن الثالث عشر الميلادى فى أرض اليمن والعراق (١٧٨).

ولقد عاش اليهود عيشة العرب ولبسوا ملابسهم وتكلموا لغاتهم وتعاهدوا معهم ، وتزوج اليهود عربًا وتزوج العرب من اليهود قبل الإسلام ، والفرق الوحيد اختلاف الدين . وحتى فى هذا يهود الجزيرة لم يتمسكوا بتعاليم التلمود ، ولقد أورد الدكتور جواد على ملاحظة هامة أن العصبية العربية كانت تقيم حواجز تمنعهم من الزواج من العناصر غير العربية ولكن اليهود من أصل عربى حطموا الحواجز وأصبح الزواج المختلط أمراً شائعًا لا يشين العربى ، وهذا يوضح أنه لم يكن هناك نقاء عرقى يهودى فهناك زيجات مختلطة ، فقد كان اعتناق أحد رؤساء القبائل أو البطون أو الأفخاذ يؤدى إلى اعتناق القبيلة تلقائيًا ، وكانت تلك البطون العبرية حريصة على أحلافها مع العرب تحافظ على عادتها وتقاليدها كما هى ولم يعرفوا من اليهودية إلا العبادة التوحيدية ، وبعض عبارات عبرية يحفظونها عن ظهر قلب وبعض عبارات عبرية لايفهمون معناها فى الغالب ويرددونها عند الصلاة ، ولم يكن لهم صلة تربطهم بيهود فلسطين غير الاتصال التجارى وزيارة بعض أحبار اليهود من فلسطين ممن كانوا يجيدون اللغة العربية ، فيهود فلسطين كانوا يتكلمون اللغة الآرامية فوسيلة التفاهم كانت معدومة .

ولقد ناقش Newby نقطة اعتناق العقيدة اليهودية وهل ترجع لأسباب اقتصادية أو اجتماعية مثل بنى عوف بعد انتقالهم من تيماء إلى المدينة(١٧٩).

ويرى أن اعتناق اليهودية فى الفترة قبل الإسلام مثل اعتناق المنوفيزتية أو المسيحية النسطورية رفض للنظام الاجتماعى والثقافى الرومانى وإعلان عن اعتناق سياسة جديدة ونظام اجتماعى جديد ، وتعبير صبأ الذى استخدمته قريش للتعبير عن من ترك دين الأجداد لا يعنى فقط مغادرة القديم ولكن خلق عداوة بين القديم والجديد ، وحينما قام ذو نواس واعتنق اليهودية وشاركته كل حمير ديانته اعتبر دلالة على سياسة ضد الأحباش ، ولذلك لايمكن معرفة الحالة النفسية للفرد وديناميكيتها ولكن تحول جماعات كثيرة لليهودية يدل على القوى الاجتماعية السائدة والتى كانت تؤثر بها اليهودية فى العرب فى القرن الخامس

لقد حاول نوباى الربط بين الطريقة التى انتشر بها الإسلام واليهودية وهذا قول يجانبه الحق، فالإسلام قام على أساس دعوة واقتناع وإذا كانت هناك قبائل دخلت بعد انتشار الدعوة لمصالح فإن الغالبية كان دخولها عن عقيدة واقتناع ، وحروب الردة لم تكن للخروج عن الإسلام وإنما كانت بسبب الزكاة وهى لا تتشابه مع اليهودية ، بالإضافة إلى أن الإسلام غير أسلوب وحياة وطرق ومعيشة الناس .

فى حين أن اليهودية لم تؤثر فى القبائل التى اعتنقتها وتغلبت عادات الجاهلية وظلت قائمة ولم يقوموا بالتغيير فى المجتمع الوثنى الذى جاورهم فالسموءل بن عدى وكان المثل العربى يشير إليه فقيل " أوفى من السموءل "(١٨١) وهو ملك تيماء فى الفترة قبل الإسلام ، ويذكر مارجليوث أن الاسم العربى جاء من عاديا العبرى (Adayah) الذى ورد فى العهد القديم وهناك آراء طرحت حول حقيقة هذه الشخصية هل هى حقيقة أم أسطورة ، ولكن فى الغالب شخصية حقيقية ، فقد عرف كشاعر وذكر أن أشعار اليهود حرمها . المختار بن أبى عبيده فى المدينة(١٨٢) . ولقد حمل اليهود أسماء عربية مثل عزيز وعبد الله وزيد ونعمان وسلام وأبو رافع والربيع وعمرو ، فسلام بن أبى الحقيق كان من يهود خيبر وكنيته أبو رافع وكان يؤذى رسول الله والصحابة ويحرض عليهم، وكذلك كان كعب بن الأشراف رجلا من طيء وأمه من يهود بنى النضير ، وكتب كعب أشعاراً تسيء إلى نساء المسلمين وإلى الإسلام.

وكانت اللغة العربية مستعملة وإن كان بعض اليهود يتكلم لغة بها ألفاظ عبرية تسمى اليهودية وذكر البلاذرى أن اليهود متمكنين من الكتابة باللغة العربية .

ويقول إسرائيل ولفستون " لا أعلم أن فى تاريخ اليهود مكانًا تأثر به اليهود بأخلاق وعادات وتقاليد أبنائه إلى هذا الحد سوى إقليم الجزيرة العربية "(١٨٣) ولقد سكن اليهود فى حصون مثل حصون السلالم والقموص والنطاة والعضاد والشق والمربطة ، وكانوا متنافرين انحازوا ضد بعضهم كما حدث من انحياز بنو قينقاع ضد بنو نضير وقريظة فى صراعهم مع الأوس والخزرج ، فكانوا مختلفين فى ميولهم السياسية والاجتماعية وكانوا فى شقاق دائم(١٨٤) . ففى يوم البعاث اتحد بنو النضير وبنو قريظة ضد الخزرج وانضم بنو قينقاع إلى الخزرج ضد بنى جلدتهم . ولقد أجبر اليهود المؤيدين للأوس والخزرج بنو قنيقاع على الخروج من مزارعهم والاكتفاء بحيهم الذى كان يحميه بنو الخزرج .

اليهود فى فترة النبوة :

ذكر مارك كوهين فى مقالته عن الاضطهاد أن أول الاضطهادات التى تعرض لها اليهود فى العالم الإسلامى كانت على يد النبى ، وهذا ما سيتم مناقشته والرد عليه فى الجزء الثانى من الكتاب .

ولكن من المؤكد أن دراسة الأحداث وعلاقة الرسول باليهود والتى بدأت بالموادعة والعهود وتطورت نتيجة الإساءة المتعمدة من جانب يهود المدينة ومحاولة التشكيك في البعث والنبوة ومحاولة النيل منه مما ترتب عليه نزول آيات عديدة فى القرآن { يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن تطمس وجوهًا فنردها على أدبارها ونلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولا }

{ ألم تر الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا سبيل الله والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا } « سورة النساء الآية ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ » .

ثم تطور الأمر إلى نقض العهود والتحزب ضد النبى والمسلمين ، فالصراع هنا قائم على خلاف سياسى فى جوهره ، مرتبط بعد التزام اليهود بعهودهم وصحفهم التى عقدها النبى .

وكان هناك بين اليهود من أعلنوا الخلاف وهناك من نافق وهناك من أسلم ، فكان ممن أسلم عبد الله بن سلام وأعلن ولاءه للنبى ، ومخيرق اليهودى أحد زعماء بنى النضير وأحد أغنيائهم وكان من أوفى الناس للرسول منذ هجرته ، وخالد بن الحارث وجميع بنيه وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعيد وأسد بن عبيد وأعداد أخرى من اليهود[١٨٥]، وهناك من تظاهر بالإسلام فمن بنى قينقاع سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ونعمان بن أوفى بن عمرو وعثمان ابن الأوفى .

أما قائمة اليهود الذين سعوا إلى الإساءة إلى الرسول رغم وجود صحف ومعاهدات فهى طويلة وذكرها ابن هشام " من بنى النضير أشهرهم حى بن الأخطب وأخواه وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وكعب بن الأشرف وكردم بن منسى ... إلخ" .

ومن بنى ثعلبة ابن الغيطون عبد الله بن صوريا ، بالإضافة إلى بنى قينقاع ومن بنى قريظة ومن يهود بنى حارثة ومن يهود أهل الشرور والعداوة لرسول الله (ﷺ) وأصحابه ،

بالإضافة إلى وجود بطون متهودة صغيرة فى يثرب لم تخرج من ديارها وظلت محتفظة بمكانتها وهذه البطون لا نجد ذكرها فى موقف العداء ضد الإسلام .

وإسرائيل لفستون ذكر أن المدينة انهارت اقتصاديًا بعد خروج اليهود وأنه لم نعد نسمع فى التاريخ الإسلامى شيئًا عن قوافل مكة إلى يثرب والشام واليمن (١٨٦).

وهذا القول فيه مبالغة غير حقيقية فلم يشكل اليهود جزءاً فعالاً فى تجارة الجزيرة العربية آنذاك بل تجارتهم هامشية ؛ فغالبية التجارة تركزت فى يد قريش ، ونشاط اليهود فى مجالات محددة ، فعمل يهود بنو قينقاع بالصباغة وصياغة الذهب وكانت لهم سوقهم واحتكروا تجارة النبيذ وكانوا يصنعون السلاح والملابس وأشار جولدزيهر إلى أنهم عملوا بحياكة الملابس وتاجروا فى الكحل .

وكان بنو قينقاع يسيطرون على سوق المدينة كما ذكر ابن شبه ويأخذون مكوسًا ، فأقام النبى سوقًا آخر للمسلمين غير سوق بنى قينقاع " هذا سوقكم فلا نضيق ولا يؤخذ فيه خراج " وكان هذا سببًا لكراهية بنى قينقاع له لخوفهم على مواردهم الاقتصادية ، فلم يكن اليهود العنصر الفعال الرئيسى فى التجارة ، بل كانت لقريس منذ فترة ما قبل الإسلام تجارتها مع الشام واليمن(١٨٧) .

والدكتور طه حسين يفسر ضعف أمر يثرب والحجاز من الناحية المادية وأنه لم يكن ناشئًا عن اختفاء اليهود أو إجلائهم ، وإنما كان نتيجة لانتقال النشاط العربى إلى جهة أخرى خارج الجزيرة العربية فى المدن الجديدة ، وأن اليهود ظلوا مسالمين للنبى وللمسلمين حتى تمت الفتوح ليجلوا بنشاطهم الطبيعى عن الأرض الحجازية التى لم يقيموا فيها إلا مضطرين والتمسوا لأنفسهم مستعمرات أخرى أخصب وأجلب للنفع فى العراق والشام ومصر .

أما عن تغير موقف النبى فيرجع لأمرين :

١ - الاستهزاء بالنبى ورسالته .

٢ - خيانتهم للعهود والمواثيق بينه وبينهم .

فمن البداية شكك اليهود فى رسالته وعمدوا لتوجيه أسئلة تصل إلى حد التعنت فكان القرآن ينزل فيما يسألونه منه ، وفى سورة النساء (اية ١٠٣ { يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء } ، ولقد زاد تحرش اليهود بالرسول ، فنزلت الآية { لتجدن أشد الناس

عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا } ، ولم يشترك اليهود فى يوم بدر ، ولم يشترك فى أحُد إلا مخيرق ، ووقع نزاع بين الأنصار وبنو قينقاع ودعاهم الرسول إلى الإيمان فأبوا وأساءوا إليه " لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن إنا نحن الناس " (١٨٨).

ويتساءل إسرائيل ولفستون ، هل لم يشتركوا فى الحرب أو أنهم قاتلوا أبناء دينهم ، ولم يذكرهم المؤرخون وربما آثروا النزعة القومية على العاطفة الدينية ، ولقد سبق ذكر أسماء القبائل التى شملتها العهود وأوردها عدد من المؤرخين كابن هشام ، فذكر صحيفة خاصة بين الرسول وبين بنى قريظة ، وبين الرسول ويهود خيبر وتيماء ووادى القرى ، وذكر ابن سعد عقوداً عقدها الرسول وكذلك ذكر الواقدى عهوداً للرسول وأن القبائل اليهودية التى لم تكن فى حلف الأنصار عقدت معاهدات منفصلة كبنى طلحة وبنى جفنة الذين وردوا فى المعاهدة كأتباع لبنى غسان حلفاء بيزنطة ، ومن الواضح أن اليهود كانوا فرقًا مختلفة ، وكان لكل منهم عهد منفصل وحين حارب الرسول اليهود لنقضهم العهد لم تتحرك البطون الأخرى ورغم محاولات النبى التأليف بين القلوب فى المدينة ومعاهدة اليهود فقد أحل للمسلمين كل ما أحل لليهود وأحل لهم التزوج منهم كما ذكر ابن قيم الجوزية (١٨٩). وورد فى القرآن { أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم } .

وتعامل معهم الرسول أى ليس هناك موقف عدائى مسبق بين الإسلام واليهودية ، ولقد حاول بعض المؤرخين كجوايتين ادعاء أن موقف النبى جاء كمحاولة للانتقام من اليهود الذين لم يعترفوا بدعوته بالإضافة إلى الحصول على أموال اليهود لانفاقها على المهاجرين فذكر ما نصه " رفض اليهود عقيدة محمد ورُفض محمد من غالبية اليهود ، وكان لايمكن لمحمد أن يتسامح مع جيرانه الذين يمثلون مجتمعًا توحيديًا ورفضوا ادعائه النبوة بل سخروا من ادعائه والإشارة إلى الشخصيات الواردة فى التوراة كالفرعون وهامان . وهذه أسباب حرب محمد لجيرانه ، أما السبب الآخر فحاجته إلى الإنفاق على اتباعه من أهل مكة بعد أن تركوا أراضيهم وهاجروا إلى المدينة فاليهود لديهم قلاع ونخيل "(١٩٠) .

و Marcles ردد نفس الأقوال التى تسيىء إلى النبى ، فذكر أن أهم أعضاء مجتمع المدينة ابتعدوا عن محمد ووقفوا موقف المعادى منه . وأن بعض ضعاف النفوس من اليهود انضموا إلى محمد أما الغالبية فكانوا يستمعون إليه وينصرفون إلى حال سبيلهم ويبدون

الرفض لتصرفاته المضطربة التى يدعيها فيما يتعلق باليهود وكتبهم ورسالته ، وإنه قلد اليهود فى الاتجاه إلى بيت المقدس ، ولقد رأى أن يتخلص من اليهود لتحقيق رسالته السماوية ، ووحدة الجزيرة تحت راية الإسلام[١٩١] . والعبارات تحوى تحيزاً ضد الرسول والدعوة الإسلامية .

ولقد أساء اليهود إلى امرأة مسلمة فى سوق بنى قينقاع حيث أهانها صائغ يهودى فقتله أحد المسلمين وقتل اليهود المسلم ، وحاربهم الرسول وتم إجلاؤهم عن المدينة بعد وساطة ابن أبى سلول وذهب جزء منهم بثروتهم إلى أذرعات فى الشام ، ولقد قام كعب بن الأشرف اليهودى من طىء وكتب أشعاراً تضمنت تجريحًا لنساء المسلمين وطعن فى الدين ؛ فأمر الرسول بقتله فى ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة .

أما بنو النضير فقد تآمروا على الرسول وبعد أن حلت الهزيمة بالمسلمين فى أحد وأرادت قريش أن تنتهز الفرصة للقضاء على محمد ودينه وأتباعه فى المدينة ، بل إن الاستخفاف بحال المسلمين بلغ حده عند يهود المدينة من بنى النضير حتى تآمروا على قتل الرسول تحت إحدى قلاعهم حين ذهب إليهم مستعينًا بهم فى دية ، فأمر الرسول بإجلائهم عن المدينة " على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة (السلاح) "[١٩٢] وسار جزء لخيبر ومنهم من سار إلى الشام .

وكان من أشرافهم سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وحى بن الأخطب فقاموا بتحزيب الأحزاب وتأليب العرب ضد النبى ودعوا قريشًا لحرب النبى ذكروا وأنهم سيكونون معهم حتى يستأصلونه ، وأنهم سيحيطون المدينة من داخلها وخارجها ثم استمالوا قبيلة بنى غطفان .

وجعل الرسول بينه وبين المشركين خندقًا ولقد اتصل يهود بنى النضير بزعامة حى بن أخطب النضيرى أثناء هذه المواجهة بيهود بنى قريظة وكان زعيمهم كعب بن أسد القريظى قد عاهد الرسول ، وطلبوا منه أن ينقض عهده مع الرسول فامتنع فى أول الأمر ثم وافق على الخيانة ، وبعد انتصار المسلمين فى الخندق حارب النبى بنى قريظة لخيانتهم العهد وانتصر عليهم وقتل رجالهم وفقًا لتحكيم سعد بن معاذ بناء على طلبهم .

ولم ينته خطر اليهود بعد إجلائهم عن المدينة فقد ظلوا على الكيد له وكان مركزهم فى خيبر وبعد صلح الحديبية عام ٦هـ قرر أن يهاجم خيبر حيث يقيم اليهود ومن انضم إليهم ممن أجلوا عن المدينة فتأهب للخروج إليها سنة ٧هـ ، وأمر أصحابه أن يتهيأوا للغزو وأعلن بينهم

ألا يخرج معه إلا كل راغب فى الجهاد ثم سار مع أصحابه إلى خيبر ونزل بساحتها على حين غفلة من اليهود فلما أصبح الصبح ، ولى اليهود هاربين إلى حصونهم ودارت بينهم وبين المسلمين عدة معارك انتهى الأمر فيها باستيلاء المسلمين على أكثر حصونهم عنوة ، وكانت أشهر حصونهم فى منطقة النطاة ، وحصون فى منطقة الشق وحصون فى منطقة الكتيبة وحصون فى منطقة الوطيح وحصون فى منطقة السلالم ، فقد كانت خيبر تتألف من عدة مجموعات رئيسية من الحصون والأطام التى أنشأها اليهود فى واحة خيبر وعلى أطرافها وكل مجموعة من هذه الحصون سميت باسم الحصن الأكبر فيها[١٩٣] .

وكانت هذه الحصون والأطام غالبًا ما تحمل اسم رجل أو زعيم منهم من رجالات اليهود أو اسم عشيرة يهودية أو اسم وادى من أودية خيبر أو اسم جبل من جبالها أو يحمل اسمًا له مدلوله عند اليهود .

ومنطقة النطاة كانت خط الدفاع الأول عن الواحة ، ومن أهم حصونها ناعم وحصن الصعب وقلعة زبير دار بنى قمة وحصون منطقة الشق ومنها حصن أبى ، وقلعة سحوان وحصون منطقة الكتيبة وأهم حصونها الغموص ، وحصون الوطيح وأهمها حصن الوطيح[١٩٤]، ولقد قدر البعض أعدادهم بأربعة آلاف مقاتل . وحاولنا إيجاد تصور تقريبى لأعداد اليهود فابن هشام ذكر أن بنى قريظة الذين قتلوا كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وعدد يهود خيبر ٤ آلاف وثمانمائة والمقصود بالعدد هو عدد الرجال فقط من بنى قريظة ، ولو كان متوسط عدد أفراد الأسرة أربعة أفراد يصبح عددهم حوالى ٣٢٠٠ وإذا كان عدد بنى النضير مماثلاً لبنى قينقاع فيصبح يهود الجزيرة حوالى عشرين ألف بالإضافة للأعداد التى وجدت فى بطون بعض القبائل، وهو عدد تقريبى .

العلاقة بين الرسول واليهود مرت بمراحل :

الأول الموادعة وصحف الأمان ، ثم عدم التصديق برسالة محمد والتشكيك فيه كنبى ، ثم التآمر الذى بدأ بقبائل المدينة اليهودية بنو قينقاع ثم بنو قريظة ومحاولة قتل النبى وتحريض القبائل ضده .

فقد حاول اليهود قتل النبى وكانت هناك أكثر من محاولة ؛ محاولة بنى النضير بإلقاء حجر عليه ومحاولة زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم بعد هزيمة اليهود فى خيبر بإرسال شاة مسمومة[١٩٥] .

ثانيًا كان موقف النبى رد فعل على المحاولات المستمرة للتخلص منه والقضاء على رسالته ولو ظفر به اليهود هو والمسلمين لكانوا قضوا عليه وعلى الدعوة الإسلامية ، فما بينهم وبين المسلمين كانت حرب فعلية بكل مقاييس الحرب فى تلك الفترة ووفقًا لقوانينها ، ولقد أجلاهم فى المرة الأولى كما حدث مع بنى قينقاع بكل ما يملكون ولكن لم يجدى هذا الأسلوب معهم فعادوا للتآمر مما اضطره لاتخاذ موقف حاسم .

يهود اليمن بعد الفتح الإسلامى :

قام عمر بن الخطاب بنقل يهود نجران وأسكنهم الكوفة وهؤلاء تزوجوا من يهود العراق ، فى حين ظلت أعداد من اليهود فى اليمن وجرى ذكرهم فى وثائق الجنيزة ، فمن وثيقة تتعلق بهبات للمعبد اليهودى تضمنت القائمة أسماء لتجار يهود من اليمن يبدو أنهم فى حالة من اليسار (١٩٦)، ولقد ذكر جوايتين فى كتابه "أرض سبأ" أن يهود اليمن من العصور الوسطى وإلى العصر الحديث يشتركون مع اليمنيين فى نفس الجنس واللغة والعادات ولكن الاختلاف فقط فى الدين .

اليهود فى مصر إلى بدايات الإسلام :

أما عن التواجد اليهودى فى مصر فى فترة ما قبل الإسلام

التواجد اليهودى بمصر يرجع إلى فترة العهد القديم فأبراهيم الخليل تزوج من مصرية هى هاجر ، وفرويد حاول التأكيد على أن أصل موسى مصرى ، وسبق الإشارة إلى خروج بنى إسرائيل من مصر ، ويوسف تزوج ابنة كاهن مصرى ، وسليمان تزوج ابنة فرعون على حد قول التوراة .

وأول إشارة مصرية إلى كلمة الخابيرو فى نقش تل العمارنة تعود لعهد أخناتون ، ولقد اعتادت أعداد كبيرة من اليهود الهجرة لمصر بعد تعرضهم لكل غزو أو اضطهاد ، وكانت العناصر اليهودية الموجودة فى مصر خليط من أدوميين وعموريين وبابليين وحيثيين وعمونين وبعضهم كان نتاج زواج مختلط وبعضهم كان يهودى بالتهويد التبشيرى .

ولقد نزح لمصر كثير من اليهود عبر فترات زمنية عديدة فبعد سقوط السامرة ، جاءت أعداد منهم . وبعد السبيين الأشورى والبابلى ورغم أن أرميا حذرهم من الهجرة إلى مصر (سفر الملوك ، الإصحاح ١٨ - ٢١ - ٢٥) ، و (سفر أرميا إصحاح ٤٢/١٥-١٧) " وإن كنتم تجعلون وجوهكم للدخول إلى مصر وتذهبون لتتغربوا هناك يحدث أن السيف الذى أنتم

خائفون منه يدرككم هناك فى أرض مصر والجوع الذى أنتم خائفون منه يلحقكم هناك فى مصر فتموتون هناك " .

وإن كان أرميا نفسه قد لجأ إلى مصر بعد أن قام نبوخذ نصر واستولى على أورشليم ٥٩٧ق.م فى السبى البابلى ، وتلا ذلك استنجاد صدقيا ملك اليهود بالفرعون المصرى (واح ايب رع) ولكنه هزم وقبض على صدقيا وسملت عيناه وعين نبوخذ نصر حواليا بن احقيام ، وهرعت أعداد من اليهود هاربين إلى مصر فى صحبة أرميا كذلك لجأ إليها أعداد من اليهود الذين نجوا من السبى البابلى .

ولقد أورد يوسفوس قصة وإن كانت لا تستند إلى أدلة تعود لعهد الإسكندر ، أن بعض اليهود كان فى صحبة جنود سنبلط التى حاصرت صور وأنه أحضرهم معه إلى مصر (١٩٧).

وفى العهد البطلمى توافد على مصر أعداد من اليهود الذين جاءوا من يهوذا فى فلسطين. ووجدت لهم جاليات كان من أبرزها جالية الإسكندرية ومن الصعب تصديق مازعمه يوسفوس أن الحى الرابع كان خاصًا باليهود لأن أعدادهم محدودة ، وإن كان بطلميوس الأول جعل إقامتهم فى الحى الرابع ، ولكن لم يجعله چيتو ، ولم يحرم على غير اليهود الإقامة فيه.

وقدر يوسفوس عدد اليهود فى فترة حكم بطلميوس بمائة وعشرين ألف ، ولكن هذا العدد مبالغ فيه إذا قورن بعدد اليهود الذين كانوا فى السبى البابلى ، ٥٨٧ ق.م. بعددهم يتراوح من ٣٠,٠٠٠ و ٤٠,٠٠٠.

ونستطيع القول أنه منذ بداية الحكم البطلمى قام البطالمة بحملات على جوف سوريا ونقل بطلميوس الأول معه إلى مصر نتيجة لهذه الحملات عدداً كبيراً من الأسرى من يهوذا أو من السامرة ، وقام بتوزيعهم فى مصر .

وكانت الإسكندرية مدينة مزدهرة فبقى اليهود للاستفادة من فرص الثراء حيث كانت الإسكندرية صاحبة المكانة الأولى فى تجارة البحر المتوسط ، ولقد سمح البطالمة لليهود بوصفهم من جماعات الأجانب بتشكيل جاليات وتشكيل مجالس خاصة بهم ، وكان لهم طائفة من الشيوخ .

وذكر استرابون الذى زار مصر مع الفتح الرومانى ، أنه كان على رأس جالية الإسكندرية زعيم يحمل لقب إثناريخ Echnarches وأنه كان يباشر مهام إدارية وقضائية ، وكان لهم

مجلس شيوخ كالسنهدرين فى فلسطين ، وادعى يوسفيوس أنهم منحوا حق المواطنة منذ عصر البطالمة ونسب هذا القول إلى الإمبراطور كلوديوس الرومانى فيوسفيوس زور أقوال الإمبراطور، وكان اليهود الذين هاجروا إلى مصر قد نسوا اللغة العبرية فأرسل بطلميوس الثانى إلى الكاهن الأعظم العازر فى أورشليم أن يرسل رجال ليترجموا التوراة فأرسل عدداً من العلماء ترجموها فى اثنين وسبعين يومًا فعرفت بالسبعينية[١٩٨] .

ولقد تأثر عدد من اليهود بالمجتمع الإغريقى ، وكان لهم فلاسفة مثل أرسطو بولس والتحقوا بالجمنازيوم وأطلقوا على أبنائهم أسماء إغريقية ، وترجموا أسماءهم إلى اللغة الإغريقية وساهموا فى الأدب السكندرى ، ولقد دخلت الحضارة الهلينية إلى منطقة جوف سوريا وغير الكاهن الأعظم اسمه من يوشيا إلى ياسون وتنكروا للشريعة اليهودية .

ومن الأسماء الرومانية التى حملها اليهود ووجدت على شواهد القبور Arnēsus , Tatia Victorinus , Juliana , Ppmpeiana , Irene ، أورسيوس ، تاتيا ، فيكتورنيوس ، جوليانا ، بومبيانا ، إيرين [١٩٩].

وأكد أبا إيبان على وجود تلك التأثيرات اليونانية لمجتمع اليهود فى الإسكندرية وكيفية فقده لخصائصه ولغته [٢٠٠]، وتأثره بالمجتمع الهلينى ، وكان هذا التأثير واضحًا أيضًا فى فلسطين التى غير كاهنها الأعظم اسمه من يوشيا إلى ياسون ، واشترك صغار الكهنة فى الألعاب الأولمبية .

وعندما فتح الرومان مصر فى أغسطس ٣٠ ق.م. كان اليهود يشكلون عنصراً من عناصر سكانها ، نتيجة لسياسة البطالمة ، وأصبحوا عنصراً له تأثيره فى السياسة والاقتصاد .

ولقد اعتاد المؤرخون والكتاب اليهود التضخيم من أعداد اليهود كيوسفيوس وفيلون الذى ذكر أن والى الإسكندرية فلاكوس ٣٢ - ٣٨ م ذكر أن فى مصر طبقتان من السكان اليهود والإغريق ، وأن عدد اليهود لا يقل عن مليون ، فهذا القول بعيد عن الحقيقة ، فسكان مصر آنذاك سبعة ملايين ونصف ، ولا يعقل أن يكون اليهود ٨/١ السكان ، ولقد سمح الرومان فى البداية لليهود بالمزايا التى تم منحها لليونان من تكوين جالية ومجلس شيوخ وكان لهم اثينارخ، ويذكر يوسفوس أن مجلس الشيوخ ظل إلى عهده ، وكانت هناك دار لحفظ سجلات اليهود وسمح لهم بممارسة شعائرهم ، وكانوا يقطنون فى حيين الرابع (الدلتا) والحى الثانى (بيتا) .

ولكن ما لبث أن غير الرومان سياستهم نتيجة لما أثاره اليهود من مشاكل وصراعات ، وفى عهد نيرون أرسل قائده فسبيسيان عام ٦٦م وحاصر أورشليم ، وتولى فسيبسيان بعد نيرون ، وأرسل ابنه تيتوس إلى أورشليم وسقطت المدينة ودمر تيتوس المعبد وقبض على الشيوخ ورجال الدين وأخذهم فى موكب النصر ، وسويت المدينة بالأرض [٢٠١].

وفرضت عليهم ضريبة الإله جوبيتر وعرفت فى روما باسم ضريبة اليهود أو ضريبة الدينارين فرضت على كل يهودى أنثى أو ذكر بعد سن ثلاث سنوات إلى سن ٦٢ سنة .

ولقد قام اليهود خلال الحكم الرومانى بالعديد من الثورات كالتى بدأت فى برقة ثم امتدت إلى قبرص ومصر ١١٥ ، ولقد أثار اليهود فى مناطق ريف مصر كثيراً من المشاكل لم يوقفها إلا وصول فرق الرومان ١١٦م ، وذكر آبا إيبان أن اليهود لم يقوموا بثورة بعد عهد هادريان ، وأصبحوا قلة فى أى مكان بما فيها أرض « إسرائيل » كما يسميها وأعدادهم لاتزيد عدة آلاف ، يضيف " إلا أنه رغم حصول اليهود على المواطنة فلقد جرت محاولات من قبل البيزنطيين لتقليص نفوذهم ، فلم يعاملوا كوثنين ومع ذلك وضعت القوانين للحد من انتشار اليهودية ، فقسطنطين منع اعتناق اليهودية [٢٠٢]. وهذا يؤكد ما ذكره دانلوب وكستلر أن اليهود حاولوا القيام بالتبشير بين المسيحيين [٢٠٣]. وصدرت قرارات حرمت الزواج بين المسيحين واليهود وصلت إلى عقوبة الموت وحرموا من امتلاك العبيد ، وطبق هذا أيضًا على السامريين ، ويتهم إيبان المسيحية بأنها حاربت اليهودية وسعت لتقليصها .

الفترة الإسلامية الأولى :

يذكر أشتور أن اليهود الذين دفعوا الجزية عند الفتح الإسلامى ٤٠ ألف ، وهذا العدد من المفترض أنه عدد الرجال ، وإذا افترض أن متوسط عدد الأسرة ثلاثة أفراد فيصبح العدد ١٢٠ ألف يهودى ، ومن الواضح أن هذا يتناقض مع ما ذكره أبا إيبان بأن أعداد اليهود لم تزد فى أى مكان عن خمسة آلاف ، ومن المؤكد أنه بعد الفتح بدأ يهود الإسكندرية فى الرحيل بسبب غزو بيزنطة للشواطىء المصرية والإسكندرية خاصة وبعد استقرار الوضع كان فى الإسكندرية طائفة صغيرة لم يتطور عددهم إلا بعد عدة قرون ومع التواجد الفاطمى .

ومع الفتح الإسلامى اعتبر اليهود أهل ذمة ، كان للنبى موقف مع يهود شبه الجزيرة لخيانة قبائل بنى النضير وبنو قريظة ، ثم خيبر ونكوثهم بالعهد ، ولكن لم يكن هناك موقف من الدولة الإسلامية تجاه اليهود بل اعتبرتهم أهل ذمة كالمسيحيين ، ففرضت عليهم الجزية

ومقدارها لم يكن ثابتًا أو محدداً فقد اختلفت حسب الزمان والمكان وارتبطت بمقدرة الفرد ، وفرضت على أهل مصر على كل حالم دينارين إلا أن يكون فقيراً ، وعلى أهل برقة ديناراً[٢٠٤]. وكان اليهود فى مصر يخضعون لأكاديمية فلسطين وإن كان الأمر اختلف فى العصر العباسى ، حيث انتقل مركز الأكاديمية والتبعية إلى أكاديمية العراق[٢٠٥]، وأصبح هناك مركزين لهما فى مصر ، وهناك فرق تتبع كل منهما [٢٠٦].

ويذكر المقدسى فى كتابه "أحسن التقاسيم" أنه كان فى القاهرة سبعة آلاف يهودى[٢٠٧] ، وفى الإسكندرية ثلاثة آلاف وبالمدن التجارية فى الصعيد ستمائة ، وذكر ابن خرداذبة فى "المسالك والممالك" أن الإسكندرية كان بها حين زارها ستمائة ألف يهودى بخلاف أهلها[٢٠٨]. والرقم كما هو واضح مبالغ فيه وغير حقيقى ، فلا يمكن أن يكون نصف سكان الإسكندرية يهوداً.

ولو حاولنا رسم صورة تقريبية لأوضاع وأماكن تواجد اليهود فى مصر عند الفتح ثم الثلاث قرون الأولى فنجد الصورة تعكسها كتابات المقريزى فى خططه وما أورده ابن عبد الحكم عن العاصمة الإسلامية الأولى الفسطاط ويذكر المقريزى أن المدينة قسمت إلى خطط للقبائل العربية فخطة لمهرة وخطة لتجيب وخطة لمغافر وخطط الحمروات الثلاث وكانوا ثلاثة بنو نبه روبيل فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم وليس به إلا حصن قصر الشمع والمعلقة[٢٠٩] ويقصد الكنيسة " ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم ، وكان الحصن مطلا على النيل وتصل السفن فى النيل إلى بابه الغربى وكان يعرف بباب الحديد ، وكان بجوار الحصن من الجهة الشمالية أشجار كروم صار موضعها جامع عمرو ، وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصارى فى موضع الحمروات فى أول الإسلام .

وكان عمرو قد بدأ بإنشاء المسجد الجامع وخط فى المنطقة المحيطة به سوقًا ومن حول ذلك اختطت الخطط للقبائل وجعلت خطة أهل الراية قريبة من المسجد وكانت خططها عند إنشائها سبعًا وأربعين خطة وكانت المنطقة الخاصة بقيادة الجيش والإدارة العليا تمتد من قلعة اليونان أو قصر الشمع فى الشمال إلى الشرق لمسجد عمرو سميت أهل الراية [٢١٠]، ولم يقم عمرو بإزالة قصر الشمع بل لم يقسمه ، وجعل الديوان فى كنائس القصر فى عهد أبى جعفر المنصور.

وكان الحى اليهودى يقع بجوار قصر الشمع ، ولقد ظل اليهود والمسيحيون يقيمون فى نفس أحيائهم وظلت كنائسهم قائمة . وكان لليهود معابد معبدان واحد للعراقيين وآخر للشاميين حيث ذكر المقريزى فى خططه " كان هناك معابد يهودية مثل كنيسة المصاصة فخط المصاصة رممت فى خلافة عمر بن الخطاب وموقعها بدرب الكرمة وأنشأت ٦٢١ ق.م. ، وكنيسة الشاميين بخط قصر الشمع وذكر أنها بنيت منذ خراب بيت المقدس على يد تيتوس، وأن بها نسخة من التوراة يزعمون أنها بخط النبى عزرا (٢١١)، ونلاحظ أن التواجد اليهودى فى الفسطاط ازداد بعد انتقال أعداد كبيرة إلى الإقامة فى العاصمة الجديدة القاهرة(٢١٢) ، فقد استخدمت أبراج قصر الشمع كمنازل ودور يملكها المعبد اليهودى ومؤسساته الخيرية ، وتحولت خطط القبائل إلى أحياء تسكنها كثافة يهودية كحى تجيب ومهرة وكانت لهم فيها معابد ، ولقد ظل اليهود متواجدين فى الفسطاط خلال عصور الولاة والطولونين والأخشيديين، وعملوا بالصباغة والصياغة والحياكة ، وتملك بعضهم ثروات فى عهدى الطولونيين والأخشيديين وقد وردت الإشارة إلى صائغ يهودى أخفى قباء من اللؤلؤ كان لزوجة الأخشيد وكانت تركته لديه كأمانة ما يثبت وصولهم لطبقة الحكام .

فلسطين عند الفتح الإسلامى :

عرضنا من قبل لما حدث من انهيار المملكتين اليهوديتين على يد البابليين والأشوريين ثم فترة الحكم الرومانى والبيزنطى ونجد اختلاف آراء مؤرخين حول التواجد اليهودى فموسى جيل فى كتابه الذى نشر بالعبرية تحت عنوان " أرض الميعاد " والذى ترجم إلى الإنجليزية إلى تاريخ فلسطين ٦٣٤م/ ١٠٩٩م ، ونجده يسعى جاهداً إلى التأكيد على تواجد يهودى مكثف فى فلسطين عند فتحها ، وهو ما خالفه فيه مؤرخون يهود كأبا إيبان فى كتابه Heritage ، أو ما كتبه شتليمان فى كتابة اليهود فى الأرض العربية التاريخ والمصادر(٢١٣). بالإضافة إلى ما أكدته المصادر الإسلامية كالبلاذرى والطبرى ، وذكر موسى " أن اليهود الذين يقيمون فى فلسطين من سلالة اليهود الذين عاشوا أيام يوشع بن نون منذ ألفى عام وأن التواجد اليهودى ظل مستمراً رغم الصعوبات التى واجهتهم (٢١٤)، وأن الفتح الإسلامى يعتبر نقطة تحول رئيسية فى تاريخ مدينة أورشليم القدس حيث عاد اليهود وأقاموا حيًا يهوديًا داخلها فالمسلمون سمحوا بحرية الحركة ، ويرى أن ظاهرة الهجرة إلى فلسطين من الشرق إلى العرب دائمة وهى لا تعنى أيديولوجية معينة ولكنها ارتباط بالمكان ، ثم يطرح السؤال التالى ، هل

معظم أراضى فلسطين كانت فى أيدى الأغيار والمقصود كل من هو غير عبرانى أم فى أيدى يهودى ، ويعود ليؤكد أن أغلب أرض فلسطين كانت فى يد اليهود وأنه فى عهد الفتح الإسلامى كان أغلب اليهود يعيشون فى فلسطين ، ويستمر فى أفكاره وتأكيده " أننا لا نعرف على التحديد هل هم الأغلبية ، ولكن نستطيع بإتحادهم مع السامريين أن نؤكد هذا " .

ومن الواضح أن ما ذكره تحريف للحقائق التاريخية وتنقصه الموضوعية ، ويحاول أن يؤكد أن هناك تواجد يهوديًا سابقًل للفتح الإسلامى والفترة التالية استناداً لقصص وروايات خيالية اعتماد على أسطورة الراهب بارثوما والتى كتبت بعد تلك الفترة بقرن ويذكر أنها المصدر الرئيسى للتقسيم الديموجرافى للسكان خلال الفترة البيزنطية ، وأن الحولية الخاصة بذلك الراهب تذكر أنه ولد فى سمساط فى آسيا الصغرى ، ثم جاء لفلسطين القرن الخامس وذكر أن اليهود والكفار يمثلون غالبية سكان فلسطين وفينيقيا الغربية والمقصود جنوب فلسطين ، وأن المسيحيين أقلية واليهود السامريين كانوا يحكمون البلاد واضطهدوا المسيحيين فقام بارثوما بجمع أربعين راهبًا ضد اليهود ، وعبدة الأوثان وبمساعدة الجيش البيزنطى حارب خمسة عشرة ألف يهودى مسلح قرب المعبد فى بيت شبعا فى مدينة البتراء ويدلل على تعداد اليهود بهذه الأسطورة الخيالية التى ثبت عدم صحتها واتخذها كدليل قاطع على أعداد السكان ، رغم ذكره حاشية فى مقدمة كتابه أن هونج مان Honig Man يرى أن قصة براسوما لايمكن تقبلها وأنها من وحى خيال مؤلفها الذى عاش بعد مائة عام من الأحداث التى ذكرها[٢١٥].

ثم يستمر فى محاولته لتأكيد يهودية فلسطين عند الفتح ، ويذكر أنه فى حوالى عام ٤٢٥م قامت الإمبراطورة أوديكيا بالسماح لليهود بالصلاة والعبادة عند هيكل سليمان ، حيث كان قسطنطين قد منعهم من الإقامة فى القدس من قبل ، وكانت الحولية التى استند إليها جيل تتضمن " أن يهود الخليل أرسلوا إلى يهود فارس وروما يخطرونهم بتصريح الإمبراطورة وأورد كاتب النص ما يلى :

" أن ملوك الرومان سلموا إلينا القدس لأن مملكتنا ستقام فى القدس وحضر ١٠٣,٠٠٠ يهودى ، ولكن أمطرت السماء عليهم أحجاراً ، وأرسل اليهود للأمبراطورة يخطرونها أن الرهبان هم المسؤلون عن إمطارهم بالحجارة "

وذكر أن هناك ممارسات ضد اليهود كما فى الكتاب الخاص بنظرية يعقوب The Pidaskalia-alai وأن ما ورد فيها دليل على وجود اليهود فى عكا وحيفا فى ذلك الوقت ٥٥٥م ، وذكر

أن المؤرخ بروكبيوس أشار إلي وجود يهود فى نابلس ، وأن المصادر العربية أكدت ذلك وأضاف إليها طبرية وكفر ناحوم وصفورية حيث استند لقصة أوردها الطبرى عن زكوان اليهودى وكنيته أبو عمر ، وأحد أفراد أسرة أبو معبد الذى حاول اغتيال الرسول قرب الكعبة فى مكة وقتل بأمر النبى ، حيث ادعى أنه من قريش ، ولكن النبى ذكر أنه يهودى من صفورية .

والمؤكد أن تلك القصص لا تشير إلى تواجد عددى لليهود أو أنهم أغلبية بأى حال من الأحوال ، فالقصة الأسطورية جعلها حقيقية فى حين رفض قصة أخرى واعتبرها بلا سند حقيقى تتضمن ما قام به اليهود وفقًا لأحد الحوليات تجاه المسيحيين فى القدس فى فترة الحكم الفارسى للشام .

وحاول نفى أى صلة لليهود بالفرس ، فيذكر أن راهبًا يدعى انتيخوس ايستراتيوس Antiochus Eastrios قبض عليه الفرس فى القدس ووصف ما رآه من قيام اليهود أثناء الاحتلال الفارسى تجاه سكان المدينة من المسيحيين ، وتدميرهم الكنائس ، وأن يهودى يدعى بنيامين من طبرية أساء للمسيحيين فأمر الإمبراطور بعد استعادة المدينة باعتناقه المسيحية ، وحاول جيل نفى كل دور للخيانة التى قام بها اليهود واضطهادهم للمسيحيين منتهزين فرصة الحكم الفارسى ، وعزى ما قام به الإمبراطور تجاههم لبغضه للسامية ، وأتهم بيزنطة بأنها بعد انتصارها على الفرس أقامت مذابح لليهود فى العالم المسيحى وذكر مرسوم هرقل الذى ينص على أن على كل اليهود اعتناق المسيحية فى مملكته(٢١٦) .

ومن الواضح أن مرسوم هرقل يثبت أمرين ، موقفه من اليهود نتيجة لما قام به اليهود من مذابح واضطهاد للمسيحيين أثناء الحكم الفارسى ولتعاونهم مع الفرس ثانيًا . إن أعداد اليهود فى فلسطين أصبحت محدودة بعد سياسة هرقل تلك .

ويذكر أن دخول اليهود إلى القدس مع عملية الفتح الإسلامى ، حيث عهد لهم عمر بنظافة مكان المعبد ، وطلب سؤال كبار السن من اليهود عن الصخرة ، فقام أحد الدارسين بإخباره عن حدود المكان ، فأمر بأن يحاط المكان بالأعمدة وبنى المسجد ، وأن اليهود أرسلوا يسألون عمراً ، كم من أفراد الجماعة اليهودية يمكن أن يدخل إلى فلسطين فقال إنه سيسأل المسيحيين لينهى الخلاف ، وأفاد البطريرك أنه من الممكن قبول خمسين عائلة ، ولكن اليهود طالبوا بأن تدخل مئتى عائلة ولكن عمر سمح بدخول سبعين عائلة فقط ، وأنهم طالبوا بأن يقيموا فى الجزء الجنوبى حيث سوق اليهود وجبل المعبد حيث ماء السلوان ، وأنهم نزحوا من طبرية ،

وعاشوا فى الحى الذى حرموا منه لأجيال طويلة . ومعنى هذا أنه لم يكن هناك تواجد يهودى فى القدس آنذاك وفقًا لتلك الرواية العبرية ، ووفقًا للمصادر الإسلامية ، وفى النصوص العبرية المعاصرة للفتح كسفر إلياهو Eliyahu وأسرار الرابى شمعون بن يوحاى Nistarot shel Rabbi shm'on h. Yohay ، حيث اعتبرت العرب كزائرين من قبل الرب ضد مملكة أيدوم الشريرة ، والمقصود بأيدوم بيزنطة " ، وتعاون اليهود فى حمص وقيصرية والخليل مع العرب".

من واقع النصوص يتضح ما يلى :

١ - أن أعداد اليهود كانت محدودة فى فلسطين وأنه كان محرمًا عليهم من عهد قسطنطين إلى عهد ثيودسيوس الثانى دخول فلسطين وأن سمحت لهم زوجته بالحضور لفترة محدودة لزيارة بقايا المعبد ، ثم صدرت قرارات إمبراطورية بمنعهم من دخول القدس أكدها الإمبراطور هرقل قبل الفتح مباشرة ، فالتواجد محدود وفى عدد من المدن فقط أبان الفتح .

ويذكر أبا إيبان فى أنه فى بداية الفترة المسيحية كانت أعداد اليهود فى فلسطين تعتبر أصغر أقلية بالنسبة لأعداد اليهود فى العالم (٢١٧).

وذكر أبا إيبان النص التالى " ولقد مرت بنا ١٨٠٠ عام قبل أن يحكم اليهود فى أى مكان فى فلسطين " والعبارة واضحة أنه لم يكن هناك تواجد يهودى فى فلسطين خلال الثمانية عشر قرنًا التى مضت ، وكان اليهود أقلية فى أى مكان عاشوا فيه بما فيها أرض فلسطين ، ولم يكن تعداد الشعب اليهودى يزيد عن خمسة آلاف فى أى مكان فى العالم " .

ومع الفتح الإسلامى لم يكن هناك تواجد يهودى ، وكانت القدس تكاد تكون خالية منهم . فالإمبراطور هرقل آخر أباطرة الرومان قبل الفتح الإسلامى أكد القرارات السابقة بمنعهم من دخولها . إلا للحج ولقد تقدم البطريرك صفرنيوس بطلب للخليفة عمر بن الخطاب بعدم دخول اليهود إلى القدس . ولكن عمر سمح لهم بالدخول بأعداد محدودة . وهناك إشارة عن انتقال بعض يهود الجزيرة العربية إلى الشام ، فى عهد عمر بعد استبعادهم ، وهم فى الأصل وفى غالبيتهم عرب متهودين .

فلقد وردت بعض المصادر الإسلامية أن عمر أجلى من لم يكن له عهد من يهود الجزيرة إلى الشام .

والمقصود ببلاد الشام الفرات الأوسط ، ويشير ابن قيم الجوزية إلى أن يهود خيبر أجلوا إلى الشام ، حيث ادعى عدد من يهود دمشق أن لديه عهد بخط على بن أبى طالب لإسقاط

الجزية بدعوى أن الرسول لم يفرضها عليهم فى البداية ، فاسقطت عنهم ، وذكر ابن قيم أن العهد والوثيقة مزورين وأن عبارتها تختلف عما يستعمله اليهود ، وأرض الحجاز لم يوضع عليها خراج لكى يتم إسقاطه ، وأن العهد تضمن لحن وعبارات لم يستعملها اليهود مثل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وقوله أحسن الله لكم الجزاء ، وذكر من أحبار اليهود كعب بن مالك ولم يكن يهودى (٢١٨).

ولقد نقل معاوية أفراداً من جنسيات مختلفة من اليهود إلى طرابلس وحصن غالب فى سوريا .

وهناك روايات على أن اليهود لم يدخلوا فى عهد الخلفاء الراشدين بخلاف ما ورد فى الروايات اليهودية السابقة ، ولكن سمح لهم بذلك فى عهد الخليفة عبد الملك ٦٩١م/٧٢هـ فسمح لهم بالخدمة وأعمال النظافة والإنارة بالمسجد الأقصى ، وإن عاد الخليفة وأمر بطردهم لأمور حدثت منهم .

وظل أمر التواجد اليهودى محدداً حتى الفترة التالية ، فترة العصر الفاطمى والذى يوصف بالعصر الذهبى بالنسبة لليهود ، حيث ورد ذكرهم فى وثائق الجنيزة وفى كتابات عدد من الرحالة وفى عدد من المصادر الإسلامية .

المغرب ويهود شمال إفريقيا :

قسم الجغرافيون بلاد الشمال الإفريقى إلى ثلاثة أقسام ، ويذكر ابن خلدون أن اسم المغرب جاء من إضافته إلى المشرق أى لموقعه من الشرق .

أما تلك الأقسام فهى إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، وحدد الجغرافيون إفريقية « المغرب الأدنى » من برقة شرقًا إلى مليانة وبجاية غربًا يليها غربًا المغرب الأوسط الذى يمتد حتى غرب مدينة وهران ويضم مدينة تلمسان ثم المغرب الأقصى الذى يمتد حتى مدن سبتة ومدينة سجلماسة جنوبًا .

وسكان البلاد الأصليين يطلق عليهم اسم البربر وهم قبائل عديدة ، وكما يقول ابن خلدون "هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم " ولقد حكيت الأساطير عن أصولهم فبعضها نسبهم إلى إبراهيم عليه السلام وبعضها ذكر أنهم يمنيون ، والمسعودى ذكر أنهم من غسان وتفرقوا بعد السيل العرم ، وقيل من لخم وجذام وكانت منازلهم فى فلسطين وأخرجهم الفرس ، والقصص الأكثر تردداً نسبتهم إلي جالوت (٢١٩).

أما الطبرى فذكر أن البربر أخلاط من كنعان والعماليق لما قتل جالوت تفرقوا فى البلاد وغزوا إفريقية المغرب وانتقلوا من الشام وسكنوا إفريقية وسموا البربر ، وأورد الصولى والمسعودى والبكرى روايات عن أصولهم تدور فى نفس الإطار وابن الكلبى عزا أصولهم إلى داود ويوشع بن نون وذكر أنهم سكنوا القفار والخيام ، ثم اتجهوا إلى طنجة والسوس ، حتى جاء الإسلام ، وكان البربر قبائل كثيرة وهى هوارة وزنانة وضريسه ومغيله وورفجومة وينتفزة وكتامة ولواتة وغمارة ومصمودة وصدنية ويزدران وورنجين وصنهاجة ومجكسة وواركلان وغيرهم .

ويذكر ابن خلدون أنه عند مجيء الإسلام كان منهم من تهود ومن تنصر ، ومن كان على عبادة الأوثان ومن القبائل التى اعتنقت المسيحية قبائل سبيطلة ومرنات ووطاقة وزناتة ومدن طرابلس ولبدة وصبرة ومنهم من اعتنق اليهودية كقبيلة جراوة التى سكنت الأوراس وقبائل أخرى كنفوسة وقندلاوة ومديونة وبهلولة وغياتة وبنو فازان من برارة المغرب الأقصى أما صنهاجة فكانت وثنية (٢٢٠).

ود. محمد حبيب بن خوجة ذكر إحصائية عن اليهود الذين عاشوا فى المغرب فى عهدى الحكم الإسلامى والأوربى وأعدها حبر من الجزائر اسمه إيزنبات عن ٤٠٦٣ بيت عائلى يهودى تمكن من التعرف على ١١٤٦ أصل لها وذكر أن :

٥١٠ منها تدل على نسبة عربية بربرية بواقع ٤٠,٥٠٪ ، ١٤٥ عبرية آرامية أى ١٢,٦٥٪ ، ١٩٧ رومانية ١٧,٩٪ ، و٤١ جيرمانية بنسبة ٣,٥٧٪ ، و ٢٥٣ منها لم تتضح دلالات النسب فيها أى بنسبة ٢٢,١٩٪ من يهود المغرب (٢٢١).

أما عن تحديده الفترة التى حدثت فيها عملية التهويد فيذكر الدكتور جمال حمدان عن الهجرة الأولى لليهود من فلسطين إلى المغرب " ادعى اليهود الذين يسكنون الجبال ويتكلمون اللغة البربرية أن أجدادهم تركوا فلسطين للمغرب قبل الأسر البابلى وسموا أنفسهم لشتيم تحريف لفلسطينى ، وابن خلدون يرى أنه ربما اعتنق البربر الديانة اليهودية " أخذوه عن بنى إسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه منهم " ، وكما ذكرت بعض المصادر العربية فى الروايات التى أوردتها عن البربر أن هذا حدث زمن يوشع بن نون وكما قال ابن خلدون أنه يطرح فرضاً (٢٢٢).

ويذكر هارشبيرج عن فترة التهويد تلك أنها بلاشك ليست الفترة المسيحية وإلا كان آباء الكنيسة أشاروا إلى هذا الخطر ، ويحاول الرجوع بهم إلى فترة ٢٣٠٠ ق.م. رغم أنه أكد على

عدم وجود دليل فعلى على ذلك وأضاف أن تاريخ شمال إفريقيا يحوطه الغموض من الفترة الرومانية إلى القرن الثانى للفتح الإسلامى ، فيذكر أن المصادر اليهودية وغير اليهودية صمتت ولم تلقى الضوء أو تشير لأحداث تلك الفترة ، وتكرر الأمر بالنسبة لفترة أخرى وهى الفترة مابين الموحدين والمرابطين ، ويذكر أنه سيضطر إلى الرجوع لكتب الأغيار حيث لاتوجد آثار يهودية لتلك الفترة (٢٢٣).

" الكاتب وهو فى القرن العشرين يعتبر غير اليهود من المؤلفين أغياراً فلهجة التعصب قائمة " ، ولقد حاول هارشبيرج نسبتهم إلى الأسباط ولكن كما ذكر ليس لديه أدلة .

وأول تقرير تاريخى عن وجود يهود يعود لهجرة جاءت مع الفينقيين الذين وصلوا إلى أسبانيا والمغرب والتى كانت تعرف فى ذلك الوقت باسم بلاد ترشيش ، ولكن التواجد الوثائقى لليهود فى المغرب يعود لعهد بطلميوس ٣٢٣ - ٢٨٥ ق.م. حيث استخدم بطلميوس اليهود فى حماية قلاع قورنية واعتمد بعض المؤرخين على رواية يوسيفوس أنه تم نقل ١٠٠,٠٠٠ يهودى من فلسطين لمصر واستخدموا فى حراسة القلاع فى قورنية ، واعتقد أن الأرقام مبالغ فيها ، فلا يمكن التسليم برواية يوسيفوس ، ولقد تنازل أحد ملوك قورنية الهلينيين عنها للرومان وهو بطلميوس أبيون عام ٩٦م ، ولقد قام اليهود بعدد من الثورات فى قورنية(٢٢٤).

وبعد تخريب المعبد عام ٧٠ على يد تيتوس خرجت موجة هجرة ثانية للشمال الإفريقى والسهول الساحلية والوادى الخصيب ، وكان فسبسيان قد أعطى لابنه تيتوس إقليم إفريقيا ونقل إلى قرطاجة ٣٠ ألف من اليهود الذين طردهم من فلسطين وتزوجت زوجة الإسكندر ابنة هيرودوس من ملك موريتانيا ، وأشار يوزبيوس القيصرى فى كتابه عن تاريخ الكنيسة لثورات قام بها اليهود ضد الإغريق فى عهد تراجان ١١٥م (٢٢٥).

وفى فترة حكم سبتميوس سفريوس وابنه كراكلا ١٩٣ - ٢١٧ كان هناك يهود فى قرطاجة، ووجدت العديد من الاكتشافات الأثرية لشواهد قبور تحمل أسماء عبرية أو إشارات عبرية ، وتعود للقرن الثالث الميلادى ولقد تحسن وضعهم بعد مارقيان(٢٢٦) .

وذكر هارشبرج أن آباء الكنيسة فى المغرب فى القرنين الثالث وبداية الرابع هاجموهم ولم يفلحوا فى التخلص منهم ، لأنهم يمثلون ثلث أو ربع السكان ، وهذا تعميم لا يستند إلى منطق فاليهودية بدأت تهاجم حينما أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للدولة . وأصدر الأباطرة المراسيم ضد هذه الديانة فأصدر قسطنطين قوانين بمنع الزواج من اليهود وفى قوانين

سيودسيوس ٣٩٢م وورد ذكرهم كمواطنين ، ولكن ابنه هنريوس ٣٩٥ - ٤٣٢م أصدر قوانين ضد اليهود [٢٢٧].

وحين غزا الوندال إفريقيا حاولوا التقرب إليهم كعاداتهم مع الحكام والغزاة ، وحينما استعاد البيزنطيون إفريقيا ، تضمن قانون جستنيان فى المستجدات عام ٥٣٥م تحذير لليهود والهراطقة ومنعهم من الذهاب إلى أماكن العبادة .

وأمير جستنيان يهدم معابدهم واعتناقهم المسيحية ، فهربوا إلى القبائل البربرية وأشار أحد المصادر أن موريس أجبرهم على الارتداد وهرقل أعاد القوانين المناهضة لليهود لدعمهم الفرس ضد البيزنطيين أثناء حربهم وامتد هذا لإفريقيا ٦٣٢م وكان يرغب فى إجبارهم على اعتناق المسيحية لولا وصول العرب مما قلب الموازين .

أما عن الأدلة الأثرية الخاصة بتواجدهم فى المغرب العربى والتى استند إليها هارشبرج فتعود للقرن الثالث فهناك عدد من شواهد قبور وبقايا معابد فى عدد من مناطق الشمال الإفريقية فوجد فى جمرات Gamarth بالقرب من قرطاج القديمة نقش عليه عبارة شالوم العبرية أو الحروف اللاتينية Salom . كذلك بقايا معبد فى حمام الليف على شاطىء البحر "١٧ كيلو متر جنوب تونس" ويرجع للقرن الثالث أو الرابع وفى العصر الرومانى [٢٢٨] ، أرضية من الفسيفساء تتضمن نقشًا يحوى رموزاً دينية بلغة لاتينية بدائية .

ونصه ما يلى " المعبد المقدس فى تاروس أن خادمتك جوليا من نارو من أجل خلاصها أهدت هذه الفسيفساء على نفقتها للمعبد اليهودى فى نارو وأسماء أخرى على الحائط شاركت فى هبة البناء " .

وشاهد قبر من أوتيكا Utica بين تونس وبنزرت ، وشواهد قبور أخرى فى قلب تونس يتضمن نواح ومرثية لأبوين لوفاة طفليهما ، كذلك اكتشفت بعض الآثار فى سيدى إبراهيم فى سرتة وفى قسطنطينية ، ومن قصور الغناية فى جبال الأوراس ، وفى خلفون وفى وليلة بين مكناس وفاس شاهد قبر تضمن مايلى " ماترونا ابنة الرابى يهودا ترقد فى سلام " وكذلك وجد شاهد قبر يهودى قرب الرباط ، وآثار فى طنجة [٢٢٩] .

والملاحظ أن اليهود حملوا أسماء رومانية وشواهد القبور بعضها مكتوب باللاتينية أو اليونانية .

إذن عملية التهويد تمت بين قبائل البربر بالمغرب بحضور يهود من الخارج قاموا بالتأثير على بعض القبائل المغربية الوثنية وأقنعوها باعتناق اليهودية ، وهناك إشارة إلى عبادة

تلمودية تعود لعهد سبتميوس سفيروس وابنه كراكلا " كان يعرف إسرائيل وإله إسرائيل بين صور وقرطاج ومن صور غربًا إلى قرطاج شرقًا لاتعرف إسرائيل ولا إله إسرائيل ، وعدد كبير منهم لم يتهود وفق الشريعة الهلاخا ، والملاحظة الهامة وفقًا للنقوش أن التأثير بدأ من الفترة الرومانية والآثار غالبيتها يعود للقرن الثالث والرابع مما يدل على أن عملية التهويد تلك لم يتسع نطاقها إلا مع بدايات التاريخ الميلادى .

وناقش حاييم زعفران ماذكره هارشيبرج من تشكيك فى أن جل اليهود المغاربة ليسوا بربراً أصلاً استناداً إلى عدم تسرب اللغة البربرية فى الآداب اليهودية ، وذكر أن الأبحاث الميدانية فى أواسط الناطقين بالبربرية فى المغرب والتى جرت بين ملاح جنوب المغرب ووديان الأطلس تشير بجلاء إلى أن التعليم التقليدى لدى هذه المجموعات كان يستعمل اللغة البربرية كأداة لتفسير وترجمة النصوص المقدسة واعتقد أن هذا أقرب للصواب ، فمن الواضح أنه كانت هناك عملية تهويد قامت بها الهجرات اليهودية للقبائل التى وفدت عليها (٢٣٠).

والمعروف أن اليهود فى أماكن عديدة اتبعوا تقاليد وعادات الشعوب التى أقاموا بينها بل ولغتهم كما فى الفترة الإسلامية بالإضافة إلى أن بعض تلك القبائل أى من العناصر السكانية الأصلية اعتنقوا اليهودية ، وبالنسبة للغة البربر ، فلا نملك وثائق أدبية بلغتهم فى فترة ما قبل الإسلام ولا يظهر فى الشمال الأفريقى الآن تأثير بربرى واضح فى الأدب واللغة المستعملة.

الفتح الإسلامى :

مع الفتح الإسلامى ، وفى القرون الأولى التى تلته وجد عدد كبير من المستقرات لليهود فى مدن المغرب ، وعامة فحركة الهجرة المستمرة من الداخل للخارج والعكس ، ظلت مستمرة بالنسبة ليهود العصور الوسطى الإسلامية ففى الفترة السابقة للفتح لجأت للمغرب أعداد من يهود أسبانيا نتيجة للحكم القوطى ، فالملك Egica إجيكا ، عاقب اليهود فى مملكته وكان يجبر اليهود على ترك دينهم ، وهرب عدد منهم إلى موريتانيا ، ومجمع طليطلة اتخذ قرارات ضدهم ولذلك عاونوا العرب الفاتحين (٢٣١)، ومن استقراء الأحداث فاليهود على استعداد تام للتعاون مع أى فاتح فلقد دعموا الوندال والفرس أثناء حربهم مع الروم حتى استولوا على إفريقيا أثناء الحكم البيزنطى .

أما عن التواجد اليهودى فى المغرب فبالإضافة إلى تهود بعض القبائل فقد قام اليهود بتحويل عبيدهم من المسيحية والوثنية إلى اليهودية ، ومع قدوم الإسلام حرم امتلاك اليهود للعبيد المسلمين أو إجبارهم على ترك دينهم ، ويذكر هارشيبرج أن هناك مسيحيين اعتنقوا اليهودية لأنهم إذا اعتنقوا الإسلام لايمكن الارتداد ، أما اليهودية فمن الممكن الارتداد عنها .

ويذكر هارشيبرج أن دراسة وثائق الجنيزة ربما تعطى توصيفًا جغرافيًا أوسع ، وأن هناك يهوداً يعيشون فى مدن غير مسورة أو محصنة فى مناطق الجبال والمناطق الريفية بعضهم فى قرى تبعد عن القيروان بعشرة أميال وبعضهم يعيش بين البربر أو كجزء منهم على طريق التجار فى الجبال والمرتفعات فى المنطقة بين الأقاليم والصحراء ، ولا نستطيع القول أن تلك المستعمرات أقيمت عبر فترة زمنية محددة .

والتواجد اليهودى ينقسم لعدة فترات زمنية ، فترة قبل قدوم العرب فى مدن مثل لبدة Leptis ، وقفصة Capsa ، صفاقس ، سوسة وليلة وغيرها .

وبعضها أوجدها العرب فى الفترة الإسلامية الأولى فى المدن التى أنشأها العرب أو الأسر البربرية حيث أقام بها يهود وبعضها ذكر فقط فى وثائق الجنيزة نتيجة لأحداث فى القرن ١٢م.

فيهود الشمال الإفريقى فى الفترة الإسلامية كانوا يمثلون بعض بطون تهودت بعض عناصرها بالإضافة إلى ما ورد إلى المغرب ومن أقطار عديدة من يهود سواء من أسبانيا أو مصر أو من الشام ، وسنلاحظ أنه خلال الفترة التالية سيقوم يهود المغرب بحركة هجرة مضادة إلى الخارج إلى مصر والشام وأسبانيا ، وسنجد أن عدداً كبيراً من يهود مصر ملحقًا باسمه لقب مغربى ، وخير مثال ابن عوكل أحد تجار العصر الفاطمى .

أما عن التواجد اليهودى فيذكر هارشيبرج أن اليهود خلال هذه الفترة وفقًا للمصادر على حد قوله مبعثرين على مساحة ١٠٠,٠٠٠ كيلو متر ، وأورد أماكن تواجدهم وفقًا لمسميات المدن الآن ، ومن الواضح أن اليهود لا يشغلون هذه المساحة . بالإضافة إلى أنه من الخطأ اعتبارها مدن أيهودية بل بها أعداد من اليهود كثرت أو قلت كما ذكرنا فهى مدن مغربية لايهودية .

ويذكر أن مستوطناتهم امتدت من قورنية فى ليبيا شرقًا إلى مراكش فى المغرب عبر الشاطىء إلى الداخل ، وهذا لايعنى أن تلك المدن كانت تضم يهوداً فقط بل بها أعداد من اليهود كما ذكرنا ، قورنية فى ليبيا ، أنتابولس ، رمادا ، تولميتا ، برقة Trmpolitine ، سرت ، يهودية ، مسترة ، لبدة ، مسليطة ، طرابلس الغرب ، صبرة ، سرمان ، نفوسة ، جادو Jadu ، غدامس ، تونس ، جربة ، قابس ، الحمام ، نفوازة ، قفصة ، صفاقص ، قورنية ، المهدية ، القيروان ، سوسة ، تونس ، بنزرت ، الجزائر ، بجاية ، الجزائر ، تنيس ، وهران ، ورفجومة ، مجانة ، قلعة حمد ، أشير ، مصيلة ، تاهرت ، تلمسان ، تبالة ، مراكش ، سبتة، طنجة ، سلا ، فاس فى الداخل ، وليلة ، مكناس ، سلجماسة ، درعة ، مراكش ، أغمات ، سوس ، تالويت ، القبة(٢٣٢).

ولقد ظلت الهجرة اليهودية مستمرة من أسبانيا إلى المغرب والعكس مع بدايات الفتح الإسلامى ، كذلك ما ورد فى المصادر عن قيام الخليفة عبد الملك ٦٨٥ - ٧٠٥م / ٦٦ - ٨٦هـ بأمر أخيه والى مصر بنقل ١٠٠٠ من الأقباط واليهود من مصر إلى القيروان بعد إنشائها ، ولكن لم تحدد المصادر عدد كل من اليهود والمسيحيين .

كذلك نقل اليهود من تلمسان وفارس فى النصف الثانى من القرن العاشر وأعيد توطينهم مع آخرين مقيمين فى أشير التى أنشئت فى هذه الأيام وقد ذكر الطبيب سبتان دبلو فى كتابه Hakhmoni ما نصه " إن أقرباءه أبعدوا إلى إفريقية أثناء الفتح الإسلامى ، وأن عائلة النجيد بلطيال استقرت هناك باختيارها " . ولقد ذكر ابن خرداذبة فى المسالك والممالك أن فى الطريق بين برقة والمغرب مدينتين تحملان اسم اليهوديتين(٢٣٣).

وهناك شخصية لعبت دوراً فى أثناء فتح المغرب حدث حولها حوار بين مؤرخى اليهود وهى الكاهنة فبعضهم ، كاحييم زعفرانى اعتبر الكاهنة يهودية بربرية وهارشيبرج يرى أنها بربرية فقط وليست يهودية ، وكانت الكاهنة تعتبر ملكة لجراوة وآخر ملوكهم فى الأوراس، قائد البربر المسيحى عقد معاهدة سلام واعتنق الإسلام ثم عاد للثورة وحارب عقبة بن نافع الذى قتل فى معركة ثم ملك كسيلة القيروان خمس سنوات ، ولكن ما لبث أن قتل على يد قيس بن زهير البلوى وكما قال ابن خلدون " أضطرمت إفريقية ناراً وافترق أمر البربر وتعدد سلطانهم فى رؤساؤهم ، وكان من أعظمهم شأنًا يومئذ الكاهنة دهيا بنت ماتيه بن تيفان ملكة جبل أوراس"(٢٣٤).

وفى عهد الخليفة عبد الملك ٦٨٥ - ٧٠٥م / ٦٦ - ٨٦ هـ ، أرسل حسان بن النعمان إلى إفريقيا وهزم بيزنطة وسيطر على أغلب الساحل ثم اتجه ضد داهيا الكاهنة ملكة جراوة والقبيلة التى تشتمل على يهود وهم أفرع زناتة وحقق عدداً من الانتصارات ، ولقد قتلت فى معركة عام ٦٩٤م / ٧٤هـ واعتنق أولادها الإسلام .

ولقد ذكر أخبار الكاهنة كل من الواقدى وابن عبد الحكم وابن خلدون الذى ذكرها باسم الكاهنة دهيا بنت باتية بن تيفان ملكة جبال أوراس وقومها من جراوة ملوك البتر وقتلت بمكان البير المعروف فى جبل الأوراس (٢٣٥).

ويحاول هارشيبرج نفى صفة اليهودية عنها ويقول إن هذا الإسم لم يكن مألوفًا بين نساء المغرب والمؤرخون المحدثون يرون سواء كان أصلها عبرى أو عربى ، فهى تعنى رجل دين فى اللغات السامية الشمالية ولا تستعمل فى الأدب العبرى القديم إنما تستعمل كلمة نبى وبعلان.

والبربر لا يستعملون لقوادهم تعبير كاهن وإنما هو تعبير أجنبى ، ولكنه كان معروفًا فى الأدب العربى القديم .

و Gazes المؤرخ الذى كتب عن يهود تونس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر اهتم بالأغانى الشعبية لليهود فى قسطنطينية فى الجزائر وقريبة من جبل الأوراس وإحداها تتغنى فيما يلى :

أبناء يشيرون لا ينسون الاضطهاد

الكلدانيون والإمبراطور هادريان والكاهايا

هذه الملعونة التى كانت أكثرهم وحشية

والتى سلمت عزارانا إلى جيشها

وغسلت أقدامها بدماء أبائنا

ويرى Gazes أن الكاهيا هى الكاهنة وبذلك لايمكن أن تكون يهودية وإن كان لا يستطيع أن يجزم بذلك وعامة الإسم معروف فى العربية وليس فى العبرية (٢٣٦).

مما سبق نستطيع القول عند بداية الفتح كان هناك تواجد للديانة اليهودية فى بعض قبائل المغرب وفى عدد من مدنها ، ولقد استمر التواجد خلال العصر الإسلامى ، ومع بداية الفتح

كانت المغرب منطقة تواجد ليهود أسبانيا . وخلال الفترة التالية سيستمر التواجد اليهودى ، سواء فى المدن القديمة أو المدن الإسلامية الجديدة ، وخاصة فترة الحكم الفاطمى ولكن سنجد هجرة من نوع آخر هجرة خارجية إلى مصر والشام وأسبانيا وهو ما سنتعرض له فى الفصل الثانى .

العراق :

تشير التوراة إلى هجرة إبراهيم من أور ، ولقد سبق عرض ذلك فقد بدأ التواجد اليهودى فى العراق فى عهد الإمبراطورية الآشورية العراقية الأخيرة الذى دام ثلاثة قرون ما بين (٩١١ : ٦١٢ ق.م.) وذلك حين طرد الآشوريون اليهود من فلسطين فى عدة حملات قاموا بها على فلسطين ، ونقلوهم أسرى إلى شمال العراق فى أماكن جبلية نائية وأحلوا محلهم أقوامًا من مختلف أنحاء الإمبراطورية [٢٣٧] ، ولقد أشار بنيامين التطيلى إلى العمادية الذى ذكر فى أثناء رحلته أن بها خمسة وعشرين ألف يهودى وفى شكل جماعات منتشرة فى أكثر من مكان من جبال أوراس عند تخوم بلاد مادى ويهودها من بقايا الجالية الأولى التى أسرها شلمناصر ملك آشور يتكلمون بلسان الترخوم [٢٣٨]، وهذا القول مبالغ فيه فلقد اختلط أغلب اليهود بغيرهم من العناصر الساكنة فى المنطقة ، وذكر ياقوت أنها كانت حصنًا للأكراد .

ويرى أحمد سوسة أنه كانت هناك بقايا ليهود شمال العراق قبل هجرتهم الحالية إلى إسرائيل[٢٣٩] منتشرين فى العمادية العقر ودهوك وزاخو والزيبار وبروارى العليا والسفلى والمزورى والدرسكى ولهم قريتان مختصتان بهم وهما صندرو فى منطقة دهوك وبيت النور[٢٤٠].

ثم جاء السبى البابلى ، والدولة البابلية الكلدانية دام حكمها ٧٣ عامًا بين سنة (٦١٢ - ٥٣٩ ق.م.) وقضت على مملكة يهوذا فى عهد نبوخذ نصر الثانى (٦٠٥ - ٥٦٢ق.م) فى حملتى ٥٩٧ ق.م ، ٥٨٦ ق.م ، وتم نقل اليهود لبابل ولقد اندمج اليهود فى البيئة الجديدة ولكون بابل مركزاً تجاريًا كبيراً ، اشتغلوا بالتجارة وعملوا كصناع وزراع وكأجراء .

اشتهر اليهود الأغنياء فى بابل بعدم الكرم وعدم الود وفى أحد نصوص المشنا الرابى ناثان بت آبا " إن اليهود الأغنياء فى بابليون فليذهبوا إلى الجحيم " سيبتاى بن ماريتوس ذهب إلى بابليون وطلب عمل ، ورفض أن يعطوه وطلب مساعدة رفضوا " هؤلاء الناس جاءوا من نسل خليط من الدهماء الذين خرجوا من مصر مع الإسرائيليين .

ولقد تجاهل بعض اليهود تطبيق العقيدة اليهودية وكانوا يعملون فى السبت ويهملون عيد الغفران و Crayzel يرى أن أغلب يهود بابل خضع لإغراء البيئة .

ولما فتح قورش الإخمينى الفارسى بلاد بابل ٥٣٩ - ٥٣٨ ق.م. وسار فى فتوحه حتى احتل سوريا وفلسطين سمح لمن أراد من يهود الأسر البابلى العودة إلى فلسطين وعاد جزء منهم وآثر الباقون الإقامة فى بابل ، ولقد بقى عدد من أثرياء اليهود واشتغل عدد منهم بالربا الفاحش الذى كان يصل إلى ٤٠٪ أو ٧٠٪ وفقًا لحفائر بابل من عهد دارا الأول (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) وارتحششتا الأول (٤٦٥ - ٤٢٥ ق.م) وكانت هناك شركة تمتلكها عائلة يهودية تسمى الموارشو (٢٤٢)، ولقد استولى الإسكندر على بابل بعد المعركة الشهيرة مع دارا الثانى ملك الفرس ٣٣١ ق.م وأكره يهود بابل على المشاركة فى بناء هيكل بيل وعاملهم بقسوة وأخذ منهم غرامة مالية ولكنهم كالعادة استرضوه ودخلوا فى جيشه إلى جانب المقدونيين ، وبعد وفاة الإسكندر دخلت العراق وسوريا فى أملاك قائد سلوقى . وبعد وفاة الإسكندر جاء البارثيون ١٣٩ - ٢٢٦م ، وتدخل الرومان فى أمورهم ثم جاء الساسانيون ٢٢٦ - ٦٣٧م ، ولقد استمر وجود اليهود خلال تلك الفترة الزمنية وفى البداية اضطهدهم الفرس ، ولكن استطاعوا كسب ودهم ، وإن كان الفرس يعاودون اضطهادهم على فترات زمنية .

وأثناء الصراع الفارسى الرومانى لحق بهم أذى وخاصة مدرستهم على نهر دعة . ولقد هاجر عدد من يهود فلسطين إلى العراق ، ولقد قام اليهود بثورة فى عهد قباذ الأول قام بها رأس الجالوت مارزوطرة ٤٧١ - ٤٩١م وذلك بسبب إعدام الفرس لمارا إسحاق رئيس مدرسة ماحوذى اليهودية (٢٤٣) ويرى كرنكل فى كتابه إسرائيل وبابل " أن علم الاثار قد برهن على أن المقومات الأساسية للتوراة هى بابلية صرفة ولقد كتب التلمود الذى حمل اسم التلمود البابلى فى بابل " .

الأكاديميات اليهودية :

ولقد اشتهرت عدد من المدن العراقية بعد السبى البابلى أكاديميات فقهية يهودية وتسمى بالعبرية مثيبا وتخرج من هذه الأكاديميات كثير من العلماء والربانيين تعاونوا على إخراج التلمود البابلى وعملوا على تطبيقه على الطائفة اليهودية فى العراق ومرت الأكاديميات بثلاث أدوار ، الأول : على يد التنائيم الفلسطينيين الذين لجأوا إلى العراق فى فترة الحكم الرومانى حوالى ١١٠م (٢٤٤). الثانى : يشمل كبريات المدارس الدينية فى العراق واستمر

إلى عام ١٠٣٠م / ٤٢٥هـ حيث أغلقت فى خلافة القادر بالله . الثالث : أواخر العصر العباسى ١١٣٦-١١٦٠ / ٥٣١ - ٥٥٥ هـ فى خلافة المقتفى إلى دخول المغول مدينة بغداد ١٢٥٨م .

ومن أشهر المدارس اليهودية الدينية مدرسة سورا والتى أسست حوالى ٢١٩م ، واستمرت فى العصر الإسلامى ولقد ذكر ياقوت فى معجمه أنها قريبه من الوقف والحلة المزيدية (٢٤٥). وكانت مقر رأس الجالوت (Yeshivot) ورؤساء المثيبة قبل انتقالهم لبغداد ، وكانت المدرسة الأخرى التى ساهمت فى وضع التلمود البابلى مدرسة فومبديثة ويلى أمرها (Exilarch Resh-ha golah) وهذه المدينة كانت معروفة فى زمن بنيامين التطيلى فذكر أن بها نحو ١٠٠٠ يهودى منهم علماء وفقهاء وأسست فى أواخر القرن الثالث (٢٤٦). والبعض يعتقد أنها مدينة الحديثة وكانت القرى والإقليم شرق العراق يخص الإكسلارخ والجنوب ويشمل اليمن أيضًا تحت سيطرة جائون فومبديثا . ولقد رحب اليهود بالمسلمين ، فلم يفرض المسلمون عليهم إلا الجزية ولقد أوردت الروايات اليهودية قصصًا خيالية عن أن رأس الجالوت فى خلافة عمر بن الخطاب ٦٣٤-٦٤٤م/١٣-٢٣هـ. وهو بستناى بن حيننای ٦٤٠ -٦٦٠م/١٩ -٤٠هـ، فذكروا أنه من سلالة آل داود وذكرت قصص خرافية عن ميلاده بحلم للملك الفارسى عن طفل سيولد ويكون له أثر كبير وسلالة ، وذكرت القصة أنه بعد الفتح الإسلامى عينه عمر بن الخطاب أكسلارخ وزوجه أميرة فارسية وأنجب منها أبناء ، بالإضافة إلى ما أشاعوه إلى أن علي بن أبى طالب ٦٥٦-٦٦٠م /٣٦-٤٠هـ ، مر بمدن نيروز شابور " الأنبار " ، وخرج لاستقباله مار أسحق رئيس المثيبة فأكرم على بن أبى طالب وفادته وأقره فى منصب أعطاه حقوق جاثليق النصارى ، وواضح أن الروايات ليس لها أى سند فى المصدر الإسلامى .

وكان عمر قد أرسل يهوداً من خيبر إلى جنوب الفرات وخاصة إلى الكوفة وأصبحت الكوفة مركزاً تجاريًا وتعليميًا ، وشارك اليهود فى النشاط التجارى(٢٤٧) ، كذلك كان هناك تواجد يهودى فى البصرة فنجد أسماء طلبة وعلماء يهود فى وثائق البصرة .

وكان دخول اليهود من القبائل العربية المتهودة فى الجزيرة العربية إلى العراق فى عهد الخليفة عمر ١٣ - ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٣م .

ولقد اختلطوا بعد مجيئهم إلى العراق بالمزارعين واعتنق جزء منهم الدين الإسلامى وجاءوا بماشيتهم وممتلكاتهم وصفتهم القبلية بعد أن عوضهم الخليفة عن ممتلكاتهم عدا المنقولة واستقروا فى منطقة الفرات الأوسط فى سوريا والعراق .

وكانوا لا يعلمون شيئًا عن التلمود فرفضوه وانضموا إلى ثورة عنان بن داود زعيم القرائيين الذى يناهض التلمود ويدعون إلى الاكتفاء بالتوراة .

وكان يهود الفرات على صلات بالعرب المجاورين لهم ، وكانوا يعقدون معهم أحلافًا ويتاجرون معهم ويهود الكوفة كان أغلبهم من يهود نجران الذين أجلاهم عمر بن الخطاب ولقد ادعوا أن عمراً استثنى نصارى تغلب وأهل نجران من دفع الجزية وذلك استجابة لاحتجاجهم على إخضاعهم لرسم الجزية باعتبارهم من القبائل العربية أو التى تربطها بالعرب وشائج القربى وخضوعهم إلى هذه الرسوم يعتبر إهانة وأسسوا مستعمرة سموها باسم بلدهم نجران ، كما انتقلوا إلى قرية قرب نهر إبان واندمجوا بالمحيط الإسلامى(٢٤٨) .

أسبانيا - الأندلس :

رغم أن أسبانيا قطر أوربى ، فلقد دخلت فى إطار الدولة الإسلامية بعد فتوح المسلمين لها ، والأندلس يطلق على أسبانيا الإسلامية والبرتغال الإسلامية وهو مشتق من فاندلوسيا Vandaluci ، ولقد أشار يوسفيوس إلى أسبانيا وأصل أهلها فى تصوره" لما خلق الله بنى آدم وفرقهم فى الأرض مضى بنو كتيم إلى أسبانيا وأقاموا بها ، ومضى بنو تبال إلى أرض يوسبيا وأقاموا هناك وبنوا مدينة سموها أسبانيا على اسم البناء الذى بناها .

وأشار لتواجد بنى إسرائيل فى زمان رومانوس ، "لقد غلب داود الملك بنى إسرائيل على الشام ،قتل منهم مقتلة عظيمة ، وهرب منهم جماعة إلى بلاد الكيتم ، فأعطاها رومانوس موضعًا على ساحل البحر بالقرب من الجبل ، فابتنوا هناك مدينة سموها باسم صاحبها الذى هرب من داود ". والقصة كما هو واضح خرافية ولكن هى محاولة لإيجاد صلة عبرية ليهود أسبانيا (٢٤٩).

ويشير أشتور فى كتابه عن يهود أسبانيا أن اليهود ، تواجدوا فى أسبانيا قبل وصول قبائل القوط وحين غزت تلك القبائل أسبانيا واحتلتها تركوا أماكنهم وحمل كل شخص السلاح (٢٥٠).

ويذكر أن يهود أسبانيا مختلفون عن بقية اليهود فى الدول الأخرى ، فاليهود ليسوا طبقة من المستعمرين الأجانب بل عنصر وطنى اعتنق عادات السكان الآخرين وطريقة حياتهم ووضعهم الاقتصادى .

ونستطيع القول أنه لايوجد اختلاف فهناك العديد من الأقطار تمت فيها عملية التهويد بين بعض العناصر الوطنية .

ولقد عمل اليهود فى الزراعة وكان هناك صناع وحرفيين ، وهذا يؤكد أن غالبيتهم كانت عنصراً محليًا ، ويشير آبا إيبان لوجود زواج مشترك حوالى ٣٠٠م ، ومجلس دينى مسيحى فى أسبانيا وهو مجمع Elvire الفيرا منع الكاثوليك من السماح لبناتهم من الزواج من هرطقى أو يهودى. وكان العقاب النفى لمدة خمس سنوات ، ومنعوا قيام العلاقات الاجتماعية بل حرموا تناول طعام مشترك مع اليهود سواء رجال الدين أو الأفراد العاديين (٢٥١).

ويحاول أشتور أن يرجع بدايات الاضطهاد فى فترة حكم القوط إلى الفترة التى تحول فيها القوط من الأريوسية إلى الكاثوليكية ولعام ٥٨٦م بالتحديد ، حيث تغير موقف القوط ، وهنا يختلف مع آبا إيبان الذى أرجعها لعام ٣٠٠م ، فيذكر أن هذا العام بدأت عملية الاضطهاد والقتل .

والمجامع الدينية التى عقدت فى العاصمة أصدرت العديد من القرارات ضد اليهود ، وكان الرهبان المتعصبون قد أخذوا موقفًا معاديًا من اليهود ، وسعى الملوك مع رجال الدين للتخلص من اليهود فى أسبانيا والضغط عليهم لكى يتركوا دينهم .

وأما دوزى فيرجع الاضطهاد إلى عام ٦١٣م ، حيث أمر الملك سيسبوت Sisbut بأن يعتنق جميع اليهود المسيحية أو يتركوا أراضى أسبانيا وترتب على هذا أن اعتنق الآلاف المسيحية ، وآلاف غيرهم تركوا أسبانيا ويحددهم دوزى بنحو ٩٠ ألف (٢٥٢).

وسوينيلا Swinnila الذى خلف سيسبوت فقد ألغى القانون السابق وسمح لليهود بالعودة إلى دينهم ، وسمح للذين خرجوا إلى المنفى بالعودة ، ولكن بعد أن استتب له الأمر وفرض سلطانه على البلاد واطمأن للأمور عقد مجمع طليطلة ٦٣٣م ، وقرر أن اليهود الذين اعتنقوا المسيحية يجب أن يظلوا مسيحيين ، وأن الكنيسة ستقوم بمتابعتهم للتأكد من ذلك .

ثم عقد مجمعًا فى ٦٣٨م ، وعرف بمجمع طليطلة السادس، قرر أن القوط الغربيين لن يتسامحوا مع أى شخص لا يعتنق الكاثوليكية ، وأعلن المجمع أن أى حاكم يتولى عرش مملكة القوط عليه أن يقسم بأنه سوف ينفذ القانون ضد اليهود ، وكان الحاكم آنذاك شنتيلا

Chintila الذى حقق رغبة رجال الدين وأدى هذا لإجبار اليهود على اعتناق المسيحية والتوقيع على إقرار بطلب متابعة الكنيسة لهم .

وكان الحاكم التالى شينداسونس Chindaswinith ررفع هذا الحظر ، فعاد اليهود إلى عقيدتهم وعاد المنفيون خارج البلاد (٢٥٣).

ولكن خليفته ريسيزونس Receswinth كان أكثر تعصبًا من جميع من سبقوه ، ففى مجمع طليطلة الثامن ، والذى عقد فى عام ٦٥٣م أعاد قرارات مجمع ٦٣٣م ، وأجبر اليهود على العودة للمسيحية ، وزاد أن من يظل على يهوديته سيقتل بأيدى زملائه الذين تركوا الديانة اليهودية ، كذلك أضاف قانونًا آخر لليهود الذين لم يعتنقوا المسيحية فحرمهم من ممارسة عبادتهم وحد من حقوقهم المدنية .

وقام اليهود بدورهم بالانضمام إلى الثائرين ضد الحكم القوطى ، وفى عهد الملك ومب Wamb (٢٥٤)، تعاون اليهود مع حاكم ولاية نميس Nimes الذى وعدهم بإعطائهم حرية دينية، ولقد طرد اليهود من ناربونا وجزء كبير من جنوب بلاد الغال والتى تخص القوط الغربيين . وبعد تولى الملك إرفج Ervig عقد مجمع طليطلة الثانى عشر وطلب أن يبذل كل الجهد لطرد اليهود من أسبانيا وأمر المجمع بأن على جميع اليهود أن يعتنقوا المسيحية خلال عام وأن على رجال الدين المسيحى أن يعلموهم تعاليم المسيحية ، وأن على كل يهودى اعتنق المسيحية أن يخطرهم من أى يهودى عن رفقائه السابقين خالف تعاليم المسيحية ومع ذلك فقد حد من حقوقهم المدنية .

الملك إيجيكا Egica اتخذ خطًا مخالفًا بدلاً من أن يجبر اليهود على اعتناق المسيحية بالقوة ، فقد قرر أن يلجأ إلى وسائل الترغيب ، فقدم لمن يعتنق المسيحية ويتمسك بتعاليمها عدداً من المزايا ، ومن يظل على عقيدته عليه أن يبيع للملك جميع خدمه ومنازله التى اشتراها من المسيحيين وأن تسلم للكنيسة ، ومنعهم من المتاجرة مع المسيحيين فى مملكة القوط أو المتاجرة مع الأقطار الخارجية .

ويذكر أشتور أنه رغم السياسة العنيفة التى اتخذها القوط ضد اليهود ، فمازال هناك بعض التواجد اليهودى فقد اعتاد اليهود رشوة النبلاء ، فلم يكونوا ينفذون القانون بحذافيره، بل تغاضوا عن نصوصه فى بعض الأحيان (٢٥٥).

وفى عام ٦٩٤م شارك اليهود فى مؤامرة ضد القوط مع يهود الشمال الإفريقى من القبائل المعتنقة لليهودية ، حيث كان هذا الجانب ملجأ لليهود المقيمين فى أسبانيا . لذلك اتفقوا فيما بينهم على أن يثور اليهود فى عدة نواح دفعة واحدة فى اللحظة التى يرسو فيها يهود أفريقيا على شاطىء أسبانيا ، لإعداد قوة لتحريرهم ، ولكن علم بها الملك إيجيكا فاتخذ الاحتياطات اللازمة . واتخذ مجلس طليطلة الذى عقد فى هذه السنة إجراءات أشد قسوة فقد أمر أن يسلم اليهود إلى سادة مسيحيين كعبيد لهم ويعبروا خلال أراضى المملكة . وأقسم السادة على عدم تحرير اليهود ومراقبة تطبيقهم لتقاليد الكنيسة .

وأمر أن يأخذ الطفل الذى يبلغ السابعة من أطفال اليهود حتى يتعلم الجوانب الروحانية من العقيدة المسيحية ويتزوج من مسيحية ، وصودرت أملاكهم . والملك Witiza ويتزا أهمل تطبيق التعاليم السابقة لكن رودريكو (لزريق) Roderick كان أكثر تعصبًا وحاول محو اليهودية من أسبانيا ولذلك فإن اليهود رحبوا بالمسلمين ، ووجدوا فيهم الخلاص من الاضطهاد. ولقد دعم العرب المعارضين لحكمه من بيت ويتزا الملك السابق الذى تخلص منه رودريكو ، ولقد سعى الفلاحون وصغار الملاك للتخلص من ظلم كبارهم .

واتفق أولاد ويتزا (غطيشة) مع الكونت يوليان والى سبتة على الاستنجاد بالعرب وإجازتهم للأندلس انتصر العرب على لزريق فى معركة حاسمة عرفت بواقعة وادى الطين قتل فيها ملك القوط ، وأرسل المسلمون جيشًا لقرطبة ، ثم استولوا على مدينة استجة صلحًا ، وتم فتح أوديتها ودخلوا قرطبة (٢٥٦)، ويذكر أشتور أن يهود قرطبة قبعوا فى منازلهم بلا خوف من القادمين فهم يمثلون لهم الأمل ، وبعد فتح مدينة قرطبة عاملهم العرب معاملة حسنة وجعلوا منهم حراسًا لبعض أبواب المدينة ، ولقد رحب اليهود بالمسلمين فى جميع المدن والقرى فى أسبانيا ويردد دوزى نفس المعنى (رأوا أن العناية الإلهية قد قيضت لهم منقذين هم الفاتحون العرب الذين فرضوا عليهم جزية تافهة وردوا عليهم حريتهم وسمحوا لهم بممارسة شعائرهم) (٢٥٧).

وأخذ اليهود فى الثورة فى كل مكان وفى التمرد على القوط وعاونوا المسلمين فى العديد من المدن كطليطلة التى أبقاهم طارق فيها .

كذلك فى إشبيلية حيث هرب من بها من القوط وأنزل موسى بن نصير بها أعداد من اليهود ، ولقد ذكر صاحب "الأخبار مجموعة " مضى ليلحق بجيشه المتوجه إلى البيرة فحصروا مدينتها فافتتحت ، فالتقوا بها يومئذ يهوداً ، وكانوا إذا لقوا اليهود ببلدة ضموهم إلى مدينة البلدة ، وتركوا معهم من المسلمين طائفة ومضى معظم الناس ، ففعلوا ذلك بغرناطة ومدينة البيرة .

فاليهود تعاونوا مع المسلمين الفاتحين الذين أحسنوا معاملتهم وسمحوا لهم بسكنى المدن الإسلامية ، ولم يعاملوهم معاملة القوط بالإجبار على ترك الدين وازدرائهم اجتماعيًا وحصرهم فى المهن الوضيعة فقط .

ونلاحظ أن يهود الأندلس خاصة لعبوا دوراً هامًا فى تاريخ يهود العالم الإسلامى وأصبحت الأندلس مركزاً حضاريًا وثقافيًا زاهراً شارك اليهود فى نشاطه ، والحقيقة الأخرى أن يهود أسبانيا ظلوا على صلة بيهود المغرب ، وكانت حركة اليهود عامة فى العالم الإسلامى ذات خصائص معينة فمع الشعور ببادرة خوف أو خطر تبدأ الهجرة من أسبانيا إلى المغرب ثم إلى مصر وبالعكس . فاليهودى يتحرك مع تحرك رأس المال والاستقرار الاقتصادى . ولكن رغم هذا فبعد فترات القلاقل يعود أغلبهم إلى مواطنهم الأولى .

ولقد ظل يهود الأندلس أكثر يهود العالم الإسلامى ثقافة ، ومع الفتح جاءت إلى الأندلس جموع يهودية من المغرب . أما بخصوص علاقاتهم ومدى اندماجهم فى المجتمع الإسلامى وأحيائهم السكنية ونشاطهم فسيأتى فى الفطل الخاص بالاندماج .

الهوامش :

١ - يذكر مارك كوهين أن عدد الوثائق المعروفة من جنيزة القاهرة مئات الآلاف ، وأن ما هو مكتوب بالعربية حوالى عشرة آلاف بعضها كتب بالعربية بأحرف عبرية .

٢ - هناك قائمة بالمقالات والدراسات التى تتناول تاريخ اليهود بعنوان Bibligraphical Essays in Medieval Jewish studies : The Study of Judaism,2 Vols N. Anti Defamation leaque of B'Nai B'Rith published. Ktav publishing house. N.;Y. 1976

وهناك مقالة خاصة بالمقالات التى كتبت عن تاريخ الإسلام وعلاقة اليهود بعنوان :

The Jews under Islam : From the rise of Islam to sabbatai Zevi , by Mark, r. Cohen

ويذكر أن هناك العديد من الدراسات لغير المتخصصين وللراغب فى القراءة العامة فى تاريخ اليهود مثل:

Shlomo Shunami's Bibliography of Jewish Bibliographies The index of Articles on Jewish studies, Charles Berlin's index of Articales of Jewish studies .

ومجموعة بن ساسون بالعبرية (Toledot Am Yisrael) وتعنى History of Jewish People .

٩ - محاور الندوة الدولة التى عقدت فى معهد الدراسات اليهودية وجامعة لندن والتى أشرف على إصدارها دانييل فرانك بعنوان : , The Jews of Medieval Islam Community society and Identity 1992 .

شملت الموضوعات التالية تقديم عن مدن العصور الوسطى الإسلامية لنورمان شتلمان ، ثم المجتمعات ورؤساؤها فى العراق وأسبانيا وشمل أبحاث لكل من :

المحور الأول :

Menahem Ben sason , Moshe Gil , Gideon Libson, Davis wasserstein, YomTov, Assis .

المحور الثانى : . Self Perceptions and Attitudest towards Others

وشمل مقالات : Yedida kalfon stillman, mark cohen, Daniel Lasker , Sarah stroumsa, Daniel frank .

المحور الثالث : عن الدين والفلسفة والمعتقدات والجوانب الروحانية فى الإسلام واليهودية .

وشمل مقالات : . David. Sklare, Alfred Ivry, Paul Fenton Tzvi. Langermann

١٠ - القدس : دراسات فى تاريخ المدينة ، تحرير البروفيسور أمنون كوهن ، ترجمة سلمان مصالحة ، ياديتسحاق بنى تسفى ، القدس ١٩٩٩م.

11 - Abba Eban : Heritage Civilization and the Jews, N.Y .

١٢ - إسرائيل شاحاك : التاريخ اليهودى الديناة اليهودية وثلاثة آلاف سنة ، ترجمة صالح على ، بيروت ١٩٩٥م ، ص ٣٧ .

١٣ - جدع جلادى : إسرائيل نحو الانفجار الداخلى ، نشر دار البيان ١٩٨٨م .

14 - Mark Cohen : Persecution, Respose and collective Memory : The Jews of Islam in the classical period 145 - 165 , in jews of Medieval Islam .

15 - Jacob Mann : Text and studies in Jewish History and literarure N.Y. 1931 .

Goitein : Amedirerranean Society 5 vols , Calfornia .

" " " : Jews and Arabs their contacts trough Ages. N.Y .

١٦ - كستلر : القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم ترجمة أحمد نجيب هاشم ، القاهرة ١٩٩١ .

17 - The Chronicle of Ahimaaz. Trans , Mercus Salzman : Columbia Univ. 1924, Columbia Univ. Oriental Studies, Vol. XVIII .

١٨ - السموءل بن يحيى بن عباس : هداية الحبارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، تحقيق أحمد حجازى السقا ، دمشق ١٩٩٦.

١٩ - ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبى عبد الله ، ت ٧٥١ : أحكام أهل الذمة ، جزءان ، تحقيق طه عبد الرؤوف ، بيروت ١٩٩٥م.

٢٠ - الشهرستانى ت ٤٤٨م : أبو الفتح محمد : الملل والنحل ، هامش من كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم، القاهرة ١٣١٧هـ .

٢١ - شلومو دوف غويتاين : القدس فى الفترة العربية ٦٣٨ - ١٠٩٩ ، مقالة ١١ - ٣٤ ، كتاب القدس دراسات فى تاريخ مدينة القدس ، ١٩٩٠ .

٢٢ - حواء لاتسروس يافة : قدسية القدس فى الإسلام مقال ص٣٥ - ٤٥ ، كتاب القدس دراسات فى تاريخ المدينة ، القدس ١٩٩٠.

٢٣ - كذلك ما كتبه يهوشواع برافر فى مقاله : القدس فى المفاهيم الدينية المسيحية واليهودية ٤٥ - ٦٩ كتاب القدس ، ١٩٩٠ .

٢٤ - دنلوب : تاريخ يهود الخزر ، ترجمة د. سهيل زكار ، دمشق ١٩٨٦م .

٢٥ - المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥م .

الأشكناز : هم أساسًا يهود شرق أوربا الذين يتحدثون اليديشية وكانت الكلمة تستخدم أصلاً للشعب الذى يعيش على حدود أرمينيا فى أعالى الفرات ثم أصبحت تسير إلى يهود ألمانيا فى العصور الوسطى ، ص ٧٦ .

26 - Adler : Jewish Travellers obadiah da Bertinoro, p. 204 , London 1930 .

27 - Adler : Jewish Travellers "Meshullam Ben Manahem of Volrerra, p. 156 - 208 .

٢٨ - ظاظا ، الفكر الدينى اليهودى أطواره ومذاهبه ، بيروت ، ص ١٠٨ - ١٢٨ .

٢٩ - جيتو : هو الحى المقصور الإقامة فيه على أحد الفئات الدينية والقومية ولكن كلمة جيتو تستخدم بوجه خاص لأحياء اليهود فى أوربا ، المسيرى : الموسوعة ص ١٥٤ .

30 - Goitein : Cairo an Islamic City" in Middle Eastern cities of Medieval Islam Ed IRa Lepidus. pp. 8 - 102 .

٣١ - مارك كوهين : المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، ترجمة شيرين مراد ، وسمير النقاش . المعهد اليهودى العربى ، جامعة تل أبيب ١٩٨٧م .

،32 - Stillman : The Eleventh century Merchant house of Ibn Awkal . journal of Economic and social history of orient, vol XVI , part 7 .

٣٣ - إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ، القاهرة ١٩٣٦ ، المقدمة من أ.ط.

٣٤ - مارك كوهين : المجتمع اليهودى ، ص ٧٢ - ٧٨ .

٣٥ - إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ، المقدمة .

٣٦ - مارك كوهين : المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، ترجمة شرين مراد وسمير نقاش ، ص ٧٢ - ٧٨.

٣٧ - ابن كمونة : تنقيح الأبحاث لمل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام ، دار الأنصار .

٣٨ - ابن حزم : الرد على ابن النغريلة ، ١٩٦٧م .

٣٩ - ابن حزم ، نفس المرجع .

40 - Mark Cohen : Self Government in Medieval Egypt .

٤١ - إسرائيل ولفنسون : استعملها إسرائيل ولفنسون ، ص ١١ تاريخ اليهود فى بلاد العرب .

42 - Gorden Dernell Newby : A History of The Jews of Arabia from Arncient times to their Eclipse under Islam .

43 - Moshe Gil : A History of Palestine 639 - 1099, p. 491 .

44 - Goieten : Jews and Arabstheir contact through ages N.Y. 1974 .

45 - G.Garbini : History and Idology in Ancient Asreal .

٤٦ - روجيه جارودى : ملف إسرائيل ، دراسة للصهيونية السياسية ، ترجمة مصطفى كامل فودة ، ص ٥١ - ٥٢ .

٤٧ - كستلر : القبيلة الثالثة عشر ، ص ٢٨ - ٢٩ .

٤٨ - كستلر : المرجع السابق ، ص ١٨٠ - ١٨٤ .

٤٩ - الأغيار جوييم وهى صيغة الجمع للكلمة العبرية جوى والتى تعنى شعب وقوم ، وقد كانت تنطق فى باديد الأمر على اليهود وغير اليهود ، ولكنها استخدمت للإشارة للأمم غير اليهودية دون سواها ، ومن هنا كان المصطلح العربى الأغيار ، المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ١٩٧٥ ، ص ٧٨ .

٥٠ - السفرديم : كان المقصود بهم يهود أسبانيا فى البداية وحوض البحر الأبيض المتوسط ، عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ١٩٧٥م ، ص ٢١٣ .

٥١ - الأشكناز : فى الكتاب المقدس شعب من مكان ما على مقربة من جبل أرارات وفى سفر التكوين الإصحاح ١١ ، ١٢ .

الأشكنازيون : اشكنازيم بالعبرية هم أساسًا يهود شرق أوربا " روسيا ، بولندا " الذين يتحدثون اليديش واشكناز هو أحد أحفاد نوح ، وكانت الكلمة تستخدم فى بادىء الأمر للإشارة للشعب والبلد الموجودين على حدود أرمينيا فى أعالى الفرات ، ولكنها فى العصور الوسطى أصبحت تشير إلى الأراضى الأوربية التى يسكنها الجنس الجرمانى ، ثم أصبحت تشير إلى المانيا ، ولكن لم يستقر الإشكنازيون فى ألمانيا فبعضهم استوطن فى شمال فرنسا وشرقها والنمسا وروسيا ، كما هاجر بعضهم إلى شرق أوربا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص ٧٦ .

* - سفارديم تشير إلى مكان شمال فلسطين نفى إليه اليهود بعد السبى البابلى ، لكن معنى الكلمة تغير وأصبحت تدل على الفكر اليهودى فى العصور الوسطى على شبه جزيرة أيبيريا التى تضم أسبانيا والبرتغال وأطلق على نسل أولئك اليهود الذين عاشوا أصلاً فى أسبانيا والبرتغال مقابل الإشكناز الذين كانوا يعيشون فى ألمانيا.

وتدعى الصهيونية بأن الجذور العرقية للسفارديم يمتد فى تاريخها البعيد لتتصل بالعرق السامى الذى دخل إلى أسبانيا عقب سقوط مدينة القدس على والتى على أثرها توزع اليهود فى أنحاء الإمبراطورية ، المسيرى، ص ٢١٣ .

٥٢ - كستلر : القبيلة الثالثة عشر ، ص ١٨٠.

53 - Mosh Gil : Palestine , p. 14 .

٥٤ - فراس السواح : آرام دمشق وإسرائيل ؛ فى التاريخ والتاريخ التوراتى ، دمشق ١٩٥٥ ، ص ١٦١، ص ١٦٤ ، ماهر سمك : اليهود فى المغرب .

٥٥ - فراس السواح : نفس المرجع ، ص ١٦٤ - ١٦٦ .

٥٦ - سيجموند فرويد : موسى ، واجهت نظرية فرويد دراسات ونقد من عدد من الباحثين وهناك دراسة ثانية له بعنوان اليهودية .

٥٧ - جواد على ، ط ١ ص ٦٣١ ؛ حسن ظاظا : الفكر الدينى ، أيوب : الإصحاح الأول ، كانت كل الدلائل فى سفره تدل على أنه من العرب ، فقد كان من أرض عوص UZ وإن اختلفت العرب فى مكانها ، فالراجح أنها فى بلاد العرب بل أن البعض اعتبر هذا السفر هو الترجمة لأصل عربى مفقود .

٥٨ - حسن ظاظا : الفكر الدينى ، إعداد دراسة شاملة على التوراة .

٥٩ - مصطفى كمال عبد العليم : اليهود فى العالم القديم ، بيروت ١٩٩٥م ، ص ٣٤ .

٦٠ - سفر التكوين إصحاح ٢١/٢١ ، أور : أقدم مدن العراق واتخذها السومريون عاصمة لهم ، وكانت مركزاً أدبيًا هامًا ، حامد عبد القادر ، الأمم السامية مصادرها وتاريخها وحضارتها ، القاهرة ١٩٨١م.

العموريون : قدر بهم خلال ٢٢٠٠ق.م. دخلوا فى صراع ووصلوا إلى نهر الفرات . وأقاموا فى الفرات مثل بارى وبابليون ، وقلدوا السومريون والأكاديين فى حضارتهم ، وبقية العموريين اقتحموا كنعان القديمة .

Atlas of Jewish History by Dan Cohen , sherbok, London, 1994 .

٦١ - سفر التثنية ٢٦/ ٥

62 - Dan Cohen sherbok Atlas of Jewish, p. 10 .

يشير د ، حسن ظاظا : أن الذين خرجوا مع موسى عليه السلام من مصر هم بنو إسرائيل كما ينص القرآن، أما رأى فرويد لادليل عليه ، الفكر الدينى اليهودى أطواره ومذاهبه .

٦٣ - فرويد : نظرية فرويد فى التاريخ اليهودى (موسى مصريًا) محمد العزب موسى ١٩٦٩، ص ٥٤ - ٥٧

٦٤ - مصطفى كمال عبد العليم : اليهود فى العالم القديم ، ص ٧١ .

٦٥ - الختان : ورد عن الختان فى سفر التكون ١٧ " أخذ إبراهيم اسمعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم .

٦٦ - وتذكر التوراة أنهم وفدوا من جزيرة كريت ، سوسة ، ص ١٦ .

٦٧ - صموئيل الثانى إصحاح ١١ ، أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد اليست هذه بتشبع. بنت البغام امرأة أوربا الحيثى فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت أنى حبلى .

٦٨ - سفر الملوك الأول / ١١ .

٦٩ - حسن ظاظا : الفكر الدينى اليهودى ، ص ٤٧ - ٤٨ .

٧٠ - جواد على : جـ١ ، ص ٦٣١ من علما والتوراة من يرى أن أيوب صاحب السفر المحرر باسمه سفر أيوب وهو من أسفار التوراة وهو رجل عربى ، التوراة أنه عوص والبعض ذكر شرق فلسطين أو فى جنوب شرق أى فى جزيرة العرب أو فى بادية الشام ، أيوب السفر الأول آيه ١٤ .

٧١ - المسيرى : غير اليهودى : أى زواج بين يهودى وامرأة من الأغيار فإن ثمرة الزواج هى ماميزير ومعناها طفل يهودى غير شرعى والماميزير منزلته أقل من منزلة اليهودى العادى لأنه ثمرة علاقة جنسية محرمة من وجهة نظر نصوص الخمسة والشريعة الشفوية ، ويحرم على يهودى المولد الزواج من ماميزر أو متهود ، تحرم اليهودية الزواج من اليهود الأغيار فقد جاء فى سفر التثنية ٣/٢٣ لا يدخل عمونى ولا مؤابى

فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، لا يدخل منهم أحد فى جماعة الرب إلى الأبد ، وكان التحريم فى البداية على الكنعانيين ولكنه أصبح يشمل كل الأغيار ، اليهود واليهودية والصهيونية ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، جـ٥ ، ص٢٥٤.

٧٢ - سوسة ١٦ .

٧٣ - التكوين الإصحاح ١/١٢

٧٤ - ظاظا : إشارة لأن بنى بنيامين لم يطردوا البوسيين سكان أورشليم ، فكان البوسيون مع بنى بنيامين فى أورشليم ، القضاة ٢٦ .

٧٥ - سفر التكوين الإصحاح ٥/١٢ .

٧٦ - فراس السواح : آرام دمشق وإسرائيل فى التاريخ والتاريخ التوراتى . دمشق ١٩٩٥ ، ص ٢٩ -٥٢ .

٧٧ - فرويد ، موسى ص ٤٦ .

٧٨ - سوسة ١٦ ، كان العبرانيون القدامى وخاصة فى العصور الأولى من تاريخهم ينقسمون إلى اثنى عشرة قبيلة أو سبطًا سميت بأسماء أبناء يعقوب راؤبين وجاد وأشير وزبولون وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين ودان ونفتالى ... إلخ .

وسميت أرض كنعان الأسباط وظل التقسيم الفعلى قائمًا تحت حكم القضاة ، ولكن تحت حكم الملك شاؤل وداود وسليمان وحدت القبائل لفترة وجيزة وأقيمت مملكة موحدة ثم انقسمت إلى مملكتى يهوذا فى الجنوب وعاصمتها أورشليم ومملكة إسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامرة وسقطت المملكة الشمالية أيام الأشوريين وسقطت الثانية على يد البابليين ، مصطفى كمال عبد العليم ، ص ١٥٤ .

٧٩ - التوراة : التثنية ، الإصحاح الرابع والثلاثون .

٨٠ - مقالات فى تاريخ وديانة العهد القديم ، فراس أرام ص ١٦١؛ المسيرى : الموسوعة ص ٣٥٥ - ٣٧٠ .

٨١ - فراس : ص ١٥٨ ؛ ظاظا : الفكر الدينى ، ص ٤٠ - ٤١ .

٨٢ - مصطفى عبد العليم ، ص ١٥١ .

٨٣ - فراس السواح : أرام ، دمشق وإسرائيل فى التاريخ ، ص ٥٢ .

٨٤ - مصطفى كمال عبد العليم ، ص ١٥١ .

٨٥ - مصطفى كمال عبد العليم ، ص ١٥١ ، ١٥٣ .

٨٦ - التاريخ ٧١٥ - ٧١٤ آخاب وخزقيا ٦٩٧ - ٦٩٦ ق.م.

٨٧ - الملوك الثاني ١٨ / ١٩ / ٢٠ .

٨٨ - عزرا : الإصحاح الثانى ٥٩ .

٨٩ - مصطفى كمال عبد العليم ، ص ١٨٢ .

G.W. Anderson : The History and Religion of Israel , Oxford, pres .

٩٠ - نحميا : ١٣ ، ٢٣/٢٤/إلى ٣١

يوسيفوس : تاريخ يوسيفوس اليهودى ، المكتبة العمومية ، بيروت ١٨٦٦، ص ٢٩ .

91 - Margoliouth : The Relation between Arabs and Israelites prior to Rise of Islam London , P183 .

يرى اليهود أن السامريين هم البقية الباقية من الغرباء الذين عاشوا فى فلسطين فترة مابعد السبى واتجاههم فى الحج والقيبة نحو جبل جرذيم وليس إلى هيكل سليمان ، ص ٣٤ . اليهود فى عصر المسيح ، سيد محمد عاشور : دمشق الدار الشامية ١٩٩٣م .

٩٢ - يوسيفوس ، ص ٢٩ .

٩٣ - يوسيفوس ، ص ٧٣ .

٩٤ - يوسيفوس ، ص ٦٩ .

٩٥ - يوسفيوس ، ص ١١٣ .

٩٦ - يوسيفوس ، ص ١١٣ .

٩٧ - يوسيفوس ، ص ١١٣

عن اليهود والعصر الرومانى انظر : Dan Cohen sherbok: Atlas of Jewish History, London, 1994. p 7 , 48 .

٩٨ - يوسيفوس :الثورة اليهودية الثانية تزعمها بركوكبا من ١٣٢ - ١٢٥

٩٩ - كستلر ١٨٥ - ١٨٦

١٠٠ - إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود ، ص ٧٢ - ٧٥ .

Goitein : Jews and Arabs, p. 19 - 33 .

١٠١ - كستلر ١٨٥ - ١٨٨.

١٠٢ - كستلر ١٨٥ - ١٨٨

١٠٣ - كستلر ١٨٥ - ١٨٨ .

١٠٤ - أحمد سوسة : ملامح من التاريخ القديم يهود العراق ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص٤٠ .

١٠٥ - ياقوت الحموى : معجم البلدان بيروت جـ ٤ ، ص ١٤٩.

106 - Josephus : The Jewish war. England, 1970 , p. 175 .

١٠٧ - أشار بنيامين إلى أن ياقوت ذكر أنها كانت حصنًا للأكراد يدعى اشب وبعد خرابه عمره عماد الدين زنكى وسماه باسمه والمستوفى : نزهة القلوب نسب بنائها إلى عماد الدولة الديلمى من القرن الرابع وهو قول يخالفه جميع المراجع العربية ، ص ١٥٤ ،

108 - Margoliouth, : op , cit, p. 62 .

109 - Margoliouth, op. cit, p. 62 .

١١٠ - ابن كثير ، ص١٧٢ .

١١١ - ابن العبرى ، تاريخ ابن العبرى .

١١٢ - ابن هشام : السيرة النبوية ضبطها وعلق عليها عبد الرءوف سعد ، بيروت ، ١٩٧٥ جـ١ ، ص ٢٠ .

١١٣ - الطبرى : جـ٢ ، ص ١١٨ .

١١٤ - ابن قتيبة : المعارف ، لبنان ١٩٨٧م ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ . .

١١٥ - كتاب التيجان فى ملوك حمير سلسلة الذخائر القاهرة ١٩٩٦ ، ص ٣١١ - ٣١٢ ، كذلك أشار ابن كثير البداية والنهاية ص ١٧١ .

116 - Margoliouth, p. 62 .

١١٧ - ابن كثير : البداية والنهاية ص ١٧١ .

١١٨ - ابن هشام ، جـ١ ، ص ٢٨ .

١١٩ - ابن خلدون جـ٢ ، ص٢٨٣ .

١٢٠ - ابن كثير : البداية والنهاية ، القاهرة ٩٨ ، جـ٢ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

١٢١ - جواد على وابن هشام ، جـ١ ، ص ٣١ . جـ٢ ، ص ٥٩٧ .

Max Marscolis and Alexander Marx A History of the Jewish people , p. 240 .

١٢٢ - يربط بين سقوط مملكة الحميريين وسيطرة اليهود على طرق الشمال إلى جنوب تيماء وخيبر ووادى القرى ويثرب .

Newby, G.D.: A History of the Jewish of Arabia from Ancient Times to their Eclipse under Islam , p. 43 . p. 43 .

123 - Newby : op. cit., p. 40 - 43 .

124 - Newby : op. cit., p. 40 - 43 .

125 - Hirshberg, H.Z; A History of the jews in north Africa , leiden , 1974. p. 35 - 39 .

١٢٦ - ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ١ ، ص ٣٠ ، الأخدود : الحفر المستيطل فى الأرض كالخندق والجدول وجمعه أخاديد ، ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٠ .

١٢٧ - دانلوب ص ٣١٥ .

128 - Max. L. Margolis and Alexander Marx, A History of the Jewish people, U.S.A. 1977. p. 248 - 250 .

129 - Newbey : op. cit., p. 43 .

١٣٠ - دانلوب ١٨٥ .

١٣١ - كستلر : القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ، ص ٢٦ - ٣٣ .

١٣٢ - المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر التاريخ الذى ذكره غير صحيح اعتناق اليهودية يرجع إلى ٧٤٠م/١٢٣هـ.

١٣٣ - سبق توضيح إشكناز فى الكتاب المقدس شعب يعيش على جبل أراراط فى أرمينيا وورد الاسم فى سفر الكوين وأخبار الأيام وأراميا . وأصبح يطلق على يهود الغرب فى إسرائيل تميزاً لهم عن يهود الشرق السفرديم . ظاظا : الفكر الدينى ١٢٩ ؛ المسيرى : ص ٣١٧ .

١٣٤ - كستلر : القبيلة الثالثة عشر ، ص ٧١ - ٧٣ .

١٣٥ - كستلر : القبيلة الثالثة عشر ، ص ١٧٥ .

١٣٦ - كستلر : القبيلة الثالثة عشر ، ص ١٨٠ .

١٣٧ - كستلر : القبيلة الثالثة عشر ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

١٣٨ - المسيرى : اليهود واليهودية ، جـ٥ ، ص ١٥ - ٣٠ .

١٣٩ - ظاظا : الفكر الدينى ، ص ٥ - ٦ .

١٤٠ - المسيرى : الموسوعة ، ص ٧٦ .

١٤١ - المسيرى : اليهود واليهودية ، جـ٥ ، ص ٣١٩ .

١٤٢ - يوسفيوس : تاريخ يوسفيوس اليهودى ، ص ٢٩ .

١٤٣ - السموءل بن يحيى بن عباس المغربى : بذل المجهود فى إقحام اليهود ، بيروت ٨٩ .

١٤٤ - المسيرى : اليهود واليهودية ، جـ٥ ، ص ٣٢١ .

١٤٥ - ظاظا : الفكر الدينى اليهودى أطواره ومذاهبه ، دمشق ١٩٩٥ ، ٢١٠ ، ٢١٣ .

١٤٦ - المسيرى : اليهود واليهودية ، جـ٥ ، ص ٣٢٥ .

١٤٧ - إدورادر جيون : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، جـ١ ، ص ٢٧٨ .

١٤٨ - مراد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ، ص ٧٧ ؛ المسيرى : اليهود واليهودية ، جـ٥ ، ص ٣٨ - ٤٠.

١٤٩ - الشهرستانى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، القاهرة ١٣١٧هـ ، جـ٢ ، ص ٥٦ .

١٥٠ - المسيرى : اليهود واليهودية ، جـ٥ ، ص ٣٢٨ - ٣٣٠ ؛ الشهرستانى : الملل والنحل جـ٢ ، ص ٥٤-٥٦ .

١٥١ - ظاظا : الفكر الدينى ، ص ٢٥٧ - ٢٦٠ .

١٥٢ - ظاظا : الفكر الدينى ، ص ٣٦٤ - ٣٦٩ .

١٥٣ - المسيرى : اليهود واليهودية ، جـ٥ ، ص ٣٧٠ - ٣٧٤ .

١٥٤ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر، جـ٦، ص ١١٩ -١٢١.

١٥٥ - أحمد سوسة : ص٢٣٥ .

156 - Margoliouth,Op. cit., pp59 , 60 .

١٥٧ - إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، القاهرة ، ١٩٢٧م ص ٤ - ٧ .

١٥٨ - إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود ، ص ٤ .

159 - Margoliouth : p. 59 .

١٦٠ - ابن خلدون ، جـ ٢ ، ص ٨٨ .

١٦١ - إسرائيل ولفنسون ، ص ٨ .

162 - Margoliouth, p. 59.

163 - Newby , p. 20 - 21 .

164 - Newby , p. 20 - 21 .

165 - Margoliouth, p. 59.

166 - Abba Eban : p. 80 .

167 - Newby , op. cit., pp. 78 - 79 .

168 - Margoliouth, pp. 59 - 60.

169 - Abba Eban , p. 88 .

١٧٠ - السمهودى ، وفاء الوافا ، دار المصطفى ، ص ٨٠

171 - Mose Gil, Palestine, p. 18 .

١٧٢ - ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ١ ص ١١٧ ؛ الإبشيهى المستطرف ، جـ٢ ، ص ١١٤ .

١٧٣ - ابن هشام ، جـ٢ ، ص ١١٦ .

١٧٤ - إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، ص ٤ - ٨ .

١٧٥ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، بيروت ، جـ١ ، ص ٢٥٧ .

١٧٦ - ابن هشام ، جـ٢ ، ص ١١٥ - ١٣٧ .

١٧٧ - ابن هشام : جـ٢ ، ص ١١٥ - ١١٨ .

١٧٨ - بنيامين التطيلى : رحلة بنيامين ، ص١٤٧ - ١٤٩ .

179 - Newby: p. 43 - 35 .

180 - Newby : pp. 43 - 47 .

181 - Margoliouth : The relations : p. 72 .

182 - Margoliouth : op.cit., p. 72 .

١٨٣ - إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

١٨٤ - سلام شافعى : حصون خيبر فى الجاهلية وعصر الرسول ، الإسكندرية ، ص ١ - ٥٥ .

١٨٥ - ابن هشام : السيرة ، جـ٢ ، ص ١١٨ .

١٨٦ - إسرائيل ولفنسون : اليهود قبل الإسلام ، تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، ص ٤ - ٩ .

١٨٧ - ابن هشام : السيرة ، جـ٢ ، ص ١٤٣ .

١٨٨ - ابن هشام : السيرة ، جـ٢ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

١٨٩ - ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، جـ١ ، ص ٢٥٦ - ٢٧٠ .

190 - Goitein : Jews and Arabs , p. 64 .

191 - Goitein : op. cit., pp. 64, 65 .

١٩٢ - ابن هشام : السيرة ، جـ٢ ، ص ١٥١ .

١٩٣ - سلام شافعى : حصون خيبر فى الجاهلية وعصر الرسول ، الإسكندرية ، ص ١١ - ٥٥ .

١٩٤ - سلام شافعى : حصون خيبر ، ص ١١ - ٥٥ .

١٩٥ - ابن هشام : السيرة ، جـ٢ ، ص ١٥١ .

196 - Goitein : Jews and Arabs , pp. 47 - 49 .

١٩٧ - يوسفوس : نفس المصدر ، ص ٣٠ .

١٩٨ - مصطفى كمال عبد العليم : نفس المرجع ، ص ٢٢١ .

199 - Hirshberg : op.cit.p. 52 - 64 .

200- Aba Iban , p. 75 .

٢٠١ - مصطفى كمال ، نفس المرجع ، ص ٢٣٣ .

٢٠٢ - يدعى أبا إيبان أن اليهود لم يتركوا تأثيراً على الحضارة البابلية أو الفارسية ، إنما تركوا تأثيراً على اليونان ، فالفيلسوف اليهود فيلو المعاصر للمسيح حاول مناقشة إيجاد توافق بين العقيدة اليهودية والفلسفة اليونانية Aba Eban , p. 91.

٢٠٣ - كستلر ، ص ٣٣١ .

٢٠٤ - أبو يوسف يعقوب ، الخراج ، القاهرة ١٣٠٢هـ ، ص ١٣١ - ١٣٧ ؛ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٧ - ٢٢٥ . .

205 - Mark Cohen : Jewsh self Government in medieval Egypt,1980, p. 7 .

٢٠٦ - مارك كوهن : المجتمع اليهودى ، ص ١٤ .

٢٠٧ - المقدسى ، ص ٣٢٣ .

٢٠٨ - ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، بيروت ، طبلع ليدن ، ١٨٨٩ .

٢٠٩ - المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بيروت ، جـ٢ ، ص ٢٩٦ .

210 - Goitein : Cairo an Islamic city , pp. 80 - 121 .

٢١١ - المقريزى : أورد فى الخطط قصة خيالية عن إنشاء الحصن وذكر أنه أنشأ بعد خراب مصر على يد نبخت نصر وبنى فى عهد كسرى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٢٨٨ .

٢١٢ - عن فقد الفسطاط لمكانتها الاقتصادية انظر : Moshe Gil : Documents of the Jewish pious foundation from the Cairo Geniza Leiden, 1976 .

213 - Stillman : The Jews of Arab Lands A History and source Book ; Abba Eban : Heritage, 25 , 87 .

214 - Moshe Gil : Palestine 634 - 1044 , Camp.Univ , 1992, p. 169 .

215 - Moshe Gil : op. cit., p. 1-3 .

216 - Moshe Gil : op. cit., p. 1-8 .

217 - Abba Eban : op. cit., p. 98 .

٢١٨ - عن أهل الذمة والجزية والخراج انظر : ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، جزءان ، بيروت ١٩٤.

٢١٩ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ ٦ ، ص ١٠٩- ١١٠ .

٢٢٠ - ابن خلدون : نفس المصدر ، جـ٦ ، ص ١١٠.

٢٢١ - محمد حبيب خوجة : يهود المغرب العربى ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٦٩ .

٢٢٢ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٢ ، ص ١٠٩ .

223 - Hirshberg,: op. cit., p. 117 - 123 .

224 - Josehpus : The Jewish war, England, 1470 , p 407 .

٢٢٥ - مصطفى كمال عبد العليم : اليهود فى العالم القديم ٢٣٨ - ٢٤٠ .

226 - Hirshberg,: op. cit., p. 52 .

227 - Hirshberg,: op. cit., p. 53-54 .

228 - Hirshberg,: op. cit., p. 52 .

229 - Hirshberg,: op. cit., p. 52 .

٢٣٠ - حاييم زعفران : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ترجمة : أحمد شحلان عبد الغنى أبو العزم ، ص ٩ - ١٠ .

٢٣١ - دوزى : نفس المرجع ، ص ٣٨ - ٤٠ .

232 - Hirshberg,: op. cit., p. 141 - 142 .

٢٣٣ - ابن خرداذبة : المسالك ، ص ٨٦ ، ٢٣٤ .

٢٣٤ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٦ ، ص ١٢٨ .

٢٣٥ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

236 - Hirshberg,: op. cit., p. 163 - 164 .

٢٣٧ - الملوك الثانى إصحاح ١٨/٩-١٦ .

٢٣٨ - بنيامين التطيلى : رحلة بنيامين ، ص ١٥٤ - ١٥٦ .

٢٣٩ - أحمد سوسة : ملامح من التاريخ القديم ليهود والعراق ، بغداد ١٩٧٨ ، ص ٣٦ .

٢٤٠ - أحمد سوسة : نفس المرجع ، ص ٣٦ .

٢٤١ - أحمد سوسة : نفس المرجع ، عن اليهود فى بابل ، انظر ١٣٦ - ١٤١ .

٢٤٢ - أحمد سوسة : نفس المرجع ، ص ١٤٨ .

٢٤٣ - بنيامين التطيلى : رحلة بنيامين ، ص ١٩٦ - ٢٠٤ .

٢٤٤ - بنيامين التطيلى : المرجع السابق ، ص ١٣١ - ١٣٥ .

٢٤٥ - بنيامين التطيلى : المرجع السابق ، ص ١٣١ - ١٣٥ .

٢٤٧ - أحمد سوسة : المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ٢١٣ .

٢٤٨ - أحمد سوسة : المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ٢١٣ .

٢٤٩ - يوسفوس : تاريخ اليهود ، ص ٤ .

250 - Ashtor : the Jews of Moslem Spain, Pheladelphia, 1973. p. 11 - 13 .

٢٥١ - دوزى : المسلمون فى الأندلس ، ترجمة حسن حبشى ، الجزء الأول ، المسيحيون والمولدون ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٣٩ .

٢٥٢ - دوزى : المسلمون فى الأندلس ، جـ١ ، ص ٣٨ .

٢٥٣ - دوزى : نفس المرجع ، جـ١ ، ص ٣٨ - ٤٠ .

٢٥٤ - دوزى : نفس المرجع ، ص ٣٨ - ٤٠ .

255 - Ashtor : The Jews of Moslem Spain, Vol I, p 13 - 22 .

256 - Ashtor : op. cit., vol I, 13 - 26 .

257 - Ashtor : op . cit. vol I , 25 - 26 ..

٢٥٨ - أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بينهم : تحقيق محمد زينهم عزب ، دار افرجانى ، ١٩٩٤ ، ص ٥٦-٦٢.

الفصل الثانى

الجيتو والاندماج

الشخصية اليهودية شخصية تتميز بالازدواجية ، فهى تجمع بين الانعزالية والانطواء والإحساس بالتفوق والتميز عن المجتمع الذى تعيش فيه ، فهى تعيش فى جيتو نفسى أكثر مما هو واقعى ، والجيتو هو الحى الذى يعيش فيه يهود أوربا فى العصور الوسطى وليس المقصود هنا المكان ، ولكن الإحساس النفسى ، وهذا انعكس على من يؤرخ ليهود العالم الإسلام يفى العصور الوسطى من المؤرخين اليهود كجواتين ومارك كوهين وهارشبرج وأشتور وشتيرن .. إلخ ، وهناك عدد من المؤرخين يؤكد ويرسخ فكرة أن اليهود فى العصور الوسطى عاشوا فى جزيرة منفصلة فى وسط إسلامى وأنهم عاشوا كشعب مستقل ، بصفته شعب الله المختار وأنهم يتميزون عن غيرهم من البشر الذين أسموهم gentiles أو الأغيار ، وكانت لهم لغتهم وثقافتهم وحضارتهم الخاصة التى تميزهم عن بقية مواطنى دولتهم ، وفى نفس الوقت نجد الوجه الآخر لهذه الازدواجية ، فهؤلاء المؤرخون الذين أكدوا على انعزالية هذا المجتمع واعتبار اليهود جالية منفصلة عن غيرها نجدهم يدينون المجتمعات التى عاش فيها اليهود ويدينون عدم المساواة ، وعدم حصول اليهود على حقوقهم كاملة مثل بقية المواطنين . ويشيرون إلى ما تعرض له اليهود فى تلك المجتمعات من تعنت [(١)]. والسؤال الذى يطرح نفسه كيف تلوم مجتمعاً أنت ترفضه وتطلب فى نفس الوقت أن يعطيك حقوقاً وأنت تعتبر الآخرين فيه بالنسبة لك أغياراً .

وبعض هؤلاء اليهود لايرى أحداث التاريخ كأحداث لها مسبباتها ونتائجها التاريخية . ولكن كأحداث غيبية كجزاء وعقاب إلهى نحو اليهودى الذى لم يمتثل لأمر يهوه واختلط

بالأمم وصاهرها وأخذ بثقافتها ، فاستحق ذلك العقاب ، فإذا كانت الأقلية قد أخطأت فهناك بقية صالحة (٢).

وإذا نظرنا إلى الدراسات السابقة للمؤرخين اليهود نجد هناك نوعًا من التضارب بالنسبة لما كتب عن موقف اليهود من المجتمعات الإسلامية ومدى اندماجهم فى تلك المجتمعات ومدى صدق النظرية السابقة عن الانعزال ، فمارك كوهين يقول عن يهود مصر فى العصر الإسلامى "بوسعنا الحكم دونما تحفظ بأن ثمرة الحكم الفاطمى كانت بالنسبة لليهود والنصارى فترة اندماج حقيقى فى الحياة السياسية العامة للدولة " ، ويذكر " أن اليهود فى ضوء وثائق الجنيزة يمثلون شريحة صغيرة من السكان المصريين ولكنها فعالة ولقد عاشوا آمنين خلال الحقبة التى تناولتها هذه الدراسة ، كما اندمجوا فى البيئة من حولهم " (٣).

وإبراهام هالكنز Abrahm Halkins فى كتابه The Jeudia Islam Its Age استعمل كلمة الاندماج والانصهار بالنسبة لليهود فى المجتمعات الإسلامية . أما جوايتين فيستخدم تعبير التكامل مع المجتمع ، فجوايتين فى كتابه اليهود والعرب يرى أن اليهود فى مصر والعالم الإسلامى لم يعيشوا فى جيتو سكنى أو مهنى ولكت وجدت أحياء يهودية سكنها مسلمون وأحياء إسلامية سكنها اليهود ، وأن العالم الإسلامى لم يربط ممارسة الحرف بالدين إلا فى فترة متأخرة ، ووثائق الجنيزة تحوى مشاركات فى تجارة ، وحرف من أديان مختلفة ، وفى رأيه أن مدن العصور الوسطى فى مجملها لم تعرف التعصب .

وأشتور فى كتابه عن يهود أسبانيا تكلم عن يهود المغرب ، وكيف أنهم لم يشكلوا مستعمرات أجنبية ولكن عنصر وطنى اعتنق عادات السكان الآخرين ووضعهم الاجتماعى ، وأن عدداً من يهود أسبانيا كانوا فلاحين ودافعوا عن ممتلكاتهم بالقوة أمام التعصب القوطى وانضموا إلى المسلمين ضد الأسبان (٤).

وشتليمان أشار إلى أن الفسطاط لم تتواجد فيها أحياء يهودية خالصة وإنما أحياء بها كثافة يهودية(٥) ، ولاحظ مناحم ساسون هذا الأمر أيضًا فى القيروان ، وهذا الأمر تكرر فى العديد من المدن الإسلامية .

ويرجع شتليمان انعزال اليهود فى أحياء قاصرة عليهم إلى أواخر العصور الوسطى حين بدأ العالم الإسلامى فى الانغلاق على نفسه لأسباب خارجية وداخلية ، وأصبح غير المسلمين فى نظره عنصراً هامشياً ، وأصبح اليهود يعيشون فى أحياء مغلقة محصورين فيها مثل الملاح

في مراكش والحارة فى تونس وقاعة اليهود فى اليمن ، وانتقال اليهود للمحلة فى فاس كان حوالى عام ١٤٣٨م / ٨٤٢هـ ، وتم نقلهم على حد قوله زمن السلطان المرينى عبد الحق إلى جانب دار المخزن لحمايتهم من العداء الشعبى المتزايد .

ومن الملاحظ ومن واقع الوثائق الخاصة باليهود القرائيين التى وجدت فى جنيزة القاهرة أن اليهود لم يعيشوا فى أحياء مغلقة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين أى خلال نهاية العصر المملوكى وبدايات الحكم العثمانى(٦) ، كما ذكر جوايتين وشتليمان ، وكانت أحياء اليهود تضم يهوداً ومسلمين ومسيحيين على حد سواء ، ورغم كل ما ذكره هؤلاء المؤرخون عن التسامح فإنهم كانوا يعودون للإشارة إلى الاضطهادات الإسلامية ، وأفرد مارك كوهين مقالاً عن الاضطهاد فى أبحاث مؤتمر العلاقات ، وجوايتين عاد لمناقشة حقيقية وجود تسامح تجاه اليهود فى مقدمة كتابه عن العرب واليهود.

ولذلك فإننى أناقش فى هذا المحور حقيقة وضع يهود العصور الوسطى فى العالم الإسلامى، ومن واقع وثائق الجنيزة ومن المؤكد أن أغلب اليهود فى تلك المجتمعات اندمجوا فى مجتمعهم وأقاموا علاقات مع المسلمين ، فلم يكن هناك جيتو سكنى أو مهنى . فالتسامح قائم أغلب فترات العصور الوسطى ، والتعصب لم يكن السمة العامة ، فلقد سكن يهود فى أحياء المسلمين وسكن مسلمون فى أحياء اليهود ، واستمرت الحياة فى الأحياء اليهودية التى وجدت فى المدن قبل الفتح ، ولكن لم تعد تلك الأحياء جيتو مغلقًا فسكن فيها أعداد من المسلمين . وإن أقامت فيها كثافة يهودية تميزها عن بقية الأحياء ، كذلك نجد مشاركات فى تجارة بين اليهود والمسلمين وضمانات مشتركة ، وتأثر اليهود بكثير من عادات المجتمع الإسلامى فأوجدوا نظام يشبه الفتوة وأنظمة تصوف وحملوا أسماء عربية وارتدت اليهوديات ثياب تشبه ملابس النساء المسلمات ، هذا ما أورده باحث يهودى فى مقالة عن ملابس النساء اليهوديات وقوائم المهور ، وكانت لهم قصور وحوانيت وتجارة وكان منهم تجار أثرياء كابن عوكل ونهارى بن نسيم والتسترى وغيرهم ، وامتدت تجارتهم إلى المغرب والبحر الأبيض والهند وجمعوا ثروات قدر شتيلمان إحداها وهى ثروة ابن عوكل التاجر فى العصر الفاطمى بما يعادل ٤ مليار دولار بتقدير عصرنا (٧).

وبالنسبة للتأثيرات الثقافية ، فلقد كتبوا بالعربية وألفوا شعراً وتأثروا بالفلسفة والفكر العربى الإسلامى كموسى بن ميمون الذى تأثر بفلسفة ابن رشد .

وما أريد توضيحه هو أن اليهود فى مجتمعات العالم الإسلامى تمتعوا بالتسامح وارتبطوا بتلك المجتمعات وارتبطت مصالحهم بها ، ولم يكونوا مجتمعًا منعزلًا كل هدفه العودة إلى فلسطين والاستقرار بها ، بل كانت فلسطين لها مكانة خاصة بالنسبة لليهودى والمسلم والمسيحى كمكان له قداسته ، فكبار تجارهم كما سنعرض فى هذا الفصل فضلوا الإقامة فى مصر والمغرب والأندلس حيث مصالحهم وتجارتهم ، ولم يسعوا رغم ثرائهم إلى فلسطين بل اكتفوا بتقديم هبات مالية للمعبد والفقراء ، وفى خطاباتهم فى وثائق الجنيزة ترددت نغمة الحنين إلى الوطن . والوطن هنا كان المغرب والأندلس وغيرهما ، وإن كانت هناك قلة تسعى إلى خلق جيتو إنسانى وعزلة يهودية بالاختيار وترسيخ فكرة الشعب المختار فهذه تتمثل فى رجال الدين اليهود الذين سعوا وفقًا للفتاوى التى أصدرها معبد فومبدثيا وسورا إلى محاولة إلزام اليهود بالتحريمات التى حوتها التوراة عن المأكل والمشرب ، والتى تجاهلها يهود العالم الإسلامى.

ولقد ظهرت حركة إصلاحية فى داخل الهكالاه (أى التفهم واليقظة) على يد موسى مندلسون « بن مناحيم » الذى ولد فى ديسوى بألمانيا فى ٦ سبتمبر ١٧٢٩ . ومات فى باريس ٤ يناير ١٧٨٦ ، وكانت له آراء جديدة على اليهودية من الناحية السياسية والإنسانية عامة وتعتبر دستوراً لهذه الفرقة وهى آراء تهاجم ما حاول أن يقوم به رجال الدين اليهود من سياسة ترمى إلى العزلة (٨).

وتضمنت : ١ - أن اليهود يجب أن يندمجوا فى إنسانية العصر ، وأن يخرجوا من تقوقعهم العنصرى الذى حبسوا أنفسهم فيه طيلة القرون السابقة

٢ - أن اليهودية دين فقط وليست جنسية ، وأنه من الخطأ أن أقول يهودى إنجليزى أو يهودى روسى إلخ ، والأصح أن يقال إنجليزى ديانته اليهودية وروسى ديانته اليهودية .

٣ - أن المساواة فى الحقوق المدنية بين اليهود وغيرهم غير ممكنة إلا إذا اعتبر اليهود أنفسهم مواطنين فى البلاد التى يعيشون فيها ، ولايمكن ذلك إلا إذا تحدث اليهود بلغات أوطانهم وتعلموا فى مدارسها ولبسوا الملابس التى تشبه ملابس بقية المواطنين ، وخرجوا وأقاموا مع غيرهم من الناس " وما طرحه موسى مندلسون من آراء تخص يهود أوربا فى

العصور الوسطى وبدايات التاريخ الحديث . فى حين أن أغلب هذه الأفكار كانت قد تحققت فى العالم الإسلامى فى العصور الوسطى فى أغلب فتراته بتصور يلاءم الفترة الزمنية والفكر الوسيط.

وإذا حاولنا رسم صورة لمجتمع اليهود فى المجتمعات الإسلامية فى العصور الوسطى فنجد للصورة زوايا عدة كل منها يلقى ضوءاً على نوعية العلاقة .

وسنبدأ بمناقشة فكرة الجيتو وكيف عاش اليهود فى مدن العالم الإسلامى ، ثم ننتقل لمناقشة الحياة الاقتصادية ، وهل هناك جيتو مهنى ، ثم كيف تعامل يهود العصور الوسطى مع المجتمعات التى عاشوا فيها وما أخذوه عنها من عادات وتقاليد ومدى اندماجهم أو عزلتهم .

وأخيراً الثقافة ومدى تأثرهم بثقافة تلك المجتمعات وخاصة المجتمع الأندلسى ، وكيف شاركوا فى الحياة الثقافية الزاهرة للعالم الإسلامى وعلاقتهم بالفكر الإسلامى .

الجيتو :

مع الفتح الإسلامى دخلت الأغلبية اليهودية فى حكم الخلافة الإسلامية حيث ضمت أقطار كمصر والشام وولاية إفريقية ثم أسبانيا أعداداً من اليهود . ولقد وجد المسلمون اليهود يعيشون فى المدن القديمة فى أحياء خاصة بهم ، فى وضع متدنٍ وكان أغلبهم يشتغل بالزراعة وفئة بسيطة تعمل ببعض الحرف المرفوضة كالصباغة وأغلبهم عاش كفئة منبوذة فى تلك الأحياء . ولقد استمر تواجدهم فى تلك الأحياء مع بداية الفتح ، ولم يكن هذا موقفًا من الدولة الإسلامية بل كان اختياراً منهم ، حيث كانوا يقيمون فيها قبل الفتح الإسلامى فحين دخلت الجيوش الإسلامية إلى أرض الفرس وجدت محلات اليهود ، كما أشار هارشبرج إلى أحياء اليهود فى عدد من مدن المغرب والتى سبق ذكرها ، كذلك أشار Newby نيوباى وإسرائيل ولفنسون لوجود أحياء لهم فى الجزيرة العربية [٩]. وإن كان هذا لايمثل ظاهرة غريبة فى الجزيرة العربية ، فلقد اعتادت كل قبيلة أن تعيش فى مكان خاص بها وفقًا للتقسيم القبلى ، ولذلك فقد كان لبنى النضير وبنى قينقاع أماكنهم الخاصة بهم ، وأما بطون العرب المتهودة فتعيش مع قبائلها ككنده وجذام وغيرها .

وأعتقد أن هذا وضع منطقى ، فمن المألوف خلال العصور الوسطى أن أبناء أى طائفة دينية أو عرقية يميلون إلى التجمع فى حى خاص بهم كأحياء الشيعة فى بغداد فيما بعد .

ومع تخطيط المدن الجديدة كالفسطاط ثم القاهرة فى مصر والقيروان وفاس وسلجماسة فى المغرب العربى والمرية ومرسيه فى الأندلس سمح لليهود بسكناها ، ولم ينظر إليهم على أنهم أجانب ، فقد اعتبروا الروم فى المغرب أعاجم واليهود أهل ذمة .

وسكن اليهود فى المدن الجديدة فى البداية فى أحياء خاصة بهم حيث أن تخطيط المدينة الإسلامية كان فى الأصل كمعسكر للجيش (١٠).

وإذا أخذنا الفسطاط كمثال فقد خططت وفقًا للقبائل والعشائر والجماعات التى كونت جيش الفتح الإسلامى ، ووفقًا للوثائق فإنه بعد ٦٠٠ سنة من الفتح الإسلامى مازال يطلق على الأحياء أسماء القبائل العربية مثل بنو وائل وعلان ... إلخ ، وكانت الراية مركز المدينة(١١) . وفى العصر الفاطمى سكن تلك الأحياء أعداد من المسيحيين الذين قاموا بشرائها عن طريق اليهود وبعض الخطط التى اختطها العرب لأنفسهم مع إنشاء مدينة الفسطاط ، مثل خطة مهرة وخطة تجيب وكلاهما قبيلة عربية أصبحت من الأحياء التى بها كثافة يهودية فى العصر المملوكى ، مع تواجد إسلامى . وكان اليهود حريصين فى الأماكن التى يعيشون فيها " كما ذكر موسى بن ميمون " على تواجد الحد الأدنى لمركز مدنى وهو معبد وحمام وهذا ينطبق أيضًا على المدن الجديدة .

وسنجد الوضع يختلف خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين ، حيث أخذت المدن الإسلامية تتخذ طابعها المدنى وتخرج من طابع المعسكر ، ولم تعد أحياء اليهود مقصورة عليهم ، بل سكنها مسلمون ، وسنجد فى وثائق الجنيزة عقود مشاركة فى السكن(١٢) بل مشاركة فى منازل ، فروح التعصب لم تكن طابع العالم الإسلامى، ويرجع المؤرخون ظهور اليهود فى الحياة العامة وتغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى المدينة الإسلامية لعوامل عدة ترتبط بازدهار الحياة الاقتصادية وتتمثل فيما يلى :

١ - تحرك رأسمالى فى كل الأقطار من أسبانيا إلى الهند ، حيث كانت الأموال مجمدة لدى الكهنة والملوك وأخذها الفاتحون وألقوها فى أسواق المال ، ولقد أصبح للعرب الفاتحين ثروة أدارها أتباعهم من الموالى والشعوب التى خضعت لهم واعتنقت الإسلام . فالأندلس فى عصر الأمويين حدث فيها ازدهار اقتصادى تبعته نهضة فكرية ، فقد ارتقت الزراعة وأدى هذا إلى ارتقاء الصناعة والتجارة ، وهذا الازدهار أدى بالحكام والرعية إلى الالتفات إلى النواحى الفكرية والاهتمام بها (١٣).

٢ - إنشاء العواصم وما تحتاجه من عمالة أدت إلى الهروب من الريف إلى المدينة حيث كانت العمالة حرة لأن العبيد كانوا يعملون فى المنازل وبعض الصناعات فقط فى القرن الثالث، ولم يعملوا فى الأرض إلا فى شمال العراق " وهم الذين ارتبطت بهم ثورة الزنج " ولقد تبع ذلك ترك اليهود للعمل بالزراعة والاتجاه للصناعة والتجارة ويذكر شتليمان أنهم كونوا مع غيرهم من الشعب جموع العامة .

٣ - المدن العربية الجديدة عامل مهم فى الاقتصاد ليس فقط بسبب الأعداد الكبيرة من المنشآت والنشاط فى البناء بل أيضًا لأن المدن لها حاميات كبيرة وبلاط حكام ، ويوجد جمهور كبير من المستهلكين اقتصاديًا للبضائع ، وبضائع الترف بصورة خاصة فيستطيع الفرد أن يكون ثروة من التعامل مع الحكام المسلمين كما حدث مع عدد كبير من تجار اليهود كابن عوكل الذى كان جواهرجى أم الخليفة والبلاط الفاطمى ، والتسترى الذى اشترى للخليفة الظاهر جارية سوداء أصبحت أمًا للخليفة المستنصر ، وإفرايم اليهودى ونهارى بن نسيم والمجانى والتاهرتى وغيرهم .

٤ - كانت المدن الجديدة تستطيع استيعاب أعداد كبيرة من السكان بسبب تعاسة ظروف الحياة فى الريف حيث أصبحت المنتجات الزراعية رخيصة ، وأحيانًا الفشل المتكرر بالنسبة للمحصول نتيجة للكوارث المحلية ، وبسبب تزايد أسعار البضائع ونلاحظ أن أعداداً كبيرة من اليهود تركت الزراعة وحياة الريف إلى المدن الجديدة للبحث عن فرصة حياة أفضل ، ولقد قام معاوية حاكم سوريا آنذاك وقبل توليه الخلافة بنقل بعض اليهود من أنحاء سوريا إلى ميناء طرابلس وبعض المدن الساحلية الاستراتيجية التى هجرها الإغريق ، كذلك استقرارهم فى بعض المدن التى أعيد أنشاؤها على الشاطىء الإسلامى مثل عكا وصور .

ولقد ازدهر عدد من المدن الإسلامية الساحلية وأصبح مركزاً للتجارة كمدينة المرية(١٤)، التى كانت من أهم المدن على سواحل الأندلس .

٥ - الحملات المرسلة إلى أقطار بعيدة تستلزم رأسمال كبيرة ، وهذا يصحبه رخاء فى السوق المحلى فقبل بدء الحملة كان كل قائد أو جندى يأخذ مبلغًا من المال ليستعد لرحلة طويلة فيأخذ ما يحتاجه من السوق المحلى .

٦ - اختلاط شعوب كثيرة وذلك لسهولة المواصلات بين أرجاء الدولة الإسلامية وأقطارها المختلفة ، ثم الرحلة إلى مجتمعات خارجية من أجل التجارة والتى شارك فيها اليهود بنشاط

ملحوظ وهذا يؤدى بدوره إلى إدخال عادات فى الطعام والملابس والحياة اليومية وله تأثيره على الناس وبدا تأثيره واضحًا فى المصادر الأدبية العربية ، وسنرى الاهتمام بالتجارة فى الكتابات العربية ككتاب الدمشقى عن التجارة وأهميتها ، وفى رسالة لتاجر يهودى من عدن مرسلة إلى جنوب الجزيرة العربية ثم إلى وكيله فى القاهرة حوالى عام ٨٥٠م / ٢٤١هـ يسأل التاجر الوكيل المسئول عن تجارته فى القاهرة أن يشترى له كل أنواع البضائع بعضها من نجران وبعضها من شمال فارس ومن آمد وكردستان ومن بغداد وبيروت والقاهرة ومن أماكن عديدة من مصر وأسبانيا ، حيث كان يبحث عن الطرز الجديدة . وابن عوكل كان يتاجر فى ٨٤ نوعًا بدءًا من الجواهر إلى الكتان والتوابل والأعشاب والأخشاب. ورسائل الجنيزة(١٥) تحوى الكثير من نوعيات البضائع . فهناك طلب على اللؤلؤ بل طلبت العملات الفضية والذهبية فى مصر والمغرب ، وتعطى مراسلات ابن عوكل صورة عن حسابات البحر المتوسط التجارية حينما وصلت الثورة التجارية قمتها فى العالم الإسلامى والعالم البيزنطى ، والتطور فى دول ومدن شبه الجزيرة الإيطالية ، ولقد كان للتجار الرذاذنة اليهود دور فى التجارة العالمية .

٧ - ولقد نجم عن إنشاء الطرق من أجل الأغراض العسكرية والإدارية التى أشارت إليها كتب البلدان والتى اهتمت بها الدولة الإسلامية عبر الفترات الزمنية ، وتسيير وسائل السفر خاصة عن طريق البحر كذلك نجد وصفًا فى الكتب والمصادر الإسلامية ووثائق الجنيزة لطرق القوافل البرية سواء بين مصر وسوريا أو المغرب وغيرها من الأقطار أو للطرق البحرية بين البحرين الأحمر والأبيض .

ونجد أن شتليمان يضيف إلى العامل الاقتصادى سببًا آخر ، وهو تواجد أرستقراطية تجارية على رأس الولايات العربية أصلها يعود إلى الفترة السابقة للإسلام ، واشتغال قريش بالتجارة ، والرسول نفسه عمل بالتجارة وذكر أن تسعة أعشار الرزق فى التجارة ؛ فالتجارة فى العالم الإسلامى وربحها كان حلالاً بعكس نظرة مجتمع أوربا فى العصور الوسطى للتجارة ، ولقد كان لعدد من الخلفاء ورجال الدولة نشاط تجارى وانعكس هذا على المجتمع ، فظهرت طبقة ارستقراطية عملت بالتجارة وصعدت السلم الاجتماعى ، حيث بدت شخصية التاجر فى الأدب المثال الذى يحتذى فى العصور الوسطى ، وانعكس هذا فى قصص ألف ليلة وليلة التى كانت غالبية أبطالها من التجار وشخصية السندباد التاجر من أهم الشخصيات وأصبح المثال الذى يتمنى أن يكونه أى شاب .

وكان نموذج البطل المقاتل فى الفترة الإسلامية الأولى وفترة الفتوح الذى ينشر الدعوة الإسلامية ويحارب الكفار .

وفى نهاية القرن الثانى وبعد استقرار الفتوح ودخول عناصر غير عربية إلى المهنة العسكرية ، التى أصبحت فى أيدى الأتراك وغيرهم من العناصر غير العربية ، كذلك فى مجال الإدارة كان هناك عدد من العناصر من أجناس عدة ، فالدولة العباسية سيطر عليها فرس ، كالبرامكة والبويهيون ، ثم سيطر الأتراك على النواحى الإدارية ، وهذه البيروقراطية جذبت لها عناصر من غير العرب ، ولو أخذنا مثال مصر فى العصر الفاطمى فقد استعان الفاطميون بعناصر غير عربية وليس لها طموحات سياسية كاليهود مثل التسترى وغيره .

العوامل السابقة كما ذكرنا أدت إلى ظهور رأس مال فى الأقطار الإسلامية ، وسارع اليهود إلى المشاركة فى هذا النشاط وخاصة لما يتمتع به الإسلام من سماحة ولم يكن هناك أى قيود على التجارة والصناعة بالنسبة لليهود ، ولم يشهد العالم الإسلامى القيود الصارمة التى وضعتها أوربا فى العصور الوسطى فالمشاركة الحرة كانت طابع التعاون الاقتصادى .

وبالنسبة للقرون الإسلامية الأولى فيشوبها الغموض . فالمصادر لا تشير إشارة واضحة لنشاط اليهود فى المدن الإسلامية وإلى مدى تفاعلهم مع حياتهم الجديدة فى ظل الدولة الإسلامية ، ولكن الصورة بدأت تتضح مع القرنين الثانى والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين ، سواء فى بغداد أو مع الأمويين فى الأندلس أو مع الفاطمين فى مصر ، حيث تبلورت شخصية المدن المفتوحة ، واتخذت الطابع الإسلامى وتحولت كما ذكرنا من معسكرات لقبائل أو لجيش إلى مدينة تحفل بجميع أوجه النشاط وازدهرت التجارة والصناعة نتيجة للعوامل السابقة وتدفقت الأموال فبدأ ظهور اليهود الفعلى والمشاركة فى هذا النشاط الاقتصادى .

التواجد اليهودى فى المدن :

أما عن التواجد اليهودى فى المدن الإسلامية فقد اختلفت مكانتهم وأوضاعهم الاجتماعية واختلفت أماكن تواجدهم سواء فى المدن أو القرى وهذا الاختلاف وفقًا لطبقتهم الاجتماعية . فهناك فئة البرجوازية التى اتصلت بالحكام وحصلت على وظائف إدارية كبرى ، وعملوا أطباء كمبارك بن سعديا وموسى بن ميمون ثم كبار التجار ، وتليها فئة أقل منها ساهمت فى أعمال

وحرف وتجارات محدودة وتمتلك مصانع صغيرة ، ثم فئة دنيا فيها مزارعين وصغار الحرفيين وتجار جائليين .

ويذكر شتليمان أن اليهود فى القرن الأول الإسلامى عند سكناهم المدن كونوا طبقة حرفيين وبرجوازية فقيرة واختلف الأمر بعد ذلك ، ويرى أن المسيحيين كانوا الفئة العليا فى الطبقة الوسطى فى القرنين العاشر والحادى عشر ، وأنه فى هذه الفترة وجدت طبقة فقيرة من اليهود ، ثم ظهرت من بينهم طبقة جديدة دخلت ميدان التجارة بالإضافة إلى طبقة الموظفين وبعضهم وصل إلى أعلى مستوى إدارى ، وأن اليهود أنفسهم سادت بينهم بعض تفرقة فى النظرة الاجتماعية . فنظروا إلى فئة المزارعين نظرة دونية ، وكان يطلق على فئة المتعلمين hakhan واليهود غير المتعلمين am- ha - anes ، وهناك عبارات فى المشنا تذكر أن الشخص المتعلم لا يخاف الخطايا ولايمكن أن يكون الفلاح مقدسًا أو رجلاً طاهراً ، وكان اليهود المتعلمون يفضلون حياة المدن ، ومع ذلك ومن واقع وثائق الجنيزة(١٦) كانت تعيش فى بعض أحياء القاهرة طبقة اجتماعية من الناحية المادية أكثر فقراً من المجتمعات المحلية فى عدد من الأقاليم ، وكانت المهور التى ذكرت فى الوثائق والخاصة بأفرادها بسيطة ووثائق تدل على ضعف المستوى التعليمى ودراية بسيطة بالكتابة .

وإن كان اليهود يحرصون على تواجد فى مكان به معبد وحمام وتسهيلات دورة مياه وجزار شرعى وخزانة صدقات . وهذا نجده يتحقق بصورة أفضل فى المدن . وإذا حاولنا أن نرسم صورة للتواجد اليهودى فى المدينة الإسلامية سواء فى مصر أو المغرب أو أسبانيا ، فأول ملامحها لم يكن هناك جيتو أو حياة منعزلة ، بل أحياء بها كثافة يهودية ، وهذا لم يمنع المسلمين والمسيحيين من سكناها ، ولم يمنع اليهود من السكنى فى الأحياء الإسلامية .

وسأعرض لأوضاع اليهود فى دول العالم الإسلامى لإيضاح صلتهم بمجتمعاتهم ومدى اندماجهم وكيف تعاملت معهم تلك المجتمعات ، وسأبدأ بمصر .

وسنجد هذه الصورة تبدو واضحة المعالم فى الفسطاط والقاهرة ، رغم تواجد اليهود فى عدد من المدن المصرية الأخرى إذا كانوا يقطنون الإسكندرية فى الشمال الغربى وفى دمياط وفى الشمال الشرقى ومنطقة الدلتا التى كانت دائمًا المركز السكانى لأعداد من اليهود .

الحياة فى حارات اليهود فى مصر :

إذا حاولنا أن نضع صورة تقريبية لحارات اليهود فى مصر فى فترة العصور الوسطى فإننا سنواجه بعدد من المشاكل أولها من الصعب وضع تحديد دقيق لعدد اليهود عبر الفترات

الزمنية ، وإنما سنضع أعداداً تقريبية استناداً للمصادر . والمصادر هنا تتمثل فى المصادر الإسلامية التى تناولت حارات اليهود وأهمها الخطط لشيخ المؤرخين المقريزى ، و الانتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق ، ثم كتابات الرحالة اليهود كبنيامين التطيلى Benyamin of Tudela ١٠٨٥ - ١١٤٠/٤٧٨-٥٣٥هـ ، والذى يرجح أنه زار مصر فى أواخر العصر الفاطمى فترة وزارة صلاح الدين الأيوبى ، فذكر أن تعداد اليهود فى الفسطاط حوالى ٧٠٠٠ شخص ، أما القاهرة فلم يذكر تعداد سكانها ، فالفسطاط آنذاك كانت العاصمة الاقتصادية والاجتماعية إلى جانب تواجد يهودى فى عدد من مدن مصر ، وهناك اثنان من الرحالة زارا مصر أواخر عصر سلاطين المماليك ، أولها الرابى ميشلوم(١٧) . Rabbi Meshullem Ben R Mencehem de volterna ١٤٨١م / ٨٨٦ هـ . الذى ذكر أن أغلب مبانى الفسطاط قد أصبحت حطامًا أما القاهرة فرأى فيها واحدة من أعظم مدن العالم وأثرها وأكثرها بشراً ، وذكر أن فى مصر حوالى ٨٠٠ بيت من بيوت اليهود منهم حوالى خمسون عائلة سامرية ، والثانى Obadiah De Betrinoro ١٤٨٧م / ٨٩٣هـ (١٨). فذكر أن فى القاهرة حوالى سبعمائة عائلة يهودية منها خمسون من السامرة Samarirais ، ١٥٠ القرائيين Kariates والباقون ربانيون Rabbanito ولو افترضنا أن عدد الأفراد فى العائلة ٤ أفراد يصبح عدد اليهود حوالى ثلاثة آلاف فى القاهرة ، ولم يجر ذكر أعداد الفسطاط لتضاءل أهميتها ، كذلك لم يذكر أعدادهم فى بقية مدن مصر ، والمصدر الثالث مجموعة وثائق الجنيزة وخاصة المجموعة التى تتعلق باليهود القرائيين والمكتوبة باللغة العربية ، وأغلبها يعود لعصر المماليك، وهى وثائق تشمل ملكيات عقارية بين يهود ومسلمين ، كذلك مجموعة الوثائق التى نشرها موسى جيل فى كتابه المؤسسات الخيرية وتشمل وثائق مشاركات عقارية بين مسلمين ومسيحيين ويهود فى أرباع وبعضها كان الشريك المعبد اليهودى .

وفيما يتعلق بالأحياء اليهودية نجد أن الكثافة اليهودية فى أى حى منهم تنتقل وفقًا لانتقال مركز الثقل التجارى والعمرانى ففى الفترة االأولى كانت الفسطاط المركز الرئيسى لنشاطهم وبعد انتقال الأهمية الاقتصادية والعمرانية إلى القاهرة أهملت الفسطاط وانتقلوا إلى القاهرة . وأول حارات اليهود كانت فى الفسطاط فى قصر الشمع . والفسطاط هى أول مدينة إسلامية اختطها عمر بن العاص فى مصر عام ٢١هـ / ٦٤١م ، واختطت كل قبيلة خطة كتجيب ومهرة ووائل وعلان ، وتحولت المدينة مع الوقت من معسكر إلى مدينة ذات معايير

حضارية[١٩] ، وتكرر الأمر بالنسبة للقاهرة فقد أنشأت كمدينة ملكية سكنها الخليفة وحرسه وإدارته ، وظلت الفسطاط فترة - العاصمة الاقتصادية والاجتماعية فابن عوكل التاجر الشهير والذى وصفه شتليمان بشهبندر التجار - وإن كنت أرى أن فى هذا مبالغة - ، ظلت الفسطاط المركز الرئيسى لنشاطه ، ولكن فى عصر سلاطين المماليك أصبحت القاهرة هى المدينة الآهلة اقتصاديًا واجتماعيًا وبشريًا وانتقلت الكثافة السكانية إلى القاهرة ، وتبع ذلك انتقال الكثافة العددية لليهود من قصر الشمع إلى المصاصة وحارة زويلة وأصبحت أغلب الدور اليهودية فى الفسطاط إما مهجورة كما ذكر ميشلوم وجوايتين وهذا ما أكدته المصادر الإسلامية ، أو وهب بعض اليهود دورهم المهجورة للمعبد اليهودى فأصبحت أحباسًا وأحكاراً.

ونستطيع أن نجمل السمات العامة التى تتعلق بحارات اليهود فى العصر الإسلامى فى عدد من النقاط الرئيسية تعكس صورة حقيقية لتلك الأحياء وسكانها وأنشطتهم وعلاقاتهم بالمسلمين والمسيحيين ومدى الاندماج فى هذا المجتمع .

١ - واضح من مسميات الأحياء سواء فى الفسطاط أو القاهرة أنها كانت فى الأصل مسكنًا لقبائل عربية كتجيب ومهرة اللتين تعودان بتواجدهما لفترة الفتح الإسلامى لمصر ، وزويلة القبيلة المغربية التى يعود تواجدها للعصر الفاطمى ، ونلاحظ أن مسميات الحارات والدروب والأزقة دخلت عليها تغييرات عبر الفترات الزمنية بعضها احتفظ بمسمياته الأصلية كدرب بن حديج وينسب إلى أحد الصحابة[٢٠] ، وهو معاوية بن حديج (ت٥٢هـ / ٦٧٢م) وبعضها تغير مسماه فبعضها حمل فى العصر الفاطمى اسمًا ، ثم تغير فى العصرين الأيوبى والمملوكى مثل درب الأنجب عرف بالقاضى الأنجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن نصر ابن أحد الشهود فى أيام القاضى سنان الملك [٢١]، وكان حيًا فى سنة ٥٢٠هـ / ١١٤٦م ، ثم عرف بأولاد العميد الدمشقى حيث سكنوا فيه ، ثم عرف بالبساطى وهو قاضى القضاة جمال الدين يوسف ، وبعضها حمل أسماء شخصيات شهيرة فى عصرها كخوخة الفائزى نسبة إلى شرف الدين الفائزى [٢٢]. أو درب خوند نسبة لخونداركين زوجة الناصر محمد أو بأسماء حرف أصحابها كدرب ابن الترجمان أو حارة ابن المنجم اليهودى .

٢ - فقدت بعض الحارات اليهودية فى الفسطاط ما كانت تتمتع به من كثافة سكانية يهودية خلال العصر الفاطمى ، وفترة من العصر الأيوبى وانتقل مركز الثقل إلى القاهرة ، ولم

يكن هذا الأمر قاصراً على اليهود بل شمل سكان مصر من المسلمين والذميين على حد سواء إذ أصبحت القاهرة المملوكية تجمع جميع الطوائف والأديان وفقدت الفسطاط كما ذكر ابن دقماق والرحالة اليهودى مشلوم كثيراً من رونقها وضمت كثيراً من الخرائب وبعض الدروب المهجورة ، وأما الكثافة السكانية اليهودية فكانت فى المصيصة وزويلة ، كما ورد فى المصادر الإسلامية ووثائق القرائين بل امتد هذا إلى العصر العثماني فى مصر .

٣ - رغم حث الحاخامات لليهود على عدم السكنى مع الأديان الأخرى كما أشار إلى ذلك هارشبرج ، وكما حاول مؤرخو اليهودية نسبة التعصب والاضطهاد الدينى إلى عصر المماليك فإن الوثائق اليهودية تدحض هذا الزعم . فلقد ذكر مارك كوهين فى كتابه المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى " أنه فى ظل المماليك البحرية (١٢٥٠ - ١٣٨٢م / ٦٤٨ - ٧٨٤هـ) حدث تدهور للازدهار والاستقرار متمثلاً فى الانحسار السكانى والركود الاقتصادى والاضطراب السياسى ، وأن اليهود كانوا فى هذه الميادين ضحايا لتلك الاتجاهات التى شملت المجتمع المصرى بأسره ، والتى كانت تتمثل فى ظل الفاطميين بالازدهار الاقتصادى والامتناع النسبى عن مضايقة أهل الذمة (٢٣)، ويرى أشتور Ashtor أن هذه الانتكاسة رافقها عزل اجتماعى لأهل الكتاب بحيث قاربت الظروف العسيرة التى عاناها يهود أوربا الغربية فى أواخر العصور الوسطى ، وإن كان لمارك كوهين رأى آخر فى هذا ، إذ يرى أنه رغم عداء الفقهاء والقضاة المسلمين إلا أن حوادث الاعتداء البدنى على الأشخاص الذميين كانت غير مألوفة فى البيئة المملوكية إلى أبعد الحدود ، وهذا يفسر إحجام اليهود عن إنتاج أدب المعاناة .

ويذكر جوايتين Goitein أن قوة عصبية الحرف فى أواخر العصور الوسطى والتى ظهرت تحت ضغط الإقطاع العسكرى ونظام الدولة الاقتصادى هى المسئولة عن وجود العصبية ، وكان الفرد يعتبر نفسه من قبل من المدينة التى تمده بالأمن والإمكانيات الاقتصادية وتمده بأسباب المتعة الروحية التى يحتاجها (٢٤).

ويرجع مارك كوهين نقص عدد اليهود بعد القرن الثانى عشر لمعاناة اليهود فى المجاعة التى حدثت ١٢٠١ - ١٢٠٢م / ٥٩٨ - ٥٩٩ هـ ، ومن انحسار فى النمو السكانى رغم استمرار هجرة اليهود فى أوائل عصر المماليك وأن الطاعون وجه ضربة قاسية إلى الطاقة

السكانية فى مصر ، كل هذه الآراء تعطى صورة قاتمة عن عصر المماليك ، وكأنه عصر الاضطهادات الدينية ، فى الوقت الذى تذكر فيه وثائق الجنيزة والمكتوبة باللغة العربية مجموعة القرائيين ، وبالإضافة إلى ما ذكره ابن دقماق والمقريزى إلى مساكنة المسلمين واليهود فى منازل وأرباع مشتركة ، حيث سكن مسلم إلى جانب يهودى ومسيحى ، وهناك منزل مباع بين اثنين من اليهود ، وكانت حدوده منزل ليهودى يدعى الشيخ أبو المعالى وفى جنوبه منزل لمسلم يدعى على الأنصارى وفى الشمال منزل لمسلم آخر يسمى محمد الفراس ، وزين الدين الكافى الصائغ اليهودى (٢٥) المقيم فى حارة ابن سميح كانت داره بجوار المدرسة العاشورية التى كانت فى عصر المماليك تلقى فيها دروس الفقه ، ووجد مسجد بجوار الكنيس فى حارة درب خبيصة ، وأنشأ الشيخ شمس الدين ابن النعمان مسجد فى زقاق ابن أبى الحداد بجوار كنيس لليهود فلم يكن هناك جيتو سكنى فى عصر سلاطين المماليك .

٤ - ومما يؤكد القول السابق أن اليهود ظلوا فى عصر سلاطين المماليك يملكون الثروات كما كان الحال فى العصر الفاطمى ، فالوثائق تشير إلى أوقاف وهبات تمنح للمعبد اليهودى وتعود للفترة من ١٤٠٠ - ١٥٠٠م / ٨٠٣ - ٩٠٦هـ ، ومن العصر الفاطمى إلى أول عصر المماليك كانت هناك هبات لمنازل ودور عديدة غالبيتها فى قصر الشمع ، وبعد انتقالهم للقاهرة وإلى نهاية عصر المماليك وجدت أحباس عديدة فى حى زويلة وهبات للمعبد ، فمحيسن اليهودى والذى يعيش فى حى زويلة يهب جزءاً من دار له فى هذا الحى للمعبد(٢٦) .

بل لقد سمحت الدولة المملوكية بإعادة ترميم أملاك خاصة بالمعابد مما يدل على أن الفترة لم تكن اضطهاداً مستمراً كما قيل ، فقد قدم اليهود التماساً للقاضى المسلم فى عهد الأشرف إينال لإصلاح معابد وممتلكات تخص اليهود وكذلك وثيقة أخرى تتعلق بمحضر كشف ممتلكات كنيس تم إصلاحها .

كذلك هناك حجج أحباس لصالح فقراء اليهود تعود لعام ٩١٩ - ٩٢٠ هـ / ١٥١٣م-١٥١٤م ، وسمحت الدولة لليهود بشراء أرض حكر من أملاك الدولة فى حارة زويلة . فوثيقة تعود لنهاية عصر المماليك قام القاضى الشافعى أبو زكريا الردينى ببيع عقار لموسى بن عبد الرحيم القراء والأرض تقع خارج المدرسة العاشورية فى منطقة القرائيين ، أى أنه لم يكن هناك حظر على بيع الأراضى لليهود فى القاهرة .

وبسبب وجود بعض الاضطرابات فى نهاية العصر المملوكى ، فقد انعكس صداها على المنشآت فى حارة زويلة سواء كانت إسلامية أو يهودية "فهناك أوقاف إسلامية بالفعل فى حارة اليهود" مما دعى المسؤول أو ناظر الوقف ، وكان مشرفًا على وقفين أحدهما فى حارة زويلة فى حى القرائيين فى حارة اسمها درب الترك والثانى فى خط البندقانيين(٢٧) ، وكان الواقف أبو جده ، فطلب فى عام ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م بيع الثانى لصالح الأول لتجديده .

٦ - كذلك لم يكن فى تلك الحارات جيتو مهنى كما لم يكن هناك جيتو سكنى فلقد مارس اليهود سواء فى الأحياء التى سكنوها أو فى الأحياء الإسلامية حرف عديدة ، وكما ذكر ميشولم الذى زار مصر فى نهاية عصر المماليك " أن بعض أفرع الصناعة مفتوحة للجميع وأنه لا يوجد مكان أفضل من القاهرة للتجارة وأن اليهود باستطاعتهم شراء كل أصناف الطعام واللحوم والخضر فكل الضروريات موجودة فى حى اليهود"(٢٨). وذكر عويدايا أن السامريين أغنى اليهود فى مصر وأنهم يتولون الوظائف الكبرى والإدارة ، وأن أحدهم يمتلك ٢٠٠,٠٠٠ قطعة ذهبية ، وأن هناك يهود يشتغلون بتجارة الأحجار الكريمة ، وأن بين اليهود من لهم مكانة كبرى وأن صمويل راباخ وابنه كانوا أطباء للسلطان ولديهم مكانة ، وأنهم على دراية بتجارة مصر وسلموه قائمة بنحو ٣٣٠٠ صناعة معظمها من التوابل والدواء ، وأنه وجد الكثير من اليهود يعملون بالصيرفة (٢٩).

ولقد اشتغل اليهود بالعديد من الصناعات بالاشتراك مع المسلمين ، فعملوا فى صناعة السكر ، وكان لهم باع فيها فإلى جانب معامل الأمراء وجدت معامل سكر بأسماء يهود كمطبخ ابن المشنقص اليهودى فى سوق المعاريج ، والأرض كانت وقفًا ليهود بنى عطا ، ومطبخ الأمر فخر الدين عثمان سكنه بعض اليهود العاملين بصناعة السكر ، ومطبخ سعيد اليهودى وكان قريبًا من مطبخ الأمير سيف الدين الكريمى .

وهناك العديد من الوظائف التى تم ذكرها فى المصادر الإسلامية ووثائق الجنيزة . فمن المهن التى مارسها سكان تلك الحارات والدروب الصيرفة ، فهناك إشارة إلى العديد من الصيارفة من ملاك العقارات وبائعيها ، والمهنة الأخرى الصباغة وتجارة الأحجار الكريمة ، وهناك سباك للذهب وجلاء الفضة ، وكذلك مهنة الطبيب والكحال ، ووجدت أزقة بأسماء أطباء يهود ؛ وعمل بعضهم مترجمين لإجادتهم اللغات وهناك درب الترجمان نسبة إلى أبى الحسن الترجمان ، ولقد ذكر ميشلوم اسم مترجم لدى السلطان وهو فى الغالب السلطان

قايتباى ، وكان المترجم يهودى قد أسلم وهو من أصل أسبانى ، وعمل بعضهم فى وظائق إدارية كبرى وصغرى ، وكان بعضهم كتبة لدى الأمراء المماليك كأبى ثابت اليهودى ، كاتب الأمير عز الدين أيبك ، ولقد عمل اليهود فى مجال التجارة . وسبق ذكر ابن عوكل ونسيم وجودة وغيرهم ، وعملوا بجميع أنواع التجارة ، فكان منهم البزاز والخلال والفوال والعطار والنساج والصائغ كذلك عملوا بحرف وصناعات مثل الخباز والطباخ والفراش والطحان والنجار وعمال بناء ، ووردت أسماء إسلامية شاركت معهم فى نفس الأعمال بل تشارك عمال يهود ومسيحيون ومسلمون فى إصلاح بعض المبانى التى تخص القادوش فى حارة اليهود (٣٠)، وهناك نساء أشير إلى ممارستهن بعض الأعمال كالدلالة والقابلة والمعددة حيث وردت اسماؤهن كسكان فى بعض مبانى حارة اليهود وبعضهن احترف قراءة الطالع ، وكان لليهود أسواق فى حاراتهم وتكرر اسم سوق وسويقة وقيسرية ، وفى وثيقة تعود لنهاية عصر الأيوبيين ١٢٤٧م أشير إلى مبنى سكنى حوى أسماء سكانه وظائف مختلفة كعبد الله السقا والبرناس والنحاس وأولاد الغزولى وابن النوخذة ومكرم الصباغ وعلى الطباخ ... إلخ . وتردد فى أغلب وثائق البيع والشراء للعقارات فى الحارات التى سكنها اليهود أعمال أصحابها من تجار وكتاب وصيارفة وحرفيين (٣١).

٧ - وحمل ليهود فى غالبيتهم وخلال فترة العصور الوسطى أسماء إسلامية فأصبح من الصعب تفرقتهم من مجرد القراءة العادية للأسماء فهناك أسماء عبد الباقى ، سليمان ، عبد العزيز ، فرج ، سعيد ، عبد الحق ، عبد الواحد ، عبد الرحيم وحمل رئيس الطائفة اليهودية اسم عبد اللطيف إبراهيم ، وحملت النساء أسماء سديدة ، ظريفة ، رشيدة ، صفية ، ست الترك ، ست الحسن ... إلخ ، أما الأسماء التى لم يستعملوها فهى محمد ، أحمد ، أبو بكر، عثمان ، والنساء خديجة وزينب(٣٢) .

واتخذوا ألقاب الشيخ والريس والمعلم ، والحضرة السامية وثقة الملوك والسلاطين للشخصيات المميزة وأشار القلقشندى إلى أن أعلى ألقابهم كان الحضرة ، ثم حضرة الشيخ ، ثم الشيخ الريس (٣٣) ، وبعض الأسماء حملت جنسية بلادها الأولى كالمغربى والميجانى والتاهرتى .

٨ - تأثر اليهود فى حاراتهم بعادات المسلمين وتقاليدهم الذين شاركوهم فى أحيائهم ، فلقد ذكر عوبديايا أنهم أخذوا العادات العربية فى الطعام ، وأنهم يجلسون فى حلقة على

السجادة ويفرشون ملاءة عليها يوضع عليها الأكل وفواكه الموسم ، وذكر ميشلوم بأن اليهود والمسلمين فى القاهرة يأكلون طعامهم فى طبق واحد ، وليس لديهم سرير ، ومن قوائم المهور فى مصر نجد أنهم قلدوا بعض طرز الملابس المملوكية ، فورد فى قائمة مهر أحد الأردية التى كانت ترتديها النساء فى عصر المماليك واسمه تغلق وهو قميص مملوكى بأكمام .

أحياء اليهود :

هى الأحياء التى بها عدداً وكثافة يهودية وسنجد قائمة بأسماء الأحياء وما تحويه من دروب وأزقة وأسواق وسويقات وخوخ ورغم تعدد القائمة فهذا لا يعنى أن اليهود كانوا يمثلون كثافة سكانية كبيرة فى القاهرة أو فى المدن الأخرى ، بل كانوا لا يتجاوزون بضعة آلاف على مستوى مصر كلها ، وإذا كان رحالة نهاية العصور الوسطى ذكروا أن بالقاهرة ما يقارب ثلاثة آلاف[٣٤]، وهى المدينة التى بها أكبر تواجد سكانى فهذا يعنى أن العدد الكلى لن يتجاوز ستة آلاف على أقصى حد ، وهذا ما أكده مارك كوهين بقوله أنهم شريحة صغيرة ولكن فعالة.

أولاً الأحياء الرئيسية ، وقد شملت منازل وأماكن عبادة لمسلمين ومسيحيين ويهود .

١ - حى المصاصة[٣٥].

٢ - خط قصر الشمع .

٣ - حى زويلة

٤ - حى مهرة

٥ - حى تجيب .

٦ - حارة الجودوية .

حارات اليهود فى قصر الشمع :

زقاق اليهود[٣٦] ، ويقع فيه كنيس اليهود ، وكان بالفسطاط كنيسان أحدهما خاص بالشاميين والآخر بالعراقيين و(بابليون) ، زقاق الترجمان[٣٧] ، خوخة خبيصة بين كنيس اليهود والمسجد الأرضى وكانت مسدودة حتى فتح رئيس اليهود سورا سلك منه إلى داره بالمصاصة [٣٨]. زقاق الترمس [٣٩]، زقاق أبى حديد اليهودى[٤٠]، سوق بربر [٤١]، زقاق الكنيس ، زقاق الترجمان ، زقاق مسجد القبة .

المصاصة [٤٢] وسكنها الطبقة العليا من اليهود من تجار وكبار موظفين ويصل الداخل إلى الحى من درب واصل بن عامر ، وكذلك من درب السلسلة من حى تجيب المدخل الثالث من درب الجديد من مهرة والرابع من درب محرس بنانة .

وتشمل المصاصة الدروب التالية :

درب ابن كبر [٤٣] ، درب ابن حلاوة [٤٤] ، درب السلسلة [٤٥] ، درب أبى بكر [٤٦] ، درب الجديد [٤٧] ، درب المعاصر [٤٨] ، درب الكرمة [٤٩] ، رحبة المقدسية [٥٠] ، درب محرس [٥١] بنانة ، زقاق بنى حشيش [٥٢] .

سقيفة :

سقيفة أبن الفارق اليهودى [٥٣] ، سقيفة درب حلاوة [٥٤] ، سقيفة أبى سدس [٥٥] .

الحمامات :

حمام الفائزى فى درب المعصرة [٥٦] ، حمام خشيبة ، وأصبح فى عصر المماليك جزءاً من وقف خوند طغطاى أم أنوك ابن السلطان الناصر محمد [٥٧] .

خط توجيب : وهى قبيلة عربية استقرت فى الفسطاط واتخذت لها خطة دخلت فيها قبائل عديدة ، زقاق ابن كمونة ، زقاق ابن الزمام اليهودى [٥٨] - حارة شرف الدين الحلبى ، حارة السودان [٥٩] .

حارات ودروب زويلة : « وهى قبيلة مغربية فى الأصل ولما نزل جوهر مصر اختطت لها مكانًا بالقاهرة » « درب الكنجى [٦٠] - درب الوشاقى [٦١] - درب مخلص [٦٢] - درب البنادين [٦٣] - درب الصقالبة [٦٤] - درب ابن الكورانى [٦٥] - درب ابن شميح [٦٦] - خوخة ابن مأمون البطالحى [٦٧] - خوخة مصطفى [٦٨] - خوخة الموفق [٦٩] - حارة القرائيين [٧٠] - رحبة الموفق [٧١] - رحبة كوكاى [٧٢] - رحبة أبو ذكرى [٧٣] قريبًا من المدرسة العشورية - رحبة خوند [٧٤] فى نهاية زويلة . وأصبحت من ممتلكات خوند اردكين زوجة الأشرف خليل ومن بعده الناصر محمد [٧٥] . زقاق العسل [٧٦] .

ولقد وجد فى تلك الأحياء عدد من المساجد ، فهناك تواجد إسلامى ومن الطبيعى أن تقام مساجد .

المساجد :

١ - حوى قصر الشمع ثمانى مساجد [٧٧]، بعضها فى حارات يهودية كالمسجد الموجود فى حارة ابن أبى الحديد[٧٨] ، والمسجد المجاور للمعبد اليهودى[٧٩] ، والمسجد الموجود بين خوخة خبيصة وكنيسة بربرة[٨٠] .

المساجد فى توجيب[٨١] :

مسجد فى حارة ابن كمونة ، مسجد فى زقاق السلسلة ، مسجد قريب من المسجد السابق، والمسجد المعروف بإمامة قارىء القرآن بجامع مصر والمسجد المواجه لدار العلم ، مسجد فى توجيب معروف بشرف الدين ابن الحلبى ، المسجد الموجود فى حارة السودان .

مساجد المصاصة[٨٢] :

المسجد الموجود فى درب حلاوة ، مسجد السلسلة ، مسجد الفائزى ، مسجد زقاق ابن التصوف ، مسجد ابن الشعبية ، مسجد قطب الدين السنهورى ، مسجد ابن حشيش ، مسجد التاج ، مسجد الشيخ بن القمصان ، مسجد الكرمة ، مسجد المعاصر .

مساجد مهرة : مسجد المكين ابن لفيتة ، مسجد سقيفة مهرة ، مسجد محرس بنانة .

المدارس الإسلامية فى حارات اليهود [٨٣]:

العاشورية فى حارة زويلة فى رحبة كوكاى ، وكانت فى البداية منزلاً لأبن جميع اليهودى كاتب قراقوش ، وقامت السيدة عاشورية ابنة ساروح الأسدى وزوجة الأمير ايازكوج[٨٤] بشرائه وتحويله إلى مدرسة للحنفية ، والمدرسة القطبية فى رحبة كوكاى وعرفت بعصمة الدين مؤنسة خاتون المعروفة بدار إقبال العلائى ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد[٨٥] وإليه نسب (ت ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣م) وكان بها درس للشافعية ودرس للحنفية .

المعابد اليهودية فى أحياء اليهود[٨٦] :

فى قصر الشمع : معبدا العراقيين والشاميين .

كنيسة القرائيين - كنيس دار الحضرة فى زويلة ، درب الرابغى ، كنيس الربانيين فى زويلة ، درب البنادين ، كنيس ابن شميح فى زويلة قريب من المدرسة العاشورية [٧٠].

كنيس السامريين فى درب الكورانى ، كنيس المصاصة [٨٨].

وإذا أردنا معرفة نوعية الطبقات التى سكنت تلك الأحياء اليهودية ومدى التواجد الإسلامي والمسيحى فيها ، والطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها اليهود فى كل حى فنجد أن التقسيم أو التوزيع الحقيقى لم يكن على أساس دينى وإنما على أساس طبقى ، وفقًا للطبقة الاجتماعية والاقتصادية التى ينتمى إليها الفرد سواء كان يهوديًا أو مسلمًا ، فنجد فى الحى الواحد فى زويلة أو المصاصة حارات سكنتها طبقة عليا من مسلمين ويهود ومسيحيين ، وفى زقاق آخر من الحارة نفسها طبقة وسطى (٨٩).

وفى زقاق آخر غلبت عليه الطبقة الدنيا من جميع الفئات الدينية ، وإن كانت حارة سرور اللول فى زويلة كسرت القاعدة وضمت منازل لطبقة عليا موسرة من أمراء وكبار تجار وصيارفة، وفى الوقت نفسه سكنته فئات من الحرفيين ؛ والملاحظ أن إطلاق حارة على زويلة لا يعطى المعنى الحقيقى والدقيق فهى أقرب إلى الحى حيث ضمت العديد من الحارات والأزقة والحمامات والدروب والأمر نفسه بالنسبة للمصيصة .

حارات سكنتها طبقات عليا : نجد أن هذه الطبقة تمثلت فى أمراء مماليك ووزراء وكبار رجال الإدارة والفقضاء من المسلمين والصيارفة والصياغ والأطباء وكبار الموظفين من اليهود ،

أولاً : حارات سكنها أمراء :

سكنت خوند أردتكين التى كانت زوجة لاثنين من السلاطين المماليك الأشرف خليل ، ثم الناصر محمد ، وابنة لتوغية السلاح الدار الطغرى ، وبعد انفصالها عن الناصر محمد سكنت فى حارة زويلة . وعرفت دارها بدار خوند ، وظلت بها إلى أن توفيت فى عام ٧٢٤هـ/١٣٢٣م ، وكان لهذه الدار حمام ملحق بها ، تحول بعد ذلك إلى دار مستقلة سكنها الأمير صلاح الدين محمد، استدار السلطان .

ومن الحارات التى سكنها الأمراء فى زويلة درب الكنجى سكنه الأمير سنقر الحلبى الكنجى الحاجب أحد أمراء الظاهر بيبرس وقبله السلطان قلاوون فى أول ولايته . ودرب الرابض وسكنه الأمير طراز الدولة الرابض بأسطبل الخلافة ، ودرب الوشاقى وسكنه فى البداية أحد أمراء صلاح الدين وهو الأمير حسام الدين الوشاقى ، وظل سكنًا للطبقة العليا فى العصر المملوكى ، وخوخة الجوهرة فى زويلة كان بالقرب منها دار الأمير علاء الدين الكورانى والى القاهرة ٧٤٩هـ /١٣٤٨م وفى رحبة كوكاى(٩٠) دار الأمير سيف الدين كوكاى سلاح دار السلطان الناصر محمد وبها المدرسة القطبية .

ثانيًا : حارات سكنها وزراء وقضاة وولاة :

خوخة الفائز وهى بسويقة اليهود سكنها الصاحب شرف الدين الفائزى والصاحب فخر الدين محمد بن على وولده الصاحب تاج الدين ، وكان الفائزى أصلاً مسيحيًا ثم أسلم أيام الكامل، وتولى عدداً من المناصب فى عهدى العادل الثانى والصالح ، وداره تعرف بالفائزى ودخل فى خدمة السلطان عز الدين أيبك ، ثم قتل على يد زوجته أم على بعد تولى ابنها المنصور عرش السلطنة ، وللفائزى هذا عدة أماكن حملت اسمه فى الحارة نفسها فهناك حمام وسويقة وخوخة فى درب المعاصر ، ودرب حلاوة به مسكن رئيس اليهود مقابل مسجد به مسكن لشرف الدين الجوسقى ناظر الجيزية فى زمن ابن دقماق [٩١]، درب الأنجب بزويلة سكنة البساطى قاضى القضاة جمال الدين يوسف ، وكان سكنًا للقاضى الأنجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله من مصر ، ودرب السلسلة سكنه افتخار الدولة الأسعد وسكنه جماعة من أعيان القبط أيضًا .

وسويقة المسعودى[٩٢] جنوب حارة زويلة سكنها فى عصر المماليك فتح الدين اليهودى كاتب السر فى ٨١٣ هـ/ ١٤١٠م عصر سلاطين المماليك وكانت فى الأصل لأحد ولاة القاهرة فى العصر الأيوبى . وذكر ابن دقماق أن درب المعاصر سكنه أكابر وأعيان المصريين فسكنه الشيخ بهاء الدين الأصمعى [٩٣]. ودرب الزمام فى تجيب سكنه القاضى أبو العباس من العصر المملوكى ، وحارة سرور اللول سكنها أمراء مماليك وصيارفة يهود ، وحارة ابن شميخ بجوار المدرسة سكنها زين الدين بركات الصائغ اليهودى ، وفى عقد يعود لعام ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠م قام المجلس العالى شهاب الدين أحمد بن يلبغا بن عبد الله التاجر بسوق القبوة بشراء منزل من سمعان بن عيسى عين عبد الله النصرانى المعروف بابن الأعرج فهنا عقد شراء بين مسلم ومسيحى من سكان الحى .

الطبقة الوسطى والدنيا من سكان حارات اليهود :

فى مناطق قصر الشمع وجدت أحكار بها أرباع ملك للقادوش سكنها مسلمون ويهود ومسيحيون[٩٤] من الطبقات الدنيا والشريحة السفلى من الطبقة الوسطى ، وتلاحظ أن المصادر الإسلامية ركزت على ذوى المكانة فى حارات اليهود . أما الطبقات الوسطى والدنيا فنجدها فى ثنايا وثائق الجنيزة ، فالاهتمام بالتاريخ الاجتماعى فى العصور الوسطى محدود ، وأغلب الوثائق تشمل أحكار وأوقاف يعود أغلبها للعصر الأيوبى ، وإن ذكر ابن دقماق أنها ظلت قائمة فى عهده وبها سكان . ورغم أن غالبية تلك الطبقة فى قصر الشمع ، فإن هناك

حارات فى زويلة والمصاصة غلبت عليها الطبقة الدنيا ، وكان الربع يتضمن عدداً من الغرف وأحيانًا الحوانيت ، فنجد فى مهرة فى نهاية عصر الأيوبيين داراً يملكها ثلاثة مسلم يسمى الحاج منصور بن مكارم والمالك الثانى المعبد اليهودى(٩٥) والمالك الثالث شخص اسمه الريس أبو منصور كوهين ، والسكان نجد بينهم أسماء متعددة إسلامية ويهودية ومسيحية ، والمهن تشير إلى حرف أصحابها نجار وصباغ ، ولقد حدث ترميم فى الربع قام به حزان المعبد وتقاسم الملاك الثلاثة دفع النفقات ، وكان للقادوش أملاك فى زقاق الكنيس عند المعبد اليهودى وأشير إليه بدار سكن الأعمى وذكر ابن دقماق أنه كان فى وقته زقاق يسمى زقاق العميان(٩٦)، كان به رجل يملك عدة منازل اسمه فارس الأعمى ، وسكن فى أملاك القادوش تلك فى فندق بالسوق الكبير رجل اسمه أبو محمد ، ونلاحظ من خلال الوثائق أن تلك الأحكار والإرباع التى يملكها القادوش أو يشارك فيها أسماء إسلامية وألقاب إسلامية كالحاج على وأسماء نساء مسلمات كزينب . وأن أغلبهم إن لم يكن جميعهم ينتسبون إلى طبقة الحرفيين ، وزقاق المعاريج سكنه العاملون بصناعة السكر من المسيحيين واليهود ، ودرب الحرانى به دار الناقة الصباغ ، وزقاق الترمس من الأزقة التى سكنها العامة والحرفيون ، والغريب أنه كانت هناك حارات تجمع بين مستويات طبقية مختلفة والمثال على ذلك حارة سرور اللول فى نهاية حارة زويلة (٩٧)، ففى تلك الحارة منزل لصيرفى يهودى فى الصاغة باعه لخلال ، وكانت حدود المنزل بها دار أبو ثايت اليهودى ، كاتب الأمير عز الدين أيبك ، ولقد بيع المنزل لصيرفى آخر فى عام ٦٩٣ هـ / ١٢٦٥م ، وفى وثيقة أخرى ورد باسم ربع سرور اللول فى زويلة حيث قام الأمير قليج الناصرى من البحرية المنصورية(٩٨) بشراء منزل من محيسن اليهودى بالأصالة عن نفسه ونيابة عن أخيه عبد العزيز وأخواته ظريفة وسديدة ورشيدة ، وكان المنزل كبيراً متعدد الطوابق وبه عدة غرف وقاعات مما يثبت أنه لم يكن مطبقًا آنذاك ما أثير عن إلزام اليهود بارتفاع محدد لمنازلهم ؛ والوثيقة تعود لنوفمبر ٦٨٤ - ١٢٨٥م ، ورغم أن الشارى أمير مملوكى فحدود المنزل وجيرانه الأقربين من طبقة وسطى ودنيا فأحد حدود المنزل زمام يدعى مقبل ، وحد آخر أبو الحسن الخباز واشتراه الأمير بـ ٩٠٠٠ درهم وعاد الأمير وباعه بعد ثلاث سنوات مقابل ٧٠٠٠ درهم عام ٦٨٧ - ١٢٨٨م (٩٩)، ولا نعلم بالتحديد هل استخدمه الأمير كسكن له أم استثمار . والمنزل نفسه قام اليهودى محيسن ببيعه لأمير آخر هو شجاع الدين بكتوت الأربلى المنصورى من مماليك السلطان قلاوون عام

٦٨٨ - ١٢٨٦م باع له النصف ثم الثمن فالمنزل أصبح شركة بين الأمير واليهودى ولا نعرف بوضوح كيفية الاستغلال وهل به مستأجرون آخرون .

ومنزل آخر تمت عملية شرائه بين اثنين من الحرفيين من الشريحة العليا من الطبقة الدنيا والاثنان من اليهود ويعملان خارج حارة زويلة فأحدهم سباك ذهب فى الصاغة المنصورية بالقاهرة(١٠٠) والثانى خلال فى الصليبة فى مسجد ابن طولون ، وعند حدود المنزل منزل لشخص يدعى محمد الفراش ومنزل فى حد آخر لعلى الأنصارى ، ثم عبد الله ابنه ، وفى عقد منزل فى حارة سرور اللول نفسها نجد حدود المنزل تشمل منزل طباخ وفراش من يهود ومسلمين، فالحارة بها منازل وسكان من كافة الطبقات والأديان . ولقد تكرر ذكر الأسماء الإسلامية من بين سكان أرباع ومنازل يملكها القادوش عبر فترات زمنية مختلفة ، وفى درب السلسلة إشارة لسكنى طبقات دنيا فى وثيقة رقم ١٢٣ ، نجد قوائم أسماء بعضها حمل أسماء إسلامية كعثمان الفوال حيث أشير إلى سكنه فى طباق مع آخر وهو رمضان القزاز الذى يسكن قاعة فى الطباق وفى نفس الوقت ورد اسم الرابى صدقة كأحد السكان ، وكذلك الإشارة إلى دار فى مهرة سكنها نساجون .

ووثائق الجنيزة تشير إلى خطأ نظرية الجيتو اليهودى الذى ذكر جوايتين أنه وجد مع حكم المماليك ثم العثمانيين ، فمن نفس مجموعة القرائين نجد وثائق تشير إلى استمرار عملية السكن المشترك ، ففى وثيقة تعود إلى نهاية عصر المماليك(١٠١) ، وفى عام ٨٦٧ هـ / ١٤٦٣م نجد عقد بيع بين اثنين من المسلمين شمس الدين محمود بن نور الدين على وزين الدين أبو بكر بن محمود واليهودى صمويل بن موسى بن عبد الوالى القراء التاجر بالصاغة فى منطقة زويلة ، وفى وثيقة تعود إلى بدايات الحكم العثمانى ٩٣٨هـ - ١٥٣٢م وثيقة بيع بين المعلم داود بن موسى والصدر الأجل الكبير الزينى المعلم رمضان بن عيسى ، وذلك فى حضور القاضى الحنفى . والأمر نفسه فى عقود ترجع لعام ٩٦٨هـ / ١٥٩٢م (١٠٢)، بين يهودى يسمى موسى بن خليفة ومسلم ، وذكر أن العقار فى خطط اليهود فى حارة زويلة فى زقاق المنشر ، وكانت حدود المنزل أيضًا جنوب منزل فرج الله التاجر اليهودى وفى الجنوب مكان معروف بالملوانى أفندى شمس الدين أحمد الملوانى وفى الشرق المنزل المعروف باسم عبد الوهاب الوراق المعروف بالزركشى . وإذا كان المسلمون والمسيحيون سكنوا فى أحياء اليهود ، فهؤلاء بدورهم تملكوا مساكن خارج أحيائهم . ففى عقد بين مسيحى ويهودى يعود لعام

١٥١٤م / ٩٢٠ هـ البائع كان المعلم يوحنا بن يعقوب بن حديد النصرانى والمشترى المعلم موسى بن عبد الرحيم بن إبراهيم وشموئيل بن إبراهيم الشامى رأس القرائين والمكان المباع يقع خارج القاهرة فى خطط العطوف فى داخل باب النصر فى زقاق مسدود ومعروف فى عصر المماليك بدرب اللفاف ولقد كان المؤرخ ابن الفرات يعيش فى هذا العطوف ورغم أن اليهود كانوا يفضلون الإقامة فى القاهرة ويرون ماعدا القاهرة والفسطاط ريفًا لايرغبون فيه كما حدث فى رسالة أرسلها أحد الشبان اليهود الذى عين فى الريف فأرسل يطلب العودة إلى المدينة ، وآخر عين فى المحلة فتركته زوجته وعادت إلى القاهرة [١٠٣]، وإن كان هذا يدل على تواجد يهودى فى الريف وفى عدد من المدن كالمحلة ودمياط ورشيد ، ولقد أورد Mann مان[١٠٤] وثائق تتعلق بالمجتمعات اليهودية فى ريف مصر وأقاليمها ، فذكر وثائق تعود لمجتمع يهودى فى زفتى حوالى ١١٥٤م / ٥٤٩هـ ، وصراعات بينهم وبين يهود فى القاهرة وتضمن الخطاب إشارة ليهود فى بلبيس والمحلة . وكان اليهودى الذى يعيش فى القاهرة يهرب إلى الأقاليم فى حالة عدم تمكنه من سداد دينه ، وعلى ذلك فالناصر محمد أرسل إلى جميع القضاة والمقدمين فى الريف لكى يقبضوا على الهاربين ومعنى هذا وجود أعداد كبيرة من اليهود فى الأرياف .

وتضمنت وثيقة تعود لعام ١١٥٣م / ٥٤٨هـ أن يهود عسقلان أثناء الغزو الصليبى هربوا منها واتجهوا إلى بلبيس [١٠٥]، كذلك هناك عدد من وثائق بخصوص عقود بيع وشراء فى مدينة الإسكندرية . وعدد من المدن الصغرى ، إذ وردت وثيقة عن شراء منزل بألف درهم فى الإسكندرية كذلك باعت امرأة لأمها منزل تملكه مع قزاز (صانع حرير) وإشارة لمنزل آخر ليهودى بالإسكندرية به بئر ، وهناك وثائق عن بيع منازل فى منية زفتى ومنزل فى قرية البنا بقرب فاقوس فى الدلتا [١٠٦]، وآخر فى بلبيس ، ووثيقة تشير إلى بيع منزل فى حى الجعفرية فى سهرجيت ، وبيع نصف منزل به مخزن فى قرية فى فاقوس ، وفى قرية الدميرة وصل بعض مواطنيها من اليهود لمكانة بارزة فى مجتمع الفسطاط اليهودى ، وفى دمياط حمل عشرة من اليهود البارزين اسم الدمياطى منهم مدرسون وأطباء وتجار فى تجارة الهند ، ولقد أشار الرحالة اليهود إلى تلك المجتمعات فى رشيد ودمياط .

والطبقة التى عاشت فى هذه المدن الصغيرة أو القرى لم تكن كلها من فئة العامة بل ضمت أطباء يهود وصغار تجار ورجال دين . وكانت نوعية المنازل تتوقف على الفئة التى ينتمى إليها الشخص ولقد سكن اليهود فى منازل ذات طوابق عدة فى بعض المدن ، فمنزل فى المحلة

ورد أنه يتكون من أربعة طوابق واستخدم السطح فى نشر الثياب لجميع السكان . أما منازل الشريحة العليا من الطبقة الوسطى والطبقة العليا فقد كانت لاتقل عن مثيلتها الإسلامية وإن خلت فى أغلبها من قاعات الحريم ، وإن وجد منزل لطبيب يهودى أراد تقليد الطراز الإسلامى به قاعة للحريم ١٣٤٥م /٧٤٦ هـ ، وكانت المنازل تتكون من بوابة تؤدى إلى ممر ثم ساحة مكشوفة تحيط بها قاعة أو مجلس وفى عقد منزل يعود ١٢٦٠م / ٦٥٩هـ ، وجد إيوان فى الأدوار العليا يطل على الساحة بدلاً من المجلس فالمنزل كان يتكون من عدة طوابق ، وفى وصف منزل ليهودى يعود لعام ١١٣٨م / ٥٣١هـ من عقد كتبه الكاتب حلفون بن منشا فى قصر الشمع فى الفسطاط كان منزل اليهودى يتكون من ثلاثة مستويات مختلفة غرفة معيشة كبيرة بها أعمدة تربطها بغرفة أخرى كبيرة ويتوصل إلى غرفة النوم بسلالم وغرفة أخرى تقع فى الممر فى محازاة تلك الغرفة وهى غرفة الخدمة أو المستخدم وتشمل المطبخ والحمام . وكان من المألوف وجود أكثر من مستوى فى بناء المنازل ، وفى عقد بيع منزل بين الأمير شمس الدين طغر ابن الأمير سيف الدين قلج أرسلان من البحرية المنصورية واليهودى محيسن ابن ثابت الله بن أبى ثابت اليهودى الوكيل عن أشقائه عبد العزيز اليهودى وأخواته البنات سعدية وظريفة ورشيدة . وكان المنزل يقع فى القاهرة المحروسة شمال حارة زويلة فى المكان المعروف بربع سرور اللول . هناك مدخلان مسقوفان فى المدخل الأول سلالم حجرية إلى الطابق الأول والثانى يؤدى إلى القاعة السفلى حيث باب الزمام ويؤدى إلى المجلس ولها مدخلين خاصين وتؤدى إلى دورين متوسطين بين الطابق الأرضى والطابق الأعلى وفى نهاية السلالم توجد ثلاث شقق (طباق) فى الدور الأرضى اثنتين والأكبر تشتمل على مجلس ، وباب الريح ، ودور قاعة ، وخزانة ، مطبخ بمنور ، وفى الطابق الثانى طباق واحد أو شقة ، وبها مجلس ودور وقاعة ، بالإضافة إلى وجود طابقين آخرين فوق السابقين (١٠٧) .

وفى منزل آخر وهو منزل ملك زين الدين عبد الكافى اليهودى الصائغ وفى عقد بيع تضمن أن المنزل يقع داخل القاهرة المحروسة بخط حارة زويلة بزقاق ابن سميح بالعاشورية ، ويتضمن المنزل ما يلى : " مربع تغلق عليه فردة باب يدخل منه إلى دهليز لطيف مسقف نقيًا مفروش أرضها بالبلاط الكدان ، يدخل منه إلى باب مقنطر بغير باب عليه تجاهه حنية ثم يدخل من الباب الثانى المذكور إلى دهليز هو إذ ذاك أرض بغير سقف على يمنة الداخل منه حنية صفة .

ومطبخ بمنور وتجاه ذلك على يسره الداخل مخزن ثم تتوصل من بقية الدهليز المذكور إلى مرحاض حفرة على يمين الداخل ثم يتوصل من ذلك ، إلى بيت ازيار على يسره الداخل ثم يتوصل من ذلك إلى باب مربع تغلق عليه فردة باب يدخل منه إلى قاعة تشتمل على ثلاثة أواوين ، أحدهم وهو البحرى خزانة نومية وسقف ورفوف خشب وفيما بين الثلاثة أواوين دور قاعة مفروشة بالرخام الملون الدشت ، وأرض الأواوين مفروشة بالبلاط الكدان أحد الأواوين وهو الغربى مسقوف سقفًا غشيمًا والأيوانان الباقيان نفيامسبك ، جل ذلك بالبياض الجديد خلا الإيوان الغربى المذكور والباب الثانى المذكور أعلاه ، يسار إليه من سلم شارع فى الزقاق خمسة درجات بالبسطة وهو مربع تغلق عليه فردة باب جديدة يدخل منه إلى مفرقين أحدهما على يسره الداخل إلى دهليز هو إذ ذاك أسهم خشب بقدر سقف يتوصل منه إلى طبقة لطيفة تشمل إيوانين لطيفين أحدهما وهو البحرى به خزانة مسقف هذا الإيوان والخزانة التى به بأسهم والجريد والإيوان الثانى وهو أصغر من الأول وهو القبلى هو إذ ذاك بغير سقف بصدده درجتان يصعد عليهما إلى باب يدخل منه إلى مطبخ تكمل مخارجه إذ ذاك والمفرق الثانى به سلم يصعد عليه إذ إنه مسقف وأضلاعه بارزة .

الاندماج فى المغرب :

ذكر هارشبرج العديد من المستعمرات التى سكنها اليهود وتمتد ١٠٠,٠٠٠ كليو متر من قورنية فى ليبيا شرقًا إلى مراكش فى المغرب ، ويشير إلى تواجدهم أيضًا فى الريف والجبال بالإضافة إلى المدن القديمة والمستحدثة فى العصر الإسلامى والقول يجانبه الحقيقة فهى مدن إسلامية بها كثافة كثرت أو قلت أو ندرت من اليهود . وهناك ملاحظات هامة فيما يتعلق بالتواجد اليهودى والعلاقة بالمجتمع الإسلامى .

أولاً : فى البداية كان اليهود يفضلون المدن الساحلية فمستقراتهم على طول الساحل فى تونس ، وقورنية فى ليبيا باستثناء طرابلس « الغرب » التى كانت مركزاً تجاريًا هامًا ، وعلى صلة تجارية بمصر وسوريا وصقلية فسكنوها ، بالإضافة إلى المستقرات الداخلية فى مرتفعات نفوسة حيث كانت تمر طرق القوافل وواحات غدامس ، ثم اليهود الذين عاشوا بين القبائل أو كانوا فى الأصل جزءاً متهوداً فيها (١٠٩).

ومع قيام العواصم والمدن الإسلامية التى أنشئت فى المغرب خلال حقبة زمنية مختلفة ، بدءاً من إنشاء القيروان على يد عقبة بن نافع الفهرى عام ٥٥هـ / ٦٧٤م (١١٠)، وكانت

واقعة فى الصحراء بعيدة عن البحر حتى لا يتطرق لها الروم ، وأصبحت مركزاً تجاريًا هامًا وزاد ازدهارها مع الأغالبة رغم اتخاذهم عاصمة هى « العباسية » فى جنوب القيروان على بعد أربعة كيلو متر ، ونتيجة لسيطرة البحرية البيزنطية وسيطرتها على غرب البحر المتوسط امتدت تجارة الأغالبة إلى صقلية وجنوب إيطاليا وشارك اليهود المقيمون فى القيروان فيها واستخدم حكامها أطباء يهود منهم إسحق الإسرائيلى ، ربما جاءت القصة الأسطورية عن أعحميس Megillat Ahmas من واقع العلاقات مع صقلية فهى تدور حول الرابى بلطيال الذى كان جده شفطايا Sheftaya يعيش فى صقلية واستخدمه الخليفة المعز على حد قول الأسطورة فى إعداد المؤن لجيش الفتح الفاطمى إلى مصر وتضاربت الآراء ونسبته المصادر العبرية لعدد من الشخصيات الهامة فى عصر الفاطميين (١١١). وحين سيطر الفاطميون على المغرب فى عهد عبيد الله المهدى ٩٠٩ - ٩٣٤ م / ٢٩١ - ٣٢٣ هـ ، بعد طرده الأغالبة وإقامته فى القيروان أقام عاصمة جديدة وهى المهدية ٩١٥م / ٣٠٣هـ ، وكانت المدن التى أسسها العرب كتلمسان وتاهرت وفاس فى مناطق داخلية بعيدة عن البحر خوفًا من التهديد البيزنطى البحرى ، ولكن بعد تكوين العرب لبحرية إسلامية كان من الممكن إقامة مدينة على البحر وخاصة لاهتمام المهدى بالأسطول فزادت أهمية المهدية الاقتصادية (١١٣). ومن ثم أقام فيها اليهود مع استمرار أهمية القيروان ويشبه هارشبرج مركز القيروان من المهدية كالفسطاط من القاهرة ، وفى خلال تلك الفترة لجأ يهود من إيطاليا إلى المغرب حين هاجم العرب جنوب إيطاليا ومدينة أوريا Oria .

ثانيًا : هذه المدن لم تكن مدنًا يهودية بل مدن تواجدت فيها أعداد من اليهود ، علمًا بأن الكثافة فى أى مدينة فيها لم تكن ثابتة عبر الفترات الزمنية ، فهناك مدينة كالقيروان أو فاس وجدت بها كثافة سكانية فى فترة ، وفى فترة أخرى تراجعت هذه الأعداد وأحيانًا تصل إلى الندرة ، والكثافة العددية مرتبطة بأمرين الوضع السياسى ، والوضع الاقتصادى . فمع ازدهار مدينة ما تجاريًا فإن أعداداً من اليهود تسعى إلى السكنى فيها والمشاركة فى نشاطها ، ومع تغير الأوضاع وضعف المكانة أو انتقال مركز الثقل التجارى والسياسى إلى منطقة أخرى تقل الأعداد .

ثالثًا : كان للمغرب وضعية تاريخية خاصة ، فقد قامت فيه العديد من الدول والإمارات كان لكل منها سياسته الخاصة تجاة الذميين ؛ فمع الفتح الإسلامى للمغرب ثم إنشاء القيروان

كمركز عسكرى ودينى وما تلا ذلك من سيطرة الدولة الأموية على المغرب ، ثم انتقال الحكم للعباسيين ، ثم ظهور مملكة الأغالبة فى القيروان ، والمملكة الرستمية فى تاهرت ومملكة الأدارسة فى فاس ، ثم جاءت الدولة الفاطمية والتى ناصرتها قبيلة كتامة المغربية واتخذت عاصمة لها المهدية ، وكان الحكام الأوائل إما عربًا كالأغالبة والأدارسة والفاطميين أو فرسًا كالرستميين ؛ ونتج عن استقرارهم وصول كثير من المهاجرين من الشرق وازدهار الحياة الاقتصادية ، ثم ظهر حكام من البربر كمملكة بنى زيرى وحكام هذه المملكة من الصنهاجيين والتى أسسها بلكين بن زيرى بموافقة الفاطميين فى البداية ، وكان يلى الإمارة فى مدينة أشير بجبل تطرى بالزاب ، ثم مملكة بنى حماد وكان المنصور قد عهد لأخاه حماد بن بلكين بحكم المناطق الشرقية لإفريقية البلاد الواقعة بين الجزائر العاصمة وحدود الأوراس ٣٩٨ هـ / ١٠٠٨م وقام بتأسيس قلعة لتكون عاصمته وهى قلعة بنى حماد (١١٤).

ثم جاءت جموع وقبائل بنى هلال المستوطنين فى شرق النيل إلى إفريقية فى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى ، وظهرت مملكة صغيرة عربية فى فاس ألا وهى مملكة بنى جامع ، واضطر حكام المهدية لقبولها مقابل موافقة اسمية . ثم جاءت دولة المرابطين الذين سيطروا لمدة مائة عام على المغرب من منتصف القرن الحادى عشر الميلادى إلى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى (غرب إفريقيا والمغرب وأسبانيا) ، ثم جاءت دولة الموحدين ومؤسسها المهدى بن تومرت وكان أميرها عبد المؤمن ٥٢٣ هـ / ١١٣٠م أحد الذين واجهوا حركة الاسترداد المسيحية فى أسبانيا .

واستمر ظهور الممالك المستقلة مثل بنو غانية ولقد انقسم الشمال الإفريقى إلى ثلاث ممالك، مملكة الحفصيين فى تونس ومملكة عبد الواد فى تلمسان ، ومملكة بنى مرين فى فاس ، وازداد فى عهدهم الهجوم المسيحى على شمال إفريقيا .

مما سبق يتضح أن المغرب تداولتها دول عديدة عبر فترة العصور الوسطى ، واختلف موقفها بالنسبة لليهود . ففى الفترة التى سبقت الإسلام تواجدوا بين القبائل ، وفى الجبال وفى عدد من المدن ، أما فى العصر الإسلامى فتركزت غالبيتهم فى المدن سواء الجديدة المستحدثة أو القديمة ، فالقيروان والمهدية بدأتا كمركز عسكرى وسياسى ودينى ، وكانت تخرج من القيروان البعوث للغزو والفتح ، والفقهاء انتشروا فى المغرب لنشر الإسلام واللغة ، ولقد ظلت المدينة

عاصمة لعدد من الدول التى مرت على المغرب ، وإذا كانت القيروان قد أنشأها عقبة بن نافع الفهرى ٥٥هـ / ٦٧٤م فى الصحراء بعيداً عن البحر حتى لا يهاجمها الروم ، فالمهدية بنيت على لسان بارز فى الماء وعلى بعد ستين ميلاً من القيروان ، وكان يحيط بها البحر من ثلاث جهات ، وكان إنشاؤها معاصراً لتفوق البحرية الإسلامية ، ولقد تحولت كل منهم إلى مركز تجارى زاهر (١١٥). ولم تعد مدنًا عسكرية ونفس الأمر بالنسبة لتاهرت وتلمسان وفاس ، حيث صاحب إنشاؤها استقرار وحياة اقتصادية واجتماعية زاهرة ، ولقد شارك اليهود فى الأنشطة الاقتصادية فى تلك المدن .

ولكننا لا نستطيع التعميم ، فالستين مدينة التى ذكرها هارشبرج لا نستطيع القول أن بها تواجداً يهوديًا دائمًا أو نشاطًا اقتصاديًا خاصًا بهم مزدهراً عبر فترة العصور الوسطى كاملة ، ولكن التواجد اليهودى مرتبط بسياسة الدولة الفاتحة ، فإذا كانت هناك دول ومدن ينعم فيها اليهود بالتسامح وحدث اندماج مع الأهالى وظهر دورهم فى النشاط الاقتصادى وغنموا الثروات وكونوا الشركات التجارية وشاركوا المسلمين أحياءهم وشاركهم المسلمون سكنى الأحياء اليهودية ، فهناك فترات اتخذت منهم الدولة الحاكمة موقفًا كبعض فترات حكم الأدارسة ، وفترة حكم المرابطين والموحدين ، وإن كان هذا له ما يبرره ؛ فلقد تعرض العالم الإسلامى لهجمات الغرب الأوربى ، فكان المنطلق الالتفاف حول العقيدة ، بالإضافة إلى ما قام به اليهود أنفسهم من عامل إثارة للشعور الشعبى لتعاملهم بالربا وعدم ولائهم أحيانًا ، وإن كانت السمة الغالبة هى التسامح وهذا من واقع وثائق الجنيزة ، حيث مارس الجاؤنات ورجال الدين حياتهم الدينية ، واشتغل التجار بتجارتهم مع دول العالم وخرجوا فى السفن والقوافل التجارية مع المسلمين (١١٦).

لم يكن هناك جيتو فعلى أو حى يهودى إلا فى عهد المرينيين كما ذكر مؤرخو اليهود أنفسهم (١١٧) ، وإن كان فى فترة من حكم الأغالبة ونتيجة لتصرفاتهم المالية قام حكام تونس بفصلهم فى المدينة بعد أن كانوا مختلطين بالمسلمين ، فأقاموا فى الملاسين(١١٨) وفندق باب البحر ولم يأذن لهم بالرجوع إلا بعد تدخل الإمام الصالح أبى محفوظ ولقد سمح لهم بسكنى بعض الأحياء التى عرفت بالحارة ، ولكنها لم تظل منطقة معزولة فى الفترة التالية بل عادت العلاقات السابقة من اندماج ومساكنة ، أما سكناهم فى حى مستقل ففى العهد المرينى فقط.

واختط أبو يعقوب يوسف المرينى فاس الجديدة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م . ولقد أشار أستاذ مغربى وهو د. مصطفى النشاط فى مقال له عن الدولة المرينية إلى وجود مزايا متبادلة بين المرينيين واليهود بل يعدهم أهم العناصر التى تحالفت مع المرينيين " لقد تحسنت وضعية اليهود كثيراً فى العصر المرينى بعد مرحلة المضايقة التى عانوا منها فى الفترة الموحدية ، فمنهم الذين كانوا يحتكرون بعض الأنشطة الحرفية التى كان المسلمون يستنكفون عن ممارستها كصياغة الذهب والصيرفة كما أنهم جعلوا من طريق الذهب السودانى على حد تعبير الأستاذ ديفورك Dufoureq طريقًا يهوديًا " ويذكر أن هناك كتابات عبرية منقوشة بالمناطق الصحراوية أكدت حضور اليهود القوى خلال الفترة فى التجارة ، بل إنهم كونوا بعض الشركات التجارية التى تقوم بتجارتها عبر السودان .

ولقد حظى اليهود بامتيازات اقتصادية وحظوة لدى السلطان امتدت أحيانًا للمجال السياسى ، مقابل تقديم مختلف الوسائل المادية للمرينيين من أجل بناء توازنات حكمهم(١١٩)، ويرجع د. مصطفى أحد أسباب إنشاء فاس الجديدة لما حدث من ثورة عامة ضد اليهود ذكرها صاحب الذخيرة السنية ، وذكر أن العامة قامت على اليهود بسبب جارية مسلمة ادعت أن أحد اليهود اغتصبها قهراً فى داره ، ولذلك فكر فى إنشاء حاضرة جديدة وأسكنهم بجانب القصر ، وإن لم يربط صاحب الذخيرة بين إنشاء العاصمة والثورة ضد اليهود(١٢٠)، وإن كان هناك مخطوط آخر مجهول المؤلف بعنوان قضية البلدين أشار إلى أن اليهود كانوا يمدون السلطان المرينى بالمال لأنه كان محتاجًا إليه .

وإن كان العديد من المؤرخين أرجع سبب إنشاء حى جديد لهم نتيجة للأخطار الخارجية وتعاون اليهود مع البرتغال .

ولقد قام أبو سعيد عثمان فى عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ببناء حى خاص بهم على مساحة كبيرة محاطة بالدكاكين حسنة البناء يعيش فيها اليهود كأنهم منفصلون وازدادت أعدادهم لعشرة آلاف وانضم إليهم من طرد من أسبانيا فى عام ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢م فى عهد فرديناد وإيزابيلا ، ولقد سكنوا أيضًا المحلة فى فاس .

من واقع ما سبق يتضح أن اليهود أقاموا فى العديد من العواصم الإسلامية فى المغرب والمدن الساحلية وبعضهم وهو قليل أقام فى مناطق جبلية مع البدو والرحل وأخذ عاداتهم .

والملاحظ أن أعداداً كثيرة من يهود المغرب انتقلت عبر فترات زمنية مختلفة إلى مصر ، وعدد من المدن الإسلامية ، فقد تكرر اسم المغربى والقيروانى والطرابلسى والتاهرتى فى أسماء يهود مصر من واقع وثائق الجنيزة .

وبالنسبة لنوعية العلاقة بين اليهود والسكان المسلمين فى المدن الإسلامية سواء العواصم التى استحدثت أو تلك المتواجدة فى فترة سابقة نجد سمات عامة لطبيعة العلاقة ، فإذا نظرنا إلى القيروان وهى أول العواصم الإسلامية فى المغرب ٥٤هـ / ٦٧٤م ، فهناك إشارة إلى يهود سكنوا القيروان فى القرن الأول الهجرى حيث أمر الخليفة بإرسال ألف عامل مسيحى ويهودى إليها عام ٦٧هـ /٦٨٦م، كذلك استخدم الأغالبة أطباء يهود كإسحاق الإسرائيلى ، ووجدت أعداد من اليهود فبعد استقرار الأغالبة وازدهار القيروان الاقتصادى والحضارى رغم اتخاذهم عاصمة هى العباسية فى جنوب القيروان على بعد أربعة كيلومتر ، ونتيجة لسيطرة البحرية البيزنطية وضغطها على غرب البحر المتوسط امتدت تجارة الأغالبة لصقلية وجنوب إيطاليا وشارك اليهود المقيمون فى القيروان فيها .

أما الإشارة إلى تواجد فعلى وعددى كبير فيعود لفترة حكم الفاطميين وفقًا لما ورد فى وثائق الجنيزة التى تعود للقرن العاشر الميلادى / الرابع الهجرى ، حيث تضمنت مراسلات التاجر اليهودى المصرى ابن عوكل المغربى الأصل مراسلات مع تجار يهود وبيوت تجارية يهودية يعيش أفرادها مع المسلمين فى مدينة القيروان ويمارسون حياتهم ويمتلكون المال والثروة بلا قيود على تجارتهم أو حياتهم أو سكنهم وفقًا لتلك الوثائق ، نجدهم يعيشون فى مستوٍ اجتماعى راقٍ ، وفى إحدى مراسلات ابن عوكل وكان يعمل بالتجارة مع المغرب العربى وكان كذلك وسيطًا بين المجتمع اليهودى فى المغرب والأكاديمية اليهودية فى العراق وفلسطين ، وكانت مراسلاته تغطى أربعين عامًا فى الحقبة الأخيرة من القرن العاشر إلى عام ١٠٣٨م ، ومن الرسائل المتبادلة مع الأسر والشركات والأفراد اليهود نعرف أصولهم والمدن التى استقروا بها فى المغرب ، فرغم أن الرسائل تشير إلى إقامتهم فى القيروان فإن أسماءهم تشير إلى مدنهم الأصلية فى المغرب(١٢١)، فهناك بيت تجارى يديره شخص اسمه التاهرتى نسبة إلى مدينة تاهرت وكانت إقامته فى القيروان ، وواضح أن البيت التجارى لهذه الأسرة كانت له فروع كثيرة، وكان أفرادها يتنقلون بين مصر والمغرب بل ذهب أحد أفرادها إلى بوصير فى مصر ، وهى إحدى مراكز الكتان لمتابعة عملية شرائه حيث كان من أحد المنتجات الهامة المطلوبة فى المغرب .

وهناك يوسف بن المجانى من عائلة من أهم عائلات اليهود المقيمة فى القيروان والذى جاء إلى مصر وأصبح شريكًا لابن عوكل فترة ، ولكنه كان يعود للقيروان ولتجارته هناك .

وكان لابن عوكل وكلاء مسلمون ويهود فى مصر وخارجها ومن الأكيد أن نفس الوضع كان فى المغرب ، ولقد ورد اسم تاجر من تونس اسمه سمحون بن داود الصقلى قام ببيع شحنة أخشاب فى المغرب لصالحه . وكان هؤلاء الوسطاء يمدونه بمعلومات عن السوق فى القيروان والعملة وعن البضائع التى يحتاجها السوق فى المغرب وقوائم الأسعار ووصول الشحنات ، وكانت تونس مقراً لمجموعة من اليهود الأثرياء منهم هارون بن غزال ويعقوب الطرابلسى وكان بعضهم على صلة بالطبقة العليا الحاكمة ، فلقد اشترت أم السلطان الزيرى المعز بن باديس كيسًا من الجواهر من الطرابلسى (نسبة إلى طرابلس الغرب) وهو أحد وكلاء ابن عوكل .

هذه الوثائق تلقى الضوء على التواجد اليهودى وعدم وجود جيتو مهنى أو سكنى ، فهم ينتقلون بكل سهولة بين مدن المغرب فهم وفقًا لأسمائهم كانوا ينتمون لمدن مغربية كتاهرت وطرابلس وغيرها ويعيشون فى القيروان حيث النشاط التجارى ، ويتعاملون مع الطبقة العليا ويدخلون قصورها ، وتضمنت الوثائق ذكراً لشحنه مرسلة من مصر من النسيج الغالى "بوقلمون " بالإضافة إلى البلور لاستعمال تلك الطبقة ، وربما كان هذا التسامح دافعًا للقصة الأسطورية والتى سنتعرض لها فيما بعد والمعروفة باسم Migllat Ahimas أسطورة أعحميصا ، وهى تدور حول الرابى بلطيال والذى تدعى الأسطورة أن المعز استخدمه فى إعداد المؤن عبر الطريق لفتح مصر ، ولقد قام الرابى يعقوب بن نسيم ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م بتأسيس مدرسة دينية فى القيروان ، وكانت على صلة بمدارس العراق ، وكانت هناك حارة تحمل اسم خيبر [١٢٢]. كذلك وجدت أسماء علماء وأطباء مشهورون بين سكانها .

وكانت فاس من المدن التى أقام بها اليهود فحين أنشأ أدريس مدينة فاس ١٩٢ - ١٩٣هـ / ٨٠٧ - ٨٠٨م ، قصدها خلق كثير من اليهود ، وأقاموا بناحية وإعلان إلى باب حصن سعدون فى عدوة القزوينى [١٢٣]، وفرضت عليهم جزية كل سنة ٣٠ ألف دينار ، فملكوا البساتين والديار والحوانيت والرباع . ومازال هناك مكان يسمى فندق اليهود وهو فى الغالب مكان مخصص لتجار اليهود فى القرن الثالث عشر ووجدت مدينة ساحلية اسمها الفندق [١٢٤]. والبكرى يذكر أنها أكثر بلاد المغرب يهوداً وقبلة اليهود فى المغرب الأقصى [١٢٥].

وليس أدل على أخلاقيات المجتمع الإسلامى وعدله ، فحين نسب إلى إدريس الثانى ٢٤٥هـ / ٨٩٩م أنه تتبع امرأة يهودية إلى حمام ، ثار ضده المسلمون ، فهنا أخلاقيات المجتمع الإسلامى الذى يرفض أن تمس امرأة ولم ينظر إلي نوعية دينها أو كونها يهودية(١٢٦). ولقد تأثر اليهود بالأوضاع السياسية فى المدينة كما حدث فى عهد بلكين ابن زيرى الصنهاجى حيث أبعد عدداً من اليهود إلى أشير .

ومن وثائق الجنيزة نجد أدلة على التواجد اليهودى فى أحياء إسلامية ، والعكس فيما خلا الفترات التى اتخذت الدولة الإسلامية موقفًا لأسباب كان وراءها اليهود أو هجوم خارجى على العالم الإسلامى كفترة المرابطين والموحدين ، فالرابى ورجل الدين اليهودى شبيب بار يعقوب والذى كان يعيش فى القيروان فى منتصف القرن التاسع أجاب على سؤال وجه إليه بطلب منع الأغيار « غير اليهود » من السكنى فى منازل اليهود ، وعدم السماح لغير اليهود بسكنى منازلهم ، وأن بيت الدين عليه منع اليهود من التأجير لغير اليهود . فمن الواضح أن المنع قائم بناء على ظاهرة موجودة ومنتشرة ، من سكنى اليهود فى أحياء إسلامية أو تأجيرهم منازل لغير اليهود حيث طلب الرابى تدخل بيت الدين لمنعهم من هذا الإجراء ، وفى وثيقة من زويلة فى المهدية عقد بيع حمام أو حجرة فى الحمام للتسخين كانت تقع عند حدود أملاك لأحد المسلمين .

والأمر نفسه نجده فى قسطنطينة وتلمسان وغيرها وإن كان التواجد أكثر وضوحًا فى مدينة كالقيروان فى فترة الفاطميين والصهناجيين ، وفى القرن الثالث عشر كان هناك يهود يقيمون فى تونس وفقًا لخطاب مرسل لعمدة بيزا من شخصيتين إسلاميتين بارزتين فى تونس للتوصية على يهودى يقيم فى تونس وله ادعاءات مالية ضد يهودى فى بيزا . وخطاب بخصوص اليهودى التونسى نفسه لادعائه على يهودى اعتنق المسيحية وتزوج ابنة اليهودى (١٢٧).

ومع نهاية العصور الوسطى كان التواجد اليهودى مازال ملحوظًا فى عدد من مدن المغرب وهناك إشارة إلى الأماكن التى شغلها اليهود ونعتمد فى هذا على عدد من المصادر أحدها حسن الوزان أو ليون الإفريقى والثانى كليناز نيكولا (١٢٨). وهو أحد الباريسيين المسيحيين الذى زار االمغرب لدراسة الإسلام واللغة العربية . وفى رسالة له مؤرخة فى ١٥٤١/٤/٩م ذكر أن فاس بها أربعة آلاف يهودى . ولقد أشار ياقوت من قبل إلى تواجدهم فى المدينة .

ويروى مارمول كربانخال وهو أحد الأسرى المسيحيين بالمغرب عام ١٥١٧م (١٢٩)، أن عدد اليهود فى فاس بلغ عشرة آلاف يهودى ، ومن الواضح أن هناك مبالغة رقمية وإن كان يدل على تواجد يهودى كبير فى فاس ، ولقد ذكر الحسن الوزان أن اليهود كانوا يقطنون فاس ويشغلون شارعًا طويلاً وعريضًا للغاية ، وأن عددهم زاد حتى لم يعد معروفًا ، ويقدر عدد البيوت اليهودية بخمسمائة بيت وأنهم انتشروا فى إقليم الريف من منطقة تطوان غربًا امتداد للشرق حتى نهر تكور وشمالاً حتى البحر المتوسط وفى اتجاه الجنوب حتى الجبال التى تحازى نهر الدرعة ، وبهذا الإقليم عدة مدن يقطنها اليهود أولها باديس ، وبنى زروال وهى مجموعة مدن جبلية تضم أكثر من مائة وعشرين قرية (١٣٠). وفى مدينة باديس أكثر من مائة دار للتجار والضناع اليهود ، ورغم المبالغة ، فمن المؤكد أنه لم يكن هناك جيتو يهودى مع هذا الكم من المتاجر والمنازل .

كذلك تواجد اليهود فى إقليم تادلا ويحتل الجنوب من جبال الأطلس الكبرى ، ويذكر مارمول كربانخال مدينة أبزا وهى مدينة مأهولة باليهود حيث يوجد ما يزيد عن مائة دار لهم بجانب دور المغاربة .

كذلك فإن إقليم بسكورة كان يسكنه يهود ويقومون باستضافة التجار الأجانب من البرتغال لارتباطهم بمصالح مالية ومن الواضح أن اليهود تعاملوا مع الأجانب على حساب المصالح الوطنية ، وفى إقليم طاقا الذى كان تحت سيطرة بنى مرين ، وكانت أهم مدنه طاقا وتقع غرب سجلماسة ويمتد جزء منه فى الصحراء الكبرى أعداد من اليهود الذين نزحوا من الأندلس وهم أوسع ثراءً لأن موقعهم على مقربة من الطريق إلى تلمسان وسجلماسة إلى بلاد السودان .

ولقد بدأت هجرة أعداد كبيرة من يهود أسبانيا إلى المغرب نتيجة لحركة الاسترداد المسيحية فى الفترة من ١٣٩١ - ١٤٩٢م / ٧٩٤ - ٨٩٨هـ ، حيث تعرضوا فى أسبانيا للتهديد بالقتل ، فتركوا أراجون وقشتالة وجزء من صقلية وسردينية واتجه منهم نحو ١٥٠ ألف يهودى للمغرب الإسلامى منضمين لأقاربهم هناك فانتشروا فى فاس ومكناس وطنجة وتطوان وسلا وأصيلة والأعراش والرباط وأسفى وتلمسان ووهران ومليانه والجزائر وبجاية وقسطنطينة وتونس وصفاقص وسوسة وجربة وطرابلس ، وكانوا أكثر ثقافة من يهود المغرب(١٣١)، فتعالوا عليهم ووجدت فجوة حضارية بينهم وبين اليهود الإسبان ، وفى عام

١٤٩٢م / ٨٣٣هـ جاءت مجموعة من اليهود من مايوركا فى أسبانيا إلى تلمسان واستقر جزء منهم فى أغادير ، واتجه جزء إلى المدن الساحلية فى بجاية وتونس (١٣٢).

وزاد الشقاق بين اليهود الوافدين والمقيمين بسبب التأثيرات المسيحية التى كان يوسم بها العنصر الجديد ، ثانيًا امتزاج هذا العنصر بالعرب والمسلمين ، وظهور تفوقهم الفكرى والاقتصادى ، وبدت العداوة علنًا لولا تدخل بعض الجاؤونات ورجال الدين وخاصة فى الجزائر، وكان النزاع الدينى والمذهبى حاداً بين الطرفين كما حدث بين يهود فاس بالمغرب يهود تونس .

ولقد أقام المهاجرون الأسبان "المكورشيم" بالمناطق الشمالية وبعض اليهود البربر "التوشقيم" عمروا المناطق الجنوبية ، وفى تونس انفصل اليهود الجدد عن اليهود التوانسة وتميزوا بسكنى جزيرة جربة ومدن صفاقص (١٣٣).

ويذكر حاييم زعفران أن خلافات قامت على أساس عدد من الطقوس وقوانين تخص الذبائح.

ورغم أن غالبية اليهود كانوا من سكان المدن فكان هناك يهود فى الجبال واستوطنوا الجهات الصحراوية ، ويهود أغمات حرصوا على الترحال من مكان إلى آخر ، وهناك تشابه بينهم وبين حياة البدو التى مارسها سكان المغرب الأقصى خاصة سكان جبال الأطلس فكانوا قساة فى معيشتهم وطباعهم فشاركهم فى هذه الصفات اليهود الذين تعايشوا معهم بحيث يصعب تمييزهم .

وفى عصرى بنى مرين بنى وطاس قل تواجدهم فى الريف ، وفضلوا التواجد فى المدن(١٣٤).

ونستطيع القول أن ما أورده أحد المؤرخين اليهود مثل جوايتين وغيره عن وجود تعصب واضح مع نهاية العصور الوسطى مع تواجد نقابات الحرف الدينية وندرة أعداد اليهود فى العالم الإسلامى غير صحيح ، فوفقًا للمصادر كان هناك عدد من اليهود فى المدن المغربية وتمتعوا بحماية الدول الحاكمة كبنى مرين ، وعايشوا الناس فيما عدا وجودهم فى جيتو فى الملاح كان لضمان أمنهم وبرضاهم ، وإن كان يؤخذ عليهم التعاون مع الغزاة كالبرتغال ، وإن كانوا عادوا للإقامة فى المدن المختلفة ومع سكانها ، بل هنا الخلاف كان بين اليهود أنفسهم بين يهود المغرب واليهود الوافدين من إسبانيا .

وكما ذكر محمد حبيب الخوجة " أنه منذ القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى وجدت لهم مستعمرات بكامل أطراف المغرب الكبير فى قسطنطينة وتلمسان وفاس والقيروان وترك لهم إقامة شئونهم الدينية وأحوالهم الشخصية والثقافية ، وكانت لديهم فترات ازدهار وفترات ضعف وخمول ثقافى ، وفق ما توفر لهم فى كل فترة من عوامل ، وكان المسلمون يستدنونهم ويصانعونهم ، فهم ممتزجون بهم يعملون عندهم ويقومون بكثير من الخدمات لديهم ويتولون جلب البضائع إليهم والتجارة بمالهم من روابط مع غيرهم من اليهود بخارج البلاد المغربية ، ولذلك فهم متنقلون بين البوادى والمدن فى مواعيد منتظمة مع ما يجلبون من بضائع وعروض . وتحكموا فى الأسواق وأصبحوا الممولين للبلاد ، وربما سمت منازلهم وعلت رتبتهم فشاركوا فى سياسة الدول وأسند إليهم أمراء المسلمين مقاليد الأمور مثلما فعل بنو مناد البربر ملوك غرناطة فى البداية معهم إلى أن اشتدت وطأتهم على صنهاجة وانتهت إلى البطش بهم وشاع فسادهم بين المسلمين آخر العهد الصنهاجى بتونس والمرابطين بالمغرب " (١٣٥).

أما عن طرز المنازل فى الفترة التى سبقت سكناهم حارات خاصة فكانت وفقًا للنظم والطرز الإسلامية ووفقًا للطبقة الاجتماعية . وإن كانت تتكون من أكثر من طابق . ففى وثيقة تعود لعام ١٠٥٠م سنجد منزلاً كبيراً يملكه يهودى مكون من طابقين بيع الأعلى منه بـ٢٩٥ ديناراً. وإشارة إلى منزل آخر مكون من طابقين وسقيفة كانت تجاوره دور لبعض المسلمين واليهود . وفى القيروان سكن العالم حنانيل عند أحد أبواب المدينة بجوار المسلمين .

أما بالنسبة للطرز الباقية الآن من حارات اليهود فى دول المغرب حين سكن اليهود حارات خاصة بهم ، فمازالت حارة اليهود القديمة والمنشأة فى زمن المرينيين فى فاس موجودة وإن كانت تحولت لحى شعبى إسلامى ، وعدد اليهود محدود ، وهى تجاور كما كانت المنطقة الخاصة بأحد قصور الملكية المغربية ، والحارة شوارعها ضيقة والمنازل تتكون من دورين الأرضى له باب خشبى يليه ممر ضيق لا يسمح برؤية من بالداخل . فالقاعة أو السلم لا تواجه الداخل وإنما المدخل على شكل ضلع مربع يؤدى إلى درجات إلى أسفل وسلالم إلى أعلى للدور الثانى ، وأهم ما تميزت به الشرفات أو الفراندة المصنوعة من الخشب والتى لا تجدها فى المنازل الإسلامية وربما تأثير طرز إسبانية ، كذلك فى مراكش مازال حى اليهود موجوداً ، وإن كان غير مسكون باليهود وبجواره مقبرة اليهود ، وكان الحى به حوانيت فى ممرات ضيقة على الجانبين لا تدخل إليها الشمس .

اليهود فى الشام :

والمقصود يهود الشام عامة وليس يهود بيت المقدس فقط الذين سأفرد لهم فصلاً بعنوان اليهود والاتجاه لبيت المقدس ، والمعروف أن بلاد الشام خلال فترة العصور الوسطى تداولتها دول وحكومات عديدة من راشدين إلى أمويين وعباسيين ، فاطميين ، سلاجقة ، زنكيين ، صليبيين ، أيوبيين ومماليك .

ونلاحظ سمات عامة على التواجد اليهودى خلال تلك الفترة

١ - أن بيت المقدس كان أقل المدن فى بلاد الشام من حيث التواجد اليهودى .

٢ - أن أعداد السكان فى أغلب المدن وكثافتهم اختلفت وفقًا للفترة الزمنية ونوعية الحكم القائم .

٣ - هناك تراجع واضح فى أعداد اليهود فى فترة حكم الصليبيين ، بل الندرة فى بعض المدن كبيت المقدس الذى ذكر أحد الرحالة اليهود أن فى بيت المقدس يهودى واحد يعمل بالصباغة .

ولقد وضع فيليب فارج ويوسف كرباج فى كتابهم المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى المغربى والتركى جدول تقريبى بحساب أعداد السكان فى سوريا مقسمين وفقًا لفئاتهم الدينية. ومن المؤكد أنه لايمكن الجزم بالأعداد الحقيقية ، فهناك تضارب عددى حتى بين الرحالة الذين زاروا بلاد الشام فى نفس الفترة .

السكان بحسب الطائفة فى سوريا من عام ٦٣٣ - ١٥٨٠م (بالآلاف)(١٣٦)

السنة	الإجمالى	المسلمون	المسيحيون	اليهود
٦٣٣	٤٠٠٠	لايوجد	٣٩٦٠	٤٠
٧٣٠	٤٠٠٠	٢٥٠	٣٧١٠	٤٠
٩٠٠	٤٠٠٠	٢٠٠٠	١٩٦٠	٤٠
١١٩٩	٢٧٠٠	ــــ	ــــ	ــــ
الصليبيون				
١٣٤٣	١٢٠٠	١٠٦٨	١٢٠	١٢
١٣٥٠	١٠٠٠	٨٩٠	١٠٠	١٠

العدد الأخير والخاص بالفترة العثمانية ١٥٧٠ - ١٥٨٠ اعتمد على التعداد العثمانى ١٥٧٠ - ١٥٩٠

وتحتل مدينة بيت المقدس أهمية خاصة فى بلاد الشام وركز غالبية المؤرخين اهتماماتهم عليها ، ولكن من المؤكد أن التواجد اليهودى فى فترة الفتح الإسلامى كان نادراً ، فذكر Mana (مان) أن أحد القرائيين أشار إلى أنه منذ الخمسمائة عام السابقة للفتح لم يتمكن اليهود من دخول المدينة ، وأنه بعد طرد الروم جاء الإسماعيلية وسمحوا لليهود بالإقامة وأعطوهم الجزء الخاص بالنصارى فى بيت الرب حيث بقوا هناك لسنوات ، وموسى جيل أورد قصة الرابى شمعون باريوحاى فى كتابه نيستاروت دربى Nysteries التى ذكر فيها أن الملك الثانى من الإسماعيلية ، ويقصد عمر بن الخطاب سيأخذ القدس ويسمح لليهود بالدخول : "سيقوم ملك الإسماعيليين الثانى باحتلال جميع الممالك وسيصل للقدس وسيسجد لله فيها وسيحارب الأدوميين والبيزنطيين" ومن الواضح أنها أسطورة وإن كانت توضح أنه لم يكن هناك تواجد فعلى لليهود فى الفترة السابقة (١٣٧)، ونفس الأمر ذكره شلومو جوايتين فى مقالة عن القدس فى الفترة العربية (٦٣٨ - ١٠٩٩م) من أنه ورد فى المشنا " لا تسلم أورشليم إلا إلى ملك يجدر أن يسمى عظيمًا " - ويقصد عمر بن الخطاب" .

ثم ما ذكرته المصادر الإسلامية عن السماح لسبعين أسرة يهودية بالسكنى فى بيت المقدس رغم معارضة البطريرك صفرنيوس لدخول اليهود إلى المدينة (١٣٨).

وفى خطاب من اليافيش فى أورشليم إلى مجتمعات يهود مصر " أن الله أصبغ علينا رحمته بمملكة إسماعيل حين توسعوا وأخذوا فلسطين من أيدى الروم " (١٣٩).

أما عن الحى اليهودى فوفقًا للطبرى لا يوجد حى يهودى لأن اشتراطات صفر نيوس بعدم دخول اليهود تؤكد عدم وجود حى أصلاً فى هذه الفترة ، وأنه ظهر فى الفترة التالية للفتح ؛ حين سمح لهم المسلمون بالعمل فى أعمال النظافة بالمسجد الأقصى ثم طردوا من هذا العمل ، لما قاموا به من تعاطى الخمر وانغماسهم فى الشجار .

فى حين ذكر موسى جيل وجود حى أو حيين لليهود واحد فى جنوب المدينة والآخر فى شمالها ، ومن المؤكد أن كان ما ذكره صحيحًا ، فهو يعود للفترة الإسلامية ، ويذكر جيل أن الحى الجنوبى كان يخص القرائيين ويورد رواية على أن اليهود طلبوا من الخليفة عمر بن الخطاب أن يقيموا فى جنوب القدس قرب بوابة قداش عند جبل ومعبد سليمان ، وأن المنطقة كانت حطامًا وخرائب ، ولكن لا يوجد دليل فى المصادر الإسلامية يدعم هذه الرواية .

ويشير جوايتين استناداً لرسالة مرسلة من الرملة إلى القدس فى عام ١٠٥٤م أن اليهود يسكنون بالإضافة إلى حيهم فى الهيكل فى الزواية الشمالية الشرقية عند باب المغارة ، ذلك الباب المحاذى لمغارة صدقياهو . ويشير إلى ملاحظة هامة عن تواجد الحى اليهودى ، أن التقسيم إلى أحياء منفصلة لأبناء الديانات المختلفة فى المدينة قديم العهد ولم يأت نتيجة لضغوط من الخارج ، إنما بإرادة اليهود . وإن كان هذا لم يمنع من تواجدهم فى أحياء مع طوائف أخرى (١٤٠).

أما عن الفترة الصليبية فلقد تضاربت الآراء بالنسبة لهم ، فجوايتين يشير إلى تواجدهم بحى فى الشمال الشرقى فى الفترة الصليبية وإلى وجود مدارس يهودية فى الجزء الشمالى من المدينة استناداً إلى نص فى تاريخ Gilo of Paris جيلو الباريسى الراهب الكلونى من أن المقاومة للصليبيين فى الشمال قام بها المسلمون والترك واليهود ، ولكن لا يوجد نص فى أي مصدر آخر يشير إلي مشاركة اليهود فى مقاومة الصليبيين(١٤١).

وفى وثائق الجنيزة نص يشير إلى الجودرية ولكن الإشارة بعد استعادة صلاح الدين لبيت المقدس حيث سمح لليهود بالعودة ودخولها .

وهناك إشارات عديدة إلى أن الحى الجنوبى اليهودى لم يكن موجوداً فى نهاية القرن الحادى عشر فى القدس بعد الغزو الصليبى ، حيث تم طرد اليهود من القدس . ويرى موسى جيل أن الحى كان قائمًا إلى قدوم الأتراك السلاجقة ١٠٦٤م / ٤٥٧هـ .

ورغم سماح صلاح الدين بعودتهم فأعدادهم كانت محدودة ، ففى نص من عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ ، ورد ذكر بوابة الأسباط ولكن كان سكان هذا المكان معظمهم من السوريين المسيحيين. حيث يقع هناك دير مريم المجدلية .

وبالنسبة لأعداد اليهود فيشير شولمو جوايتين إلى أن الطائفة خلال تلك الفترة دفعت ضريبة إجمالية مبلغها مائة دينار ، ذكر أنه من المؤكد أن هذه الضريبة كانت مفروضة على الأشخاص البالغين من الذكور فقط وكانت قيمتها ديناراً واحداً ، وهو أدنى مبلغ فى الضريبة على أهل الذمة . وأن هذا المعدل للأشخاص ذوى الدخل الدائم . فى حين كانت هناك أعداد أخرى متمثلة فى ثكلى اليهود من النساء اللاتى يعشن على التبرعات والمنح ولذلك أعفوا من الجزية .

ولو اتبعنا قوله وضاعفنا الأعداد بالنسبة لليهود ، فإذا كان عدد الرجال البالغين من دافعى الضرائب مائة ، وأضفنا مائتين من النساء والأطفال ، فلن يتجاوز العدد ثلاثمائة شخص فى القدس آنذاك .

وحدد يوسف درورى موقع حارة اليهود فى زمن المماليك فى الجزء الجنوبى من الطريق التى توصل بين باب العمود وبين باب النبى داود .

ويذكر الرابى يتسحاق بن الرابى مئير لطيف " أن العرب يعيشون بسلام معنا ولايقومون بالاعتداء أو السلب " .

ولقد أشار مجير الدين الحنبلى (١٤٩٥م / ٩٠١هـ) أن بوابة صهيون معروفة باسم بوابة الحى اليهودى ، ولقد أقر لسترنج Lestrang وجود بوابة بهذا الاسم فى الجزء الشمالى من المدينة (١٤٢).

أما عن حارات اليهود فى بقية مدن الشام ، ونوعية العلاقة فيها ، فلم توافينا المصادر بمادة وفيرة كمصر ولكن من واقع وثائق الجنيزة والرحالة اليهود والمصادر الإسلامية نستطيع تكوين صورة عن الحى اليهودى فى مدن الشام . وسنرى أنه لم يكن هو الآخر جيتو مغلقًا بل سنجد فى الأرباع والمحلات والمساكن ، مساكن وأماكن دينية إسلامية تجاور الحى اليهودى ، وبعضها على حدوده ، وتواجد إسلامى فى بعض الممتلكات اليهودية . ففى دمشق أحد أهم مدن الشام نجد فى قائمة تشمل أسماء أماكن وحارات سكنها اليهود ، مسجد إسلامى وثلاث كنائس ومسكن يهودى ، وتضم الوثيقة أملاكًا للقادوش فى دمشق تتمثل فى أبنية سكنية مساكن ومحلات ، ونجد أن عدداً من يهود المغرب يقيمون فى هذا المبنى ، وثمة إشارة إلى درب الجوزانى ويشار إليه أحيانًا فى المصادر باسم درب الجوز ، وبه مسكن يتبع القادوش(١٤٣). وورد فى الوثيقة ذكر لمنزل آخر يتبع اليهود فى الزاوية الشرقية ويقصد بالزاوية هنا المسجد ، وهذا المكان كان به ثلاثة مساجد فى الرحبة ، أمام كنيسة القديسة مريم وسكن فيه شخص يدعى أبو الحجى (١٤٤).

وهناك عدد من المحلات اليهودية فى سويقة مريم . فهنا أماكن دينية إسلامية ومسيحية فى نفس منطقة السكنى اليهودية نفسها ، وكان بجوارهم فى المنطقة نفسها وفى سويقة المعبد اليهودى عدد من المحلات والمساكن كان يقيم بها مغاربة ، وكان الحزان نعيم بن بنيامين يقوم بجمع إيرادات تلك الأماكن .

وفي وثيقة أخرى غير محددة التاريخ تتعلق أيضًا بإيجارات للمعبد اليهودى ، وتشمل محلات ومساكن ، هناك مسكن ليهودى يدعى الشيخ يوسف ، وهناك مكان أطلق عليه مخزن شرق المعبد اليهودى يسكنه مسلم كما هو واضح من اسمه عباس ، ومن الصعب التعرف على انتماء الشخص الدينى من بعض الأسماء فهناك مكان يطلق عليه المجلس كان خاصًا بوقف عبد الرحمن بن الفتاح ، وإشارة لشقة خاصة بشخص يهودى يدعى عبد الرازق فى درب قلجى (١٤٥)، وغرفة فى قيصرية الصقيل وفى هذه القيصرية كنيسة للملكانية تسمى كنيسة حميد بن درة ، وكثرة أسماء الأماكن توضح أن هناك يهوداً فى أكثر من حى ، وورد ذكر الحى اليهودى فى دمشق فى وثيقة هبة تعود لعام ١٠٩٠م / ٤٨٣هـ ، وهى هبة من يهودى يدعى مشلوم واشتهر بابن شورياق الدمشقى يهب مسكنًا بالقرب من المعبد وموقعه فى الجزء الجنوبى من دمشق بالقرب من كنيسة مريم (١٤٦). ولقد ذكر ابن عساكر فى كتابه عن تاريخ مدينة دمشق معبداً قريبًا من الحى . وآخر قريبًا من درب البلغار ، وأنه تحول فيما بعد لمسجد عرف باسم الشهرزورى فى مكان أطلق عليه اسم بستان القط (١٤٧).

ووجدت منازل يهودية فى أحياء حلب ، ففى المنطقة الصناعية وجد منزل يخص أيتام اليهود وفى عام ١٠٨٧م / ٤٨٠هـ ، وفى وثيقة من راملة فى فلسطين أعطت أم ابنتها نصف منزل كجزء من مهرها ، وأعطى عريس نصف منزل كهدية زواج ، وكان المنزل يقع فى أحد أحياء مدينة دمشق .

وفى عقد بيع يعود للفترة بين ٩٧٦- ١٠٤٠م / ٣٦٦ - ٤٣٤هـ ، أجرى فى مدينة دمشق بيع رَبعُ يتكون من ابنية عديدة بعضها كبير وبعضها صغير فى منطقة سوق اليهود فى دمشق. ومنزل آخر فى دمشق يخص أخوين أحدهما موظف حكومى محاط بعدة منازل ، يقع فى شرق بوابة المدينة فى حارة معروفة باسم قوزمان ، وفى الحى نفسه مؤسسة خيرية وتجاور منازل لدمشقيين مسلمين (١٤٨). وهما يكونان نهاية لمنطقة سوق اليهود ، وتواجه مكانًا يسمى سوق العمال ، ولعله المكان الذى يجتمع فيه العمال لاستئجارهم .

وهناك الخلط المعتاد بين الإقامة والتجارة ، فمنزل فى رحبة المعبد فى دمشق يعود لعام ١٠٩٠م / ٤٨٣هـ ، أوقف دخله لصالح المعبد على حدوده وجدت مخازن ومحلات ، وورد ذكر منزل وحديقة فاكهة فى قرية الحميرية يملكها طبيب يهودى . وكان اليهود حريصين كعادتهم على التواجد فى مكان قريب من المعبد وبه حمام ؛ ففى رسالة من شخص يدعى أفون Avon

ابن صادق إلى التاجر نهارى بن نسيم فى الفسطاط ، ذكر إيجاره لغرفة صغيرة ، من امرأة يهودية بدينارين لمدة خمسة أشهر ، ويذكر أن المكان يقع وسط رحبتهم " رحبة اليهود المغاربة فى دمشق " (١٤٩). وفى الحى اليهودى وبه حمام وقريب من المعبد ، وهذا يعنى كما ذكرنا وجود مشاركات بين مسلمين ومسيحيين ويهود فى سكنى تلك الأحياء .

وبالإضافة إلى الوثائق فهناك كتابات الرحالة والتى أشارت إلى أعداد اليهود وأماكنهم مثل الرحالة بينامين التطيلى (١٥٠)، الذى زارها فى فترة الحروب الصليبية والرحالة بتاحيا(١٥١)، واسحق شيلو (١٥٢)، والرابى ميشلوم وعوبدايا وغيرهم ، وإن كان أغلب ما ذكروه يتعلق بالأماكن الدينية ، فيما عدا ميشلوم وعوبدايا اللذين وصفا حياة اليهود فى عدد من مدن الشام خلال فترة الحكم المملوكى ، كذلك نجد فى بعض ثنايا كتب الرحالة المسلمين إشارات . فابن بطوطة (٧٤٠-٨٠٥ هـ / ١٣٠٢ - ١٣٧٧م) ذكر كيف خرج جميع أهل دمشق مسلمين ومسيحيين ويهود لأماكنهم الدينية يتضرعون إلى الله حين هاجم دمشق الطاعون ، حين زارها فى عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م(١٥٣).

والملاحظة الأولى كما ذكرنا هو التضارب فى أعداد اليهود فى كل مدينة حتى ممن زار المكان فى نفس الفترة الزمنية كمشلوم وعوبدايا ، وبنيامين وبتاخيا ، بل هناك اختلاف بين المؤرخين المحدثين فى مدى التواجد اليهودى فى مدنها .

ومن أهم الرحالة بنيامين التطيلى الذى زارها فترة حكم الصليبيين ، وذكر أن بيت المقدس مائتى يهودى يعملون بالصباغة ويقيمون فى حى مجاور لبرج داود فى حين أن بتاخيا الذى زارها بعد ذلك بعشر سنوات ذكر أن هناك صباغًا واحداً والأعداد التى أوردها بنيامين بالنسبة لليهود فى مدن تخضع للصليبيين بها مبالغة واضحة . فيذكر أن بصور ٤٠٠ يهودى ولديهم سفن كبار تجوب البحار ولا يعقل أن يترك الصليبيون اليهود يقودون سفنهم التجارية أثناء فترات الصراع ، بل من المعروف أن الصليبيين اتخذوا موقفًا من اليهود(١٥٤).

أما بالنسبة للمدن التى سيطر عليها المسلمون فى الشام ولم تخضع للعدوان الصليبى ، فنجد أن الأرقام مبالغ فيها لدرجة كبيرة ، فدمشق ذكر أن بها ٣ آلاف يهودى بينهم العلماء وذوى اليسار ، وأنها أصبحت بعد الغزو الصليبى مقر رأس المثيبة (المجلس وتطلق على المدارس الدينية) لعلماء فلسطين ، أما بتاخيا فيذكر أن عدد سكانها من اليهود عشرة آلاف.

أما تدمر فذكر أن بها ٢٠٠٠ يهودى ولكنه يورد قصة غريبة لم تذكر فى أي مصدر عبرى أو إسلامى ، فهى أن هؤلاء اليهود كانوا من اليهود الأشداء ومن ذوى اليسار فأعانوا جيرانهم من المسلمين والعرب من أتباع نور الدين فى حربهم مع غزاة النصارى . وربما جاءت هذه القصة من شعور اليهود بالفرق بين معاملة المسلمين ومعاملة الصليبيين . ولقد ذكر وجود ٢٠ يهوديًا فى حمص ، أما حلب مدينة نور الدين كما يسميها فذكر فيها ١٥٠٠ يهودى ، والغريب أنه ذكر بقلعة جعبر[١٥٥] ألفى يهودى ، ومن الواضح أن الأعداد التى ذكرها قائمة على التخمين، فلقد زارها فى عصر الحروب الصليبية حين تراجعت أعداد اليهود ، ومع ذلك فإحصائياته فاقت أعدادهم أوقات السلم .

ويشير إسحق شيلو الذى زار الشام حوالى ١٣٣٤م / ٧٣٥هـ فى عصر المماليك إلى المجتمعات اليهودية الموجودة فى مدن الشام ولقد لاحظ وجود أعداد من اليهود الأجانب الفرنسيين والألمان فى عدد من مدن الشام ، فيذكر أنه وجد فى راملة بين اليهود الذين يعيشون فيها شخصًا من قرطبة وآخر من طليطلة وكلاهما يعد من الأغنياء وأصحاب الثروة ولديهم مصانع للقطن ، أما فى صرفند فهناك يهودى واحد صباغ ، ووجد فى القدس نفس الظاهرة فأعداد من الفرنسيين والأجانب من أنحاء العالم الخارجى يعيشون هناك ، ويذكر أن كل فرد يعيش فى سلام وفقًا لحالته وثروته والسلطات العليا تعاملهم بعدل ، وأنهم انخرطوا فى حرف عدة مثل الصباغة والحياكة وصناعة الأحذية وبعضهم أهتم بعلوم الطب والفلك والرياضيات[١٥٦] .

وتذكر وثائق الجنيزة رحبة يهودى شملت منزلاً ومزرعة عنب فى إحدى القرى القريبة من دمشق .

ويذكر الياهو من فيرار ١٤٣٤م / ٨٣٨هـ عن رحلته إلى القدس أن الطاعون فى هذه الفترة أصاب مصر ودمشق والقدس وهناك العديد من الضحايا ولكن لحسن الحظ أنه توقف عند حضوره ، ويتحدث عن كيفية كسب أرباب العائلات لعيشهم ، فيذكر أن لديهم حوانيت يمارسون فيها البيع والشراء ، ويعملون كصناع سجاد وفى بيع الوصفات الطبية وإن لم تكن لديهم خبرة طبية ، وبعضهم عمل بصياغة الذهب أو صناعة الأحذية وبعضهم بتجارة الحرير ويشير إلى "أن اليهود يمارسون تجارتهم جنبًا إلي جنب مع الإسماعيلية « يقصد المسلمون » ولا يوجد أى غيره أو عداء بينهم كما لاحظت" ، ولقد ذكر ملاحظة هامة عن يهود الفلاشا

الذين قابلهم هناك وأنهم ليسوا يهود عبريين ولا إسماعيليين " يقصد مسلمين " فلديهم شريعة وقانون ولغة مختلفة عن شريعة اليهود [١٥٧].

وهناك اثنان من الرحالة هما ميشلوم وعويدايا كانت صورة اليهود فى الشام أكثر وضوحًا لديهما وزاراها فى الوقت نفسه وإن تضاربت الأعداد التى ذكروها بالنسبة ليهود الشام ، وميشلوم بدأ رحلته عام ١٤٨٧م / ٨٨٦هـ ، وتحدث عن مدن الشام باستفاضة وإن كان بها بعض المبالغة إذ ذكر أن يهود غزة على قدر من الثراء ولديهم حقول ومنازل ويقومون بصناعة النبيذ وذكر يهوديًا يقوم بأعمال الصرافة ، ويدعى أن هناك حوالى ٥٠ أو ٦٠ عائلة ، وأربع أسر سامرية وفى الخليل عشرين أسرة يهودية ، وأن المسلمين يفرقون كصدقة على قبور النبى إبراهيم وإسحق ويعقوب ثلاثة عشر ألف رغيف لحم يوميًا ، ولم يكن هناك تفرقة بين دين وآخر ، وهناك مسجد قرب مزارات هؤلاء الأنبياء ، كانت نساء اليهود يضعن الحجاب ويزرن تلك الأماكن وأن المسلمين أوقفوا الأوقاف على تلك المزارات التى تمثل للديانات الثلاث مكانة خاصة ، وذكر ميشلوم فى القدس أربعمائة عائلة يهودية .

وأن لديهم عادات المسلمين نفسها فى الطعام حيث يأكلون جميعًا من وعاء واحد بأصابعهم، ولكن ملابسهم نظيفة ، وأنهم ينامون فى نفس الثياب التى يرتدونها طوال اليوم .

أما دمشق فقد ذكر فيها ٢٥٠ عائلة يهودية . وكان رئيس الطائفة فيها طبيبًا ، وكان بالمدينة أربعة أسواق تجارية كبرى أحدها للأحجار الكريمة واللؤلؤ والثانى يجمع أنواع التجارة والسوق الآخر للحديد والذهب والفضة والأخير للحرير . ولقد شارك اليهود المسلمين فى تلك الأسواق ، حيث وصف اليهود من سكانها بأنهم تجار أغنياء لديهم ثروات[١٥٨] .

أما عويدايا الذى زارها ١٤٧٧م - ١٤٨٠ / ٨٨٣ - ٨٨٥هـ ، فيؤكد المعلومة السابقة بالنسبة لاحترام الأماكن الخاصة بمزارات الأنبياء فى الخليل ، وذكر أن جميع ملوك العرب صلوا بالقرب من قبر إبراهيم الخليل ، ويكرر ما قاله ميشلوم أن المسلمين يوزعون الطعام من خبز وشعير وأنواع الطعام بدون تفرقة بين الأديان ، وهذا تكريمًا للنبى إبراهيم ، ويسمح لليهود بالصلاة بالقرب من الأسوار ، ويذكر أن بالخليل حوالى ٢٠ عائلة يهودية[١٥٩]، أما فى القدس فذكر أن عدد السكان ٤٠٠٠ عائلة منهم ٧٠ عائلة يهودية من طبقات دنيا فقيرة وغالبيتهم من كبار السن وأرامل الألمان والأسبان والبرتغال والأقطار الأخرى ، والنسبة رجل لكل سبعة نساء ، ويذكر أن اليهود فى تلك الأراضى وبلاد الشام ، لا يتعرضون لأى اضطهاد

من العرب، فقد جبت البلاد طولها وعرضها ولم يضع أى إنسان فى طريقى عراقيل فهم ودودون بالنسبة للأجانب ، وخاصة لمن لا يجيد اللغة ، وإذا رأوا مجموعة من اليهود معًا لا يثير هذا ضيقهم"(١٦٠).

وحين يصف الحى الذى يسكنه اليهود يذكر أن معبد صغير ومظلم وأمامه نافورة ماء ، وبالقرب من ساحة المعبد يوجد مسجد إسلامى . وأن هناك عدداً من المنازل مبنية بالحجارة وبعضها خصصه الأشكناز لأعمال الخير وتسكن فيه أرامل الأشكناز ، ويذكر أن الشارع الذى يقيمون فيه كان واسعًا والمنازل كبيرة ، ولكن توجد مجموعة من الخرائب والمنازل المهدمة لأن تكلفة إعادة بنائها عالية ،

وعن صفد يذكر أن أهم شيء لاحظه أن اليهود يعيشون فى سلام مع العرب فى صفد والقرى المجاورة وفى قانا والجليل وغالبيتهم من الفقراء بعكس دمشق التى كان يهودها تجاراً أغنياء يملكون المنازل الجميلة والثروات ، وذكر أن طرابلس تعد من أهم الموانىء التى تأتى إليها التجارة ولذلك فهناك ١٠٠ أسرة يهودية يعيشون فى أمن وسلم .

فالصورة التى عرضها الرحالة توضح أن اليهود تمتعوا بتسامح وساكنوا المسلمين فى أحيائهم ، وأن هناك تباينًا واضحًا بين الفترة الصليبية والإسلامية ، كذلك أكدوا أن هناك تباينًا بين أوضاع اليهود فى المدن الإسلامية فيهود القدس غالبيتهم أجانب واردين من أوربا أشكناز لاينتمون إلي المنطقة بصلة وهم فى جملتهم فقراء وأرامل أشكناز فى حين كان يهود دمشق من التجار الأغنياء الذين تاجروا فى الحرير والمجوهرات ، وكانت لهم دور جميلة وحدائق ومزارع .

العراق :

أحياء يهود العراق :

وجدت فى العراق أحياء يهودية وهذه الأحياء بعضها يرجع لفترة قبل الإسلام وبعضها أنشيء فى المدن الإسلامية الجديدة كبغداد والكوفة ، وكان بالعراق مركزان دينيان فى فومبدثية على نهر دعة ، وهى الأنبار وهى إحدى كبرى المدارس التلمودية ولفظتها تعنى فم البداة وسور على نهر الفرات وبها جماعات كبيرة من اليهود بحكم مكانتها الدينية ، ولم يكن حى اليهود فى الفترة الإسلامية جيتو مغلقًا وكما ذكر شتليمان فى مقاله عن يهود العصور

الوسطى أن أحياء اليهود تلك سكنتها عناصر غير يهودية ، وكان رئيس الطائفة أو رأس الجالوت فى العراق فى مكانة مميزة[١٦١] .

وكان هناك قطاع يسمى خطط اليهود يشمل موقعًا يضم عدة أحياء يهودية ، وكان يسمى أيضًا دار اليهود ، كذلك الجسر الذى يربط الحى بجيرانه عبر قناة سمى قنطرة اليهود[١٦١].

ولقد ذكر بنيامين أعداداً مبالغ فيها للتواجد اليهودى فى بغداد فذكر أن فى بغداد ٤٠ ألف يهودى ، ولقد أشار محقق الكتاب عزرا حداد فى الحاشية أن أحد نسخ المخطوط تشير إلى ألف فقط وسقط رقم ٤٠ ، ولكنى أرى أن رقم ألف هو الصحيح فبتاخيا الرحالة والذى زارها فى نفس الفترة ١١٧٠ - ١١٧٨م / ٥٦٦ - ٥٧١هـ ، يذكر أن عدد اليهود ألف فقط وهو أقرب للصواب [١٦٢].

ويؤكد بتاخيا وجود ثلاث معابد [١٦٣]، ويذكر بنيامين أن هناك ثمانيًا وعشرين كنيس ، قسم فيها على جانب الرصافة ، ومنها ما هو فى جانب الكرخ على الشاطىء الغربى من نهر دجلة الذى يمر فى المدينة فيشطرها شطرين ، ملك رأس الجالوت " عقارات واسعة ومزارع وبساتين فى جميع أنحاء بابل والعراق وأكثرها ما ورثه عن أجداده وأملاكه مصونة " ، وكان له إيراد سنوى عظيم من الفنادق والأسواق والمتاجر عدا الهدايا الواردة من البلدان القاصية ، فهو واسع الثراء ، وكان لديهم عشر مدارس دينية فى بغداد ، ولقد كان هناك عدد من أثرياء اليهود فى بغداد وعلمائهم ولم يكن عليهم قيود بل إن رأس الطائفة كما أورد بنيامين سمح له بمقابلة الخليفة ، وتملك الأراضى والفنادق فى العاصمة .

ولقد أورد التطيلى أعداداً كبيرة لليهود فى مدن صغرى ، وكذلك أعداداً كبيرة من المعابد اليهودية عبر أنحاء العراق ومدنها .

وفى الموصل كانت هناك محلات وأحياء يهودية منذ البداية فيذكر البلاذرى من محلات مدينة الموصل محلة تدعى محلة اليهود ، وذكر بنيامين أنه فى عهده حوالى ١١٧٥م / ٥٧١هـ ، كان يقيم فيها حوالى ٧٠٠ يهودى ، وإن كان بتاخيا ذكر عدداً مخالفًا وهو ٦٠٠٠ يهودى والأنبار وبها ألفًا يهودى ، وذكر فى الحلة عشرة آلاف يهودى وأربعة معابد «كنيس» أحداها كنيس الرابى زعير والأخرى للرابى مائير ويذكر أن اليهود يذهبون إلى هذين الكنيسين يوميًا لممارسة شعائرهم .

وفى الكوفة أشار لوجود كنيس حول أحد القبور اليهودية ، وأن أعداد كبيرة من بقايا اليهود الذين قدموا فى خيبر والحجاز ، وظلت بها جالية يهودية وكان لهم بعض الأطباء المشهورين كموسى بن إسرائيل الطبيب الكوفى خدم أبا إسحق إبراهيم بن المهدى ،٢٢٢ هـ / ٨٣٦م وهرون جهبذ ابن شيرازاد .

ومن الملاحظ أن حديث بنيامين تغلب عليه المبالغة غير المنطقية ففى مدن صغرى مثل زريران أو كما أوردها جاهيجان " ذكر محقق كتاب بنيامين أنها تقع فى الأراضى فى الجانب الغربى من دجلة " جعل بها ٥ آلاف يهودى ، وعندما زار بابل قال إنها خرائب ، ومع ذلك يقيم بالقرب منها عشرون ألف يهودى " (١٦٤).

ولكن الظاهرة العامة تواجد أعداد كبيرة من القبور والمعابد فى العراق لها قداسة خاصة عند اليهود ، وبعضها يرجعونه لفترة الأسرين البابلى والأشورى بالإضافة إلى وجود المدارس الدينية ووجود قبور لبعض رجال الدين ممن لهم مكانة خاصة لديهم ، ولقد اعتادوا إقامة أعياد واحتفالات حول قبور بعض الأنبياء ، مثل حزقيال « ذى الكفل » وكان مزاره معروفًا من فترة قديمة ، ولقد وصفه بتاخيا(١٦٥) بأن جدرانه الداخلية موشاه بالذهب وأن الضريح يرتفع نحو قامة مكسواً بخشب الأرو المطعم بالذهب تعلوه قبة مرصعة بالبلور تتدلى منها السجوف الجميلة ، وتحت القبة ثلاثون قنديلاً تعمل بالزيت تضىء المقام ليلاً ونهاراً ، والمقام موكل بالحفاظ عليه أفراد عددهم مائتان وهم يعيشون على النذور التى ترد إليه ، والباقى يصرف على الطلبة اليهود فى المدارس اليهودية وإعانة اليتامى . وكان تأثير الأكاديمية يمتد إلى إقاليم إسلامية عديدة .

ويقيم اليهود احتفالية كبرى بعيد رأس السنة اليهودية وعيد الكفارة ، ويقام مهرجان يحضره رأس الجالوت ويتوافد أعداد كبيرة من اليهود يقيمون فى العراء فى مخيمات ، وكان الأعراب ينتهزون هذه المناسبة فيقيمون أسواقًا يبيعون فيها السلع لليهود (١٦٦).

وكان المسلمون يزورون هذا القبر بصفته قبر ذى الكفل النبى ويتبركون به ، ويؤكد بنيامين أن الأماكن الدينية محافظ عليها من المسلمين .

فكما هو واضح ليس هناك تفرقة أو حذر على حركة اليهود أو أحيائهم ، بل نرى أن الاحتفالات الخاصة بهم مصرح بها ، واشتغل اليهود فى العراق بالعديد من الأعمال كالصرافة، وهناك يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران المعروفين فى العصر العباسى ، كذلك ضمت مراسلات الجنيزة مراسلات عديدة مع يهود العراق (١٦٧).

أحياء يهود أسبانيا :

كان لليهود أحياء خاصة بهم قبل دخول الإسلام ومع دخول الإسلام استمر تواجدهم لوجود تسامح عام حيث شاركوا فى النشاط الاقتصادى وتملكوا ثروات وعاش أغنياؤهم حياة مترفة ووصل بعضهم لمنصب الوزارة ، ونجد فى كل مدينة أسبانية حيًا يهوديًا أو أكثر ، وكان فى الغالب بالقرب من أسوار المدينة بالقرب من القصر الملكى أو قصر الإمارة . وإذا كان الإدريسى قد أشار لعدم الاختلاط بين اليهود والمسلمين فى اليسانة (١٦٨)، فهناك أدلة عديدة تشير إلى أن الحى اليهودى لم يكن جيتو منغلقًا ، فهناك أسواق عامة وأسواق لنوع من البضائع وخاصة المنسوجات والحرير ، وكان يقام سوق عام فى حارة اليهود ويؤمه أقوام شتى من المشترين من المسلمين والمسيحيين بالإضافة إلى اليهود ، وهناك يهود استفادوا من الحركة العلمية الزاهرة فى الأندلس الإسلامى واستفادوا من علمائه .

ولقد قام أشتور فى كتابه يهود أسبانيا بدراسة للأحياء اليهودية (١٦٩)، وأماكنها الحالية، وكما ذكر فلم يكن حيًا منغلقًا إنما كان هناك أجناس وديانات مختلفة تتردد عليها ، فهناك بائعو تجزئة جلسوا فى محلاتهم الصغيرة التى لا ترى النور إلا من مدخلها وانتشر الكحالون وبائعوا الطعام .

وسنجد أن التواجد اليهودى فى بعض مدن شبه الجزيرة الأيبيرية بكثافة كبيرة فى عدد منها وبأعداد قليلة فى مدن أخرى ، ومن أهم المدن التى وجد بها يهود مدينة قرطبة عاصمة الأمويين ، وأشبيلية وطليطلة وسرقسطة إلخ .

قرطبة : كانت قرطبة عند الفتح الإسلامى تتألف من مركزين عمرانيين يفصل بينهما سور حاجز ، كان الغرض من إقامته فصل الأهالى الذين يسكنون القسم الشرقى عن القسم الغربى الذى ضم مؤسسات الحكم وثكنات الجنود ، أما القسم الشرقى فكان يقوم على جانب الربضى، وكان يشغل ما يعرف بالمدينة العتيقة ، أما القسم الغربى فيشمل القصبة والمدينة العليا أو المدينة الوسطى أو قبة قرطبة ؛ وكانت المدينة العتيقة مسورة عند الفتح الإسلامى ، ولقد رمم السمح بن مالك الخولانى السور، وكان يشق المدينة العتيقة من وسطها طريق فسيح مرصوف يعرف بالسكة العظمى أو المحجة العظمى .

وكان يحيط بالقصبة القديمة سور من الحجارة حصين تنفتح فيه عدة أبواب ، وفتحت الأسوار من الشرق والغرب والشمال بعد أن أصبحت قرطبة قاعدة للأندلس فى عصر

الولاة(١٧٠). وانتجعها العرب والبربر من البلدين والشاميون ، وقام عبد الرحمن الداخل بإحاطة قرطبة بسور مانع ، فبنى سوراً حصيناً يدور حول المدينة ، كان ينفتح فى سور قرطبة أو المدينة المسورة سبعة أبواب ، وكانت خمسة فى عصر الإمارات ، ثم أصبحت سبعة .

وبالنسبة لأبواب قرطبة فى الجانب القبلى باب واحد ، كان له أسماء عديدة ، مثل باب القنطرة باب الصورة باب الوادى باب المحجة ، الجانب الشرقى بابان ، الباب الجديد وباب عبد الجبار أو باب طليطلة ، الجانب الشمالى باب واحد سمى بالباب الجوفى أو باب ليون نسبة إلى شخصية يهودية(١٧١) بهذا الاسم أو باب اليهود وسمى بهذه التسمية نسبة إلى وقوعه بالقرب من حى اليهود أو باب الهدى وسمى كذلك تحريفاً من كلمة اليهود .

وكان عدد اليهود فى القرنين السابع والثامن الميلادى محدوداً حتى كتب أجد جاؤنات بابليون فى خطاب " أن العرب هم الفئة الغالبة فى قرطبة ، ومع التسامح والاستقرار فى العصر الأموى فى الأندلس ، وترك أصحاب الديانات الأخرى يمارسونها بلا ضغوط (١٧٢)، جاءت أعداد من اليهود ومن أشهر الشخصيات اليهودية التى ظهرت فى قرطبة أبو يوسف حسداى بن شبروط ٩١٥ / ٩٧٠ ، الذى أصبح وزيراً للناصر وطبيباً خاصاً له والمشرف على الخزانة ، وقد جمع حوله الدارسين من اليهود مثل الشاعر دوناس بن لبراط ، وكذلك من الشخصيات الهامة الوزير حسداى بن يوسف .

ولقد ذكر المؤرخون أبواب قرطبة فذكروا باب اليهود فى المدينة الشمالية ، ويفترض أشتور - دون الاستناد إلى مصادر واعتماداً على استنتاجات فقط - أن الحى اليهودى فى القطاع الجنوبى الغربى من قرطبة فى غرب هذا القطاع وكحد له سور المدينة وفى جنوبه قصر الخلافة والمبانى الملحقة به كحى الخدم والحراس . وفى العصر الحديث أصبح قصر الأسقف . ويقول إنه من الطبيعى أن يكون الحى عند أسوار المدينة لضمان الأمن ، كما كان الحى اليهودى القديم قبل الإسلام واستخدامهم عند الفتح فى حراسة الأبواب ، حيث سمح لهم العرب بالبقاء داخل أسوار المدينة بعد الفتح حدثت تغيرات فى الحى فى الفترة الإسلامية ، وكان الحى اليهودى فى قرطبة من أصغر الأحياء اليهودية فى أسبانيا ، محدود المساحة كان الشارع الذى يمتد من الجانب الشمالى من المدينة إلى ساحة المسجد الكبير ، كان امتداده غرباً يطلق عليه حى الجودرية ، وكان يحد باب اليهود Peurta de la Juderia (١٧٣)، ولقد ذكر ابن عذارى حير الزجالى وهو من أجمل متنزهات قرطبة ، وذكر أنه خارج باب اليهود ولكن فى الجزء

الشمالى(١٧٤) ، وكان هناك ميدان يطلق عليه Plaza de la Juderia وأصبح اسمه Plaza de la Bulas ويعتقد أنه مكان السوق اليهودى حيث تباع الأطعمة ومن هذا الميدان شارع يتجه شمالاً اسمه على اسم موسى بن ميمون Calle Maimonides وهو الشارع الرئيسى فى الحى وطوله ١٦٠ متراً وإن كان ضيقًا جداً حوالى مترين أو ثلاث فقط ، فى شمال الميدان فى الغرب المعبد القديم فى القرن ١٤ بدلاً من المعبد الذى كان موجوداً فى الفترة الإسلامية . خلفه فى اتجاه الشرق أحد أفرع شارع ابن رشد (١٧٥).

وهذا الموقع فى الجنوب الغربى يخالف ما أشارت إليه المصادر الإسلامية كالإدريسى والمقرى والمقدسى والخشنى وابن عذارى . بأن البوابة الشمالية سميت ببوابة اليهود وبوابة ليون اليهودى ، وذكر ابن عذارى منتزه الزجالى الذى يقع خلفها ، ولكن أشتور يرجح أن هناك حيًا آخر لليهود فى الشمال وجد بعد ازدهار قرطبة فى عهد عبد الرحمن الثالث ، واتجاه أعداد كبيرة من البشر من كل الأندلس إليها(١٧٦) .

وكان من الطبيعى أن يسعى اليهود للمشاركة فى هذا الازدهار فضاق بهم الحى فكان من الطبيعى أن يقيموا حيًا جديداً ، وهو الحى الشمالى وربما كان هناك طريق يربط بين الحى القديم فى الجنوب الغربى والحى الشمالى ، وكما ذكرت فإنه ليس هناك إشارة فى المراجع العبرية إلى الحى الجنوبى الغربى إنما الإشارة قاصرة على الحى الشمالى وأطلق المقدسى على القطاع المجاور ربضى اليهود ، وكان هناك دير على امتداد الحى للمستعربين ، وكان مجتمع يهود قرطبة فى القرن العاشر من أنشط المجتمعات اليهودية ، فاشتغلوا بالتجارة والصناعة ووصلوا إلى الطبقات العليا وظهرت بعض أسر هامة كأسرة Faljadi فلاجدى ، وظهر بينهم أدباء تأثروا بالمجتمع الإسلامى الزاهر ، ووفقًا لأشتور فالحى اليهودى يضم الشوارع التالية(١٧٧) : شارع اليهود وابن رشد وساليزار وميدان الجودرية وتوماس كوندو إلخ

Calle de los Judios , Calle Ibn Rusid, Calle Salazar. Plazade la Juderia - Call Tommas conde, Calle Abulcasis - Calle Man reiques, Chapel san Barolione, Synegogue(١٧٨) .

وفى وثائق ابن سهل خلاف بين مسلم ويهودى رفع للقاضى عن رجل يملك داراً داخل قرطبة فى ساحة مسجد ملاصقة لدار موقوفة على شنوجة (معبد) لليهود وأن الحائط الفاصل بين الدارين تهدم على إثر تهدم بيت صغير فى الداخل ، ولما شرع المسلم فى بنائه اعترض

اليهودى بدعوى أن البيت المتهدم من حقوق المعبد ، ودعوى أخرى عن بيع يهوديين لبستان فى رحبة لمسلم ، ثم ادعاء قريبهما أنه وقف (١٧٩).

والمدن التالية فى الأهمية هى أشبيلية ، وكان اليهود موجودين بها منذ زمن القوط وزادت أعدادهم بعد الفتح الإسلامى ، والمدينة محاطة بسهل خصب فيه مزارع غلال وعنب وزيتون ، وكان تسويق المنتجات الزراعية من الأمور الهامة وكان بالمدينة مسلمون ومسيحيون استقر المستعربون فى حى يسمى تريانا Triana أما اليهود فقد استقروا فى عدد من قطاعات المدينة، ولم يشعر لا اليهود ولا المسيحيون بحاجة للانعزال ، فلم يضطهدهم المسلمون بل نعموا بالتسامح . استقر المسلمون فى قلب المدينة وأقاموا مسجدهم الجامع وجنوبه السوق العام الذى حوى كثيراً من البضائع وخاصة الحرير .

وكان اليهود يقطنون الجزء الغربى من المدينة فى قطاع كنيسة القديسة ماجدلينا Santa Magdalena ومازال الشارع يحمل اسم Calle decal من الكلمة العبرية Kahal ، كذلك أشار إلى مكان حى يهودى فى القطاع الشمالى الغربى من المدينة فى منطقة كنيسة سان لورنزو San Lorenzo . والشارع أصبح يعرف الآن باسم Cal Mayor .

وفى عهد الأمويين أقاموا فى رحبة سان بدرو San Pedro وهذا المكان بعد أخذ المسيحيين لأشبيلية أسكنوها للمسلمين وأطلق عليها اسم Moreria موريرا ، ولكن فى آخر العصور الوسطى أصبحت تعرف باسم الجودرية القديمة .

كذلك فى الجزء الغربى وفى وسط المدن كان لليهود أماكن سكنية منذ الفترة القديمة وفى الجزء الجنوبى الشرقى حيث أعطاهم الأسبان فى البداية فى عهد فرناندو ملك قشتالة بعد آخذ أشبيلية من المسلمين ١٢٤٨م / ٦٤٦هـ ، وأغلب الظن أن هذه الأماكن سكنوها فى الفترة الإسلامية السابقة فسمح لهم بالبقاء فيها ، وكان هذا المكان بين أسوار المدينة وحى المستعربين. وكانت أسوار المدينة تحيط به من الجزء الشرقى ، وفى الغرب سور داخلى للحى وحدود الحى تمر خلال شوارع فيدا Calle Borci, Calle Vida ، وشارع Calle de los Menors مينورس. وداخل حدود الحى وجدت إحدى بوابات المدينة فى هذا الوقت سميت بباب الشوار ash-shuwwar ، وبعد استيلاء الأسبان على المدينة أصبح اسمها باب الجودرية Peurta de la Juderia وسمى أحيانًا باب ابن الأحور أو منحور Menhoar وهو اسم يهودى سكن بجانة (١٨٠).

وهناك بوابتـان داخليتـان أخريان ، وكـان الشارع الرئيسى من باب كارنـيه Peurta de la Carne ، وفى شمـاله معبد تحول بعد ذلك إلى كنيسة فى العصر المسيحى . وخارج باب كارنيه مقبرة اليهود .

الشوارع التى أقام فيها اليهود فى أشبيلية(١٨١) :

Calle de la vida - Calle Borcigueneria, Calle de Los Menores, Calle Fabiola, Calle Farnesio, Calle San Jose - Calle Arquéros, Calle Dos. Hermanas, Calle Cespedes, Calle Verde, Calle Levies, Calle Toquéros, Calle Vidrio, Calle Armenta, Calle de lostine .

بالإضافة إلى تلك العاصمتين وجدت أعداد من اليهود فى مدن ومقاطعات أندلسية مختلفة ، بعض تلك الأماكن ضم عدداً من العائلات اليهودية وبعضها ضم عائلة واحدة ، فالأندلسية كانت أغنى أجزاء شبه الجزيرة الإيبيرية وأخصبها وهى التى استقر فيها العرب أولاً ، وكذلك فإن اليهود الذين هاجروا من الشمال الإفريقى استقروا حيث سابقيهم من اليهود. وظلت بعيدة عن الصراع الإسلامى المسيحى فترة طويلة ؛ أما المعلومات عن المدن الصغيرة فغير متوافرة مثل المدن الكبرى ففى إشارات فى أوراق الجنيزة مثل مدينة كالسنيا Calsena حيث ورد فى خطاب فى أوراق الجنيزة مرسل من سعدية الجاؤون إلى يهود الأندلس إشارة إليها(١٨٢).

والمدينة تقع جنوب إشبيلية واشتهرت بصناعة النسيج وصيد الأسماك بالإضافة إلى وجود أعداد من اليهود فى السهل الممتد جنوبًا من قرطبة ، وهو سهل خصيب وقامت فيه عدة مدن سكن فيها اليهود من الفتح حتى نهاية الحكم الإسلامى .

أهم التجمعات كانت فى مدينة اليسانة ويسمهيا الإدريسى مدينة اليهود ولها ربض يسكنه المسلمون وبعض اليهود ، وبه المسجد الجامع على الربض والمدينة مدينة متحصنة بسور حصين ويطوف بها من كل ناحية خندق عميق تتجمع فيه المياه " واليهود يسكنون بجوف المدينة ولا يدخل فيها مسلم البتة وأهلها أغنياء مياسير أكثر غنى من اليهود الذين ببلاد المسلمين ، ولليهود بها حذر وتحصن ممن قصدهم " (١٨٣). ولقد حافظت على أهميتها للقرن العاشر ، ولقد سكن المسلمون ضواحى المدينة ولقد ساكنهم اليهود فى هذا القطاع والمدينة تعد سوقًا مهمًا للمنتجات الزراعية .

أما فى شرق الأندلس فكانت أحياء اليهود ومستقراتهم أقل عدداً وأهم مدنها غرناطة التى ظلت المدينة الرئيسية فى شرق الأندلس لعدة قرون ، وهى مدينة قديمة ، ووجد فيها اليهود قبل الفتح الإسلامى ، وكانت غرناطة فى الأصل عند فتحها مدينة صغيرة من أعمال ولاية البيرة ، ويشير الإدريسى لذلك " مدينة غرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس ، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة فخلت وانتقل أهلها منها إلى غرناطة ومدنها وحصن أسوارها وبنى قصبتها حبوس الصنهاجي ثم خلفه ابنه باديس بن حبوس فكملت فى أيامه وعرفت"(١٨٤) . ولقد انتقل إلى المدينة أعداد كبيرة من اليهود ، فضم العرب منذ البداية إلى قصبتها ومن هنا جاءت تسمية غرناطة اليهود ، ولقد ازدادت أعدادهم فى العهد الزيدى(١٨٥).

وبعد ربط غرناطة الحديثة والقديمة وتسويرها بالأبراج وكان نهر دورو يفصل بين المدينتين والمدينة القديمة محاطة بتحصينات وأبراج على صفاف النهر حيث توجد أحياء اليهود وامتد العمران لأحياء اليهود حيث تجاوت الضفة الأخرى للنهر إلى غرناطة الصنهاجية الحديثة أمام باب الرياض، فاليهود شغلوا الأحياء جنوب نهر دارو Darro على الشاطىء الجنوبى للنهر فى الاتجاه المعاكس لصف من القلاع ترتفع فوق التلال والتى بنى عليها فى فترة تالية قصور ملوك غرناطة والتى عرفت بالحمراء .

وسكن اليهود غربًا وجنوبًا عند أسفل التل حيث بنيت القلعة المعروفة باسم حصن موررور Mourur وفى الغرب فى المنطقة الضيقة بين انحدار التل ونهر دارو ، وكان المعبد والحى اليهودى ممتداً من تل موررور والتلال شمال غابة تسمى الأعمدة الحمراء Alamed deal Hamira وكانت قديمًا تسمى السبيكة وكان عهد عبد الرحمن الثالث من أزهى عهود غرناطة، ونتيجة لازدياد أعداد اليهود بنيت بالمدينة القديمة منازل كثيرة (١٨٦)، وأضيفت طوابق لبيوت قديمة وكانت المحال والمنازل اليهودية فى شوارع عديدة وفقًا للمهن والحرف التى مارسوها .

فعملية التفرقة الواضحة بين اليهود والمسلمين فى سكنى الأحياء لانجدها فى غرناطة ، ووصل بعض يهودها لمرتبة الوزارة كصمويل ثم يوسف بن النغريلة ، وقاد صمويل الجيوش وبلغ يهودها درجة كبيرة من الثراء والنفوذ ونتيجة لوجود أمثال صمويل فقد تولى عدد من اليهود المناصب مثل الشاعر موسى بن عزرا الذى أصبح صاحب الشرطة فى غرناطة وأبو ربيع بن الماطونى عديل صمويل الذى كان مشرفًا على جباية الضرائب . فيهود غرناطة لم يشاركوا

المسلمين أحياءهم فقط بل مراكزهم ومناصبهم فى عهد بنى زيرى . وكان تقسيم الأحياء وسكناها هنا ليس وفقًا للدين بقدر ما كان وفقًا للطبقة الاجتماعية(١٨٧).

فالطبقة العليا حاكت المسلمين فى بناء المنازل من ردهات واسعة ونوافير مياه يحيط بها الأشجار وأبواب قريبة ، وكان منزل صمويل وابنه يوسف يعد من التحف المعمارية ، وكان فى أعالى الهضبة التى تعلو على أحياء اليهود فى الوقت نفسه يطل على سفوح الجبال إلى نهاية المدينة ، وعند الدخول إلى منزله عن طريق ممر ضيق إلى بهو واسع ، وهذا البهو مفروش بسجاد أحمر اللون مستورد من أرمينيا وفرش بالأثاث الفاخر والستائر ، وكان خدمه يقومون بتقديم النبيذ بداخله الفواكه على موائد عليها كل أنواع الأطعمة . أما يوسف فرفض السكنى فى حى اليهود وسكن فى هضبة الحمراء فى غرناطة التى بناها بنو زيرى ، وشيد قصراً فاخراً أرضيته من الرخام وأثثه بأثاث فاخر يقارب قصور الأمراء وتبعه فى السكنى فى هضبة الحمراء أغنياء اليهود فبنوا القصور والمساكن الفاخرة إلى جانب مساكن أثرياء المسلمين. أما الطبقة الوسطى من صغار الأطباء والصيارفة والجهابذة وبنوا مساكن أجادوا تأسيسها.

أما الطبقة الدنيا فمثل مثيلتها من أصحاب الحرف صباغين وخياطين فتنوعت أماكن إقامتهم بالقرب من أماكن حرفهم ، فشارع الحرازيين وجد به كثير من اليهود ، والأمر نفسه عند باب الدباجين (١٨٨).

ثم مدينة بجانة والمرية : " وكانت مدينة بجانة المشهورة قبل المرية فعمرت وخربت بجانة فلم يبق منها "الآن" إلا آثار بنياتها ومسجد جامعها قائم ؛ والمرية اعتبرها الجغرافيون المسلمون فرضة بجانة ، وبجانة مدينة محدثة بنيت فى عصر الدولة الأموية ، وكانت المرية مرسى لمدينة بجانة القريبة ، وسميت بمرية بجانة ، ووطن أمراء من أمية بعض الأسرات العربية فى هذا الإقليم لحماية الساحل الجنوبى الشرقى فى الأندلس من غارات النورمان . وانزلوا جماعة من العرب الغساسنة اليمنيين وهم بنو سراج ، ولقد ضعف أمر بجانة فى القرن الحادى عشر وازدادت أهمية المرية كواحدة من أهم المراسى ، ولقد اشتهرت المرية بصناعة الحرير وذكر أن بها من طرز الحرير ثمانى مائة طراز ، فيعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهانى والجرجانى ، وكانت قبل ذلك يصنع فيها آلات النحاس والحديد ، ويقال أن بالأندلس كلها لا يوجد أيسر من أهلها مالاً ولا أتجرهم فى جميع أنواع التجارات (١٨٩). وكان ربضها عامراً بالأسواق والديار والفنادق والحمامات وكان يأتى إليها كثير من المسافرين ، ويذكر الإدريسى

أن بها من كل الصناعات كل غريبة ، وكان من الطبيعى أن يشارك اليهود فى هذه التجارة الزاهرة ، والمرية مدينة مستطيلة الشكل يمتد موقعها مابين القلعة القائمة بأعلى جبل هضبة شملاً ، وبين البحر جنوبًا ، كما كان يكتنفها من الشرق والغرب واديان ضحلان أحدهما فى الشرق ينحدر من القصبة إلى البحر ، والثانى من الجنوب تجاه الوادى . ولقد سكن اليهود قرب الخليج الذى أقيمت عليه المدينة ، واشتغلوا بالتجارة مع مسلمى المدينة وخاصة تجارة الحرير ، وشغلوا عدداً من المناصب الهامة ، فكان وزير المعتصم صاحب المرية يهوديًا (١٩٠).

ثم تأتى مدينة طليطلة التى يسميها الإدريسى مركز جميع بلاد الأندلس ، وهى على ضفة نهر تاجة ولقد تمتع اليهود فى ظل الحكم الإسلامى بالتسامح بعكس ما حدث بعد عملية الاسترداد المسيحى ، حيث تحولت المعابد إلى كنائس ، وكانت المدينة بها أعداد كبيرة من المسلمين بالإضافة إلى يهود ومسيحيين ، ولقد تمتع اليهود والمسيحيون بحرية دينية وترك المسلمون ٦ كنائس للمستعربين ، وكان المسيحيون يقيمون فى وسط المدينة وجنوبها ، فى حين عاش أغلب اليهود فى الغرب ، وتغيرت أحياء اليهود من الفترة الإسلامية إلى الفترة المسيحية حيث اختفى جزء كبير من مساكنهم ، وكان للحى اليهودى حدود فى الجنوب تنتهى عند تل ، وكان فوقه قصر ومن هناك تتجه الحدود فى اتجاه الشمال إلى شارع يعرف حاليًا باسم Plaza del code وعلى يمينه كان يوجد مسجد حولوه بعد ذلك لكنيسة ، وهناك شوارع كانت تحمل أسماء يهودية مثل شارع صمويل هاليفى ، والجودرية Travesia ad la Juderia(١٩١).

وفى وثيقة تعود لعام ١١٣١م / ٥٢٦هـ تشير إلى أن اليهود ظلوا فى أحيائهم إلى نهاية الحكم الإسلامى حيث قام ألفونسو السابع بطردهم ، وكان حى اليهود عند سان كليمنت يطلق عليه الحى العالى ، وكانت حدوده تنحدر للجانب الآخر من المدينة . ولهذا اشتهرت بمبانيها من الحديد والنحاس ، وكانت أحياء اليهود فى طليطلة تضم الشوارع التالية (١٩٢):

Calle Semeul Halavi, Calle San Juen delos Reyes, Calle de Angel, Calle San Tome, Calle delos Bodegones, Plazaval de caleros, Calle San Clement, Calle de Santa Anise , Call de la Juderia , Calle Colegio de Doncellas, Calle de Argwllo de la Jud .

وكان للمدينة خمسة أبواب ، وكانت بوابة الحى اليهودى تسمى باب مقرعة Makra وأهمية بوابة اليهود أنها تربط المدينة بالرحبة والحى اليهودى الغربى كان محاطًا بأسوار

تفصله عن بقية أحياء المدينة وإنشاء السور عام ٨٢٠م / ٢٠٥هـ حينما ثار أهل طليطلة ضد الأمير الأموى وتوجد مداخل تربط كل حى يهودى بالآخر .

ولقد أشار البعض لوجود قلعة يهودية داخل الحى استناداً لمقال كتبه Amador de las Rios آمادور دولاس روس أنه يوجد برج قريب من سانت مارتين تسمى قلعة اليهود Castello de la Juderi . ولكن من المؤكد أن شوارع اليهود الضيقة لا تحتمل بناء قلاع ، ومازالت هناك بقايا لحارات يهود فى أسبانيا وهى تعكس الصورة السابقة لما كانت عليه من ضيق شديد يتعذر معه حتى مرور أكثر من فردين فى وقت واحد فى دروبها الضيقة (١٩٣).

بالإضافة إلى أن اليهود لم يكونوا أبداً من العناصر التى تحمل السلاح بل حرصوا على ممالئة الحكام .

وكان لليهود فى حيهم الغربى معبد يسمى هاكنيست هاجادول Bet ha K'neset ha-gādol ، ولقد احترق عام ١٢٥٠م، ولقد بنى كنيسان فى الحى تحولا إلى كنائس فى الفترة المسيحية ولم يكن بالحى كبقية الأحياء الأسبانية حوانيت أو ورش عمل ، ولكن حوانيت اليهود كانت فى السوق الرئيس فى وسط المدينة وشمال الجامع الكبير بينه وبين الأسوار الشمالية مع غيرهم من المسلمين فهو مركز تجارى شامل ، ووثائق المستعربين تشير إلى سوق أسمه السانة Alcana كان فى نهاية القرن الرابع عشر ، وكانت السانة بين المسجد الكبير وسوق العطور وكانت الحوانيت تحصى أوقافًا ، ولم تكن منطقة السوق مجرد نشاط تجارى بل أقام فيها بعض اليهود ، ولم يكن نشاطهم أو حوانيتهم قاصرة على هذه المنطقة فقط بل امتدت حوانيتهم ومحلاتهم فى أماكن عديدة داخل المدينة .

وفى منطقة قشتالة وأراجون وجدت عدة مستقرات يهودية مثل قلعة أيوب أشار الإدريسى أنها مدببة وحصينة ويصنع بها الفضة والذهب ، ولم تبد أهميتها إلا فى القرن التاسع ، وظلت فى أيدى المسلمين إلى أن أخذها المسيحيون وأصبح أسمها Calate Judi ، وكان اليهود يقيمون فى الجزء الشمالى فى منطقة مرتفعة ، وكان الحى يقع فى مكان شمال غرب المسجد الرئيسى . وسكنوا فى شارع آخر على التل .

وفى وادى نهر الأبرو كان هناك مدينة مهمة هى سرقسطة (١٩٥). ولقد استعان حكامها من بنى هود باليهود وسميت المدينة البيضاء ولها سور حصين وعلى ضفة نهر إبرو ، وكان للمدينة أربعة أبواب فى سورها . وكان الحى اليهودى فى جنوب شرق المدينة بين السور فى

الجنوب ، وشارع مايور حاليًا Calle Mayor في الشمال ، وهناك ثلاث مخارج تعبر الحي اليهودي من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي حي يسمى فيرونيكا ، وهذا كان مكان لسوق اليهود وهناك حي يحمل اسم يهودي أسباني Saporta بجوار كنيسة مسيحية يعود تاريخها إلى ١١٥٥م / ٥٥٠ هـ في فترة الحكم الإسلامي (١٩٦).

وبين الحي اليهودي والقطاعات الأخرى في المدينة سور داخلي تخترقه بوابات تسمح بالاتصال بجميع قطاعات المدينة الإسلامية ، وفي الجزء الغربي وجدت بوابة تسمى بوابة اليهود شمال شرقها المعبد الرئيسي في سرقسطة ، وهناك معابد أخرى بعد استعادة الأسبان المسيحيين لها تحولت إلى كنائس . وكان سكان المدينة يعملون بالنسيج وصناعة الجلود ، ولقد اشتهرت مدن أسبانيا عامة بالمصنوعات الجلدية وعمل اليهود بهذا المجال وبدباغة الجلود في كل من سرقسطة وجيان والمرّية ، واشتهرت مالقة بإنتاجها المتميز في هذا المجال .

أما الشوارع التي سكنها اليهود فهي (١٩٧).

Calle Mayer , Calle Manifestacion , Calle Veronica , Place San pedronoiasco, Calle San Jorge, Calle Saporta, Synagogue, Treater.

وأحداهم يحمل اسم المعبد

وبعض المدن في شمال أسبانسا كان بها يهود مثل برشلونة ، ولكن استولى عليها شارلمان ملك الفرنجة ٨٠١م / ١٨٥هـ . وطرطوشة ، يذكر الإدريسي أنها مدينة حصينة على سفح جبل ولها سور حصين وبها أسواق وحرف عديدة ، وأن أهم صناعاتها إنشاء السفن ولقد وجد بها يهود قبل الفتح واستمروا بعد الفتح الإسلامي في سكناها ويوجد حي يهودي ومقبرة شرق المدينة .

ولقد أشار الإدريسي إلى مدينة طركونة وذكر أن بينها وبين طرطوشة نحو خمسين ميلاً ، وهي مدينة على البحر وأطلق عليها اسم مدينة اليهود ، وذكر أنه مدينة مسورة محاطة بالأبراج ويسكنها عدد قليل من الروم وربما يقصد المسيحيين (١٩٨).

أما في غرب شبه الجزيرة فكان عدد اليهود محدوداً جنوب الأبرو وكذلك أعداد السكان من المسلمين لأن جزءاً كبيراً منها بعيد عن طريق التجارة ويسمى الإدريسي هذا الإقليم إقليم الفقر(١٩٩).

وفيه شنت مارية ومارتلة وشلب وحصون كثيرة ويليه ما يسمى بإقليم القصر وفيه يابورة وبطليموس وشريشة وماردة . وكانت ماردة أهم المدن وكانت بها أعداد من البربر وبها كثير

من المولدين وكان بها قطاع لليهود وكانت أهم تجمع يهودى . فى كل ولايات الغرب فى شبه الجزيرة ، وكان لهم حيهم بجوار سانت كاتلينا Santa Catalina وكانت فى الأصل معبداً تحول لكنيسة خلال الفترة الأسبانية المسيحية .

ولو عددنا أماكن التواجد اليهودى فى أسبانيا وأحياءهم لوجدنا عدداً من اليهود فى كل مدينة مثل مالقة التى اشتغلوا فيها بصناعة الملابس ، وفيها اشتغل صمويل ابن النغريلة بحرفة العطارة وكتابة الخطابات وتعرف عليه أبو القاسم ابن العريف وزير حبوس ثم أخذه لغرناطة .

ولكن لا يعنى أن اليهود غلبوا على أسبانيا فإن عدداً كبيراً من المدن التى ورد ذكر اليهود فيها لايمكن أن يزيد ما بها عن العشرات فقد كان تمركزهم بكثافة فى غرناطة والسانة أما بقية المدن فلم تكن لهم كثافة قوية رغم محاولات أشتور تأكيد التواجد اليهودى ولكن ربما يرجع الاهتمام بيهود الأندلس لأنهم كانوا أكثر اليهود ثقافة وتأثروا بتلك الحياة العلمية الزاهرة فى ظل دول الأندلس الإسلامية التى لا تعرف التعصب بحيث وصل منهم عدد إلى مرتبة الوزارة وقيادة الجيش .

اليمن والعدن :

كان هناك أعداد من اليهود فى مدن اليمن ربما كان بعضها من البقايا اليهودية بعد القضاء على مملكة ذو نواس ، ولقد ذكر الرازى أن بعضهم ظل فى اليمن بعد الإسلام إلى القرن الرابع الهجرى فى صنعاء وأشار ابن المجاور لوجودهم فى نجران فى القرن السابع الهجرى ولا تحمل الوثائق الكثير عن توزيعهم فى المدن اليمنية ، ولكن هناك روابط ووشائج وثيقة تربط اليمن بعدن وترتبط بالتجارة فمضمون بن يافث وكيل تجار عدن كان نجيداً لليمن وإبراهام بن ياجو أقام سنوات فى اليمن وعدن ، وناثال الفيومى كان ناجيد اليمن فى فترة موسى بن ميمون .

وتضمنت وثائق الجنيزة إشارة لمجتمع يهودى فى اليمن وفى خطابات متبادلة بين موسى بن ميمون طبيب القصر الأيوبى ومجتمع اليهود فى اليمن ، نجد أن العلاقة كانت قائمة بينهم وبين يهود مصر ومنها رسالته الشهيرة ١١٢٢م ، والتى سنعرض لها بعنوان رسالة إلى اليمن وتحمل تجنيًا وإساءة إلى المسلمين والمسيحيين كما أوردها شتليمان فى كتابه يهود الأراضى العربية التاريخ والمصادر ، وفى رسائل أوردها جواتين فى كتابه عن التجار اليهود فى

العصور الوسطى وفى خطاب من مضمون بن داود رئيس المجتمع اليهودى فى عدن وفى رسالة إبراهام بن ميمون رأس اليهود فى مصر إشارة لشماريا بن داود رأس المجتمع اليهودى فى اليمن وهى مؤرخة فى عام ١٢٢٠م / وتضمن اسمًا آخر هو الموفق أو أمن الدولة ثقة الحكام وهو من الألقاب التى تمنح لممثل التجار اليهود وكان اليهود قد تعرضوا لفترة اضطهاد مؤقتة فى عهد الملك المعز الأيوبى ١١٩٧ - ١٢٠١ .

ولقد احتفلوا كما ذكر الكاتب بأعيادهم كالمعتاد ومن الملاحظ أن الخطاب يتضمن شحنة من الفلفل ، فمن الواضح أنهم مارسوا بجانب وظائفهم أعمالاً تجارية والخطاب يشير لمقتل الملك المعز الذى ادعى الخلافة فى اليمن كما يذكر كاتب الخطاب خلفه الملك الناصر أيوب بن السلطان سيف الإسلام أخو صلاح الدين وكان طفلاً فتولى أموره الأتابك سيف الدين سنقر ، وكانت هناك مشكلة تتعلق بجمارك عرضها على المسئولين وأنهم رفعوها للمحكمة ، ولكنه طلب عرضها على المحكمة اليهودية ، وكانت تمر على اليمن تجارة هامة هى تجارة الكارمية . ولقد وردت رسائل تتعلق بالتجارة فرسالة تتعلق بابى الفرج الحموى والذى كان يعيش فى الفسطاط وله تجارة مع المغرب هذا الرجل شارك ثلاثة رجال فى تجارتهم الذاهبة لليمن وخطاب من إبراهيم ابن ياجو مؤرخ ١١٣٢م ، وصدر من داخل اليمن كاتب الخطاب ذكر أن الكثيرين يودون خطبة ابنته ، ولكن لديه رغبة فى أن يزوجها أحد أقربائه ، ونجد فى الخطابات نوعًا من التعاون التجارى بين يهود اليمن وحكام عدن من المسلمين والمشاركات التى تنم عن تسامح فعلى متبادل بلال الذى أصبح حاكم الجزء الجنوبى من اليمن ، ومضمون وكيل التجار اليهودى ورئيس مجتمعهم فى عدن اشتركا فى بناء قارب لتجارة عدن وسيلان أو فى شحن كميات بضائع كبيرة لعاصمة مصر (٢٠٠).

عدن كانت أهم موانىء البحر الأحمر الشرقية تقع بالقرب من مدخل الخليج ويعتبر موقع على الخليج الحد الفاصل بين سير سفن المحيط بالتوابل والتى تخشى شعاب البحر الأحمر المرجانية وسفن البحر الأحمر الأصغر حجمًا التى كانت تحمل البضائع المصرية والأوربية مثل النحاس والمنسوجات الصوفية . وتلتقى لتبادل السلع معهم فهى مجمع تجارات المحيط الهندى والبحر المتوسط .

ولهذه الأهمية التجارية الكبرى فلقد تواجد فى المدينة أعداد من اليهود بعضهم مقيم وبعضهم الآخر كان تاجراً عابراً ولأهمية تجارة عدن كتب جوايتين مقالاً عن تلك التجارة الزاهرة بعنوان من عدن إلى الهند From Aden to India وسنجد أسماء لتجار من اليهود امتدت

تجارتهم عبر عدن مثل مضمون بن يافث الإيرانى الأصل والذى أقام فى عدن ويوسف اللبيدى الذى أقام فيها تارة وإبراهام بن ياجو وأبو على حسن بن بندر ، فعدن تواجدت فيها أعداد وأسر يهودية مقيمة وكان وكيل تجارها من أشهر وكلاء التجار اليهود ومن الطبيعى أن يكون التعاون والمشاركة مع الجانب الإسلامى فى التجارة التى كانت هى النشاط الرئيسى للسكان مرتبطة أيضًا بعدم وجود أية قيود على السكن ، ولقد ازدادت أهمية عدن مع ظهور تجار الكارمية والذين صاحبهم اليهود فى بعض رحلاتهم ، ولكن لم يكن اليهود من الكارمية كما سنوضح فى الفصل التالى .

ومن واقع الوثائق نجد أن يهود اليمن كانوا أقل ثراءً من يهود عدن المركز التجارى الهام وملتقى التجارات ، حيث مارس أغنياؤهم وأواسطهم التجارة ومن الواضح أن التقسيم الطبقى لم يكن يخضع للوضع الدينى إنما للانتماء الطبقى فإذا كان أغنياؤهم شاركوا بلالاً حاكم جنوب الجزيرة فى سفنه وتجارته فمن المؤكد أنهم سكنوا على نفس المستوى وفى مقدمة رسالة موسى لليمن يشار إلى أن اليهود تمتعوا بمنازل وحدائق واسعة وأنهم أنفقوا على فقرائهم ، فهنا مجتمع يحركه الربح المادى والتجارة دون تفرقة فى سكن أو عمل .

أعداد اليهود فى العالم الإسلامى :

بعد عرض التواجد اليهودى فى المدن العربية والإسلامية ومدى اندماجهم فى تلك المجتمعات ، السؤال الذى يثار ، ما هى الأعداد الفعلية لليهود فى العالم الإسلامى ؟ . ولقد اختلف المؤرخون اليهود حول هذا ، فلقد ناقض مارك كوهين ما كتبه جوايتين على أن عدد اليهود يمثل ١٪ من سكان العالم الإسلامى يتمركز غالبيتهم فى المدن ويرى مارك كوهين أن هذا العدد غير صحيح وأن التقدير بين ٠,٥٪ إلى ١,٥٪ .

وآشتور كتب عن أعداد اليهود فى أسبانيا الإسلامية وذكر أعدادهم فى المدن الرئيسية مثل المرية وسرقسطة ومالقا وغرناطة ذكر أن أعدادهم بين ٢٠ ألف إلى ٣٠ ألف ولقى هذا الرأى معارضة أيضًا .

ودافيد فاسرشتاين فى مقاله عن الصفوة اليهودية فى الأندلس Jewish Elites in Al-Andalus ذكر أن عدد اليهود فى أى مدينة أندلسية مهما بلغ لايزيد عن عشر سكانها وأن هذا العدد نصفه من النساء وأن فى بعض المدن الصغرى يبلغ ٦٠٠ إلى ٨٠٠ على أكثر تقدير(٢٠١).

وهناك عدد من الدراسات عن أعداد اليهود مثل الدراسة التى أجراها أبراهام فاسرشتين Abraham Wassertein عن أعداد اليهود ومواقعهم فى التاريخ اليونانى والرومانى وبارون S.W.Baron انعكاسات حول التاريخ الديموجرافى لليهود فى العصور الوسطى ، وآشتور عن أعداد يهود مصر Ashtor : The Number of the Jews in Mediacaval Egypt ، ونورمان جولب عن طبوغرافية اليهود فى مصر العصور الوسطى ، ويرى مارك كوهين أن هناك تناقضًا واضحًا فيما ذكره بنيامين عن أعداد اليهود ، فذكر أن جوايتين وفقًا للمعطيات التى استقاها من قوائم حسابات الصدقات فى جنيزة القاهرة أن عدد سكان الفسطاط من اليهود الربانيين ، بلغ فى فترة قريبة من زيارة الرحالة بنيامين حوالى ٣٣٠٠ نسمة أى أقل من نصف العدد الذى ذكره بنيامين نفسه وهو ٧٠٠٠ نسمة ، وأن تقديرات أشتور لعدد يهود مصر فى أواخر القرن الثانى عشر لا يزيد عن ١٢ ألف نسمة وتقديراته عن يهود الفسطاط أقل من التقديرات السابقة أيضًا ، إذ يحدد عددهم بألف وخمسمائة نسمة فقط وهو يرى أن الرقم الذى أورده بنيامين يشمل أعداد الفسطاط والقاهرة معًا كما يقدر عدد سكان اليهود فى الإسكندرية من سبعمائة إلى ثمانمائة ، يذكر أنه لايمكن الاعتماد على بنيامين دون تحفظ شديد ويتساءل هل أحصى الطائفة كلها أم الذين يدفعون الجزية أم هناك اختلافات فى مخطوطات رحلته ذاتها كما أنه لم يزر عدداً من الأماكن التى بها طوائف يهودية(٢٠٢) ، و Mann أشار إلى أن هناك يهوداً حملوا اسم السرتى والمغربى واستوطنوا مصر ، فأعداد اليهود كانت متغيرة (٢٠٤) ، وأجري فيليب فارج ويوسف كرباج إحصائية تقريبية - استناداً إلى جوساكوكى رسل - للسكان فى أواخر العصر القديم والعصر الوسيط الذى ذكر أن العدد يعادل ١٪ من عدد السكان .

الطوائف فى الأزمنة الأولى للخلافة العربية بالآلاف (٢٠٤).

الإقليم	إجمالى السكان	المسيحيون	اليهود
شبة الجزيرة العربية	١٠٠٠	١٠٠	١٠
سوريا	٤٠٠٠	٣٩٦٠	٤٠
بلاد الرافدين	٩١٠٠	٩٠٠٩	٩١
مصر	٢٧٠٠	٢٦٧٣	٢٧
الإجمالى	١٦٨٠٠	١٥٧٤٢	١٦٨

وهناك حقائق يجب وضعها قبل وضع أي إحصائية أو تعداد ليهود العالم الإسلامى :

١ - جميع الأرقام كما هو واضح قائمة على التخمين فمن الصعب إيجاد إحصاء فعلى أو تعداد ، فالجزيرة العربية مثلاً بها قبائل يهودية وبطون يهودية واعتمادنا فى تعدادها على كتب السيرة الإسلامية والتاريخ كابن هشام الواقدى والطبرى .

فالبعض حدد أعداد يهود خيبر بحوصنها بأربعة آلاف وقدر ابن هشام عدد بنى قريظة بثمانمائة أو تسعمائة ، وإذا كان هذا عدد الرجال فلو كان متوسط الأسرة ٤ أفراد يصبح عددهم ٣٢٠٠ فرد ، ولو كانت أعداد بنى قنينقاع وبنى النضير مماثلة لها أو تقاربها فيصبح عدد يهود الجزيرة العربية حوالى عشرين ألفًا ولو أضيف إليهم اليهود الموجودون فى بطون بعض القبائل العربية ، ولكن كما هو واضح لا نستطيع الجزم لاختفاء الإحصائيات الدقيقة .

والأمر نفسه لو راجعنا الأقطار التى تخضع لسيطرة الفرس أو البيزنطيين فيوسفوس قدر عدد اليهود فى فترة حكم بطلميوس بمائة وعشرين ألفًا ولكن هذا العدد مبالغ فيه إذا قورن بعدد اليهود الذين عادوا من السبي البابلى ٥٨٧ ق.م. فعددهم يتراوح بين ٣٠,٠٠٠ ألف أو أربعين ألفًا ، بل إن أعداد السبى التى وردت فى التوراة بها تضارب فسفر أرميا الإصحاح ٢٥ / ٢٦ / ٢٧ / ٢٨) حدد عدد سبى نبوخذ نصر بأربعة آلاف وستمائة ، وسفر الملوك حدده بعشرة آلاف ، وسفر عزرا ٢ / ٤ - ٦) قرر عدد العائدين من السبى ٤٢٣٦٧ غير العبيد والمغنيين . فأغلب الأعداد التى وصلت للمؤرخين كانت على سبيل الأقوال المتواترة .

٢ - حركة اليهود مستمرة خلال العصر الإسلامى من قطر إلى آخر وفقًا للأوضاع السياسية والاقتصادية ، فلقد تناقصت أعداد اليهود أو انتهت فى القدس فى فترة الحكم الصليبى حيث ذكر بتاخيا (١١٧٥م / ٥٧١هـ) ، أنه لايوجد هناك إلا صباغ واحد . وكذلك فى الفترة السابقة على الغزو الصليبى ذكر المؤرخون أن أعدادهم تراجعت مع هجوم السلاجقة ولكن لا نستطيع وضع أحصاء دقيق وإنما بنى التقدير على أساس عدم وجود استقرار فى فترة الصراع بين الفاطميين والسلاجقة فى الشام ، كذلك فى الأندلس رغم أن هناك تواجداً يهودياً فى عدد كبير من المدن فلا يمكن وضع إحصاء نهائى فلقد تأثرت أعدادهم بالقوى السياسية الحاكمة كفترات المرابطين والموحدين ، والأمر نفسه بالنسبة لدول الغرب الإسلامى ، فالأعداد مرتبطة بسياسة الدولة الحاكمة ومدى اتساع وازدهار النشاط الاقتصادى .

٣ - لايمكن الاعتماد على قوائم الضرائب كحد دقيق فاصل ، فهى لا تعطى تقديراً دقيقًا إنما تقريبيًا ، وكما ذكر جوايتين عن التعداد الخاص بالقدس وفقًا للضرائب فذكر أن الضريبة

بلغت مائة دينار وأنها كانت على الذكور القادرين ، ولكن كان هناك نساء وأطفال وغير قادرين معفون فلا يمكن حصرهم إنما وضع عدداً تقريبيًا وهذا ما يؤكده عوبديا الرحالة الذى زار القدس فى نهاية العصر المملوكى وذكر أن غالبية الموجودين فى القدس من اليهود من أرامل الإشكناز فلا نستطيع إلا أن نضع حداً تقريبيًا للأعداد .

٥ - التضارب فى الأعداد التى ذكرها الرحالة الذين زاروا مدنًا فى نفس الفترة أو فترة متقاربة ، وكمثال ما ذكره بنيامين التطيلى ١١٦٥ - ١١٧٣م / ٥٦١ / ٥٦٩هـ وبتاخيا الذى قام برحلته عام ١١٧٠ - ١١٨٧م / ٥٧١ - ٥٨٣هـ ، فبنيامين ذكر أن يهود دمشق عددهم ثلاثة آلاف وبتاخيا ذكر أنهم عشرة آلاف ، فالاختلاف وصل لسبعة آلاف شخص والأمر نفسه بالنسبة لرحلة ميشلوم من فولترا Meshullam of Volterra(٢٠٥) ١٤٠٧م/٨٨٦هـ وعوبديا برتينورو Obadiah Bertinoro ١٤٨٧ - ١٤٩٠م / ٨٩٣ - ٨٩٦هـ ذكر أن عدد سكان القاهرة سبع مائة عائلة يهودية ، وذكر ميشلوم أن عدد الأسر اليهودية ثمانمائة أسرة ربانيين ومثلهم من القرآيين وأن عدد أسر القدس ٢٥٠ أسرة وعوبديا ذكر سبعين أسرة(٢٠٦) فهنا تباين واضح ، الأمر نفسه بالنسبة للمصادر الإسلامية فهناك عامل المبالغة ذكر ابن خرداذبة أن الإسكندرية بها ٦٠ ألف يهودى ومعنى هذا أن عدد اليهود يفوق عدد المسلمين فى المدينة .

٦ - حركة التنقل الدائمة لليهود بين أقطار العالم الإسلامى فهناك انتقال من المغرب إلي أسبانيا ، وفى فترة تالية هجرة معاكسة إلى المغرب وكثير من يهود مصر من أصل مغربى بعضهم مستقر وبعضهم مقيم لفترة لارتباطات تجارية وكمثال أسرة بن عوكل التجار المشهورين يعقوب وابنه يوسف فأصولهم من إيران ثم استوطنوا المغرب ، ثم تبعوا الفاطميين بعد دخولهم مصر واستوطنوها (٢٠٧). ووثائق الجنيزة الخاصة بهبات لفقراء نجد أسماء تنتهى بالمغربى والتونسى والدمشقى السرتى والفاسى والأندلسى ، بل والصقلى ، ولايمكن الجزم بأنه أقام واستوطن واحتفظ بأصل اسمه أو أنه مسافر عابر وفى وثيقة تعود لعام ١١٣٨م / ٥٣٢هـ تشمل أسماء أفراد يعيشون فى الفسطاط فهناك سعديا بن مبارك المعروف بالجزائرى وشخص يسمى برخيا(٢٠٨) Berakhah بن يوسف المعروف بالسرتى ، وفى وثيقة أخرى نجد أسماء يعقوب المغربى وأرملة الدمشقى وهبات للأجانب(٢٠٩) .

٧ - كان التركيز فى الإحصاء يقوم على المجتمعات المدنية فى العواصم ولكن هناك تجمعات بنسب قليلة فى الريف كما ذكر أشتور بالنسبة لأسبانيا ، وفى الدلتا وفقًا لوثائق

الجنيزة فى الفترة من ١٠٠٠ - ١٢٥٠/٣٩١-٦٤٨هـ يوجد عدد من المدن بها أعداد من اليهود مثل دمياط ورشيد ومنية زفتى وسهرجت [٢١٠]، وشهد القرن الثانى عشر بداية ازدهار التجارة مع الهند فأغلب الظن أن التجمعات اليهودية على امتداد النيل الأعلى مثل حلوان وأسوان وقوص قد تطورت مع زيادة حركة التجارة . كذلك تواجدت أعداد من اليهود فى مدن الجزيرة العربية .

وفى المغرب ظلت أعداد قليلة فى المناطق الصحراوية[٢١١] .

وعلى ذلك فإننا لا نستطيع الجزم بالأعداد الحقيقية ولكن من المؤكد أنهم كانوا أقلية فى كل بلد ولكنها نشطة اقتصاديًا وتكون جزءًا من النسيج الاقتصادى فى مدن العالم الإسلامى.

ثانيًا : الجيتو المهنى :

السؤال الذى يثار هل كان هناك جيتو مهنى أو كانت سبل العمل والتجارة مفتوحة أمام جميع الديانات ، وهذا ما أكدته وثائق الجنيزة والمؤرخون اليهود بالإضافة إلى المصدر الإسلامى مما لا يجعل مجالاً للشك ، وإن كان شتليمان وجوايتين أشارا إلى أن حرية العمل ظلت متاحة إلى القرن الثالث عشر حيث قامت النقابات على أساس دينى محض ، وهذا رأى يحتاج للمناقشة تدحضه المصادر فيما يتعلق بالجزء الأخير من العصر الوسيط . ولقد عمل اليهود فى شتى المجالات الاقتصادية سواء كتجار يتملكون شركات أو تجار تجزئة أو باعة جائلين أو وكلاء ووسطاء تجاريين بل تملك بعضهم وكالات بريد تقوم بما تقوم به مصلحة البريد الحالية ، وهناك عقود شراكة تجارية بين مسلمين ويهود سواء فى صناعة أو تجارة ، وهذا يختلف تمامًا عن حياة يهود شمال أوربا فى الفترة نفسها فقد عمل اليهود فى أوربا عادة فى المهن الهامشية وزاولوا التجارة التى أبغضها المسيحيون . لما تنطوى عليه من مادة ، كذلك مارس اليهود الإشكناز بعد الحملة الصليبية الأولى الربا ، ولقد قامت فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين الثالث والرابع الهجريين ، ثورة اقتصادية كما يصفها البعض فقد نشأ مجتمع بارك الدينى فيه الأرباح الحلال من التجارة ، ومن البداية كان الإسلام يحترم التجارة وجعل تسعة أعشار الرزق فيها والرسول عمل بالتجارة ، ومجتمع قريش عاش على التجارة ورحلاتها وعرف رحلات تجارية إلى الشام والأراضى التابعة لبيزنطة ، لقد اشترى الرسول من يهودى ثلاثين وثقًا من شعير ورهنه درعه [٢١٢] ، ومع استقرار الأوضاع وقيام دول الخلافة الإسلامية زاد الازدهار التجارى واتسعت مجالاته وأنشطته بل أصبحت شخصية التاجر المغامر محوراً لقصص كالسندباد فى ألف ليلة وليلة التى تعكس صورة مجتمع كان التاجر

فيه يمثل الحلم والطموح لأى شاب . وهذه التجارة الزاهرة ساهم فيها أفراد من ديانات أخرى ، فلم يشكل اليهود جماعة شاذة على غرار إخوانهم فى أوربا ، وإنما كانوا طبقة مماثلة لطبقة التجار المسلمين والنصارى ، والواقع أن الشراكة اليهودية الإسلامية فى الصناعة والتجارة كانت أمراً شائعاً .

ونستطيع أن نورد ملاحظات خاصة بمشاركة اليهود فى الحياة الاقتصادية :

١ - لا يعنى مشاركة اليهود فى النشاط الاقتصادى سواء فى مجال الصناعة والتجارة أن اقتصاد العالم الإسلامى كان فى أيدى يهودية وليس صحيحًا ما ذكره شتليمان أن التاجر ابن عوكل اليهودى كان يعد شاهبندر تجار مصر نتيجة للثروة الكبيرة التى جناها ، فالمصادر الإسلامية لم تورد عنه أية إشارة ومعلوماتنا مستمدة من وثائق الجنيزة وإن كانت حقيقة تشير إلى حجم تجارة كبير ، فلعله كان واحداً من كبار التجار اليهود فى مصر والذين تمتعوا بثروات واسعة فى ظل الحكم الفاطمى الذى اتسم بالتسامح والذى وصل فيه عدد من اليهود واليهود الذين اعتنقوا الإسلام إلى مناصب عليا فى الدولة وكانت بدايتهم كتجار كيعقوب بن كلس ، والتسترى وابن الفلاح .

٢ - كانت أعداد اليهود كما ذكر من قبل لا تمثل إلا شريحة محدودة من أعداد السكان.

٣ - اختلفت أوضاع اليهود الاقتصادية والاجتماعية عبر الفترات الزمنية وتغير وضعهم من مزارعين إلي وضع سكان المدن ، ففى البداية كونوا مع غيرهم من الشعب جموع العامة واشتغلوا بمهن معينة كان يأنف البعض من العمل بها كالدباغة والصباغة والحجامة ، ولذلك نإن الجاحظ عقد مقارنة بين مهنهم ومهن المسيحيين ، فذكر أن المسيحيين فيهم كتاب السلاطين وفراشى الملوك وأطباء الأشراف ، والعطارين ، والصيارفة ، ولا نجد اليهودى إلا صباغًا أو دباغًا أو حجامًا أو قصابًا أو شعابًا " ولكن اختلف الأمر فى الفترة التالية ، فسنجد فى بغداد نفسها كبار الصيارفة من اليهود كفنحاس ، وأصبح هناك العديد من الأطباء اليهود وكبار تجار المجوهرات الذين كانوا على صلة مباشرة بالحكام المسلمين .

٤ - كان الوضع الاقتصادى مرتبطًا بالوضع السياسى فنجد أن ظهور الأسماء اليهودية لتجار كبار وشركات يعود أغلبها لفترة حكم الفاطميين ، ولوجود دول فى المغرب تمتعوا فيها بتسامح كبير ، وكذلك كان الوضع فى أسبانيا مع الخلافة الأموية ، وإذا كان العصر المملوكى فى مصر لم تظهر فيه شركات كبرى فيرجع هذا لمصادرات المماليك الدائمة للتجار سواء

مسلمين أو مسيحيين أو يهود ، كذلك لندرة وثائق الجنيزة عن هذه الفترة وإلى ما حدث من تطورات سياسية فى العصر المملوكى الثانى .

٥ - الصناعة والتجارة بينهما تداخل واضح فى تلك الفترة ، فبعض الحرفيين العاملين فى السلع الصغيرة ، كانوا هم فى نفس الوقت تجارها ، كتجارة الزيت والنسيج وبعض الصناعات الصغيرة .

٦ - كان هناك طبقات من التجار كما ذكر الدمشقى فى كتابه محاسن التجارة ، فهناك التاجر المعروف بالخازن الذى يقوم بالتخزين ، والركاض التاجر الذى يقوم بالرحلات ، والمجهز الذى يقوم بالتصدير (٢١٤).

الأول يشترى عندما يكون العرض كبيراً والطلب على البضاعة قليل أى ينتظر تغير الظروف لعرض بضاعته والثانى يحمل معه بضاعته إلى المدن الأجنبية وعليه أن يحتاط بشدة لما يحيط به وعليه أن يكون مستعداً لجميع أنواع العقبات والنكبات التى تعترض الطريق الذى يسلكه ، كذلك عليه العلم بالأسعار الجارية فى المدينة التى سيذهب إليها وفروقها عن مدينته الأصلية ، والرسوم المقررة على كل نوع من البضاعة وكمثال لهذا النوع من التجار ، التاجر نهارى بن نسيم الذى كان مغربى الأصل ينتقل ببضاعته بين مصر والشام ودول عديدة.

ويدخل تحت هذا النوع تجار يهود محدودو النشاط لا يشابهون نسيم فى حجم تجارته إنما هى تجارة صغيرة ، ولكنها تخرج إلى نطاق السوق العالمية الخارجية ، وهم إما يتحركون من تونس إلى صقلية ومصر أو من مصر إلى المغرب وأسبانيا ، وإلى سوريا وبعضهم يستقر أحيانًا فى المكان الجديد ، والبعض يعود لبلاده ، ويأتى بدلاً منه عضو أصغر فى العائلة كعائلات الميجانى والتسترى .

ويضيف البعض إلى هؤلاء صغار التجار الذين يتحركون من مدينة صغيرة إلى أخرى فى ريف مصر ، والثالث الذى يستقر فى موضعه ويشحن البضائع ويشترى فى مقابل بيعها بضائع ترسل إليه كابن عوكل ، الذى كان يدير تجارته من الفسطاط وله وكلاء تجاريين فى العديد من المدن .

ونجد أن هناك أنواعًا أخرى من التجار ، فالعدد الأكبر من التجار ، كان من صغار التجار وتجارتهم محلية لا ترقى إلى كبار التجار المصدرين والذين يتنقلون بين دول العالم فهناك تجار

التجزئة الذين يسمون بالسوقة أو الباعة وينتمون إلى الطبقات الدنيا من المجتمع وهم يختلفون عن التجار الذين ينتمون للطبقة البرجوازية السابقة الذكر(٢١٥).

ومعظمهم صناع يبيعون منتجاتهم عطارون أو تجار صغار يبيعون ملابس وأوانى للفقراء وغالبيتها صناعات منزلية سيئة الصنع ، ورأس مال هؤلاء التجار الصغار محدود جداً يبلغ ١٠٠ - ٢٠٠ دينار ، أو باعة متجولون يبيعون بضائعهم فى القرى والضياع ، ولقد عانى هؤلاء التجار الصغار من عبء ما يسمى بالمكوس ويتساوى المسلم واليهودى والمسيحى(٢١٦).

وكان هناك تجار متخصصون فى بيع سلع معينة وآخرون متخصصون فى فروع عديدة فهناك الصياغ ، أو باعة الحرير وآخرون يعملون فى عدة تجارات معًا ، وإن كان هذا على مستوى كبار التجار .

٦ - استعمل اليهود فى حياتهم اليومية وحسابتهم التقويم الإسلامى ولم يستعملوا التقويم اليهودى إلا فى فترة متأخرة بعد ١١٧٠م / ٥٦٦هـ .

٧ - فضل اليهود التعامل على أساس القراض الإسلامى من التعامل على أساس العسقة اليهودية فى المضاربات التجارية .

٨ - مارس اليهود وفقًا للقوائم أغلب الحرف التى مارسها المسلمون وذكرت قوائم بعضها به أربعة وثمانين حرفة وبعضها أكثر من ذلك ، وكان اليهود يقومون ببعض الأعمال وهى شبه مقصورة عليهم كالقيام بعملية الخصى للعبيد حيث كان ثمن العبد يتضاعف عدة مرات لاستخدامه فى القصور ومع الحريم ، ولقد اشتهر يهود اليسانة فى الأندلس بهذا العمل .

وعن مدى مشاركة اليهود فى مدن العالم الإسلامى فى الحياة الاقتصادية نجد أن اليهود شاركوا فى جميع أوجه النشاط الاقتصادى ، ولكن كانت المشاركة فى بعضها على نطاق محدود كالزراعة بعكس الحرف والتجارة .

الزراعة : فى البداية كان بعض اليهود يعملون فى الزراعة ، ولكن مع قيام المدن الإسلامية وازدهار نشاطها فضل اليهود العيش فى المدن والعواصم بل كانت الحياة فى القرية أو مدينة صغيرة يعتبرها بعض اليهود الذين اعتادوا على حياة المدن عقابًا لهم. وإسرائيل شاحاك يقول " إن اليهودية الكلاسيكية كرهت واحتقرت الزراعة كمهنة والفلاحين كطبقة(٢١٧).

ومع ذلك فلم يكن هناك قانون يمنع من تملكهم الأرض ، وهناك بالفعل إشارات إلى ملكيات زراعية محدودة ، ووفقًا لوثائق الأوقاف يهودية وثيقة امرأة تعرف باسم مؤملة أعطت لزوجها جميع أراضيها فى إحدى القرى فى اللد ، وكذلك فى وثيقة من محكمة طبرية إلى محكمة الفسطاط سؤال عن شهود على حقل يخص بنات هلال بن نسيم .

كذلك قام اليهود بتأجير بعض الأراضى ، فى وثيقة تخص القادوش (المعبد) فى ديموه تاريخها ١١٨٠م /٥٧٦هـ ، " ويشير المقريزى إلى وجود معبد قديم فى ديموه" ، قام إبراهيم بن يحيى هاليفى التجيبى بتأجير أرض قرب المعبد وكانت تخص قريبًا لميمون وهو شعيا هاليفى بن ميشائيل وتعطيه الحق فى البناء عليها ، وأن يزرع ويسقى منها وكان الهدف إحياء الأرض حتى لا تتحول إلى موات(٢١٨) .

وفى رسالة من موسى بن ميمون إلى إبراهيم هذا وتتضح صيغة الود بينهما أن عليه الاعتناء بمعبد ديموه والأراضى المجاورة والتى يقوم بتأجيرها من القدوش أحد المسلمين ويقوم بزراعتها وكان ميمون يثق فيه " لا تعمل مع أى طرف عدا ما يذكره الحاج على الشعراوى إذا نصحك بنصيحة ، ولا تدع أحداً يؤجر المكان فيما عداه " (٢١٩).

وفى كتاب آخر موجه إلى موسى بن ميمون إشارة لإعطاء اليهود أموالاً لمن يباشر حقولهم وتشمل " مزارع العنب والحدائق وشاركوا الأغيار فى هذا " ومن الواضح أن أصحاب تلك الحدائق شاركوا مسلمين فيها أو أجروها لهم وبقوا فى العاصمة ، وإشارة أخرى إلى يهود كانوا قد استقروا فى منية زفتى وهى مدينة صغيرة فى الدلتا ، وكان عدد من اليهود المهاجرين من فلسطين يعيشون بها واستثمر أحدهم أموال له فى الزراعة ، وتقرير عن مشاركة فى حقل . وبعض خطابات تتضمن إشارة إلى الزراعة والمحصول والدجاج والكتان . وشخص تحدث عن سرقة بالقرب من قريته بالفيوم وفى الغالب يعيش فيها ولكن لايمكن أن نجزم بأنه مزارع فلقد عاش أطباء يهود وصيادلة وصناع وصباغين وعمال فى القرى التى بها زراعة كتان ، وبعض المتطلبات المتعلقة بالماشية كصانع الجبن عمل بها المسلمون واليهود ووفقًا للتوراة أن الحيوانات يجب ألا تعمل السبت ، وكان البعض يلجأ إلى تأجيرها يوم السبت للمسلمين لكى لا يشغل آلة الرى الخاصة بهم ، وكان البعض يشارك المسلمين حتى يتفادى إجازة السبت .

وهناك أيضًا إشارات فى المغرب للملكية أرض زراعية وتضمنت أسئلة موجهة إلى جاؤونات بخصوص أرض زراعية يملكها يهود ، وهل ممكن بيعها لسداد دين خاص بأحد الأغيار ، ويهودى يسكن فى قرية تبعد عشرة أميال عن القيروان أرسل جبنًا إلى المدينة مع المسلمين(٢٢٠).

وأكد القاضى بن سهل فى حديثه عن فلاحين يملكون جنانًا بقرطبة وسبق أن أشرنا إلى تواجد يهود فى بعض قرى الأندلس (٢٢١).

كذلك أشار بنيامين إلى تواجد يهودى فى عدد من القرى سواء فى مصر أو الشام ، فذكر قرية إيبين رينيه حاليًا (٢٢٢). جنوبى يافه وقرية ميمون قرية فى الجليل وكفر ناحوم وقرية الدميرة فى دمياط (٢٢٣)، واسحق شيلو أشار إلى تواجدهم فى عدد من القرى بين القدس وطبرية ككفر قانا وكذلك عدد من القرى بين طبرية وصفد ، ولكن لا توجد إشارة لعملهم بالزراعة فى هذه المدن ويمكن تواجدهم كحرفيين .

ونستطيع أن نجمل القول بأن الزراعة لم تكن من المهن المحببة لليهود وأن الشريعة الإسلامية لم تمنعهم من الملكية الزراعية ومع ذلك فإن الإشارات الخاصة بالزراعة محدودة ، وهناك وثائق تتضمن مشاركة أرض زراعية مع مسلمين والقوانين اليهودية التى تمنع العمل السبت كانت حجر عثرة وخاصة فيما يتعلق بالرى والعناية بالمحصول .

الحرف : لم يكن هناك جيتو حرفى ولم يجبروا على العمل فى حرف بعينها ولكنهم فى الواقع كانت لهم شهرة فى حرف معينة كالصباغة والدباغة والصباغة وصناعة النسيج والوشى وعصر القصب والزيت وممارسة مهنة الطب والحجامة والكحالين . وهذا لا يمنع من مشاركتهم المسلمين فى حرف عديدة وسنجد أن هناك قوائم بالحرف التى مارسها اليهود ، ولقد ذكر هارشبرج عدة قوائم بأعمال مارسها اليهود (٢٢٤).

القائمة الأولى وهى قائمة Gettherl - Worrell ذكر : الدسترى (المسجل) الكاتب - السكرى - الشراء - المقتن - الصيرفى - عبد الشرطة (الذى يعمل فى الشرطة) - القطيف (ويشتغل بالحلوى) - الخياط - الزجاج - الذهبى - العسال - الفضى - الزيات - الجهبذ.

وقائمة Bralawsky :

الخادمة - الخادم - الشرابى - السكرى - تاجر - المنقى (مساعد الطباخ) - العشى (الطباخ) - المرباتى - الحزام والخباز - المنجم - البقال - الخياط - الوراق - المشعور

(الشاعر) البرناس (رئيس دينى) - البياع - الحزان (موظف المعبد) الحالم (مفسر الأحلام) - الصابغ - ابن ديان برقة (ابن قاضى برقة) - أصحاب البغال .

وقائمة ثالثة Thestr :

الخلال - النوخذة " مالك السفن " - النوشادرى - الخفى " تاجر الأحذية " - تاجر - الصراف - البقال - الخضرى - المستعمل " الموظف " النقاد - الزجاج - الديان " القاضى اليهودى " - التلمودى بن العجمى " الطالب من فارس " الشرابى - الحداد - السكرى .

ومن الواضح أن القوائم الثلاث تحوى عدداً محدداً من المهن ، فهناك مهن عديدة فى مصادر أخرى كالعطار والطحان والدلال - الصيدلانى - سمسار العطارين (العطر) . ولقد ذكر جوايتين ٢٦٥ مهنة مارسها اليهود ، ووردت أسماء مهن مارسها اليهود فى كتاب ابن دقماق عنده ذكره للأحياء فى الفسطاط والقاهرة كزقاق ابن الترجمان - وزقاق الزمام اليهودى - سقيفة خلف المنجم (٢٢٥)، وكذلك ما تضمنته وثائق الجنيزة سواء الخاصة بعقود الملكية أو خاصة بإيجارات لمساكن أو مال ، فلقد أشارت إلى العديد من المهن التى مارسها اليهود ففى مجموعة وثائق القرآيين إشارة إلى العديد من المهن كذلك فى وثائق الأماكن التى يملكها المعبد اليهودى فهناك قائمة بأسماء أشخاص فى قائمة إيجارات وإصلاحات خاصة بالمعبد وتاريخها ٧ مايو ١٢٤٧م / ٦٤٥هـ (٢٢٦).

فخر الشماع - أبو يحيى الهشير Al Hashir الذى يدعو للاجتماعات الدينية - أم هبة المعددة - أبو الغيث الدهان - عبد الله السقا - نجم البرناس - النحاس - أولاد الغزولى - ابن النوخذة - مكرم الصباغ - شركة بركات أبو المغربل - زوج بنت أبو على الحفار - بركات المتسوق - ابن النجار - وقائمة أخرى تضمنت المغربى - الأسكافى ، القطانى ، المنجم، الخزار، الجلاء « تاجر الفضة » ، الخباز ، المعلم ، الخياط ، وهناك التبان ، الحلاب ، الوراق ، البقال(٢٢٧) .

وكانت هناك نساء يهوديات مارسن بعض الحرف وعملن فى بيوت المسلمين ، وبعض الحرف كانت تتعلق بالنساء فقط كالماشطة وهى التى تعد العروس للزفاف ، وكانت الماشطة المسلمة تستخدم فى المنازل اليهودية ، وهناك مرضعات وممرضات محترفات من اليهود ، وكان هناك استفسار للمعبد عن استخدام مالك مسلم لمرضات ومرضعات يهوديات ، وهل يعددن طعامهم وفقًا للشريعة اليهودية .

ثم المرأة الطبيبة والمولدة « القابلة » ومعلوماتهن جاءت عن طريق الممارسة وتوارث المهنة . وهناك مصانع استخدمت النساء فى صناعة النسيج ونساء عملن فى الصناعة فى منازلهن ، وهناك نساء دلالات ترددن على الطبقة العليا من مسلمين ويهود ، وهناك قارءات الطالع(٢٢٨) ، كما فى أحد وثائق سانت كاترين . وكان أبناء كل حرفة يجتمعون فى سوق واحد فأورد المقريزى أسماء أسواق تحمل حرف أصحابها مثل سوق السلاح - سوق الشرابشيين، سوق الحلاويين - الصاغة - سوق الكتبيين - سوق الحريريين - سوق الخراطين - سوق الأخفافيين ... إلخ (٢٢٩).

ولقد تشارك أبناء المهنة دون النظر إلى أديانهم رغم وجود بعض الأسواق الخاصة باليهود فى أحيائهم فى بعض المدن الإسلامية .

ولكن نجد كمثال فى مصر وفى أحد وثائق القرآئيين اسم يوسف بن سعيد أبو الفضل السباك(٢٣٠) ، سباك الذهب فى الصاغة المنصورية بالقاهرة وتعود الوثيقة لعام ١٣١٨م / ٧١٨هـ ، وكذلك مصانع السكر فى عدد من أحياء القاهرة ، حيث وجدت مصانع سكر لأمراء مماليك ولبعض اليهود فى سوق المعاريج مطبخ ابن المشنقص اليهودى ومطبخ الأمير نور الدين بن فخر الدين عثمان سكنه بعض اليهود العاملين بصناعة السكر (٢٣١)، وهما مطبخان متجاوران. وكانت بعض تلك الأسواق خاصة سوق الحرير فى أسبانيا يضم صناعًا ومنتجى الحرير ويقام فى وسط المدن فى أسبانيا .

ولقد اشتهر اليهود بممارسات بعض الصناعات والمهن كمهنة الصباغة منذ بداية الفترة الإسلامية الأولى وقبل دخول الفاطميين ، كذلك مهنة الصياغة ، فذكر السيوطى " لما دخل المعز مصر جاءت إليه امرأة كافور الأخشيدى فذكرت له أنها كانت أودعت رجلاً من اليهود الصياغ قباء من لؤلؤ منسوج بالذهب وأنه أنكره ، فاستحضره وقرره فأنكر اليهودى ، فأمر أن يفتش داره ، فوجد القباء قد جعله فى جرة " (٢٣٢).

وتكرر ذكر ممارسة اليهود لحرفة الصياغة فى كثير من الوثائق ، فوردت فى وثائق القرآئيين أكثر من مرة ، فهناك زين الدين عبد الكافى بن علم الدين الصائغ المعروف بالداودى أبو الفضل سعد سباك الذهب سابق الذكر ، ويتردد اسم الجلاء وهو صانع الفضة فى عدد من الوثائق (٢٣٣).

وبالنسبة للصناع فى هذا المجال ، فهناك الحرفى الذى يصيغ الذهب والفضة ، وهناك التاجر الذى يبيعها ، وهنا تباين من حيث الدخل والمستوى الاجتماعى ، كذلك عملوا فى سك النقود .

ومن الصناعات التى كان لهم فيها باع دباغة الجلود والصباغة ، وهى من الصناعات التى كان يأنف المسلمون فى البداية فى العمل فيها ، ولقد اتقنها اليهود ، كما ذكر الجاحظ ، وبعض أسرار مهنة الصباغة لم يكن يعرفها إلا اليهود ، وكانت الأقمشة المصبوغة من أهم تجارات اليهود مع العالم . ولقد اشتهر يهود المغرب وأسبانيا بمهارتهم فى دباغة الجلود وصناعتها . والجاحظ يشير إلى أن نبات القرمز المستخدم فى الصباغة موجود فى مدينة تارم بفارس ولايعرف مكان هذا النبات إلا اليهود الذين يستخدمونه فى صباغة الحرير والصوف .

كانت أعمال الحجامة من الأعمال التى مارسها اليهود[٢٣٤] ، ولم يرغب فيها المسلمون، وكذلك قيام اليهود بعملية الخصى للعبيد .

كذلك تخصص اليهود فى صناعة الحرير وحملت عائلات اسم الحريرى ، ولا نعرف إذا كانت الأسرة تشتغل بالصناعة أو التجارة ، والكتان عمل به المسيحيون واليهود وخاصة فى التسويق.

كذلك عمل بعضهم بتحضير الأعشاب الطبية ، وخاصة أنها مرتبطة بمنهج الطب ، التى اشتهر فيها عدد من الأطباء اليهود عبر العصور الوسطى وأصبحوا من أطباء الخلافة منذ عهد العباسيين فى بغداد والفاطميين فى مصر والأمويين فى الأندلس ، ولقد استخدمهم الحكام المسلمون لأنه ليس لهم أطماع فى الوصول إلى الحكم ، ومن أشهر أطباء الخلفاء فى مصر موسى بن ميمون الذى كان طبيبًا فى القصر الأيوبى ، وكان يقيم أغلب اليوم فى قصر الخلافة ثم يعود آخر النهار إلى داره فى الفسطاط ويباشر علاج المسلمين واليهود المترددين عليه ، وسعديا بن مبارك نجيد الطائفة مصر كان طبيبًا هو الآخر . ويمكن الرجوع للفصل الثانى حيث ورد ثبت بأسماء الأطباء اليهود ، كذلك كان التنجيم وأعمال الفلك من الأمور التى مارسها اليهود ماشاء الله اليهودى كان فى زمن المنصور وعاش إلى أيام المأمون ، وذكر ابن العبرى (أنه كان فاضلاً أوحد زمانه)[٢٣٥]. وكانت هناك حارة فى مصر معروفة بابن المنجم اليهودى ذكرها ابن دقماق .

أما الصناعة المتعلقة بالطعام ، فهناك تحذيرات من جانب المتدينين فى كلا الجانبين ، ففى أحد وثائق الجنيزة نجد أحد الربانيين يذكر أن عدداً كبيراً من اليهود يأكلون لحمًا من أيدى مهملة لأغيار " فالديانة اليهودية تشترط جزاراً أو شوحير يهودى " ويستنكر أن الأغيار ملؤا أفواههم بالماء ثم نضخوه على اللحم (٢٣٦). وفى الوقت نفسه نجد أحد الطلبة المسلمين يذكر أن الكعك يصنعه اليهود ويبيعونه للمسلمين ويستعملوا زيت السمسم ويضخونه من فمهم وأن على المؤمن ألا يستعمل طعامًا من فم آخر . ولكن الحذر لم يطبق إذ استمر باعة الطعام بلا تفرقة دينية فى الأسواق يبيعون طعامهم للمشترين .

وكانت هناك أنواع من الطعام تباع فى الأسواق اشتهر بها اليهود مثل الهريسة وهى لحم ودقيق يغلى فى الدهن ، والدشيش وأنواع من الحلوى كالقطائف واللوزية ، وكان بمصر سوق يسمى سوق الحلوانيين (٢٣٧).

ووردت فى الوثائق إشارة إلى يهودى كعكى « بائع الكعك » أعاد لمسلم فران قرصًا أخذ منه . ومن الواضح أن أصحاب المهن المتقاربة كانت بينهم تعاملات مادية .

كذلك اشتهر اليهود بأعمال النسيج والحياكة ، ولقد أشار مؤرخ أندلسى إلى أن من أسلم من اليهود احترف الخياطة والحجامة والدلالة فى الأسواق والعمل كإسكافى وشعرانى ، وكما ورد فى وثائق الشعرانى الذى يصنع نسيج الأحذية وباعة السجاد والمكسنية موسى جيل يرى أنهم صناع الشيلان وصناع الأحزمة " (٢٣٨).

وعادة يجتمع صناع هذه الحرف المرتبطة بالنسيج والملابس فى سوق واحد ، فسويقة أمير الجيوش مثلاً كان فيها حوانيت الرفاؤون والحياكون والفرائيين والخياطين ويسكنها البزازين والخلعيين وبائعى القباع ويباع فيها سائر الثياب المخيطة والأمتعة من فرش ونحوها (٢٣٩).

وكانت هناك أحياء وأزقة ودروب تحمل اسماء حرف كدرب القماحيين والكيالين ودرب المعاصر ، النجارين والنخالين ، النقليين الزجاجين ، وكان العاملون فى الصناعة لهم أسماء وفق درجة خبرتهم ، فالعريف هو رئيس الحرفة تعينه شرطة السوق لفض المنازعات ، وكان الذى لا يعمل فى دكان خاص به يطلق عليه صبى أو غلام ، والبعض يطلق عليه أجير وأحيانًا اسم بياع ، والعامل غير الماهر يسمى رقاص أو ركاض « صبيان مأموريات » والصبى صانع تحت التمرين ، إذا أجاد أطلق عليه شيخ (٢٤٠).

وفى قائمة مدفوعات لبناء يخص المعبد نجد أنه قد شارك فى العمل أسماء إسلامية ومسيحية لعمال ، وبها إشارة إلى مقدار خبرتهم ، ويرجع تاريخ الوثيقة ليونيو - نوفمبر ١٠٤٥م / ٤٣٧هـ وغطى العمل خمسة أشهر والكاتب يهودى يافث بن دافيد ، ولكن يبدأ كتابه " باسم الله الرحمن الرحيم " إثبات ما عمله صناع - يوم الاثنين الذى ثلثه عشر من ذى الحجة ، وهو اليوم الثالث لعيد الأضحى - صانعين اسم الواحد عبد الله - يوم الثالث صانعين الرايس - يوم الأربع اسم الواحد - والصنعى المقصود به عامل ماهر " (٢٤١). ولقد ورد ذكر صانع هو أبو اليمن الشماس ، وهناك إشارة لصبى يدعى جعفر ويعمل يوم الجمعة . والأجور كانت وفقًا للمهارة بين صنايعى وبناء وصبى ، ومن الواضح أن هناك مسلمين بينهم ، والعمل كان مستمراً يوم الجمعة والسبت ، رغم أنه عمل يتبع اليهود ورئيس العمل مسلم ، وأطلق عليه الريس وكذلك ورد اسم شماس من بين العمال ، وبالنسبة للأجور فهى واحدة فليس هناك اختلاف بين أجور العمال رغم اختلاف ديانتهم ، وشروط العمل واحدة وهم يأتون جميعًا فى الصباح ويغادرون قبل المساء ، ولكن الأجر وفقًا للمهارة .

من الواضح أنه لم تكن هناك أى قيود أو تمييز بالنسبة لممارسة الحرف ، بل نرى ترابط أصحاب الحرفة رغم اختلاف أديانهم ، فلقد قام اليهود المصريون بشكوى ضد إخوانهم فى الدين من اليهود الوافدين من المغرب والأندلس والشام وصقلية ووضعت الطائفة اليهودية قيوداً لحماية الحرفيين اليهود من اليهود القادمين ، وقدم هؤلاء شكوى من الحرفيين وغالبيتهم من الأجانب الذين اتخذت السلطات المحلية ضدهم موقفًا شخصيًا لصالح يهود مصر (٢٤٢).

أما عن المشاركة بين يهود ومسلمين فى الصناعات ، فصناعة كصياغة الذهب وصناع الزجاج دخلوا فى شراكة وشكلوا شركات أو مصانع يتقاسمون فيها العمل ويتخذ هؤلاء عطلة الجمعة للمسلمين السبت لليهود ، وتحل كل مجموعة محل الأخرى فى يوم عطلتها ، بل إن بعض اليهود وقعوا شكوى إلى المركز الدينى من أن بعض أصحاب المصانع اليهود كانوا يشغلون مصانعهم يوم السبت ويعمل بها مسلمون (٢٤٣).

كذلك أرسل إلى الجاؤون سؤال بخصوص نجار استخدمه صاحب محل سجاد لبناء أرفف للمحل يوم السبت وتجاهل التحذيرات الدينية .

وعامة لم تكن هناك نقابات حرفية تقوم على أساس الدين كما أشار جوايتين وشتليمان بل هى اتحاد أو تجمع لأبناء طائفة واحدة من أجل الحفاظ على مستواهم ووضع قواعد لمن هم تحت التدريب ، وحماية أفراد الطائفة من المنافسات الخارجية .

ولقد قامت مشاركات بين أفراد الحرف سواء كانت مشاركة فى رأسمال أو تقديم أدوات ، وكان الشركاء يقسمون كل شيء بالتساوى ، وهناك بنود قليلة لتلك الاتفاقات وتقسم الأرباح بينهم ، وكانت هناك مصانع كبرى كصناعة النسيج ومطابخ السكر فى مصر ، وإن كانت قليلة أما المشروعات الصغرى فكثيرة ، وكان للدولة أحيانًا مصانع واحتكرت بعض الصناعات . وهناك وثيقة تشير إلى صانع مسلم يعمل فى صناعة السجاد جزءاً من اليوم فهو عامل عند آخر فى صناعته . والجزء الآخر من يومه شريك ليهودى فى صناعة السجاد (٢٤٤). ولقد استعانت المحكمة اليهودية بعدد من غير اليهود خبراء فى صناعة الأرجوان وصباغته مع عمال يهود ليقدروا قيمة معدات تكون جزءاً من ميراث فتاة يتيمة (٢٤٥).

وهناك العديد من القروض بين حرفيين لصانع مآزر مسلم استدان من يهودى ما قدره ١٥٠ درهم وكتب عقد الدين كاتب مسلم ، وصانع زجاج يهودي اسمه الشطرنجى أخذ من يهودى آخر مبلغًا قدره ٥ دنانير وكتب العقد كاتب مسلم ، ولقد تكرر الإشارة إلى المشاركة فى صناعة الفضة ، وحين حدث خلاف بين اثنين من الحرفيين يقيمان فى مدينة صغيرة فى الدلتا عرض الأمر ثلاث مرات على المحكمة الإسلامية ومرة على محكمة موسى ابن ميمون .

ولكم يكن هذا الأمر قاصراً على مصر ، فوجدت الشراكة بين المسلمين واليهود فى المغرب والشام وأسبانيا ، وابن سهل تحدث عن اليهودى الذى يقسط سلعًا لأحد الدلالين(٢٤٦).

مما سبق يتضح أنه لم يكن هناك قيود على الصناعة بل كانت الحرية مكفولة للممارسات المهنية وتعتمد على درجة مهارة العامل ، فالمشاركة فى الصناعة مفتوحة والربح والخسارة وفقًا لعقود .

ثانيًا مجال التجارة :

اختلفت الحياة الاقتصادية ليهود الشرق عنها ليهود شمال أوربا والمعروفين بالأشكناز اختلافًا مبينًا ، فقد عمل يهود أوربا الشمالية عادة بالمهن الهامشية ومزاولة التجارة التى

ابغضها المسيحيون لما تنطوى عليه من مادة ، كذلك مارس اليهود الأشكناز بعد الحملة الصليبية الربا .

أما اليهود فى الشرق فقد اندمجوا كليًا فى الحياة الاقتصادية للمجتمعات التى عاشوا فيها ، ولقد عمت البلاد الإسلامية فى القرنين التاسع والعاشر الميلادى ثورة اقتصادية وصفها جوايتين بحق بأنها ثورة برجوازية . فقد نشأ مجتمع بارك الدين الأرباح الحلال ، وكان الإسلام يدعم التجارة ، وقد تشعبت وتطورت تلك التجارة بسرعة وساهم اليهود فى مجالات عديدة .

ففى البداية انتقل اليهود من وضع المزارعين إلى وضع سكان المدن ، وصحب هذا تغيرات اقتصادية واجتماعية فى المدن ، وفى البداية كونوا مع غيرهم من الشعب جموع العامة ، ويذكر فيشل استناداً للجاحظ فى القرن التاسع أن المسلمين فضلوا المسيحين عن اليهود ، فمارس اليهود بعض المهن البسيطة ، "فعمل اليهودى دباغًا أو حجامًا أو قصابًا أو شعابًا"(٢٤٧) ، ونستطيع القول أن هذا الوصف ينطبق على الفترة الأولى ، ولكن اختلف الحال فى الفترة التالية ، ففى البداية احتكر اليهود بالفعل بعض الصناعات التى كان يأنف منها المسلمون لما فيها من رائحة كريهة أو عدم نظافة كالصباغة ، ويذكر شتلمان كون يهود القرن العاشر برجوازية فقيرة حين كان المسيحيون من الفئة العليا من الطبقة الوسطى ، وهو ينفى أن اليهود سيطروا على الحياة الاقتصادية والمالية فى العالم الإسلامى ويستند لقول أبن المجاور "للمسلم فرجه وللنصرانى ماله وللمجوسى رياسته ولليهودى بطنه "(٢٤٨) بعكس رأى ماسنيون الذى يرى أن لليهود نفوذ كبير وتأثير على الاقتصاد .

ونستطيع أن نحدد مدى مشاركة اليهود فى النشاط التجارى فى العالم الإسلامى فى النقاط التالية :

أولاً : شارك اليهود فى الحركة التجارية أو الثورة التجارية كما يسميها البعض ، والتى بدأت فى القرن التاسع وقامت برجوازية يهودية ساهمت فى حركة النشاط التجارى وارتبطت مصالحها بالأقطار التى عاشت فيها وربطت مصيرها وحياتها به ، فمنهم من هاجر من المغرب إلى مصر ، ومنهم من ظل يزاول تجارته فى المغرب ، ومنهم من باشر أعماله فى أسبانيا أصبحت مصالحهم وحياتهم مرتبطة بتلك الأقطار التى تعد كوطن لهم ، ولم يربطه بيهودى فى قطر آخر إلا الدين ، والرسائل تتضمن الحنين إلى الوطن الذى يعيش فيه ، وفيه مصالحه ، وهو المجتمع الذى بدأ باكتساب عاداته وتقاليده وأسلوبه فى الحياة ، ولم يكن هناك محاذير

تمنعه رغم محاولات بعض رجال الدين اليهود لحثهم على عدم الارتباط بالأغيار ، وكما ذكر نسيم رجوى " هناك مصالح عمل ومصالح اقتصادية لم يضع الدين عليها قيوداً فهو عصر ذهبى "(٢٤٩).

وإذا كانت هناك فترات اتخذت الدولة الإسلامية موقفًا تجاههم فله أسبابه سواء من ظروف العصر أو من تصرفات اليهود ، ولم يكن سمة عامة أو مظهراً معاديًا عامًا كما ذكر مؤرخوهم.

ثانيًا: إذا ناقشنا الآراء التى قيلت عن سيطرة اليهود على حركة التجارة فى العالم الإسلامى ومدى هذه السيطرة نستطيع القول أن اليهود لم يسيطروا على التجارة فى العالم الإسلامى والدليل أن المصادر الإسلامية لايمكن أن تغفل دورهم الكبير إذ كان هذا الدور دوراً رئيسيًا ، ولكن من المؤكد أن اليهود شاركوا فى حركة التجارة الزاهرة وكان منهم عدد من الأفراد كونوا ثروات كبرى كنهارى بن نسيم(٢٥٠) وابن عوكل ، وعدد من الأسماء من أقطار إسلامية عدة والغالبية من تجار الطبقة الوسطى أو الصغرى وهم تجار التجزئة الذين يسمون بالسوقة أو الباعة وينتمون إلى الطبقات الدنيا من المجتمع . ويتميزون بوضوح فى المصادر العربية عن التجار الذين يتنمون للطبقة البرجوازية فمعظمهم صناع يبيعون منتجاتهم والآخرون عطارون أو تجار صغار يبيعون ملابس وأوانى للفقراء وغالبيتها صناعات منزلية سيئة الصنع.

رأس مال هؤلاء التجار محدود يبلغ ١٠٠ - ٢٠٠ دينار ، والآخرون باعة متجولون يبيعون بضاعتهم فى القرى والضياع ، ولقد عانى هؤلاء التجار الصغار عبئًا وهو ما يسمى بالمكوس ويتساوى المسلم واليهودى فهو يحدث بشكل عام (٢٥١).

ثالثًا : نجد أن الصناعة والتجارة بينهما تداخل فبعض الحرفيين فى السلع الصغيرة كانوا هم فى الوقت نفسه تجارها مثل الزيت أو تجارة الجبن وصناعة الزجاج وصناع الطعام ، ولقد ذكر المقريزى أنواعًا من الأطعمة التى تباع للأهالى ، فهناك سوق الشوائيين وسوق الحلاويين .

رابعًا : لم يضع المسلمون أو التشريع الإسلامى قيوداً على غير المسلمين فى تجارتهم أو تعاملهم مع المسلمين فنرى كيف شارك اليهود المسلمين فى جميع المتاجر بأنواعها ، ولقد فضل اليهود التعامل على أساس القراض الإسلامى من التعامل على أساس العسقة اليهودية فى المضاربات التجارية .

خامسًا : تنوعت تجارة اليهود بين أقطار العالم الإسلامى ، وكان لبعضهم وكالات كبرى كابن عوكل ونهارى ومضمون وكيل التجار فى الهند وأبو ذكرى جودة وكيلهم فى مصر وحلفون بن نثنال ، والتاهرتى وأسرته والتسترى والأخوة برخيا وابن المجانى وبعضهم شملت تجارته مصر والمغرب كابن عوكل ونهارى وبعضهم كان له تجارة مع أسبانيا ومنهم من تاجر مع صقلية ومدن البحر الأبيض ومنهم من اتخذت تجارته طريق البحر الأحمر والخليج الفارسى كمضمون وحلفون ومنهم من اقتصرت تجارته على مصر والشام ومنهم من اشتغل بتجارة الجملة ومنهم من اشتغل بتجارة التجزئة ، ومنهم من عمل بتجارة معينة ، حيث اشتهر عدد من أغنيائهم بتجارة الجواهر وبيعها للأمراء ، وبعضهم أصبح من أصحاب بنوك تجارية وعدد اشتغل كتجار جوالين بين القرى كما حدث فى مصر ومنهم من اشتغل بالدلالة والوساطة والسمسرة التجارية واتخذوا لهم وكلاء فى العواصم سواء فى مصر أو المغرب أو سوريا أو عدن .

ونقلوا تجارتهم فى سفن القليل منها مملوك لهم والآخر مملوك للمسلمين ، وعملوا كبحارة وإن كان هذا فى نطاق ضيق جداً ، وشاركوا المسلمين فى قوافلهم التجارية البرية وسفنهم البحرية ، فقد تمتعوا بالسماحة الإسلامية فكبار تجارهم اعتمدوا على كتاب مسلمين وتشاركوا فى تجارة كما فى وثائق الجنيزة واقترضوا من المسلمين وضمنوهم ماليًا فى عدد من الحالات .

فلم يكن هناك جيتو تجارى بل مصالح مشتركة ، سنرى أن بيت المقدس كانت أقل المدن حظًا فى نشاط اليهود التجارى ، وحمل بعض تجار اليهود أسماء المغربى والدمياطى والدمشقى والمغربى ، وهى الأوطان التى انتموا لها ، ونجد أن هناك مسلمين ومسيحيين وهنوداً ترد أسماؤهم فى المعاملات التجارية فهناك الشيخ بلال التاجر العدنى وحاكم عدن فيما بعد ، وعبد المسيح الأسقف وهم شركاء وتجار وأصحاب سفن .

سادسًا : أما عن البدايات فى حركة النشاط التجارى فقد بدأت منذ فترة مبكرة عندما أسس عقبة بن نافع القيروان ٦٧٠م / ٥٠هـ . ذهب إليها الكثير من يهود مصر ، وفى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ت ٦٨٠م / ٧٥٥م ، طلب من واليه عبد العزيز حاكم مصر ، بأن يرسل ألف يهودى أو عائلة قبطية إلى القيروان ليكونوا مركز تنشيط تجارى بين الشرق والغرب الإسلامى . ثم اتجه العرب بعد ذلك من القيروان إلى مراكش وأسبانيا ، وأصبحت

القيروان مركزاً هاماً اتجه إليه يهود بابليون فى القرن العاشر ، ومن مصر والقيروان عبروا إلى صقلية ، وبدأ النشاط التجارى يزدهر مع الفاطميين وبدت معالم حركة النشاط التجارى تزدهر بين مدن العالم الإسلامى ، ولقد اشترك اليهود فيها ، وهاجر عدد منهم من المغرب إلى مصر، ونجد أن العديد من الرسائل المتبادلة والمتعلقة بالتجارة فى الجنيزة بعضها مرسل مع مسلمين وغير يهود عبر القوافل التجارية من مصر إلى المغرب والعكس وهناك تجارة فى الهند وعدن وسيلان وموانى صقلية والبحر المتوسط[٢٥٢] .

أنواع التجارة :

اهتم العرب بالتجارة وهناك العديد من المؤلفات تتناول النشاط التجارى منها كتاب الجاحظ التبصر بالتجارة ، والدمشقى محاسن التجارة وذكر الدمشقى فى كتابه محاسن التجارة تقسيماً معيناً لنوعيات التجارة وتجارتهم . ولقد طبقه جوايتين وشتلمان على التجار اليهود فهناك التاجر الخازن الذى يقوم بالتخزين والراكض[٢٥٣] الذى يقوم بالرحلات والمجهز الذى يقوم بالتصدير . فيقول الخازن أن يشترى الشىء فى أيامه وتوافر حمله وكثرة البائعين له وقلة الطالبين ثم إحكام حفظه والتربص به إلى أضداد هذه الأشياء أعنى انقطاع وصوله وتعذر حمله وبعد وقته وكثرة طلابه " وعلى الخازن المبادرة بالبيع عند التنبؤ بانخفاض الأسعار ، وبالنسبة للركاض أن ينظر أولاً فيما يبتاعه فيحتاط منه ولايكون فى نفسه بمنزله من بعده أملة فيه عند وصوله إلى البلد الذى يقصد فربما تأخر مسيره أو بعد لإحدى العوائق كخوف الطريق أو تعذر الرياح إن كان سفره فى ابحر أو كحادث يطرأ فى الموضع الذى يقصده فكثيراً ما يتفق ذلك للناس فيقاسى بيعه فى البلد الذى اشترى منه وإن لم يكن قدم الاحتياط ، اتضع فيه شيئًا كثيراً ولذلك يقول التجار والمسافرون التبصر نصف عطية .

الأول يشترى عندما يكون العرض كبيراً والطلب على البضاعة قليل ، ثم ينتظر تغير الظروف ويقوم ببيعها عندما ترتفع الأسعار ، والثانى يحمل معه بضاعته إلى المدن الأجنبية وعليه أن يحتاط بشدة وعليه أن يكون مستعداً مسبقًا لجميع أنواع العقبات والنكبات التى تعترض الطريق الذى يسلكه سواء عوامل طبيعية أو بشرية وأكثر من ذلك عليه العلم بالأسعار الجارية وفروقها من مكان لآخر ، وكذلك الرسوم المقررة على البضائع وغير ذلك ومثال هذا التاجر اليهودى نهارى بن نسيم الذى ينتقل بين المغرب ومصر .

وإن كان جوايتين يدخل تحت هذا النوع صغار التجار الذين يتحركون من مدينة صغيرة إلى أخرى فى الريف المصرى لبيع النسيج ، حيث ورد فى أحد نصوص الجنيزة " لقد اشتريت ٤٠رطلاً من الحرير من الركاض فى منية زفتى " وخطاب آخر يعود لعام ١١٤٠م / ٥٣٥هـ ذكر فيه تاجراً من تنيس إحدى مراكز صناعة النسيج أن ينزل إلى الريف لمدة عشرين يومًا ليشترى حريراً وهناك العديد من الوثائق المشابهة (٢٥٤).

ويدخل تحت هذا النوع تجار محدودو النشاط لا يشابهون نسيم فى حجم التجارة ، فهم يقومون برحلات خارجية ولكن على مستو مادى محدود ، ولكنه يخرج إلى نطاق السوق العالمية الخارجية وهم إما يتحركون من تونس إلي صقلية ومصر أو من مصر إلى المغرب الأقصى ، ومراكش وأسبانيا ، أو من مصر إلى فلسطين وسوريا ، وبعضهم استقر فى الأماكن الجديدة التى ذهب إليها ومارس أعماله التجارية بها وبعضهم بعد سنوات يعود إلى بلاده ويأتى أعضاء أصغر سنًا من العائلة نفسها أو من النوعية نفسها من التجار .

والتاجر المبحر فى رحلة طويلة للعمل لم يكن يتاجر لحسابه الخاص فحسب بل كان يتاجر أيضًا للآخرين (٢٥٥) ، أو كان يعمل فى الوقت نفسه وكيلاً لغيره أو عادة لعديد من المستثمرين وفى مثل هذه الحالة عليه ترتيب صك موادعة أو عقد شركة وفقًا للشريعة الإسلامية أو عقد قراض أو مضاربة حتى يعود المسافر إلي وطنه أو بمجرد أن يصل إلى من الهند إلى عدن مثلاً كان عليه أن يمدهم بتقرير عن متعلقاته فى حصة شراكته ، وأن يودع هذا التقرير عند الربانة المحليين أو فى المحكمة الإسلامية ، كذلك يكتب الشركاء مخالصة يوضحون فيها أن الصفقة قد انجزت برضاهم ، وكان عليه أن يكتب لشركائه رسائل ويتلقى منهم مراسلات كمراسلات باشر ومضمون فى تجارة الهند .

الثالث يستعرض موقفه ويشحن البضائع ويشترى فى مقابل بيعها بضائع ترسل إليه كابن عوكل التاجر الشهير فى العصر الفاطمى حيث كان له مكتب رئيسى فى الفسطاط والقاهرة ووكلاؤه ومندوبوه ينتقلون بين مدن مصر وخاصة التى تتعلق بتجارة الكتان ومدن المغرب ، وكانوا على صلة بالبيوت التجارية هناك .

والتقسيم الذى ذكره الدمشقى هو تبسيط للواقع فى تلك الفترة ، وحيث كانت هناك حركة تجارية عالمية نشطة ساهم فيها اليهود .

وإذا حاولنا تقديم إحصائية شاملة لمدى مساهمة اليهود فى التجارة أنذاك فإن مصدرنا الرئيسى أوراق الجنيزة اليهودية فالمصادر الإسلامية لاتحوى إلا بضعة أسماء كان لها دور هام ووصلت عن طريق التجارة إلى السياسة كيعقوب بن كلس التاجر اليهودى الذى عاصر الأخشيد ثم خدم الفاطميين واعتنق الإسلام وأصبح من كبار رجالات الدولة والآخر هو التسترى الذى كانت أم الخليفة أحد مشترواته ، وكان له باع كبير فى المجال التجارى والسياسى وسنورد الحديث عنه فى الجزء الثانى .

وكان هناك أسماء وجدت ملفات كاملة لرسائلها وحساباتها التجارية مثل ابن عوكل نهارى بن نسيم ولم يرد لها ذكر فى المصادر الإسلامية وربما يعود أن المصادر الإسلامية تركز اهتمامها على الجوانب السياسية .

ولكن من المؤكد أن لهم دوراً فى النشاط الاقتصادى ولكن لم يكونوا المحور الأساسى فى حركة النشاط التجارى فى العالم الإسلامى فلقد استفادوا من عجلة النشاط المتميزة .

وكما ذكرنا فإن هناك مستويات مختلفة ونوعيات من التجار فهناك كبار التجار من الركاض والمجهزين والمخزنين ثم تجار التجزئة وهم أقل مكانة ومرتبة ثم صغار التجار .

ونستطيع تكوين صورة إحصائية لعدد من كبار التجار والذين تنوعت أنشطتهم بين مصر والمغرب وصقلية وبعضهم اتخذ من البحر الأحمر والمحيط الهندى وعدن مجالاً لنشاطهم ، وتمتعوا بثروات كبيرة وتنوعت بضائعهم وإن كانت تجارتهم فى الأصل تناولت مواد الترف ثم اتسعت وشملت أنواع عديدة ومختلفة وشاركوا المسلمين فى تجارتهم ، واتخذوا وكلاء وكتبة من اليهود والمسلمين وتمتعوا بحماية الدولة لهم .

اسم التاجر	المدينة التى نشأ فيها	المدينة التى يقيم فيها أو استوطنها	نوع التجارة
ابن عوكل يعقوب ويوسف وأبناؤهم	فارسى الأصل ثم عاش فى المغرب	الفسطاط ، القاهرة استيطان دائم	الجواهر أصلاً بالإضافة إلي ٨٤ نوعًا من التجارة تشمل الكتان والتوابل والقمح .. إلخ
التسترى	تستر فارس الأهواز	مصر	الجواهر الجوارى والمنسوجات إلى جانب عدد آخر من المنتجات وتجارة الهند .
نهارى بن نسيم	بابليون العراق	مصر والمغرب «القيروان »	تجارة شاملة للمنسوجات الكتان إلى تونس وصقلية

اسم التاجر	المدينة التى نشأ فيها	المدينة التى يقيم فيها أو استوطنها	نوع التجارة
			ومنسوجاته إلى سوريا وأوربا وزيت الزيتون والصابون والشمع والتوابل ، مواد صباغة والدهان ، أخشاب ، معادن ، نحاس وحديد ورصاص وأحجار كريمة .
تاهرتى	تاهرت الجزائر	القيروان	المنسوجات ومنتجات المغرب بالإضافة إلى عملهم كوكلاء تجاريين .
المجانى	القيروان	القيروان	تجارة المغرب وله وكلاء فى الإسكندرية ، منسوجات كتان، فضة ، زيوت .
البردانى	العراق	صور الشام	صناعة محلية وتجارة البحرية
ابرهام بن ياجو	المهدية تونس	الهند - اليمن مصر - عدن	لديه مصنع رصاص ونحاس وبرونز ، تجارة الهند ، التوابل، الفلفل ، الحديد.
الأخوان برخيا	المهدية	صقلية مصر	المنسوجات وبضائع مصر وتعانوا مع ياجو فى تجارته
يوسف اللبيدى	لبدة على شاطىء طرابلس	الفسطاط الهند - عدن	نحاس ، فضة ، أوانى ، مواد طبيعية ، مرجان ، فلفل، مرمر ، جوز الهند ، تجارة مع ملبار وكاجارات فى الهند ، ومن عدن فلفل وتوابل
أبو ذكرى جوده كوهين	القيروان	المغرب - مصر	مندوب تجار المغرب - مصر، امتد نفوذه إلى طريق الهند
مضمون بن يافث	إيران	عدن	وكيل تجار عدن ناجيد اليمن، مالك سفن ، تاجر النحاس والرصاص والتوابل والعطور والمواد الكمالية والأخشاب .
يعقوب داجو يوسف	أسبانيا		الحرير وصناعة الملابس الحريرية ومن الموردين للدولة.

ابن عوكل : بيت ابن عوكل يعد أحد البيوت التجارية الكبرى أو الشركات الكبرى للتصدير والاستيراد بمفهوم عصرنا الحاضر وتجارته بين مصر والمغرب أصلاً بالإضافة إلى أسبانيا ويطلق عليه شتليمان تعبير شاهبندر التجار ، ويعد أرشيفه أقدم أرشيف تجارى فى جنيزة القاهرة ويحتوى على ٦١ وثيقة تمضى عبر أربعة أجيال ويتناول الفترة الزمنية من ٩٨٠ - ١٠٦٧م ، وإن كان توزيع الوثائق غير متوازى ، ويرجع عدم ظهور اسم الأسرة فيما بعد أو انتقاله إلى الإقامة الدائمة فى مدينة القاهرة حيث إن هذه الوثائق فى مقبرة البساتين .

وبرغم أن المصادر الإسلامية لم تشر إليه ، فابن عوكل كان نجمًا ساطعًا وشخصية بارزة فى مجتمع التجارة فى مصر ، وكذلك فى المجتمع اليهودى فى القاهرة وكان يعمل كوسيط بين المجتمع اليهودى فى المغرب والأكاديمية اليهودية فى العراق وفلسطين ، وكان من اليهود القرائيين وكان جواهرجى الخليفة ، وهناك وثيقة فى أرشيفه تشير إلى بيعه جواهر أيضًا إلى أم المعز بن باديس وكان له منزل فى الفسطاط (مصر القديمة) والقاهرة . ومؤسس الأسرة أبو يعقوب أبو الفرج يوسف ين يعقوب بن عوكل واسمه بالعبرية ياكوف وابنه يوسف ومراسلاته تشمل الأربعين عامًا فى الحقبة الأخيرة من القرن العاشر إلى ١٠٣٨م / ٤٣٠هـ ويقال أنه يرجع إلى أصل فارسى وقد أرسل إليه وإلي ابنه يوسف خطاب بالفارسية ، وهناك روابط عائلية تربطه بتونس وصقلية ، وهناك أدلة على هجرة العائلة إلى الغرب الإسلامى ، وحصلت عائلته على مكانة كبيرة فى المغرب ، وأصبح الممثل للجالية اليهودية فى المغرب الإسلامى ، ولقد تبعوا الفاطميين إلى مصر بعد عام ٩٦٩م/٣٥٩هـ ، وأقاموا فى الفسطاط وكانت له خبرة شخصية بأسبانيا وصقلية وشمال إفريقية ، ولكن حين استقر فى مصر قصر نشاطه التجارى على مصر والمغرب [٢٥٦].

وكان لابن عوكل منزلان مركزان للعمل أحدهما فى الفسطاط والآخر فى القاهرة ، وكان الأول فى دار الجواهر ، وكانت حرفته الرئيسية المتاجرة فى الجواهر واللؤلؤ والبلور ، ولم يكن المكتب الرئيسى يقع بعيداً عن الميناء والمقصود ميناء الفسطاط .

أما عن تجارته فتنوعت بالإضافة إلى تجارته الرئيسية الجواهر فهناك العديد من البضائع التى كانت تتبادل بين غرب البحر الأبيض وشرقه فى القرن الحادى عشر وجزء صغير منها فى أيدى تجار أقل مرتبة .

وتتضمن التجارة حوالى ٨٤ نوعًا قسمت بين بضائع ثمينة وما يسمى السقط ، فهناك الكتان والأعشاب الطبية ، التوابل ، العطور ، مواد الصباغة ، الفضة والذهب ، ومنتجات أسبانيا وصقلية وجميع أنواع الحرير ، وتجارات تأتى من تونس مثل النسيج ، الزيتون ، الزيت، الصابون ، الشمع والعسل .

كان ليوسف بن عوكل أربعة أبناء أبو الفضل هلال ، وأبو الطيب بنيامين وأبو صالح منشه وأبو سعيد خلف . ولقد ذكروا أكثر من سبع مرات فى المراسلات ، وذكر شخص اسمه أبو نصر ربما كان زوجًا لإحدى بناته ، وربما كان أبو نصر حفيد التسترى الذى تعرفه فى المصادر الإسلامية .

ويلاحظ أن المراسلات كتبها كتبة يحملون أسماء لا تميزهم عن المسلمين ، وكان ابن عوكل حريصًا على أن يكون قريبًا من البلاط الفاطمى ، حيث أهم زبائنه من الطبقة العليا الخليفة والأمراء ، وإن كان يقضى أيامًا من كل أسبوع فى مقره فى دار الجواهر فى الفسطاط .

ورغم أن ابن عوكل لم يسافر فى رحلات تجارية خارج مصر فإن أولاده كانوا يقومون بالسفر وراء تجارتهم فى الداخل والخارج ، فنجدهم فى مراكز زراعة الكتان ونجدهم فى المغرب، وهكذا ... ، وكانت الشركات التجارية تضم عادة الأب والأبناء أو الأخوة أو أفراد الأسرة أو شركاء خارجيين ، وكان أبناء ابن عوكل فى الفترة الأولى يشار إليهم بعبارة صبى فى فترة التدريب قبل أن ينضم إلى الشركة العائلية (٢٥٧).

وبالنسبة لابن عوكل فكان له وكلاء فى المغرب بعضهم من كبار التجار الذين بينهم مصالح مشتركة أو من صغارهم الذين أرادوا الحصول على مكاسب عن طريقه وكانوا يبلغونه باحتياجات السوق والأسعار مع القوافل وكان من وكلائه ابن المجانى والتاهرتى وهم عائلات مغربية معروفة .

وكان يستعين بكتبة وكان عدد منهم من المسلمين ، وفى حالة صغار التجار فإن السكرتير الذى يكتب الخطاب يعتبر كمساعد أو شريك وبعض الرسائل كانت تحمل التحية لابن عوكل ومخاطبته كصاحب سلطة ومكانة " أنا دانيل ابن ساما أرسل تحياتى إلى سيدى وأبنائه وادعو الله أن يحفظهم" ، ونلاحظ أن غالبية الخطابات المتعلقة بالأعمال نجد خطوط الكتبة تتعدد بعكس الخطاب الذى يكون مكتوبًا بخط واحد . فالذى أملى الخطاب يضيف فى نهايته خطه هو الآخر ، ومن السهل معرفة خط التجار فخطهم أقل صقلاً من الأيدى المدربة للكتاب ،

وكان التقويم والتاريخ فى الخطابات يذكر اليوم والشهر باللغة العبرية أما السنة فتكتب السنة الإسلامية لأن السنة تتبع التقويم الإسلامى ، والخطابات التى تسلمها مكتب ابن عوكل فى الغالب تدون بخط عربى وتؤرخ بتاريخ الاستلام وفقًا للتاريخ الإسلامى . ومع ذلك فأحد تقارير ابن عوكل فى الإسكندرية أرخت وفقًا للتقويم الإسلامى ، وهناك خطابات كتبت بالعربية مما يدل على وجود وكلاء من المسلمين .

نهارى بن نسيم : ولد نهارى بمدينة القيروان حوالى ١٠٢٠م ، ثم انتقل إلى الفسطاط بمصر حوالى ١٠٥٠م ، وكان له منزل فيها وتزوج بامرأة من أسرة محلية عريقة ، وكان يقوم بنفسه بإدارة جزء من تجارته العالمية ، فيسافر إلى القيروان والقدس والشام ولبنان وإلى مواقع زراعة الكتان فى مصر ، وكان نسيم يملك بيتًا فى القيروان والإسكندرية ويذكر هارشبرج أن عائلته من العراق من بابليون وفى القرن العاشر استقروا فى المهدية والقيروان (٢٥٨).

ولقد عاد إلى وطنه فى أكثر من مناسبة ، وزار القدس عدة مرات وكذلك سوريا ولبنان ، وكان لنسيم وكلاء من فلسطين والمغرب وأسبانيا مثل شريكه أو وكيله أبو ابراهيم .

ولقد صادق اليهود والمسلمين من المسؤلين المحليين وأغلب رسائله أرسلت إلى القاهرة القديمة ، وهناك رسائل متنوعة فخطاب مرسل ليوسف هاكوهين بن على الفاسى الذى يبيع بضائع منوعة فى فلسطين (٢٥٩). والعديد من الرسائل موجه إلى الشام ، عن طريق طرابلس وعسقلان .

وكانت تجارته تلك منوعة بين مصر والمغرب وسوريا وصقلية وأوربا ، ويشمل أرشيفه نوعيات تجارية مختلفة من أهمها كتان مصرى مصدر إلى تونس وصقلية ، ومنسوجات أخرى من سوريا وأوربا وبلاد الروم ، ثم الفرش ، وزيت الزيتون والصابون والشمع من تونس ومن فلسطين وسوريا ، وتوابل شرقية مثل الفلفل والقرفة إلى مصر ومنها إلى المغرب ، ومواد صباغة ومواد دهان مثل الخشب البرازيلى والدهان والنيلة من الشرق إلى الغرب والزعفران من تونس ؛ معادن النحاس والحديد والرصاص والفضة من الغرب الإسلامى إلى الشرق ، بخور وعطور ولبان ومسك ومجوهرات وأحجار كريمة أونكس ، معادن ومرجان وأصداف ومواد كيمائية بالإضافة إلى جلود وفرو وأحذية عن طريق تونس وصقلية ، ثم مواد غذائية مثل السكر الذى يصدر من مصر وفواكه مجففة من سوريا وجريد نخل ومواد أخرى . بالإضافة إلى ذلك فقد كان نسيم يمتلك بنكًا وهناك وثائق تتعلق بحسابات من وكلاء له وفى رسائله كان

يطلب ورقًا لاستعماله البنكى وقد تولى منصب مسئول الطائفة اليهودية فى مصر . وكان على علاقات بالعائلات اليهودية الغنية فى المغرب مثل أبى ناصر التسترى شقيق أبى سعيد الوزير الفاطمى ، وتاجر مسلم يدعى أبا القاسم عبد الرحمن شاركه عدة مرات ، وعدد الرسائل التى يتضمنها أرشيفه حوالى ٣٠٠ خطاب ، وأطلق عليه مجلس أورشليم أهم شخصية فى الياشفا Yeshiva وكان رئيس مجمع الربانيين فى الفسطاط (٢٦٠).

ولقد ظلت علاقته بالتاجر المسلم عبد الرحمن قوية ، وفى خطاب من برهون مرسل إلى نهارى يؤكد مودته لعبد الرحمن أبى القاسم التاجر وأبى بكر الرشيد وأحمد بن قاسم .

التسترى : هذه الأسرة ورد دورها السياسى والتجارى فى المصادر الإسلامية حيث ذكرهم ابن ميسر ، فى كتابه تاريخ مصر والسيوطى فى حسن المحاضرة ، وابن منجب والمقريزى فى السلوك والخطط ؛ وسنجد عدداً من العائلات اليهودية حملت ألقاب عائلات فارسية مثل الكازرونى والتسترى ، ولا تعرف إن كان أفراد هذه العائلات جاءوا من فارس أو انتسبوا إلي المنسوجات التى يبيعونها ، وكان هناك نوع من الحرير ينسب إلي تستر أشهر مدن خوزستان ، وعائلة التسترى تنسب إلى هذه المدينة (٢٦١) ، والتستريين الأوائل كانوا يعملون فى تجارة النسيج وبضائع متنوعة منها النسيج المعروف بالرازى نسبة إلى الرى .

وكانت البضاعة الرئيسية المتبادلة بين إيران ومصر وهى النسيج غالى القيمة وعادة ما كان يقوم بالتجارة شركات أسرية مكونة من الابن والأب والأخ فبعضهم يحمل البضاعة وبعضهم يستقر بالوطن وهكذا . وهذه الأسرة كانت تعيش فى تستر ثم اتجهت إلى الأهواز حيث عاشت هناك وهم ثلاثة أخوة رجال وامرأة هى حنا Hanah التى أقامت دعوى باسمها واسم إخوتها الذكور فى يناير عام ١٠٢١م / ٤١١هـ ، ثم اتجهوا إلى بغداد ، وهناك حى يحمل اسم التسترى ، ولكن ازدهار مصر كمركز تجارى تحت حكم الفاطميين جذبهم إلى الذهاب إليها فسكنوا فى حارة اليهود فى الفسطاط ، وكان يعيش هناك مجموعات من اليهود وفقًا لأصولهم الجغرافية وانضموا إلى مجموعة بابل الذين يتبعون الأكاديمية البابلية ، وكان أشهر الأشقاء الثلاثة أبى سهل والد أبو سعد الشخصية الشهيرة فى العصر الفاطمى وأبا نصر ، والملاحظ أن الأسماء تحمل الكنية وشبيهة بالأسماء الإسلامية .

واشتغل بنو سهل بالتجارة واشتهر أبو نصر فى بلاط الخليفة الحاكم ٩٩٦ - ١٠٢١م ، ولكن نتيجة لموقف الخليفة الحاكم بأمر الله من أهل الذمة ضعف أمرهم فترة وعادوا للظهور

في عهد الظاهر، وكان الأخوان في الفسطاط في الفترة من ١٠٢١-١٠٣٦م/٤١١- ٤٢٨هـ. ولهم أخ ثالث هو أبو منصور ، ودخل أبو سعد في خدمة الخليفة ، ولقد ذكر ابن ميسر أن أم الخليفة المستنصر كانت من قبل أمه في بيت التسترى وهي جارية سوداء وأهداها للخليفة الظاهر ، وبعد وفاة الظاهر ارتفع قدر التسترى وتقرب إلى الخليفة المستنصر (٢٦٢)، وإن كان لم يستطع أن يناوىء سلطة الوزير أبي القاسم الجرجائي ، وبعد وفاة الجرجائي بدأ دور أبي سعد السياسي ، فتولى نظارة الخاصة لأم الخليفة المستنصر ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦م ، وسيطر على الأمور في عهد الوزير أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاحي (٢٦٣) ، وكان يهوديًا هو الآخر ثم أسلم فحقد عليه الوزير ، ولقد اتهمه بسم أحد القادة وهو عزيز الدولة ريحان (٢٦٤). وفي ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧م انقض على التسترى وهو في طريقه إلى القصر ثلاثة أتراك وقتلوه (٢٦٥) ومثلوا بجثته فقطعوه ، وبعد مقتل التسترى أسند الخليفة المستنصر ديوان الخاصة إلى أخيه أبي نصر ، وقلد ابنه إدارة أحد الدواوين الحكومية ، ولقد حزنت أم الخليفة على مقتل أبي سعد فقبض على الفلاحي ثم قتل سنة ١٠٤٨م / ٤٤٠هـ (٢٦٦)، ولقد أثار ما تمتع به اليهود والتسترى من نفوذ الشاعر المعاصر الرضى بن البوابي :

يهـود هذا الزمـان قـد بلغـوا ... غـاية آمـالهم وقـد ملكوا

العـز منهـم والمال عنـدهم ... ومنهـم المسـتشـار والملك

يا أهل مصر أني قد نصحت لكم ... تهـودوا قـد تهـود الفلك

كما ذكر ناصر خسرو وابن ميسر أن أبا نصر ظل يعمل في تجارته وإن كانت صودرت ثروته ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م ، بعد شهور من مقتل أخيه والدوافع ليست دينية وإنما صراعات سياسة في القصر ، وإن كانت هناك مصادر أخرى تشير إلى أنه لم يشتغل بالسياسة وظل يعمل بالتجارة ويقال إنه بعد مقتل أخيه عرض على الخليفة مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ دينار كهدية رفضها الخليفة وأمره بالعودة إلى منزله وأعطاه كتاب أمان ، وإن كان البعض الآخر ذكر أنه قتل يوم مقتل أخيه .

لقد لعبوا دوراً هامًا في التجارة ، وكانت لهم إيداعات مالية كبيرة ، شملت مدفوعات لتجار مسلمين ، وكانت هناك شركات أخرى لبني سهل اشترك فيها المسلمون واليهود(٢٦٧). بالإضافة إلى مالهم من خبرة بالمنافسة في سوق المال ومعرفة بأسعار الدراهم والدنانير في أقطار عديدة ، والمعاملات المالية لم تكن كلها تتم نقداً بل بعضها في شكل صكوك

وحسابات ، وكان الوضع فى مصر يختلف عن وضع الخلافة العباسية فى أن التجارة أكثر ربحًا من إقراض النقود الذى كان يقوم به اليهود فى الخلافة العباسية ، فقاموا بالاتجاه إلى الطبقة العليا والاشتغال بتجارة الجواهر والأشياء ذات القيمة العالية التى يفضلها الحكام الفاطميون ، وأصبحوا على صلة بالبلاط الفاطمى . وكان لهم وضعهم لدى الخليفة الظاهر والمستنصر ، وكانت تجارتهم تأخذ ثلاثة اتجاهات ، الأول النوبة والسودان ، ثم تجارة الهند ، ثم تجارة العراق وإيران ، وهناك إشارة إلي مجموعة من اليهود القرائيين اشتغلوا بالتجارة مع الهند وسيلان وربما كانوا ممثلين لبنى سهل مع تجار العراق ، ولقد كانوا الوسطاء التجاريين لكل تجارة تأتى إلى القاهرة عن طريق العراق ولاشك أنهم كانوا وكلاء لشركات بغداد التجارية ، ولقد ذكر القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه الذخائر أنه حين اضطر الخليفة المستنصر لتوزيع نفائس قصره على الأتراك وجد فى خزائن السروح خمسة آلاف سرج مطعمة بالجوهر كان أبو سعد إبراهيم بن سهل التسترى قد صنعها للخليفة ، وهناك خطابات متبادلة فى الجنيزة بين أسرة التسترى وأسرة التاهرتى فى القيروان فى تونس والمراسلات تعود للقرن الحادى عشر ، وكانت الرسائل من موسى عميد أسرة التاهرتى إلي أبو سهل وأبو سعد .

التاهرتى : اشتهرت عدد من المدن المغربية بتجارتها مثل القيروان والمهدية وسوسة وتونس، وكانت مدينة سوسة بمثابة المخزن للمادة الخام فهى فى مساحة متوسطة بين المدن المنتجة للنسيج والعاصمة (٢٦٨). وتونس وكان أسمها السابق إفريقية و" كانت تشمل أجزاء من شمال أرض كل من بلاد الجزائر الحالية وليبيا" وعرفت باسم المغرب وعرف سكانها بالمغاربة ورب الأسرة برهون «أبرهام » أب لأربعة أبناء منهم إسحق أبو السرور وموسى أبو الخير وإسماعيل ، وثمانية أحفاد والأسرة كانت فى القيروان فى تونس وأحد الأبناء أو أكبرهم هو موسى ومن أبنائه أم التاجر المشهور نهارى بن نسيم والابنة الأخرى متزوجة من واحد من آل برخيا والعائلة يشار إلى أن مؤسسها هاجر من تاهرت فى الجزائر إلى القيروان وأحدهم عضو فى الأكاديمية اليهودية فى أورشليم وذلك حوالى ١٠٢٠م / ٤١١هـ ، وهناك خطابات متبادلة بين عائلة التاهرتى والتسترى وبينهم وبين ابن عوكل (٢٦٩). وهناك خطابات بينه وبين التسترى وأبى سهل بخصوص إرسال ملابس لبيعها وبعضها لعائلته هو شخصيًا ولاستعماله الشخصى .

وآل التاهرتى اشتغلوا بالتجارة فى القيروان وبلاد المغرب وفى نفس الوقت اشتغلوا كوكلاء لتجار آخرين من أقطار أخرى كابن عوكل ، وكانوا يقوموم برعاية مصالحهم فى القيروان

ومساعدته فى تجارته مقابل مصالح متبادلة ، والأمر نفسه مع نسيم ، وكان جزء من أفراد العائلة يأتى إلى مصر كما فى وثيقة تعود لعام ١٠٢٠م / ٤١١هـ حيث حضر أحدهم للمساعدة فى إعداد تجارة أبى ذكرى جودة أهم تجار القيروان وبذل هو الآخر جهده لكى تصل بضائع التاهرتى من تونس لمصر سالمة ، وكان لجودة علاقات مع سلطان تونس وعمة السلطان التى يلقبها بالسيدة ويظهر أحد أفراد الأسرة وهو إسماعيل بن برهون وصمويل بن إبراهام التاهرتى كان همزة وصل بين تونس ومصر وأخوه الأكبر أبو الخير موسى حضر هو الآخر إلى القاهرة ولقد زار القدس حوالى ١٠٢٢م/ ٤١٣هـ (٢٧٠).

وكان أفراد الأسرة يقسمون نشاطهم التجارى فيما بينهم فجزء يقيم فى مصر ولا يشترط أن يكون الأشخاص أنفسهم ، وجزء يعيش فى القيروان وغيرها من مجالات تجارتهم كتونس وأسبانيا .

ونوعية الشركة إذا كانت بين الأب وأبنائه أو الشركاء لا تتضح إلا بعد وفاة أحد الشركاء واللجوء إلى المحكمة لتحديد الأنصبة .

الجيل الثالث من أسرة التاهرتى محدد الممتلكات وأحيانًا يدخل شركاء آخرون ، ولقد سبق ذكر التاجر أبو القاسم عبد الرحمن ، وعبد الله الباشقردى (٢٧١).

المجانى : من أهم عائلات القيروان وتدرب موسى ابن المجانى مؤسس الأسرة على يد أبن عوكل وشركته فى مصر ، ثم أصبح هو ويوسف ابن عوكل صديقين وشريكين ، وكان المجانى أقرب تجار المغرب إلى ابن عوكل ، وحتى بعد أن قرروا حل الشركة استمرت علاقتهم ، وكان أبو عمران موسى هو الممثل الرئيسى لبيت يوسف بن عوكل فى القيروان ، ولقد ذكر اسمه فى أكثر من خمس مراسلات مرسلة لابن عوكل ، ولكن لم يعثر إلا على خطاب واحد فى حالة تلف أرسله إلى يوسف ، وكان يوسف من جانبه رجل أعمال بارزاً مسؤولاً عن نقل التبرعات من شمال إفريقيا إلى الأكاديمية اليهودية فى فلسطين ، ولقد قام هو وابنه أبو ذكرى يحيى برئاسة بيت تجارى ازدهر خلال النصف الأول من القرن الحادى عشر ، ولقد ارتبطت عائلة المجانى برابطة الزواج مع عائلات تجارية أخرى خلال هذه الفترة ، وأخت موسى كانت أم إبراهيم بن إسماعيل الجواهرى الذى كان يعمل كوكيل رئيسى لابن عوكل فى الإسكندرية ، وابن موسى وخليفته يحيى تزوج من عائلة القابص فهذه البيوت التجارية اليهودية الكبرى ارتبطت مع بعضها بروابط المصاهرة بين مصر والمغرب ، وعملت فى كثير من أنواع البضائع،

ودخل المجانى فى منافسة قوية مع عدد من البيوت التجارية التونسية الأخرى ، وهناك أربع خطابات بين ممثل بيت المجانى فى الإسكندرية وبيت أبن عوكل التجارى [٢٧٢].

وهناك شهادة أدلى بها شهود فيما يتعلق بثلاث خطابات من المجانى عرضت فى المحكمة بخصوص أنها حقيقية وليست زائفة وهذه الخطابات الثلاث مكتوبة بحروف عربية ومؤرخة وفقًا للتاريخ الإسلامى ، وهناك شهادة أربع تجار من تونس كانوا يعملون فى ذلك الوقت فى مصر يشهدون بأن خط الخطاب لكاتب يهودى اعتاد أن يكتب المراسلات باللغة العربية لابن المجانى مع التجار وشهادة بخصوص خطاب رابع مكتوب بأحرف عربية وفقًا للتاريخ الإسلامى والذى نسخه أحد الكتاب اليهود للمجانى الصغير . وهناك ادعاء أمام المحكمة الربانية فى الفسطاط والمدعى كان أبو الفرج يعقوب ابن علان أحد كبار التجار فى هذه الفترة بخصوص شحنة تجارية [٢٧٣]، وكان الادعاء ضد يحيى المجانى فى المهدية واتهمه بسرقة أمواله[٢٧٤].

والملاحظ أن بعض الخطابات بالعربية والتواريخ تواريخ إسلامية ومن شخصيات تلك الأسرة جودة بن يوسف وهو شخصية شهيرة وأحد أفراد عائلة بمدينة القيروان بما لا يقل عن أربعة أجيال من قضاة اليهود ، والمجانى صهر جودة الذى هاجر لمصر كان صديقًا لابن عوكل .

وهناك شخصيات أخرى يهودية عملت بالتجارة وكان لها اسم شهير تردد فى الوثائق وكانت لهم علاقات قوية مع التجار المسلمين سواء فى مصر أو تجارة الهند وهم الأخوان برخيا وقريبهم إبرهام بن ياجو الذى تزوج أحد الأخوين ابنته [٢٧٥].

وهم أصلاً من المهدية فى تونس تركت أسرة يوسف بن براخيا - والكلمة تعنى السرور - تونس حوالى ١١٤٨م / ٥٤٢هـ حينما هاجمها النورمان إلى صقلية واستقروا فى أحد موانيها وهو المزرعة والتى تمتعت بشهرة تجارية كبيرة وتعتبر قنطرة موصلة لتجارة تونس ، ولكن فتح النورمان لصقلية جعلهم يتجهون لمصر ، وكان قريبهم ياجو قد دعاهم مرات عدة للتعاون معه، ولقد أصبح أحد أفراد هذه الأسرة من قضاة اليهود فى الفسطاط ، وتزوج برخيا بن إبراهام ابنة قريبه إبراهام بن ياجو [٢٧٦].

أما إبراهام ابن ياجو فهو كأقاربه من مدينة المهدية واسم ياجو اسم لعائلة تنحدر من قبيلة بربرية ، وربما كانت تلك العائلة تعيش تحت حمايتها فى البداية ومازال الاسم شائعًا بين يهود شمال إفريقيا ، ولقد قضى سبعة عشرة عامًا فى الهند واثنين فى اليمن ثم عاد لمصر ليزوج

ابنته الوحيدة الباقية على قيد الحياة من قريبه برخيا ، ولقد جاء التجار من الهند إلى عدن إلى السودان وعبر الصحراء إلى النيل ثم الفسطاط ، وكان ياجو خطاطًا أو كاتبًا متميزاً بعكس بعض التجار الذين وضح مدى محدودية ثقافتهم فى خطوطهم وكتاباتهم مثل مضمون الذين كانوا يحتاجون لكتبة مهرة لنسخ رسائلهم ، وكان لديه مصنع رصاص ونحاس وبرونز يعمل فيه عدد من يهود محليين مع آخرين من نفس المدينة ، كذلك كان يتاجر فى عدد من البضائع منها التوابل والبرونز والحديد الذى لم يكن مألوفًا فى تجارة البحر الأبيض وإنما مألوفًا فى تجارة الهند ، وأحيانًا تنقل الشحنة مع تجار مسلمين لإرسالها لتاجر يهودى ، وتضمنت المراسلات معاملات عديدة مع مسلمين كالشيخ أبو الحسن على بن جعفر والشيخ على بن محمد النيلى (وهو تاجر عطارة) بخصوص الفلفل والتوابل ، وانتقلوا على مراكب إسلامية، فلقد أرسلت سلة من الأكواب الزجاجية وعدد من الزجاجات التى تحوى سكر مع النوخذة أحمد وكان اسم ياجو منقوشًا علي بضاعته بأحرف عبرية (٢٧٧). وورد حديث عن شحنات أرسلت عن طريق قائد السفينة أحمد أبو الفرج .

وفى الشام نجد أن أسماء كبار التجار اليهود محدودة بعكس الأسماء الواردة فى مصر أو المغرب أو تجارة الهند ، ونجد أن فترة الحروب الصليبية تخلو من وجود تجار كبار أو صغار. ومن الأسماء المعروفة البردانى وهى عائلة من بابليون هاجرت من العراق إلى صور مع نهاية القرن العاشر ١٠٦٠م/٤٥٢هـ ، ونجد يوسف وناحوم أبناء سهل البردانى فى صور ، واشتغلوا بالتجارة فى طبرية وطرابلس وورد ذكر لهم فى وثائق الجنيزة واشتغلوا بالصناعات المحلية والتجارة البحرية (٢٧٨).

وفى أسبانيا نجد التجار يعقوب ويوسف بن داجو Djau وكانوا من المقربين من المنصور ابن عامر صاحب قرطبة ، وكانوا يعملون بتجارة الحرير وصناعة الملابس الحريرية وأصبحوا الموردين للدولة ، كما يذكر أحد الكتاب الأسبان ، وكانت الثياب التى يبيعونها ذات أسعار عالية وكانت الدولة وحكامها كالمتبع فى العصور الوسطى تمنح الملابس الحريرية لمن يقوم بأعمال هامة، وكانت الملابس يطرز عليها اسم الحاكم وتسمى الطراز والموظف صاحب الطراز ، وعين المنصور يعقوب بن داجو على اليهود فى كل أراضى المسلمين فى أسبانيا والجزائر ومراكش وأعطاه حق فرض الضرائب عليهم وتعيين القضاة ، وكان لديه عبيد وخدام وخصيان ، وعاش ككبار النبلاء ومنح هدايا للفقراء وكُتب له الشعر (٢٧٩).

والتاجر اللبدى الذى ذكره جوايتين فى مقالة فى " من البحر المتوسط إلى الهند 195 - 191 / 954 / Speculum 29 والعائلة تنسب إلى مدينة لبدة على شاطىء طرابلس ، ثم انتقل إلى الفسطاط قبل أن يتجه شرقًا إلى الهند ، وفى نهاية الحقبة الأخيرة من القرن الحادى عشر ترك مصر حاملاً بضائع له ولغيره . واتجه إلي المهدية وتونس وجمع بضائع لتجار آخرين للمتاجرة فيها ، واستمر هكذا طوال رحلته وكان يصحبه عدد من أخوة ضامن التجار فى عدن. ولقد تحطمت سفينته وعند عودته تعرض لمسألة قانونية بخصوص بضائع التجار ، وهناك ١٨ وثيقة تتعلق بهذا . وكانت الشحنة تشمل أنواعًا مختلفة من البضائع نحاس وفضة وأوانى ، ومواد طبية ، ومرجان . وكان من المفروش تسليمها فى عدن لشراء فلفل من شاطىء ملبار جنوب الهند والباقى استبداله بمرمر من كاجارات فى جنوب الهند ، وكان اللبدى باع جزءاً منها فى طريقه إلى عدن وبعض الوثائق الخاصة بالمحاكمة من ٩ نوفمبر ١٠٩٧م / ٤٩١هـ إلي ١٨ أغسطس ١٠٩٨م / ٤٩٢هـ .

ولقد اشتغل أبناء اللبدى بالتجارة ونستطيع تتبع أسرة اللبدى إلى القرن الثالث عشر (٢٨٠).

والملاحظات الهامة بالنسبة للتجارة فى الهند ، أولاً : أن هناك مشاركة واضحة بين مسلمين ويهود ، فالإسلام لم يمنع المتاجرة مع غير المسلمين ، وهناك مثال واضح وهو الشيخ بلال بن جرير الوهادى والذى أصبح بعد ذلك حاكم ثغر عدن شارك فى تجارة إلى سيلان مع يهود فى حوالى ١١٤٣م / ٥٤٨هـ وشارك فى البضاعة اثنين من الصناع ، أبو على وأبو القاسم ومعهم ابن الحداد وشخص اسمه البطيطى ، وكذلك شارك الشيخ بلال نهارى بن الحسن وإبرهام بن أبى الحسن فى التجارة مع مصر ، وكذلك كان التاجر أبو القاسم شريك التسترى ونهارى .

ثانيًا : السفن غالبية ماليكها وبحارتها من المسلمين (٢٨١).

ثالثًا : أغلب التجار من أصل مغربى والتجار لهم قواعد فى مصر والمغرب رغم سفرهم الدائم فى تجارة الهند وإقامتهم فى الهند أو عدن .

وإلى جانب هذه الأسماء لكبار التجار اليهود ، كانت هناك أسماء أقل أهمية اشتغلت بالتجارة ووردت فى وثائق الجنيزة وأغلبهم أيضًا من أصل مغربى وأقاموا فى مصر ، مثل اروس بن يوسف من المهدية وأقام فى الفسطاط وأعماله امتدت إلي المغرب واليمن .

ويوسف هاكوهين الفاسى الذى يبيع بضائع متنوعة فى فلسطين [٢٨٢]، وإبراهيم بن اسحق الأندلسى ، ويعقوب بن إسماعيل الأندلسى ، ويوسف بن إسماعيل الطرابلسى ، سليمان بن موسى الصفاقصى ، وفى الشام فى عسقلان عائلة إبراهام بن صادق العطار وكان يبيع العطور ، وعائلة صادق بن عباس من تجار القيروان فى بداية القرن الحادى عشر ، والتاجر أبو عمران موسى بن أبى يحيى Khalila وإفرايم الجواهرى وجالون بن زكريا الأشقر وسمحون بن داود الصقلى ويوسف بن يعقوب الطرابلسى وهارون بن غزال وإسماعيل بن فرح من أهالى قابس جنوب تونس والمستقر فى الإسكندرية وإبراهيم بن أبو سرور ، وأبو الفرج اروس بن يوسف هاجر أبوه من المهدية إلى الفسطاط ١٠٨٨م / ٤٨١هـ واشتغل فى تجارة الهند وقام بنقل ابضائع من الشرق والغرب وكان فى الأصل صانع قلانس أرجوانية يسمى الأرجوانى وانتقل أرجوان من الفسطاط لتونس .

وأبو ذكرى جودة أحد كبار رجال القيروان ومندوب التجار هناك ، وهناك يطلق عليه السجلماسى ومحروس بن يعقوب النوخذة مالك سفينة ولديه قارب من عدن والهند ، واعتاد زيارة القاهرة وتزوجت اختـه من جودة بن يوسف هاكوهين ممثل التجار فى عدن وأخت جودة تزوجت مضمون ممثل التجار فى عدن[٢٨٣].

وعائلة النفوس فى طرابلس وكان هناك أكثر من تاجر من هذه العائلة ونفوسة مدينة قريبة من طرابلس وكان نشاطهم فى تجارة الهند .

وهناك وظيفة كان لها دورها ولها أهميتها ، وكانت على صلة بالتجار المسلمين واليهود فى العالم الإسلامى ولها كم كبير من العلاقات ، وهى وظيفة وكيل التجار .

وكلاء التجار :

إذا نظرنا لطبيعة الوظيفة نستطيع أن نصنفها إلى نوعين : أولاً : وكلاء تجار أو ممثل للتجار فى مدينة تجارية أو ثغر ، أو وكيل عام ، ثانيًا : وكيل لتاجر أو عدة تجار فى مدينة ، وذكر الدمشقى مواصفات الوكيل : " قانون المجهزان أن ينصب له فى الموضع الذى يجهز إليه من يقبض البضائع التى يصدرها ويتولى هذا القابض بيعها وشراء الأغراض[٢٨٤] .

أما الوكلاء الذين يتولون أمر التجارة فى ثغر أو مدينة تجارية وهو الممثل الشرعى ، والوكيل يعد كموظف محلى له سلطات ، ولم يكن الوكلاء من اليهود دائمًا إنما هناك عدد

كبير من الوكلاء المسلمين ، وذكرت أسماؤهم فى وثائق الجنيزة ، كقاضى مدينة صور أبو محمد والحرانى والحاجى (٢٨٥). أما طبيعة عمله فكان للوكيل دار تسمى الوكالة وتستعمل كمخزن ومكتب وأحيانًا سكن ، وبها مخازن حيث يترك التجار بضائعهم عند وكيل التجار ويخزنونها ويتركونها وديعة ، بل هناك من يترك بضائعه لديهم أو يتركها فى مخزن شريك له ويقوم أحيانًا ببيعها وحفظ الثمن له لحين رجوعه . وكان يجرى مزاد عليها وهو فى الوقت نفسه حكم طبيعى بينهم ، ويعتبر مقره كمكتب بريد ، ومسئول جمارك ، وفى حالة وفاة تاجر يقوم بحفظ بضائعه ، وكانوا يمارسون فى الوقت نفسه الاتجار ببضائع خاصة بهم أي أنهم كانوا أصلاً تجاراً أو مشتغلين بالتجارة إلى جانب أعمالهم .

وكان هناك كتبة وخاصة فيما يتعلق بحل الخلافات . والمشاكل وإعداد الوثائق الخاصة بالمعاملات المالية . ولم يكن الأمر مقصوراً على المدن الكبرى ، فمدينة صغيرة كقليوب فى شمال غرب مصر كان بها وكيل للتجار ، ووفقًا لخطاب مرفوع للقاضى صدر الدين ، وكذلك كان فى منية زفتى وكيل لتجارها .

وفى نص يعود لعام ١١٤١م / ٥٣٦هـ وهو عقد مشاركة بين تجار ، ذكر أنه لا يصبح ملزمًا إلا إذا حدث فى دار الوكالة أو مخزن التجار (٢٨٦). وليس فى أى مكان آخر ، وكان ممكنًا لإبن أن يخلف أباه فى هذه الوظيفة ، وفى الجنيزة إشارة إلى أبناء وأحفاد خلفوا آباءهم وكان اليهود يتركون بضائعهم فى المخازن ويتعاملون مع وكيل التجار المسلم ، وهناك وثيقة تعود لعام ١٠٩٤م / ٤٨٧هـ تشير إلى قيام تاجر بشراء بضائع من طرابلس ولبنان عن طريق شخص موثوق به إلى مصر وبيعت فى الأماكن التابعة لوكيل التجار وتسلم جزءاً من الأرباح وحين حضر الذى أمد برأس المال تسلم الحساب من وكيل التجار .

ونجد فى المصادر الإسلامية إشارة إلى دار وكالة التجار ، ولقد ورد فى كتاب ابن ميسر تاريخ مصر أكثر من ذكر لوظيفة وكيل التجار ، ولقد أشار لما حدث من مجاعة وسوء أحوال حيث طلب من بدر الجمالى استدعاء بعض من يملكون المال والثروة من قيصارية وفلسطين حيث حضر من بينهم من عين قاضى القضاة فى جامع الخليفة وفتح فى الفسطاط وكالة ظلت قائمة لوفاته (٢٨٧).

وكذلك ما أشار إليها المؤرخ المقريزى بالنسبة للوزير الفاطمى المأمون البطائحى من إقامته داراً للوكالة فى القاهرة للتجار الواصلين من العراق وسوريا ١١١٣م / ٥١٠هـ ، قال " أن

المأمون فى شوال سنة عشرة وخمسمائة أنشأ " يعنى المأمون بن البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله " دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار " (٢٨٨). وفى القرن الحادى عشر نجد أحد المسلمين يمتلك دار وكالة واسمه أحمد ابن الحرانى إشارة إلى أن والده من مدينة حران أحدى مدن سوريا شمال غرب الرافدين التجارية الهامة ، وهناك أبو إسماعيل إبراهيم بن فتح الشريف الحسنى ت ٤١٥هـ ، وكان وكيلاً للتجار، وفي الوقت نفسه كان هناك تاجر من راملة فى فلسطين كان يسمى الحلبى نسبة إلي مدينة حلب السورية (٢٨٩).

وتولى عدد من اليهود الوكالة التجارية حيث ذكر مرتين تولى اثنين من اليهود كممثلين للتجار فى مصر الأول فى العصر الفاطمى (فى الفسطاط) والثانى فى عهد الأيوبيين .

أما أشهر من تولى العمل كوكيل للتجار فهو أبو ذكرى جودة بن موسى كوهين اليهودى والذى عرف بالسلجماسى ، مارس نشاطه فى المغرب وعلى طول الطريق إلى الهند ، وهناك مراسلات خاصة به وعدد من الرسائل الخاصة فيما يتعلق بطريق التجارة إلى الهند ، وكان من عائلة كبيرة من الدارسين ويعرف أيضًا بابن سجمار ، ولقد سافر من وطنه القيروان إلى مصر ثم ذهب إلى طرابلس ليبيا ، وكان التجار التوانسة من المعتاد زيارتهم لمصر وأسواق لبنان وسوريا ولكنه استقر فى القاهرة وتزوج ابنة عائلة يهودية معروفة (٢٩٠). وأصبح الممثل الشرعى لتجار تونس ، وهناك عدد من الخطابات من فترات زمنية مختلفة تعود للقرن ١٠٥٠م/ ٤٤٢هـ - ١٠٩٨م/٤٩٢هـ من صقلية والإسكندرية وعدد من المدن تصفه بوكيل التجار ، وخطاب مرسل من الإسكندرية إلى عنوان مستودعه فى الفسطاط ، وفى خطاب آخر من القدس يذكر صاحبه مكانة أبى ذكرى وكتب أنه يدعم كل من يأتى من العراق وسوريا وفلسطين والمغرب وأقطار الروم وأوربا ، وأنه كان رحيمًا بهم وانفق عليهم ثروته واستغل جاهه من أجلهم ، وخطاب آخر يشير إليه كشخص ذى مكانة فى القاهرة . ومن الواضح أنه تمتع بمكانة لدى السلطات المحلية لما كان يمارسه من وكالة تجارية (٢٩١).

ومثال آخر لشخصية لوكيل تجار تمتع بشهرة كبيرة وتولى وكالة التجار فى ثغر تجارى هام وكاتب له علاقات مع التجار المسلمين وشاركهم ، وورد اسمه فى أكثر من وثيقة وهو مضمون وكيل التجار فى ثغر عدن ، وكان أبوه من قبل وكيلاً لتجار عدن وجنوب الجزيرة العربية وهو حسن بن بندر ، وربما ترجع أصولهم إلى إيران (اسمه العبرى يافث) والذى ورد فى عدن من

وثائق الجنيزة ، وهناك سبع وثائق نشرها جوايتن تتعلق بتجارة الهند فى مجموعة تيلور وشختر Taylor - Schechiter فى كمبردج ، وفى خطابات منها وصف مضمون بن حسن بن بندر ممثل التجار ومسؤل ميناء عدن والناجيد لأرض اليمن ورأس المجتمع اليهودى فى بلده ووطنه ، ومالك سفن مثل أبيه الذى كان وسيطًا بين تجار البحر الأبيض والتجار الذين يعملون بتجارة الهند (٢٩٢) ، وتضمنت خطاباته إشارة لنوعية البضائع المتبادلة وكانت تجارة الهند كان بها بعض النوعيات التجارية غير المألوفة فى تجارة البحر الأبيض ، مثل النحاس ؛ والهند بها محاجر النحاس والرصاص فى شرقها ، بالإضافة إلى التوابل والعطور والبضائع الكمالية والكافور وجوزة الطيب والأخشاب الهندية ، والمسك والعنبر ، وتبادلها مع بضائع كالنسيج المصرى والأسبانى ، وورق الكتابة ، وكان غير متوفر فى الهند والسكر والزبيب والبلح وبضائع منزلية مختلفة الأنواع ، وكانت رسالة مضمون إلى إبراهيم بن ياجو ، وكان الوسيط التجارى فيها شماس مسيحى يدعى عبد المسيح ، وكانت البضاعة مغطاة بالخيش كتب عليها اسم مضمون باللغة العربية والعبرانية ، ولقد نقلت البضائع على مركب رجل من سيراف مسلم يسمى دامشت وهو من كبار ملاك السفن (٢٩٣). وهناك نقش فى مكة يعود تاريخه ٥٢٦ هـ / ١١٣٥م لإنشائه مكتبه ، وكان له وكلاء عديدون ، وللتدليل على حجم ثروته نجد أن أحد وكلائه عاد من كانتون من الصين فى رحلة تجارية فردية ببضائع قيمتها تساوى ١٠٠,٠٠٠ دينار ، وقام فى ٥٣٢هـ / ١١٣٨م ، بتغطية الكعبة بالحرير الصينى ، وهذا التاجر المسلم الذى قام بكثير من الأعمال الخيرية الدينية فى الحجاز لم يجد غضاضة فى نقل بضائع وتجارة تجار يهود لأن الدين الإسلامى لم يحرم الاتجار مع غير المسلمين بل سمح بالتعامل فى حدود الشرائع .

ولم يكن هو المسلم الوحيد الذى تعامل معه ، فهناك بلال بن جرير التاجر الشهير والذى أصبح حاكمًا لثغر عدن وكان له شركاء فى عدن ، الصفقات التجارية وإحداها كانت متوجهة لسيلان وشارك معهم ثلاث من الصياغ اليهود أحدهم مغربى مع عدد من التجار ، وهناك تجار آخرون وسفن إسلامية نقلت تجاراً يهوداً وبعض اليهود أرسل شحن تجارية على سفن هندية بصحبة تجار مسلمين .

وهناك أسماء أصحاب سفن إسلامية مثل مسعود الحبشى والنوخذة أحمد وأسماء الشيخ على بن محمد النيلى (تاجر صباغة) وكذلك تم الإشارة إلى مراكب بعض أصحابها مسلمون

وبعضهم يهود ، فذكر أنه أنفذ مركب النوخذا أبى الحسن بن أبى الكتائب بن المحدث " أحد وعشرين بهار ولم يسلم إلى النوخذا أبى عبد الله وولده سوى سبعة عشر بهار بالكبير " وإشارة لمركب بن المقدم ويشير جوايتين إلى أن المعنى المقصود بالمقدم هو لقب لرئيس يهود فى المجتمعات الشرقية (٢٩٤).

وربما الإشارة إلى اسم صاحب مركب أو صاحب منصب معين . وكانت جميع السفن يكتب قبطانها قائمة بأسماء الركاب وبضاعتهم وكانت تحصل مكوس ، وكان مندوب التجار يأخذ مكس لنفسه ، وهناك مكس للدولة ، وهناك وثيقة عن يهودى يدعى داود بن مضمون كان يقدر الرسوم الجمركية فى إحدى موانىء شبه الجزيرة العربية الجنوبية ، ولقد بلغ نصيب المكس الخاص بأحد الوكلاء درهمًا على كل دينارين ونصيب الدولة ١٪ من قيمة الشحنة ، وهناك شخصية هامة كان مسؤلاً عن جزء كبير من تجارة الشام وورد اسمه فى عدد من وثائق الجنيزة، وهو قاضى صور ابن أبى عقل (٢٩٥). وأصبح هو وأولاده حكامًا مستقلين فى الفترة من ١٠٦٣م - ١٠٨٩م / ٤٥٦ - ٤٨٢هـ ، ولقد ذكر ناصر خسرو الذى زار صور فى هذه الفترة أن قاضى صور رجل سنى يعد من الأثرياء "رجل طيب ثرى وقد بنى على باب المدينة مشهد".

وكان القاضى يملك سفنًا عديدة تبحر عبر البحر الأبيض وكانت له علاقات تجارية مع تجار من يهود المغرب الذين عملوا بتصدير واستيراد البضائع من الشام ، وكان بيت القاضى يستخدم كمركز تجارى ومكانًا للالتقاء أصحاب المراكب (٢٩٦).

وكان جاؤون القدس دانيل بن عزريا Daniel . B. Azariah على معرفة بالقاضى ، ففى خطاب له إلى صديقه أبرهام هاكوهين بن اسحق بن فرات . وتضمن الخطاب " أنك ستهتم بما أوضحته من صور ... بأن هناك شخصًا حول القاضى المحترم أبو محمد ضدى ، وتقول بأشياء لا أعرفها " .

وكان هناك تجار يهود شركاء فى تجارة يحضرون إلى قاضى صور لتنفيذ اتفاقهم والتوقيع على صحتها ، وفى وثيقة من الجنيزة أن مراكب القاضى ابن عقيل وصلت إلي صور بعد أن أبحرت من الإسكندرية ، إسرائيل بن ناثان كتب إلى نهارى من القدس أن هناك أقوال ترددت فى المدينة أن السفن تأخرت فى إبحارها من مصر بسبب خلاف مع السلطات المصرية ، وفى خطاب آخر رفع القاضى دعوى ضد أحد تجار تتعلق بخمسة دنانير ، ولكن غير واضح هل كانت تتعلق بنقل بضائع أو ضرائب خاصة بالميناء ، ولقد تعاون التجار الموجودون وكان منهم

مسلمون وبعض اليهود الذين ضمنوا التاجر لمدة خمسة عشر يومًا . إلى أن وصل إقرار من أبى نصر " مبارك بن حسين ، وابن ياقوت شامان Sham'an ممثلى التجار فى الفسطاط، بأن يفرج عن البضائع إلى أن يقوم ببيع البضائع والحصول على نقد .

وكان التجار فى بعض الأحيان يقومون بتخزين تجارتهم فى المخازن مثل الإبرسيم والحرير .

وفى خطاب آخر إسماعيل بن فرج كتب إلى نهارى بن نسيم يعبر عن فرحه لوصول سفن القاضى عين الدولة سالمة ، وفى الغالب كان لهم بضائع على متنها (٢٩٧).

أما عما كان يحدث فى الميناء من إجراءات ففى رسالة كان وكيل نهارى من نسيم وهو نسيم بن حلفون ، يذكر مشاكل سببها شخص يدعى الواسطى ، الذى أحضر معه بضائع تخصه إلى صور ، ولقد تشاجر بخصوص بضائع فى صور وحزم كتان فقدت من السفينة وربما كان هناك لصوص فى الميناء ، وكانت هناك شكوى من كتاب الدولة وموظفى الخراج (الجمارك) وذكرت رشاوى .

وحسداى بن شبروط فى القرن العاشر يصف نفسه لملك الخزر بأنه مسؤل عن شؤون التجار القادمين من كل الأنحاء ووكيل للتجار .

ثانيًا : كان هناك نوعية أخرى من الوكلاء ، وهؤلاء الذين يتولون التجارة نيابة عن التاجر الأصلى وأحيانًا يكونون من صغار التجار فى المدن الخارجية أو يكون ابنًا للتاجر فى فترة تدريب قبل أن يصبح شيخًا وتاجراً كبيراً ، وهناك عبيد محررون مثل فراج ، وكان عبداً لبرهون (إبراهيم) أبو الأخوة التاهرتى الأربعة ويعمل كوكيل فى الأعمال التجارية وأصبح تاجراً له وضعه وله مراسلات مع ابن عوكل(٢٩٨) .

وكان الوكلاء يتقاضون نصيبًا معلومًا وأحيانًا يقومون بعملية الوساطة والبيع مقابل خدمات يحصلون عليها من كبار التجار ، وهناك وكلاء مسلمون ومسيحيون ويهود ، وكانت رسائل ابن عوكل كما يفترض شتليمان مكتوبة بالعربية ، وكانت العلاقة القائمة فى الغالب على المعاملات المتبادلة . وما يحصلون عليه من البيوت التجارية والتجار الأثرياء كابن عوكل ، ونسيم والمجانى ؛ ففى خطاب طويل مرسل من سمحون بن داود الصقلى وهو تاجر تونسى يشكو من عدم حصوله على أرباح من صفقة قام بها لابن عوكل رُدّ عليه بأنه لم يستطع الحصول على أى ربح شخصى من شحن الخشب البرازيلى المرسل إليه من ابن عوكل ،

ولكن فى المقابل تعرض للخسارة (٢٩٩)، وذكر سمحون فى كتابه إننى قمت بذلك طمعًا فى رعايتك فلقد سبق أن ساعدتنى بجاهك واستناداً لذلك فإنى أرسلت فى طلب مساعدتك المالية" . وشملت الخدمات التى يقدمونها تسليم بضائع وبيعها وتحويل الربح الناتج من المبيعات إلى تجار آخرين ، وتحويل مبالغ من النقود ، وكان عليهم أحيانًا تدبير أموال خاصة بمشتريات متنوعه ومدفوعات ، ومن أهم الخدمات التى يقدمونها الإمداد بالمعلومات عن أسعار السوق والتغيرات التى تطرأ على أسعار العملات وما يتعلق بطلب السوق لأنواع معينة ، ومعلومات خاصة بمغادرة السفن ووصولها وعدد من الخطابات من أرشيف التاجر ابن عوكل انتهت بقوائم إحصائية حيث نقرأ صفحات عن الأمور المالية كما هو الحال فى الصحف الحديثة .

وكان الوكلاء عادة يطلبون خدمات فى المقابل كأن يقوم البيت التجارى بتوظيف أموال أو بضائع لهم فى شراء بضائع أخرى يحقق منها ربحًا وهو الأسلوب نفسه المألوف حيث يترك التاجر لمن يراسله حرية التصرف . فقد كان من مبادىء التجارة آنذاك أن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب ، وكان لابن عوكل جيش من العبيد والمحررين والوكلاء المساعدين يمثلون مصالحه وظهرت أسماء إثنا عشرة منهم .

ونجد الأمر نفسه بالنسبة لتجار عدن والهند فقد ورد اسم عدد من التجار والوكلاء للتاجر إبراهيم بن ياشو ومضمون ، فهناك قباطنة سفن عملوا فى هذا المجال أمثال أبو غالب الربان وأبو الحسن أبو الكتائب والشيخ يوسف بن إبراهيم والشيخ خلف ابن إسحق والتاجر أبو الخير(٣٠٠)، وورد اسم تاجر مسلم عمل كوكيل وهو أحمد بن حسون ، وبعض الأسماء التى وردت كوكلاء للتجار من الصعب معرفة إذا كان صاحبها مسلم أو يهودى ، فلقد تسمى عدد كبير من اليهود بأسماء إسلامية يصعب معرفة صاحبها وكان هناك وكيل مسيحى هو عبد المسيح الشماس .

الكارم : تعرض كل من فيشل W. Fischel فى مقاله The Spice Trade in Mamluk Egypt ، وجوايتن فى مقاله New light of the Beginning of the Karim merchents the Karima merchents Ashtor ، بالإضافة إلى مارك كوهين فى كتبه " المجتمع اليهودى، لتجارة الكارم "، ولقد أجمعوا أن اليهود لم يكونوا من تجار الكارم .

يذكر القلقشندى أن الكلمة مأخوذة من الكانم ، وهى منطقة من السودان الغربى وتقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد ، ثم انتشر الاسم بين من اشتغلوا بتجارة البهار وأن طائفة منهم

كانوا مقيمين فى مصر شأنهم المتجر فى البهار والفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم وذلك بعد أن وقع فيه تحريف وأصبح الكارم (٣٠١).

وفيشل يرى كلمة كارم ليس لها معنى محدد فى العربية ، وأنها تعود للكلمة الأمهرية Kuararimi ، Blocht يرجعها للكلمة الآشورية Kakura ، والبعض يذكر أنها كاريام الهندية وهى تعنى الاشغال بلغة التاميل ، ولما كانت أعمال الشرق الأوسط الرئيسية مع ساحل الهند الشرقى فيمكن أن يكون الاسم أطلق على ملاك السفن والتجار الذين يتاجرون مع هذه البلاد ، ولقد ارتبطت الأعمال التجارية بشكل واسع بالطائفة والعصبية والمعروف أن كل التجارة الآتية توابل وفلفل ، وكان جميع التجار من المسلمين (٣٠٢).

ويرجع جوايتين بدايتها إلى العصر الفاطمى استناداً لوثائق الجنيزة التى أشارت إلى مصاحبة تجار يهود لتجار الكارم فى وثائق تعود للفترة من ١٠٩٧ - ١١٤٩م / ٤٩١ - ٥٤٤هـ ، وأشار إلى سفن وقوافل يملكها حكام وأمراء مسلمون ، وأرجعها البعض إلى عام ٤٥١هـ / ١٠٦٣ - ١٠٦٤م ، وأشار ابن أيبك الدوادار أن ظهورهم يعود لعهد المستنصر الفاطمى ، وكان للفاطميين أسطول بعيذاب يلتقى به الكارم فيما بين عيذاب وسواكن وما حولهما خوفًا على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر القلزم هناك يعترضون المراكب فيحميهم الأسطول منهم ، وكانت عدة هذا الأسطول خمسة مراكب ثم صارت إلى ثلاثين ، وكان والى قوص هو متولى أمر هذا الأسطول وربما تولاه أمير من الباب ويحمل إليه من خزائن السلاح ما يكفيه(٣٠٣).

ونقطة البداية لتحركهم تبدأ بالموانى الهامة فى المحيط الهندى والبحر الأحمر من عدن التى تعد أهم مركز لتجارة الترانزيت ، وتمر السفن خلال البحر الأحمر للجزء الجنوبى لشاطىء السودان المصرى الطور أو السويس ، ، وكانت أفضل موانى للرسو للتسهيلات التى بها ؛ والطرق التجارية لتجارة الكارم الطريق البحرى فى الصين والهند إلى الخليج الفارسى والطريق البحرى من الشرق الأقصى للبحر الأحمر والطريق البحرى من الصين إلى الهند والخليج الفارسى والبحر الأحمر . ثم الطرق البحرية والبرية والنهرية داخل مصر وطرق غرب إفريقيا(٣٠٤) ، وكان تجار الكارم فى البداية يسافرون إلى أسيا وهرمز والصين وسمرقند وفى إفريقيا إلى السنغال قبل التخصص فى تجارة التوابل وتعددت جنسياتهم فمنهم من سوريا والفرات ومصر والحبشة ... إلخ .

ولقد احتكروا تجارة الحجاز والمحيط الهندى وخصوصا التوابل والمتاجر الشرقية ، وكانت أهم البضائع بعد التوابل ، اللؤلؤ والمرجان والبخور والنباتات الطبية والحرير الهندى ، والطلاء والسكر والأرز والمسك .

وكان للكارمية فنادقهم فى عدن وزبيد وفى ثغر جدة وقوص ، ثم فى الفسطاط والإسكندرية ، وأبو مخرمة ذكر فندق كارمى وكان لهم فى مصر فى عصر المماليك أوقاف ، وبنو جوامع داخل أسوار الفندق ، وفى هذا الفندق تباع التوابل للتجار الأوربيين من البندقية وجنوة وبيزا ومرسيليا وبرشلونة (٣٠٥). وهناك فندق للكارم يوجد بالقاهرة على شاطىء النيل تجاه الفسطاط وفندقا فى الإسكندرية ، وكانت تخرج سفنهم فى شكل قافلة أو مجموعة وكان هناك مجموعة نواخذة وملاك سفن يسافر التجار على سفنهم . وتنتقل البضائع فى حماية أصحابها أو حماية وكلائهم ولم تكن سفن النواخذ ملكا للكارمية .

ومع الوقت أصبحت تجارة الكارم فى عدد من الأسرات ، ويشير فيشل إلى أنها أصبحت شبيهة بالمؤسسات المتعلقة بنقابات واتحادات متخصصة فى تجارة التوابل ، وهم نسيج مترابط هذه الاتحادات تشبه المؤسسة لأنها تأتى لهم بالثروة والقوة لأن الذى يتاجر دون الآخرين يتعرض للخسارة .

ومنذ العصر الفاطمى كان هناك عدد من الأسر التى توارثت تجارة الكارمية منها عائلة ابن الكويك والخروبى والمحلى والدمامينى وغيرهم ، وكذلك عدد من العائلات المغربية والأندلسية كأسرة بنى الحباب المغربية الأصل التى مارس أفرادها التجارة مع الهند خلال بعض الأعوان(٣٠٦).

ومنهم التاجر أبو محمد عبد العزيز ابن مكى بن أبى العرب بن حسن بن عمار الطرابلسى المغربى الذى سافر كثيرا إلي الحجاز والهند والعراق واصبهان ، واستوطن بغداد ومات بها ١٢١٨م / ٦١٥هـ ، وفى العصر الأيوبى عبد الله بن عبد الجبار الأموى العثمانى الإسكندرى والذى كان بزازا فى بادىء الأمر ثم اشتغل بالكارم وأصله من شاطبة بالأندلس ، ومحمد بن على الجزرى الذى أبحر من دمشق إلى اليمن فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، وفى العصر المملوكى ذكر ابن بطوطة التاجر الكارمى ابن رواحة الذى كانت له قاعات معدة للسلاح بالإسكندرية والتاجر عبد الله الخروبى فى عهد السلطان فرج ، والتاجر محمد بن سويد فى عهد المؤيد شيخ (٣٠٧).

السؤال الذى يثار إلى أى مدى شارك اليهود فى تجارة الكارم؟ وهل كان هناك تجار كارم يهود ؟ وهل من الممكن أن تسمح لهم تلك المؤسسة الإسلامية بأن يكونوا جزءا منها ؟ . اختلفت الآراء حول هذا الأمر ، ولقد أخطأ بعض المؤرخين مثل M. Clerget واعتبر التجار الكارميين يهودا (٣٠٨). و R.Bergent الذى اعتبر عددا من العائلات اليهودية من أصحاب البنوك والتجار الأثرياء ككارمية.

أولا : الكارمية مؤسسات إسلامية تجارية وحد بينها الإسلام ثم تجارة التوابل اثنين فقط من التجار ذكرا فى المصادر من أصل غير إسلامى كان والدهم قبطى ، ولكن اعتنقوا الإسلام ، والحالة الثانية عز الدين بن عبد العزيز من مصر ١٣١٤م / ٧١٤هـ كان والده يهوديا من حلب ولكن الابن اعتنق الإسلام .

ثانيا : إذا نظرنا لما كتبه مؤرخون يهود كجوايتين ومارك كوهين ، جوايتين يذكر أن نشاط التجار اليهود وإسهاماتهم كانت فى العصر العباسى وفى مصر الفاطمية حيث مارسوا أعمال التجارة على نطاق واسع وشاركوا فى التجارة كقوة فى تجارة العالم الوسيط قبل ظهور وارتفاع مكانة الكارمية وبدأ انهيارهم وذبولهم بظهور قوة الكارمية (٣٠٩).

وأن أهمية الكارمية زادت فى عصر المماليك نتيجة للضرائب التى فرضتها دولة المماليك فى عدة أماكن فى الحجاز وفى مصر فى الأدبية والقصير والطور والسويس .. إلخ ، وأوجدت وظائف مرتبطة بها كمستوفى البهار الكارمى ، وكانت لهم بنوكهم وقاموا بإمداد الحكومة بالقروض ، فى حين أن هذه الفترة تمثل انهيارا اقتصاديا وضعف فيها تأثير اليهود وتضاءلت أعدادهم عن ذى قبل .

ومارك كوهين : يذكر أنه فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر أخذ التجار الكارميون وهم رابطة ضيقة من التجار المسلمين المتخصصين فى تجارة التوابل والفلفل باحتلال مكان الصدارة فى تجارة مصر مع الشرق ، وكان لهم أسطول خاص من السفن فى البحر الأحمر والمحيط الهندى ، وقد منعوا غير المسلمين من الدخول إلى صفوفهم وإن كانوا قد سمحوا لليهود ولغيرهم من غير المسلمين بالسفر فى سفنهم ، فلا غرابة أن أصبح اسم الكارم فى الأوساط اليهودية مرادفا للتجارة مع الهند كما تشهد بذلك وثائق الجنيزة (٣١٠).

وإن بوادر الضعف على النشاط الاقتصادى اليهودى ظهرت فى عصر سلاطين المماليك نتيجة لبعض التطورات فى القرنين ١٣ ، ١٤م من جراء الانحسار السكانى والكوارث

الطبيعية وهبوط قيمة العملة والجشع ، فمن الواضح ومما كتبه اثنين من كبار مورخى اليهود أن تجارة الكارم هى تجارة إسلامية بحتة وإن ازدهار الكارم واكب فترة انهيار تجارة الهند .

ثالثا : قام بعض تجار الكارم بنشر الدعوة الإسماعيلية فى عهد المستنصر فى الهند وكانوا يطلقون عليهم " الإسماعيلية " ، وساهم تجار الكارم بطريق غير مباشر فى انتشار الإسلام . وقد خرجت جماعات الصوفية فى ركب قوافل الكارم المارة بديارهم وأخذت تدعو الناس للإسلام على امتداد طرق القوافل ونجح نفر من أولئك الصوفية بالاشتراك مع تجار الكارم فى نشر الإسلام (٣١١).

كذلك فى جنوب شرق آسيا ، أدى نشاط تجار الكارم واستقرارهم فى موانى الشرق الأقصى إلى انتشار الإسلام فى جزر الهند الشرقية ، وماركو بولو عند زيارته لجزيرة سومطرة ١٢٩٢م / ٦٩٣هـ ، ذكر أن تجار الكارم استطاعوا أن يقنعوا السكان المتمدينين بالإسلام .

رابعا : جاء الربط بين الكارم وتجارة الهند ، أن بعض التجار اليهود صحب سفن الكارم ولكنه لم يكن جزءا من تلك التجارة ، ولقد اعتمد البعض على ربط الكارم بتجارة اليهود وجود عدد من وثائق الجنيزة التى تشير إلى تجارة الهند كوثائق أبو ذكرى جودة وكيل التجار اليهود فى مصر ومضمون وكيل التجار فى ثغر عدن واللذين سبق ذكرهما .

ويذكر هاشبرج أن اليهود لايملكون سفنا فى المحيط الهندى ، لديهم مركبين فقط لمضمون والأخرى لحلفون بن ناثان ، وأن لديهم سفنا فى البحر الأبيض وبحارتها من المسلمين فى الغالب .

والخطابان الذين دفعا البعض لاعتقاد أن اليهود جزء من الكارم ، الأول متعلق بنوخذة من عدن يعرف باسم محروس بن يعقوب ويرجع تاريخ الوثيقة إلى فبراير أو مارس ١١٣٤م/ ٥٢٩هـ ، وكانت عدن مركز نشاط محروس وعاشت أمه هناك ، وكان له قارب يبحر به من عدن والهند ، وأخته متزوجة من أبو ذكرى جودة بن جوزيف هاكوهين ممثل التجار فى مصر ، وأخت جودة متزوجة مضمون ممثل التجار فى عدن ، فهى رابطة تجارية أسرية ، ومحروس أحيانا فى القاهرة وأحيانا فى مدينة المهدية بتونس ، فتجارتهم امتدت من الهند والشرق الأقصى إلى مصر والمغرب . والخطاب الأول أملاه فى عدن وهو فى طريقه إلى الهند وتضمن الخطاب أنه اشترى للمرسل إليه بضاعة وسلمها لمضمون وكيل التجار لينفذها مع الكارم والخطاب كما هو واضح لا يتضمن مشاركة والبضاعة لا تخصه وهى كما هو واضح خدمة مقدمة لوكيل التجار ونلاحظ أن الفترة تواكب ازدهار تجارة اليهود.

والخطاب كتب فى عدن فى اليوم الذى سافر فيه إلى الهند بعد أن رجع للبلاد لفترة ووجد فى نسختين مختلفتين أشار الكاتب إلى أنه أرسل مجموعة من الهدايا أو البضائع طلبها مسافر من الهند إلى القاهرة واشترى للذى أرسل إليه الخطاب ٦٠ من تباشير وكريستال وخوص البامبو ، وهى مادة طبية وسلمها إلى ممثل التجار فى عدن مضمون وتنقل مع من يرى من الكارم ، وجزء من الوثيقة مقطوع (٣١٣).

والخطاب الثانى هو جزء من خطاب لا نستطيع التأكد منه ، ولقد نسبه جوايتين لأبو ذكرى جودة كوهين وكيل التجار فى مصر حيث أنه وجد عبارة صهرى محروس والمحتمل أن المرسل إليه حلفون بن نثانيل شريكه فى تجارة الهند وكان فى عدن كعادته ويشير إلى أنه أرسل الخطاب مع شخص ورد اسمه فى محتوى الخطاب إلى مضمون وكيل التجار ، وتضمن " أن الكارم قد وصلنى من عند صهرى محروس من سواكن يذكر أنه ٣٠٠٠ آلاف عدل ، ولقد خرج فى الكارم من أصحابنا اليهود سبعة أفراد محروس وستة أسماء أخرى ، والخطاب الخاص بأبو ذكرى يبلغ مضمون وشريكه التاجر الذى فى عدن بحجم البضائع المرسلة مع الكارم إلى ميناء سواكن عبر البحر الأحمر ، وهم فى طريق عودتهم لبلادهم فى مصر وشمال إفريقيا .

ويتضح أن الكارم لم ينزلوا عدن إنما اتجهوا مباشرة إلى سواكن ، إما عن طريق الهند أو بعض موانى جنوب الجزيرة العربية .

وهناك وثائق أخرى تؤكد أنه كانت هناك بضائع لليهود ترسل مع الكارم ، فخطاب يشير إلى رجل فى كولام (كيلون) على ساحل الملبار الغربى كان سائرا فى طريقه إلى الهند أرسل إلى زوجته عددا من الهدايا من بينها خادمة تبلغ من العمر ست سنوات لتستخدمها كوصيفة وسوارين من اللؤلؤ وملبوسات من اللانس وهو نوع من الحرير « الأحمر » وإناء من البرونز وإبريق ، وذكر أنه سيرسلهم صحبة من يخرج من الكارم ، وفى نهاية الخطاب يذكر أن أبا سرور كوهين بن الدوانيقى قد حمل له غطائين للمائدة وبعض السلع وإنها ستصل إليه مشحونة مع الكارم .

وهناك عدد من الخطابات ورد فيها ذكر الكارم ، ففى خطاب يعودلعام ١١٤٠م/٥٣٥هـ من الإسكندرية إلى عدن وربما إلى موانى المحيط الهندى أنه كان ينتظر شخصا سيصل مع الكارم فى هذه السنة والشخص المرسل إليه الخطاب كان يعيش فى مدينة صغيرة فى اليمن وهى " صرحا " ويرى جوايتين أن الكارم كانوا يرسون بانتظام فى هذه المدن .

ومن خطاب فى ١١٤٤م / ٥٣٦هـ ، يشير إلى وصول تجار يهود مصاحبين للكارم إلى ميناء فى البحر الأحمر ومرسل الخطاب أبو ذكرى جودة ، وفى خطاب من القرن الثالث عشر يتحدث تاجر لزميل له عن بضائع وصلت بصحبة الكارم(٣١٤) .

ومن خطاب تاجر يهودى فى المغرب حوالى ١١١٨م / ٥١٢هـ ، أنه سيرسل على السفن المغادرة المهدية بضاعة وأنهم لو يرغبون فى شىء . وبياضى فى الأصل مع الكارم والمقصود أن يرسلوه مع الكارم .

وإذا كنا قد عرضنا لتجارة الكارم والتى ثبت أنها تجارة إسلامية فلقد كان لليهود تجارتهم الخاصة بهم ولهم تجارهم ، ولقد أشار بن خرداذبة فى كتابه المسالك والممالك إلى التجار اليهود الوافدين الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلية ، وأنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برا وبحرا ويجلبون من المغرب الخدم والجوارى والغلمان والديباج والجلود والفراء والسمور والسيوف ويركبون من فتحة فى البحر الغربى فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهور إلى القلزم إلى الحجاز وجدة ثم يمضون إلى السند والهند والعين فحيلمون من الصين المسك والعود والكافور والدارصينى وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحى حتى يرجعوا إلى القلزم ثم يحملونه إلى الفرما ثم يركبون فى البحر الغربى فربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية إلى الروم وربما صاروا منها إلى ملك الفرنجة فيبيعونها هناك ، وإن حملوا تجارتهم من الفرنجة فى البحر الغربى فيخرجون بأنطاكية ويسيرون على الأرض ثلث مراحل إلى الجابية ثم يركبون فى الفرات إلى بغداد ثم يركبون فى دجلة إلى الأيلة ومن الأيلة إلى عمان والسند والهند والصين كل ذلك متصل بعضه ببعض .

ولقد ذكر بزرك تاجر اسمه اسحق اليهودى كان فى عمان ، ثم سافر إلى الهند وعاد قريبا بعد ٣٠ عاما (٣١٥)، وما ذكره يوضح رحلات اليهود التجارية التى استمرت وبعضها اتخذ طريق البحر والبعض طريق القوافل البرية وكان طريق البحر هو المفضل وذلك لأسباب دينية فبسبب يوم السبت كان اليهود يضطرون لعدم مصاحبة القافلة والخارجين معها وينتظرون فى مكان ما إلى أن تصل القافلة التالية ، وفى نفس الوقت نظرا لأنها تمر أحيانا عبر صحارى ، فاليهودى مضطر لمغايرة تقاليد الأكل والطعام مع الآخرين الذين يطلق عليهم الأغيار ، وكانوا يتركون بضائعهم مع المسلمين المصاحبين لهم فى القافلة أو يسلمونها للمسلمين للاتجار بها . وفى أحد وثائق الجنيزة خطابات مرسلة فى القافلة إلى يهود مع أشخاص غير يهود .

الطرق البحرية كانت صيفا والقوافل شتاءً والطريق البحرى أفضل بسبب عطلة يوم السبت، وكذلك لتعرض الطرق البرية للمغرب للاضطراب بسبب غزو بنى هلال وبنى سليم .

وهناك طريق من الإسكندرية إلى صقلية أو المرية فى أسبانيا وكان التجار اليهود ينتقلون وبضائعهم فى سفن إسلامية أو غير إسلامية للنورمان والبيازنة والجنويين .

وكانت للشام موانى هامة تمتد من السويدية ميناء أنطاكية فى الشمال إلى غزة فى الجنوب، وهناك أربعة عشرة ميناء كانت لهم أهمية تجارية كعسقلان وعكا وصور وطرابلس ، وكانت اللاذقية أهمهم .

وكان أهم طريق تجارى هو طريق المغرب لكثرة التجار المغاربة الذاهبين والعائدين بتجارتهم، وكان للعديد منهم أماكن إقامة دائمة فى مصر ، ولقد كتب تونسى مقيم فى القاهرة عن تجار المغرب أنهم عادوا إلى محلاتهم وأن المعبد هجر لحين عودة التجار المغاربة ، وهناك إشارة إلى شحنة تجارية من الفسطاط إلى الإسكندرية إلى صفاقس ميناء تونس البحرى ، أما القوافل وهى فى فصل الشتاء فاتخذت الطريق البرى إلى المغرب ، ولقيت تجارتهم الترحاب فى عهد دولة بنى زيرى السنية فى تونس وفى رسالة من رجل إلى ابنه الذى يعيش على بعد حوالى ٧٥ ميلا من القاهرة العدد من القوافل التجارية . ذهب فيها التجار إلى مصر ثم عادوا للقيروان ، وذكروا أنهم يعرفون كل عميل فى الفسطاط يشترى البضائع وكذلك المراكز الخاصة بالكتان والمدن التى تنتجه وبصفة خاصة فى مصر وكانوا يبتاعونه لحسابهم ، ويرسلونه إلى تونس على سفن إسلامية والقليل منها يهودية (٣١٦)، وكان من اليهود أصحاب السفن ابن علان وابن يونس ابن شيلون ومفضال وكان من المألوف اشتراك مجموعة من اليهود فى شحنة سفينة ، ثم يتقاسمون الأرباح تاجرا من تونس له نصيب يبلغ سدس من صفقة مادة اللك وهى مادة طلاء أرسلت لمصر (٣١٧).

ولقد ذكر ابن حوقل أن القوافل تسير من تاهرت إلى الفسطاط عن طريق قابس .

والملاحظة الهامة أنه لم يكن هناك قافلة يهودية خالصة بل اعتادوا مصاحبة المسلمين لدواعى الأمن والحماية لعدم وجود قيود مفروضة عليهم .

البنوك الصيرفة :

تجارة أخرى مارسها اليهود وكان لهم باع كبير فيها ، وهى المعاملات المالية كالجبهذة وأعمال الإقراض والربا . ويقول التلمود إذا أردت أن تقتل الأجنبى بغير أن يثبت عليك

علامات القتل فاستعمل الربا " (٣١٨)، والربا محرم بين اليهود بعضهم البعض فقط ، وعقوبة ذلك التكفير والخلع بينما مباح الربا إذا أقرض اليهودى غير اليهودى مالا ، والمادة ٥٨٤ من المجموعة القانونية التى ترجمها دى بولى " أنه محرم على اليهودى أن يقرض اليهودى مالا أو غيره من الأشياء التى يحتاجها إليها كالقمح أو الدقيق ثيابا بالربا وأن المقرض يتعرض تلقائيا للخلع والطرد ولكن يضع استثناء فى المادة التالية ٥٨٥ فيفيد التحريم بما يعطيه اليهودى من قرض لأخيه اليهودى نقدا من يهودى آخر بقصد الاستثمار (أو التوسع فى التجارة أو تنفيذ بعض المشروعات التى تدر ربحا فإن الذى يقرضه المال يمكن أن يفرض عليه نصيبا من الأرباح يتفق عليها " ، " لا تقرض أخاك بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء ما يقرض بربا للأجنبى تقرض بربا . ولكن لأخيك لا تقرض بربا ، لكى يباركك الرب "(٣١٩)، فالشريعة اليهودية تسمح بالتعامل بالربا مع غير اليهود أو الأغيار كما يسمونهم لكن تحرمه على اليهود . وكان لدى اليهود الأموال التى يقرضونها بالربى أو يستثمرونها فى النشاط المصرفى أو العمل بالصيرفة والتأثير على سوق المال فى بعض المناطق الإسلامية وهذا لم يكن مقصورا على الفترة التى يسميها اليهود بالعصر الذهبى وهى فترة الحكم الفاطمى لفترة القرنين العاشر والحادى عشر ، بل سبقت هذه فترة نشاط مصرفى لهم فى الدولة العباسية ، ويذكر جوايتين تعبيرا طريفا وساخرا فى محاولة لنفى صفة الربا عن اليهود ، فأشار إلى أنه سيصدم من يعتقد أن بنوك العصور الوسطى قامت على أساس الإقراض وأن اليهود كانوا روتشلد العصور الوسطى " ، وأن ما أورده ماسينون Massignon فى مقال له عن أهمية عمليات الإقراض التى قام بها يهود القرن التاسع لمؤسسات حكومية فى بغداد وذكر أهمية الأقليات اليهودية فى مجال أعمال البنوك " ويذكر جوايتين أن هذا الرأى الذى طرحه ماسينون مبالغ فيه فيما يخص نشاط اليهود المالى لأنه اعتمد على مصادر أدبية .

وذكر نورمان شتليمان فى مقال عن يهود أسبانيا أن اليهود منذ عصر القوط الغربيين يقومون بأعمال مالية بالوساطة والمقارضة(٣٢٠)، وهو نفس ما كتبه والتر فشل Walter Fishel فى كتابه Jews in the Econime and Political life of Medieval Islam "اليهود فى الحياة الاقتصادية والسياسية فى العالم الإسلامى فى العصور الوسطى " وهذا يدعونا لمناقشة تلك الآراء التى سبق أن أجبنا عن بعضها بالقول أن اليهود لم يكونوا المحرك التجارى الأول للاقتصاد فى عالم العصور الوسطى ، ولكن استفادوا من حركة النشاط

التجارى بقدر ما استطاعوا وكانوا عنصرا مؤثرا رغم قلتهم فى عدد من أوجه النشاط الاقتصادى .

وفى بدايات الدولة الإسلامية لم يحترف اليهود مهنة الصيرفة بل كان غالبية الصيارفة من المسيحيين كما ذكر الجاحظ فى كتابه "المختار فى الرد على النصارى" ، ولكن هذا الوضع تغير وأصبح اليهود يملكون الوكالات التجارية ويعملون بالصيرفة فعلا ، ولقد تعلموا أعمال الصرافة من صيارفة العراق وخاصة صيارفة الكوفة المسلمين ، وكان أول من عرف نظام الحوالات المالية العرب ، ولقد عرف المسلمون استعمال الحوالات والشيكات .

وكان التعامل المالى يجرى على يد الصراف إذا كان التاجر يعطى المال للصراف ويحصل على صك بما وقعه وكلما اشترى بضائع سدد ثمنها بهذه الصكوك محولة على الصراف وهى ما تعرف باسم الشيكات المحولة حديثا أو السفتجات ، ولقد نقل الأوربيون هذا النظام ليتطور إلى نوع من التعامل المالى الأفضل ولقد عرف الشرق الإسلامى نظام دفاتر أو سجلات الحسابات بل إن القضاء الإسلامى اعتبر دفاتر الماليين حججا على أصحابها من تجار وصيارفة، والسفتجة اسم فارسى أطلق على الورقة التى يكتب فيها المقرض للمقترض ليقضى دينه من بلد آخر لتحرير وثيقة لا حرمة فيها ، وذكر فى تاج العروس : "السفتجة فى أن يعطى الرجل مالا لآخر لأخذه فى بلد المعطى فيوفيه إياه هناك" .

ويذكر ناصر خسرو : " أن الصرافين يجلسون فى سوق واحد يسمى سوق الصرافيين ولم يكن عن الصراف غنى .

وهناك وظيفة مارسها اليهود إلى جانب المسلمين وهى وظيفة الجهبذة ، وهى المصرفى وجهابذ صيارف ، وهو الخبير بالمال والتجارة ويكتب السفتجات والحوالات ويتقاضى على قيامه بالعمل المصرفى عمولة بمعدل درهم لكل دينار وكانت السفتجة تستخدم فى حالة الدفع المؤجل . ولقد ذكر الجهابذة فى كتاب الوزراء " لهلال بن الصابىء" ولابن مسكويه فى "تجارب الأمم" ، وفى كتاب نشوار المحاضرة ، وتاج العروس وفى كتاب الجهشيارى الوزراء ، وذكرت وظيفة الجهبذ فى عصر الخليفة أبو جعفر المنصور ٧٥٤ - ٧٥٥هـ ، وإن بدت أكثر وضوحا فى خصائصها فى القرن العاشر مع انتعاش التجارة وأصبحت جزءا من النظام المالى للخلافة العباسية ، وعمل بها من لديه خبرة بالأعمال المالية والنظام النقدى ومن الأسماء أحمد بن إدريس ، إبراهيم يوحنا ، وزكريا بن يوحنا ، سهل بن نزير ، إسماعيل بن صالح ، نيكولاس بن اندرياس ، مرقص بن شنودة . أى شغلها مسلمون وغير مسلمين .

ولقد ظهر اسم اليهود كجهابذة وصيارفة فى الخلافة العباسية فى عهد المقتدر العباسى الذى كان من فترات الاضطراب فالخليفة كان مبذرا وكان وزراء الخليفة يعرفون احتياج الخليفة للمال فيتنافسون بتلبية رغبته ، وكان عدد الجيش مع الحرس كبيرا والحاجة للمال تزداد لسد نفقاتهم وإذا تأخر دفع المال قد يؤدى الأمر لثورتهم ، والوزراء متحاسدون متباغضون يسعى كل منهم إلى أن يبقى فى الوزارة . وإلى أن يوقع بغيره وإذا خرج من الوزارة سعى إلي العودة إليها بمؤامرات وعلى هذا الحال تولى الوزارة فى هذه الفترة تسعة وزراء مختلفين ومن أهم الشخصيات ابن الفرات وعلى بن عيسى ، فابن الفرات تولاها ثلاث مرات للخليفة وقتل فى الثالثة وكان ينفق الأموال بكثرة ويقدم للخليفة المطلوب ويجمع حوله عصبة من الكتاب يطلق لهم الأمر ، فيجمعون المال بالضغط على الناس كذلك تولى أبو على محمد بن عبيد الله بن يحيى الخاقانى بعد قبض المقتدر على ابن الفرات فى المرة الأولى (٣٢٣). وكما يقول الفخرى عنه كان سيء السيرة والتدبير كثير التولية والعزل وقيل أنه ولى فى يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة ، وآخذ من كل واحد رشوة "، وقبض عليه المقتدر واستوزر على بن عيسى وكان يبغى الإصلاح ولم يكن يهتم بالناس أو بالكتاب بل يريد أن ينقذ الوضع المالى واستند على مقدرته الشخصية .

كما يقول يوسف العش أنه أوجد نظاما هو أول من أوجده فى الإسلام إذ أن الدولة فى حاجة ماسة للمال والخليفة لايقبل أحد يمس بيت ماله الخاص ولقد أخذ حريته فى الإنفاق فانفق فى أمد يسير ما فى خزانته ، هذه الطريقة لا تضمن استقرار الأمور ، لأن الجيش لا يؤمن جانبه إلا إذا دفعت رواتبه فى ميعادها ، بل قبل ميعادها فلجأ إلى اثنين من كبار الأثرياء اليهود ، طلب أن يسلفا الدولة الأموال التى ترغب فيها ومالهما مضمون مقابل دخل الدولة وأرباحها وضرائبها ولهما أرباح يحصلان عليها مقابل السلفة .

وكان هذان اليهوديان : يوسف بن فنحاس وهارون ابن عمران وذكرا كجهابذة وأصحاب بنوك وتجار ، وذكر كل منهما كجهبذ الأهواز ، وورد اسمهما فى عهد المقتدر باسم جهابذة الحضرة «مجلس الخليفة » (٣٢٤). وأمام الظرف السابق من تبذير الخليفة واحتياجات الجند ووزراء مرتشين فى غالبيتهم ، كان الاحتياج إليهم واضحا فأصبحت علاقتهم بالخلافة ووزرائها قوية ويرى ميتشل أنهما كونا شركة مالية تجارية ويعتقد أنها ضمت آخرين وبعد وفاتهم قام ورثتهما وأقاربهم بالحلول محلهم . ويرى أن وجود الشركة تضم أكثر من فرد لأن

المبالغ التى قاما بإقراضها الدولة كانت كبيرة لا يستطيع توفيرها شخص واحد ، ويضيف ملاحظة ساخرة أنه لو قارنها بما يحدث فى العصر الحديث فيكون أسم الشركة كما يلى يوسف وهارون المتحدة المكتب الرئيسى بغداد ، وفى وثيقة مؤرخة فى دمشق ١٣٠٠هـ/ ٩٢٢م ظهر اسم إبراهيم بن فنحاس بن يوسف بمثابة مشتر لإحدى الضياع ومن المرجح أنه أحد صيرفى العصر يوسف بن فنحاس (٣٢٥).

وفى التنوخى نشوار المحاضرة يذكر يوسف وفنحاس فى منصبهما كجهابذة فى عهد عبد الله بن يحيى بن خاقان ، ولكن هذا اسم وزير المتوكل ولقد ورد فى الفخرى باسم أبو على محمد بن عبيد الله بن يحيى بن حاقان .

وكانت العمليات التى يقوم بها اليهود تتعلق بالخزانة وإمدادها بالمال وتسجيل الدخل والصفقات ، وعن السبب فى اختيار غير المسلمين لهذه العمليات ، أولا لايمثلون قوة ضغط سياسى وليس لديهم تطلعات ، ثانيا : لا يهمهم إلا مصالحهم المالية ولديهم الثروة التى يحرصون عليها وأنهم يستطيعون الحفاظ عليها بالتعاون مع ذوى السلطة . وكان وزراء الخليفة يرغبون فى إيداع أموالهم عند مصرفى مضمون يستطيعون أن يعتمدوا على كتمانه لأمر صفقاته (٣٢٦) ، فكان لكل وزير فى عهد المقتدر حافظ وله صرافه ، وهم لا يحبون فى تسجيلها معلنة وخاصة أن عددا منهم اشتهر بقبول الرشى كابن خاقان وابن الفرات ، ولقد لقى عدد منهم مصرعه على يد الخليفة واستصفى أموالهم (٣٢٧). وكان الوزير ابن الفرات قد أودع مبالغ كبيرة من النقود عند تجار وصيارفة بدون أن يدع أى شخص يعرف ذلك وحصل الوزير على بن عيسى على قروض منهما مكثفة لتغطية نفقاته الشهرية ، ولقد عرض آشتور لأسماء الصيارفة فى البلاط يوسف فنحاس إبراهيم ٩٢٢م / ٣١٠هـ فى دمشق ، ثم هارون بن عمران ، ثم نطيره ثم إبراهام ، بشر ، إسحق سهل ثم موسى ٩٩٣م /٣٨٣هـ ، هارون ٩٩٣ ، نطيره ، ثم إبراهام (٩٦٢/ ٩٩٠م-٣٥١/ ٣٨٠هـ) ، ثم يوسف سهل يعقوب اسحق(٣٢٨) .

ومن المؤكد أن اليهود حصلوا على نسبة فائدة كبيرة فى مقابل هذه الخدمات ، ولقد اعترف ابن الفرات فى عام ٩١٨م /٣٠٦هـ بأنه أودع مع الصيرفين اليهوديين ٧٠٠,٠٠٠ دينار وموظف آخر أودع ١٠ آلاف دينار مع رجل مصرفى دون أن يدعه يكتب اسمه فى قوائمه . والوزير حامد بن العباس أودع مع الصراف إبراهيم بن يوحنا مبلغ ١٠٠,٠٠٠ دينار ذهبى .

وكان ابن شيراز له صيرفى يهودى هو على بن هارون بن علان ، كما أن أبا عبد الله البربرى صاحب خوزستان ، والأهواز ، كان له ثلاثة صيارفة اثنان منهما من اليهود والثالث مسيحى .

وفى نص من الجنيزة أن جلال الدين صاحب دار الطراز فى دمياط استلم قرض ٥٠ دينارا من بنك يهودى خلال عدة سنوات والسؤال هل اقترضه من أجل صناعة أو لحسابه الخاص(٣٢٩) .

وكان على هؤلاء أن يمدوا الدولة بما تحتاجه من المال عند الضرورة فمثلا على بن عيسى خفض من النفقات فى محاولة موازنة للدخل وكانت فترته فيها الكثير من المصادرات والمشاكل ، وكان اليهوديان المصرفيان يقومان بالإمداد بالمال اللازم ، ونجد أن الوزير ابن الفرات فى وزارته الأولى يطلب من الجهبذ اليهودى يوسف بن فنحاس والذى عين جهبذا للأهواز أن يقوم بدفع أجور موظفى الأهواز لمدة شهرين وأنه سيعطيه جباية ضرائب الأهواز ولكن يوسف لم يكن راغبا فى الإمداد بالقرض بعد إلحاح ابن الفرات على دفع شهر .

ونفس الأمر بالنسبة لعلى بن عيسى الذى أجبر اليهوديين على دفع قرض لمعادلة الخزانة وذكر لهما أنه سيرفع عنهما وعن ورثتهما أى عقاب ممكن أن ينزل بهما وأنه فى حاجة للمال لدفعه للجيش فهو يحتاج فى بداية كل شهر إلى ٣٠,٠٠٠ دينار ويجب أن تدفع خلال الست أيام الأولى للفرق المقاتلة(٣٣٠) .

وبما أنه لا يستطيع توفيرها خلال الأيام الأولى فعليهما دفع ١٥٠,٠٠٠ درهم أول كل شهر ويأخذونها خلال الشهر من أموال الأهواز الذين يعملون جهابذة بها ، ورغم كثرة تغيير الوزراء فلم يقوموا بعزل هذين الجهبذين ، ولقد قدم على بن عيسى لهما قدرة ١,٥ دانق فضة على كل دينار اقترضه منهم حيث كان قد اقترض منهم ١٠٠ ألف دينار وكان عليه أن يدفع شهريا لهما ٢٥٠٠ درهم فائدة ، ومتعهد ضرائب البصرة اليهودى ابن علان المعروف بثروته الضخمة قدم لنظام الملك قرضا قدره ١٠٠,٠٠٠ دينار ، كما أن ابن سعد ابن سمحا اليهودى قام لبعض الوقت بوظيفة الصيرفى لنظام الملك وأصبح مستشاره المالى . وكذلك قام الريس أبو طاهر ابن الأسبقى بنفس الدور لدى منافسة تاج الملك ولم يكن باستطاعة الوزراء وحكام المناطق تدبر الأمور بدون مثل هؤلاء الممولون لأنهم لجأوا إلى طلب مساعدتهم ، وهؤلاء المملوين يمثلون غالبا مجموعات الصيارفة والتجار الذين شاركوهم نشاطاتهم(٣٣١) ، كذلك قدمت حروب السلاجقة الأوائل لهؤلاء الممولين فرصة للثراء .

وكان وزير المالية اليهودى سعد الدولة فى أيام الإيلخان أرغون ١٢٨٤ / ١٢٩٠ ، وفى مصر كان يعقوب بن كلس الذى كان فى الأصل تاجرا يهوديا وكان فى البداية يعتبر كسمسار للتجار وبعض المصادر اعتبرته وكيلا للتجار . وذكر جوايتين عن أمر يتعلق بميراث يخص الجهبذ الكبير الذى يتصرف لصالحهم لدى الدولة والخطاب موجه إلى مجمع سهرجت فى الدلتا وأهمية منصبه أنه حمله لقب gizbar العبرى مثل الجهبذ ، وفى ميناء الفسطاط يدفع مكس صغير يسمى الجهبذ ، وكذلك فى مراكز بيع الكتان إذا اشترى شخص من الحكومة كتانا يدفع للجهبذ وأشير إلى جهبذ ديوان النفقات (٣٣٢).

وهناك إعلان عن شخص اسمه موسى ابن ياشو أنه خدم سيده أبو غالب العازر سيد النبلاء الجهبذ فى البيع والشراء وأخذ جميع حقوقه .

أما الأعمال المصرفية التى مارسها اليهود إلى جانب الإقراض المالى فقد تعاملوا فى الورق والذهب والفضة ، وأحيانا تستعمل العملة الذهبية والفضية كتجارة وهناك خطاب فى الجنيزة صاحبة " اشتريت دنانير ذهبية من دار تغيير العملة " .

وكان تعامل الصيارفة اليهود مع المسلمين واليهود على حد سواء فلم تكن هناك قواعد تمنع هذا وهناك شهادة لصراف تتعلق بمعاملات مالية بين صراف يهودى واثنين من المسلمين "منصور حضر ومعه اثنين من المسلمين وطلبا منه ثمن كمية من الكتان " .

وكانت النقود توضع فى أكياس وتختم ، وهناك نوعين من الحقائب واحدة تختمها الحكومة والأخرى من أجل تعامل الأفراد .

وفى وثيقة تعود لعام ١٠٨٦م/٤٧٩هـ من تونس أرسلت حقائب فضة مع تاجر فى ست سفن محلية، وكان يكتب عدد القطع ووصفا لها ، وأغلب الفضة جاءت من الغرب الإسلامى ، والعملة الفضية تستخدم فى البيع أكثر بالنسبة للطبقة الدنيا .(٣٣٣).

وكان من الممكن إيداع مبالغ لدى الصرافيين والاقتراض منهم ، وهناك عدد من الأسماء التى ترددت لصيارفة مثل أبو عامر الذى أودع عنده تاجر سكر ٧٠٠ درهما ، ونجد كذلك اسم الصراف الحلبى يتردد كثيرا ، وكانت مشاكل الديون المختلفة تعرض أمام المحاكم المسئولة سواء إسلامية أو يهودية ، وفى المعبد قام beadle الحزان الذى يعمل كصراف بعقد دين قيمته ٢٨ دينارا لابن تاجر يهودى كتبه كاتب مسلم .

ولقد ذكر الرحالة دافيد روبين David Reaben أن مسؤل سك النقود يهودى اسمه إبراهام دى كاسرو Abraham de Casro وكان هذا عند بداية العصر العثمانى . وعوبدايا الذى زار مصرفى عصر المماليك ذكر أن اليهود يقومون بأعمال صرافة(٣٣٤).

لم يعترض رجال الدين اليهود على عقد اتفاقيات الديون عن طريق وكلاء مسلمين ، وهناك صيارفة مسلمون يتعامل معهم اليهود ورد اسم شخص اسمه أبو المعالى ويذكر جوايتين ربما كان مسلما أو مسيحيا ، وكانت السفاتج والصكوك تستعمل فى المعاملات المالية وكانت تدفع غرامة إذا تأخرت مدة استلام صاحب القيمة لأمواله فمن الممكن أن يكتب سفتجة فى أى بلد وتحصل فى الفسطاط من الشخص المرسلة إليه أو من مدير أعماله على المال .

وكانت الودائع بعضها عليه ربح وعلى الصراف التأكد من حجم النقود وصحتها .

وبالنسبة للقروض تضمنت قروضا من ديانات مختلفة ، وكانت قروض بين مسلمين ويهود ومسيحين ، وبعضها يتعلق بحرف وتجارة أو قروض شخصية ، وكان الصرافون اليهود يتعاملون مع المسلمين فى قروض بضمان وغير ضمان ، تؤخذ عليها فائدة محدودة ، وهناك وثيقة إسلامية تتضمن قرضا تم تأكيده بالمحكمة اليهودية .

وهناك قروض بين مسلمين ويهود لإجراء أعمال صغيرة أو فتح متجر لمدة سنوات ، برغم اختلاف الأديان فقد كانت هناك مساعدات .

وهناك عقد قرض بين صانع مآزر مسلم وبين يهودى يبيع المآزر فى نفس الحرفة بمبلغ ١٨٠ درهم ، وكاتب العقد مسلم ، ويهودى يبيع الكعك أعاد إلى فران مسلم دين دفعه له الآخر ، وصانع زجاج مسلم تسلم من يهودى آخر اسمه الشطرنجى ما قيمته ٥ دينارات ؛ فهناك تعاملات فى قروض ومعاملات مصرفية فى إطار الحرفة ، ولقد زادت عقود القروض فى القرن الثانى عشر وكان السداد أحيانا على أعوام .

ولقد أرسلت أسئلة للأكاديمية عن مدى موافقة التعامل بالسفاتج والصكوك للتلمود ، وخاصة أنها أموال كان يرسلها أصحاب البنوك اليهود للأكاديمية العراقية فوجدوا أنه يمكن قبولها (٣٣٥).

ونجد أن السفاتج بين الدول تعتمد على مكانة التاجر وما لديه من سيولة مالية وبالنسبة للرحلات عبر البحار كانت هناك قروض ؛ فتاجر عاد من رحلة ويستعد لأخرى ، ذكر ثمن بضائع وذكر أن لديه ديونا لدى مسلمين ويهود .

أما بالنسبة لتعامل اليهود بالربا فلقد ظهر فى وثيقة فى بلبيس تعود لعام ١٢٣٦م فائدة ١٣٪ وكتبت أمام قاضى مسلم ولم يكن من الممكن الاعتراف بالفائدة فى الفترة السابقة .

وكانت تأخذ إجراءات قانونية ضد من لايقوم بالسداد فلقد دفع بائع مسلم كفالة لتاجر زيت يهودى ولم يدفعها طوال أربع سنوات فتسلم من المحكمة اليهودية تصريحا ببيع سوارين تركهما الدائن لديه ١١٤٥م/ ٢٨٧هـ .

وهناك مجال لم تتطرق إليه المصادر كثيرا عند الحديث على أنشطة اليهود ومدى مشاركتها فى الحياة الاقتصادية وورد فى وثائق الجنيزة وتناوله كل من جوايتين وأشار إليه فيشل وتدخل فى نطاق الأنشطة التجارية التى مارسها اليهود من الطبقة الموسرة ، وهى وكالات البريد الخاصة ، وهى وكالات خاصة تحمل بريد التجار والأفراد لقاء أجر خلال أقطار العالم الإسلامى ، ولقد ظهرت أسماء إسلامية كأصحاب وكالات وكذلك ظهرت وكالات يهودية وكان يستعمل لعامل البريد فى كل إفريقيا بما فيها مصر وكذلك فى أسبانيا اسم الفياج ، ويذكر جوايتين أن أصلها كلمة فارسية بايك Payk من كلمة باى أى القدم وعرفت بعد ذلك بالركاض وأصبحت خدمة البريد تعرف باسم فيج والكلمة العبرية المستعملة هى Ras الراكض (٣٣٦).

وأغلب أصحاب الوكالات من المسلمين ، وكذلك الفياج كانت غالبيتهم من المسلمين ، حيث ذكر ذلك أحد الفياج اليهود (٣٣٧). فلقد تضمن إيصال خطاب مرسل لنهارى بن نسيم فى الإسكندرية حمله فياج يهودى لعدم وجود أعداد كبيرة من اليهود فى هذا المجال . وكذلك ترد عبارة كتبى حامل الكتب والخطابات فشخص حمل خطاب بين مصر والشام ولقب بالكتبى فى خطابات ، وكانت هناك وكالات مشهورة حملت أسماء بعض الأسر مثل وكالة عمر بن يوسف وأولاده ، ووكالة طاهر بن الحسين وكانت الوكالة الأولى فى الشام والثانية فى مصر ، وهناك اسم الحسين بن صفارى ووكالة محمد بن طاهر ووكالة على بن أحمد وابنه أحمد وحسين، ونجا ابن الحسين الأنصارى وابنه الحسين فى القاهرة القديمة .

وكانت أجيال من تلك العائلات تتوارث أجيال منها هذه الشركات مثل عائلة الأنصارى التى امتد نشاطها من صور والقدس وعسقلان وتونس والقاهرة القديمة والفسطاط ، والعمل يتم بالمشاركة فالبعض مستقر فى مكان العمل يتم تجميع الخطابات ثم يوزعها وآخرون يقومون بالسفر .

ولقد اتخذ البريد الخاص طريقين ، البرى شتاءً والبحرى فى الصيف غالبا ، والطريق البرى اتبع نفس نظم البريد الحكومى بوجود محطات بريد لتغير البغال والخيل والجمال ولكن حامل الرسائل يظل نفس الشخص كما هو سواء كانت الرسالة من القيروان إلى القاهرة أو من المرية فى أسبانيا عبر شمال إفريقيا كلها إلى أن يصل إلى الأسكندرية ، وهناك خدمة من بغداد إلى القيروان وفى خطاب مرسل إلى ابن عوكل " فى أيامنا هذه وصلت العديد من الخطابات مع الفياج والمؤرخة بتاريخ يعود لعدة أشهر سابقة فى بغداد " (٣٣٨) ، وخلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر كانت هناك وكالة يهودية يقوم بأمرها إبراهام بن فرج الإسكندرانى .

ولقد أشار جوايتين إلى أربعة خطابات تخص يهودا عن طريق الفيج من تونس إلى مصر وسبعة من الإسكندرية للقاهرة ، وواحد من القاهرة إلى رامله وذكر أن هناك غيرهم كثيرون .

والطريق البحرى ، هناك طريق نهرى عبر النيل فى مصر وقنواته وكانت قوص المدينة الرئيسية فى مصر العليا ، وكانت ترسل الخدمة البريدية فى كل يوم اثنين . ويرجع جوايتين اختيار هذا اليوم فى قوص لوجود أعداد كبيرة من المسيحيين فيرسلون الخطابات بعد إجازاتهم.

وكانت الخدمة البحرية بمواعيد منظمة عبر البحر . وتخرج المراكب فى شهور الصيف من أبريل إلى سبتمبر وترسل عدة نسخ . ولقد ظلت تلك الخدمات تؤدى بصفة منتظمة فى القرون الحادى والثانى والثالث عشر ، وكما ذكرنا فإن الفياج كان ممكن أن يكون مسلما أو يهوديا فمراسلات اليهود فى نقلها لم تكن قاصرة على الفياج اليهود أو الوكالات اليهودية فأرسلت مع مسلمين وخاصة أن يوم السبت يقف عقبة فى طريق المراسلات البرية .

وكان اليهود يرسلون بريدهم مع عامل البريد المسلم أو اليهودى ولضمان سرية الخطابات كانوا يختمونها بختمهم وفى رد على أحد استفسارات موجهة للجاؤون يذكر أنه من الخطاب المختوم والدليل أنها نقلت عن طريق مسلمين أنها تحوى العنوان بالعبرى والعربى وأحيانا بالعربى فقط ، وكانت هناك حماية للركاض أو عمال البريد أو الفياج المسلمين لأن هناك مناطق فى الصحراء يتعرضون فيها للخطر .

وهناك خطاب من أحد القرائيين فى مصر فى منتصف القرن ١٢ طلب مساعدة لرئيسه داود ابن حسداى ، ذكر أن الأغيار سلموا هذا الخطاب إلى القرآئيين فى المغرب .

كذلك ذكر موسى بن صمويل بن حاى من فاس فى خطاب لابن عوكل فى الفسطاط أنه كتب أسئلة إلى هاى أرسلها عن طريق الأغيار فى القافلة لتصل إلى الرابى صمويل لأنه سبق القافلة بسبب يوم السبت(٣٣٩) . وهناك أسماء لفياج لا نستطيع أن نعرف إذا كانت ليهودى أو مسلم ، فلقد حمل بعض اليهود أسماء إسلامية وهناك إشارة لفياج اسمه موسى بن يوسف الأحمر الركاض . وهناك عمل آخر للفياج بالنسبة للخطابات بعد إيصالها إلى أصحابها وبعض خطابات اليهود تكون مكتوبة بالعبرية وكان هناك عدد من الأفراد الذين لا يجيدون القراءة ولا الكتابة فامرأة من القيروان ذكرت فى خطاب أرسل إلى أخيها الذى كان فى رحلة عمل فى مصر أن الخطاب الذى أرسله إلى أسرته جعلت الفياج يقرأه لها .

ولقد أشار آشتور أن هناك فياج وظيفته نقل المواعظ والأوراق الدينية جاء من الفسطاط وسلم عددا من الخطابات للتجار فى القيروان وسجلماسة وكان فى حقيبته خطابات من رجال فى قرطبة ، وأن الخطابات ملفوفة فى نسيج (٣٤٠). تحوى الجنيزة أعدادا كبيرة من الخطابات حملها فياج سواء على مستوى كبار التجار كابن عوكل ونسيم أو أفراد من اليهود العادين وكانت تلك الوكالات يشترط فيها السرية التامة وكان لديهم كتبة مؤتمنين بعض الرسائل الواردة من آسيا لا تحمل على وجهها اسم الشخص إلا أنها مع شخص معروف وثقة سواء كان مسلما أو يهوديا ، وكان اسم الوكالة تكتب غالبا على الغلاف بطريقة مختصرة .

وكانت تحصل الوكالة على مبالغ عن النقل وفقا للمسافة فالخطاب من المهدية إلى الإسكندرية إلى القاهرة عليه درهم ومن تونس إلى الإسكندرية مع مجموعه خطابات مربوطة فى ربطة ٠,٥ قطعة فضية ، و ٠,٥ درهم عن خطاب من أورشليم إلى راملة (٣٤١).

الواضح أن أغلب رسائل اليهود أرسلت عن طريق الوكالات الإسلامية كوكالة طاهر بن الحسين أو عمر بن يوسف وغالبيتها عن طريق فياج مسلمين ، وخاصة أن الطريق البرى كما سبق الذكر كان يُطبق عليه أحكام السبت والتى تصبح عقبة فى طريق الفياج اليهودى الذى يصحب القافلة وعليه أن يتركها ولا يسافر بخصوص أحكام السبت .

ولم ترد فى المصادر الإسلامية إشارة إلى الفياج ولا إلى تلك الوكالات البريدية الخاصة .

الطبقة المتوسطة والصغرى من تجار اليهود :

بالإضافة إلى الطبقة العليا التى شملت عددا من كبار التجار ووكلاء التجار فى عدد من الموانى الهامة ثم كبار الصيارفة وأصحاب البنوك ، وكما ذكرت فهؤلاء كانوا يمثلون شريحة

من مجتمع المال فى العصور الوسطى وليس الشريحة الرئيسة التى تسيطر على الاقتصاد الإسلامى وإلا ما كان تجاهل المصادر الإسلامية لهذا النشاط وتنقل إلى الشريحة الوسطى من التجار وصغارهم وهؤلاء كانوا أكثر عدداً من الشريحة الأولى ولكن لا يمثل إلا قطاع محدد من أعداد السكان .

وهذه الشريحة تشمل تجارا يعملون فى تجارة متوسطة الربح وبعضهم شارك تجار مسلمين فى تجارة وبعضهم ارتحل فى سبيل رزقه مع القوافل الإسلامية وبعضهم أوكل للمسلمين نقل بضائعه فهناك أحكام يوم السبت التى تواجه اليهودى فى السفر .

ونلاحظ أن هؤلاء انقسموا إلى نوعيات عدة فهناك تاجر التجزئة الذى اعتاد بيع بضاعة فى المدن الصغرى والقرى والانتقال من مكان لآخر للترويج لبضاعته ولم يتعرضوا لأى مخاطر أو سوء معاملة ومن تلك التى وجد بها تجار يهود صغار من اليهود فى مصر منية زفتى ورشيد ودمياط ودمسيس .

وهناك التاجر الذى كان حرفى وتاجر فى نفس الوقت ، أى يصنع ويبيع فى نفس الوقت كبائعى الزيت والأجبان ، والعسل الذى كانت مصانع السكر تبيعه (٣٤٢).

ولقد تعددت الأسواق ، فهناك سويقة والسوق والقيسرية وجميعها جرت فيها معاملات تجارية وكان لكل حرفة مكان خاص بتجارتها ، ولقد ذكر المقريزى فى خططه العديد من الأسواق الخاصة بالتجارة فى مصر ، فهناك سوق الشماعين وسوق الدجاجين وسوق السلاح وسوق القفيصات وسوق العنبر وسوق الصيارف والنقليين ، والجوخيين ، الحلاويين.. إلخ . وكانت بعض الأسواق كسوق بين القصرين فى الدولة لفاطمية براحًا واسعًا يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس وراجل (٣٤٣)؛ وكان في الفسطاط مكان يسمى منزل الخل يملكه اليهود والبائع يسمى خلال ، ولقد وجدت أعداد من اليهود فى الأسواق المختلفة ، وكان فى العادة حجم تجارتهم محدود ، ففى عقد يعود لعام ١١٠٤م/٤٩٨هـ من الجنيزة عن متجر تجزئة أو قطاعى ، وكان رأسمال التجارة ٩ دنانير قدمها أحد الشريكين وقدم شريكه بضائع تقابلها شملت جرار زيت وعصير ليمون وأرطال رصاص بلغت مجموعها ٩ دنانير فحجم التجارة لا يتجاوز ثمانية عشر ديناراً (٣٤٤).

وبالنسبة لتجارة السكر فهناك مصانع السكر وتجارها عادة هم أصحاب مصانعها ، فمطبخ الأمير نور الدين سكنه بعض اليهود السكريين وممكن أن يكونوا من الصناع والتجار فى نفس

الوقت كمطبخ إبراهيم بن المتسنقص اليهودى فى سوق المعاريج (٣٤٥). وهناك إعلان من بائع سكر مات فى اليوم التالى لهذا الإعلان سجل فيه أنه تسلم سكر ثمنه ٦ دنانير من تاجر سكر يلقبه بالشيخ .

وكان كبار التجار يسمون صغار التجار بالشحاذين ، وفى رسالة لتاجر " لا تشترى من التنساوى عائلة معروفة لأنه ليس لديك المقدرة لكى تساومهم ، اشترى من الشحاذين " ، وكان لبعض الكبار التجار مندوبين من صغار التجار ، فابن عوكل كان له مندوبين(٣٤٦) من صغار التجار . وكانت هناك هجرة مستمرة من الريف إلى المدينة وبعضهم حمل أسماء مدن صغرى ، وبعض التجار حملوا أسماء الأقطار التى أتوا منها مثل السكندرى والعسقلانى والقدسى .

وعدد من التجار اعتادوا السعى وراء أرزاقهم فى البلدان الخارجية فيصحبوا القوافل عبر طرق التجارة من مصر والشام ، ومصر والمغرب وعبر البحار إلى أسبانيا أو طرق تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندى ، ولكن كان حجم بضاعتهم محدودا ، وكانت هناك فئات أخرى تضاف على فئة التجار وهم السماسرة والدلالين الذين يقومون بالوساطة التجارية بين البائعين والمشترين فى الأسواق .

ويذكر الرابى بتاحيا فى رحلة ١١٧٠ - ١١٧٣/ ٥٦٦ - ٥٦٩هـ أن الإسماعيلية (يقصد المسلمين) فى بغداد محل ثقة ، فمن الممكن أن يترك الفرد حاجياته وتجارته فى منزل ويذهب ويقرض بضاعته فى الأسواق ، فإذا كان الثمن مناسبا بيعت وإلا تعرض على كل السماسرة وإذا خاف عليها من التلف بيعت وهذا منتهى الأمانة (٣٤٧).

امتداد التأثير الإسلامى إلى تلك المجتمعات :

لقد تأثر اليهود بالعادات والسلوكيات والفكر والثقافة الإسلامية ، اتضح هذا فى العديد من المظاهر السلوكية والحضارية.

التأثيرات فى الجانب السياسى :

أخذ اليهودي بعض عاداتهم فى السلوك السياسى من المسلمين ودخلت بعض المصطلحات العربية الواردة فى وثائق الجنيزا مثل العصبية، الحزبية، التحزب ، فذكر مارك كوهين أنهم أخذوا عن المسلمين بعض العادات السياسية فإذا حدث نزاع على الزعامة فى الطائفة فهذا

يؤدى إلى سخط الجماهير وينعكس فى مقاطعة الذهاب إلى الكنيس واستخدموا التعبير العربى " لزموا بيوتهم " ، ويرى أنه متأثر بالعادة الإسلامية فى مقاطعة صلاة الجمعة فى المسجد كظاهرة للتعبير عن موقف ضد الحكومة .

وكانوا يقلدون المسلمين فى التعبير فعقب الصلاة وفى خطبة الجمعة والذى يتضمن الدعاء للخليفة والحاكم فكان اليهود فى كنيسهم يرفعون صلاة الولاء لزعيمهم الدينى أى رئيس معهد الشام أو العراق .

كذلك كان لليهود بعض المظاهر السياسية على نحو ماكان فى البيئة الإسلامية ، فكان لدى اليهود الظاهرة المسماة بالجيوريم أى الفتيان وعلى غرار الأحداث فى المدن الشامية ، كان الجوريم اليهود يسمون فى الجنيزة الصبيان والشباب ، ويمثلون طبقة من الناس ظهروا فى أوقات الأزمات ، خاصة ليثيروا الفتن وتمردوا على الزعامة ، ولم يكن يشترط سنا فبعضهم كان طاعن فى السن ولكن كان إشارة لوضع سياسى .

بالإضافة إلى توليهم الوزارة فى مصر والأندلس والأمور المالية والإدارية فى أقطار إسلامية ترك بصماته فى فكرهم وفى إدارة الطائفة .

المجتمع والعادات والتقاليد :

عاش اليهود فى المجتمعات الإسلامية كجزء من تلك المجتمعات فمارسوا أعمالهم ومهنهم وعاشوا حياتهم فى أحيائهم وأحياء إسلامية ، والسؤال الذى يطرح نفسه إلى أى مدى شاركوا الأديان الأخرى التى ساكنوها فى حياتهم اليومية؟ وهل تأثروا بالعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع فى الملبس والمأكل وتقاليد الزواج واللغة والثقافة ؟ وهل احتفظوا بخصوصيتهم أم ظلوا كجزيرة معزولة ورفضوا أى تأثير خارجى .

والسؤال نجد إجابته فى المصادر الإسلامية وأوراق الجنيزة ، فنجدهم اتخذوا أسماء وكنى إسلامية عربية حتى لايمكن تمييز أصحابها فى عدد من الوثائق عن المسلمين وربما فعلوا ذلك فى محاولة للانتماء لهذا المجتمع وعدم العيش ككيان منفصل فتشبهوا بالمسلمين فى حياتهم وسعوا لارتداء نفس الملابس فيما عدا الفترات التى طبق عليهم لبس الغيار وهى قليلة .

فهناك نساء يهوديات ارتدين الخمار تشبهًا بالمسلمات ، وعدد كبير من قوائم المهور تضمنت استعمال خُمر وأنواعها ، وتأثروا بالصيغ الإسلامية فى كتابة عقود الزواج وأخذوا

عن المسلمين عددا من العادات والسلوكيات فى الطعام والتعامل اليومى واتبعوا النموذج الصوفى وقلدوا المتصوفة المسلمين ، فهى محاولة للتقرب والاندماج فى المجتمع لا الانعزال .

وحمل اليهود أسماء وكنى إسلامية عربية فمن تلك الأسماء التى وردت فى الجنيزة أبو الخير ، أبو السرور ، أبو سعد بن السكرى ، أبو منظور ، أبو العلا ، أبو الحسن ، أبو الحسينى ، أبو الحسين عبد الكريم ، ويوسف بن موسى عرف بابن الريس ، وأبو الوليد يونس، أبو السرور اليمانى الأندلسى - عماد الدولة ، وأبو عمران ، أبو بشير ، الشيخ أبو الحسن صادق[٣٤٨]. وفى وثائق الجنيزة نجد أسماء أبو الفرج ، وأبو سعيد أبو العلا ، ورشيد الدين مختار - أبو ناصر - ابن الكرمانى الخلال ، محى بن أبى الحسن بن أبى ناصر ، عبد الواحد، زين الدين عبد الكافى ، بن علم الدين سليمان بن سعد الدين الصائغ [٣٤٩] ، وابنه اسمه أبو الفرج وخليفه وعبد الرحمن بن إبراهيم - عبد الكريم ، عبد اللطيف إبراهيم - مكرم - عبد الغفار عبد الدايم ، عبد العظيم ، سليمان بن عبد العزيز ، فتح الدين صدقى ؛ وفى المغرب حملوا أسماء عربية نهايتها حرف النون لتلائم لهجة المغرب مثل برهون وبيضون ، حيون ، خلفون ، فضلون[٣٥٠] ، سحنون ؛ كذلك حمل بعض اليهود اسمين عبرى واسم عربى ، فابن عوكل وأبناؤه حملوا أسماء عربية إلى جانب العبرية . فإبراهام أو إبرام اسمه إبراهيم وإيزاك . اسحق وموشى موسى ودافيد داود ، وباشر سهل بل بعضها تغير تغيرا أساسيا بين الاسمين العبرى والعربى يافث بن دافيد تحول إلى حسن بن داود ، ويذكر جوايتين أن بعض الأسماء لا نستطيع التمييز فى بعض الوثائق الخاصة بالتجارة بين عدن والهند إذ كان صاحب الإسم مسلما أم يهوديا فلقد حملوا فى تلك الوثائق أسماء مثل عبد العزيز وعبد الغفار[٣٥١]. أما الأسماء التى لم يحملها اليهود فهى محمد ، أحمد ، أبو بكر ، عمر ، عثمان ، معاوية .

كذلك فإن النساء حملن أسماء إسلامية مثل حسناء ، ست النظار ، ست الدار ، خاص ترك، ظريفة ، خاتون ، شقراء ، ست النهار ، ست الأهل ، ست البيت ، ثروة ، ست الخواص ، ست السادات ، ست الريسا ، وفى وثيقة خاصة بمنشأة خيرية يهودية ، تضمنت أسماء نساء يهوديات ست الأهل ، ستيتة ، وفى وثائق أخرى وردت أسماء جوار يهوديات حملن أسماء قمر ، نعيم ، صيد ، نوبية ، نجاح ، وفى وثيقة ترجع ١١٠٠م/٤٩٤هـ ورد اسم جارية اسمها مسك وأخرى اسمها فرح أحضرت كجارية لزوجة نهارى بن نسيم وجارية اسمها بارعة وأخرى حملت اسم غريب وهو زرنيخ وفتاة هندية اسمها غزال وبيعت جارية اسمها طاووس مع ابن لها

اسمه مبارك ، وجارية أخرى وولدها أسمه سعادة كانا جزء من بائنة عروس يهودية ، وهناك أسماء عطر وذهب وصافى وإخلاص وزهور وسلاف وعود الزان (٣٥٢).

أما الأسماء التى لم تحملها نساء اليهود فهى خديجة وعائشة وفاطمة .

الطعام :

لم يكن هناك حظر من الجانب الإسلامى على تناول الطعام مع غير المسلمين ، بل إن الرسول تقبل شاة من يهودية وإن اتضح أنها كانت مسمومة ، وقال تعالى { طعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم } سورة المائدة(٣٥٣) .

وقال الترمذى ، سألت أبا عبد الله عن ذبائح أهل الكتاب فقال لابأس فيها " ، وهناك إشارة إلى سفارة من يهود الجزيرة حضرت لزيارة الخليفة معاوية ٦٦٠ - ٦٨٠هـ / ٢٦١-١٢٨١م وسألوه هل مازال يستمتع بأكل الهريس " طعام من اللحم والدهن والدقيق " الذى اعتاد الخليفة أن يأكلها فى الجزيرة فترة ما قبل الإسلام وكان يعدها اليهود ، وكانت العصيدة من الأطباق المفضلة لديهم وهى مصنوعة من العسل المخلوط بالدقيق الأبيض والعسل وهى أكلة شائعة أيضًا بين المسلمين .

ورغم التحريمات التى تضعها العقيدة اليهودية ورجال الدين على تناول الطعام على أيدى الأغيار من غير اليهود ، فاليهود كان لديهم جزار يسمى شوحيط للذبح ، فتنص تعاليمهم على الذبح بالطريقة الشرعية فلا يجوز أكل طعام قام بطهيه جوى أو غريب حتى لو قام بطهوه وفقًا للقوانين والشريعة اليهودية ، فالشريعة اليهودية وضعت قوانين خاصة بالطعام الكاشروت ويتناول نظام الأكل وطريقة إعداده وطريقة الذبح وهى قوانين مصدرها التوراة وهناك أنواع من الطعام محرمة على اليهودى كالخنزير والجمال والبغال والحمير وأنواع السمك الأملس كالأخطبوط ويحرم الجمع بين اللحم واللبن .. إلخ ، ولقد هاجم اليهود الإصلاحيون قوانين الطعام لأنها تعطل اندماجهم وذكروا أنها ذات طابع عشائرى (٣٥٤).

ولم يتقيد غالبية يهود العصور الوسطى الإسلامية بهذه النصوص رغم حث رجال الدين لهم فتناولوا طعامًا من أيدى غير يهودية أثناء سير القوافل تبادلوا مع المسلمين طعامهم وإحدى الوثائق احتج رجل دين يهودى علي أكل اليهود اللحم من أيدى المسلمين وفى المقابل فكان أحد الطلبة الدارسين للعلوم الدينية من المسلمين قد اعترض على تناول المسلمين للكعك من أيدى اليهود حيث كان اليهود يضخون السمسم من أفواههم أثناء صناعته ومن الواضح أن الاعتراض يوضح إن هذا الأمر كان شائعًا .

ولقد اشتغل اليهود بصناعة الحلوى وبيعها ، واشتهرت أكلات فى أشبيلية والأندلس فى عصر بنى عباد وكان لليهود لون خاص بهم يسمى حجلة يهودية ، ونوع آخر يسمى فروج يهودى ، ويبدو أن أكلات عديدة انتقلت إلى أشبيلية عن طريق غير المسلمين واليهود خاصة ، الذين كانوا قنوات اتصال بين أشبيلية والعديد من البلدان فعلى سبيل المثال انتقل إلى أشبيلية من مصر أكلة « الفروج مصرى » وأخذوا من أسبانيا المسيحية أكلات « الحوت المروح »(٣٥٥).

وقد انتقل بالمثل إلى المطبخ الغربى المسيحى فى شمال أسبانيا العديد من الأكلات عن طريقهم ، لقد اشتهر اليهود ببيع الفقاع فى المهدية ، وألف اسحق الإسرائيلى كتابًا عن الأطعمة وفوائدها للصحة .

ويذكر عوبديا الحاج والرحالة اليهودي الذى زار مصر فى نهاية العصر المماليكى أن اليهود أخذوا العادات العربية فى الطعام ، فلقد دعاه المترجم اليهودى يوم السبت إلى العشاء فذكر أن جميع بلاد فارس التى يعيش فيها اليهود يجلسون فى حلقة على السجادة ويفرشون ملاءة على الأرض وتوضع جميع فاكهة الموسم على المفرش تشبهًا بالمسلمين (٣٥٦)، كذلك أشار مشلوم وهو رحالة آخر زار مصر فى نفس الفترة إلا أن المسلمين واليهود يأكلون من طبق واحد ويقصد أن جميع العائلة تأكل من نفس طبق الطعام فلا يتناول الفرد طعامه فى طبق خاص به ويذكر أن اليهود مثل المسلمين فى جميع أمورهم فليس لديهم سرير أو مائدة أو كرسى أو لمبة ولكنهم يأكلون ويشربون وينامون على الأرض وكل أعمالهم وهم جالسون على الأرض(٣٥٧) .

والتعميم هنا غير صحيح ولعله كان يقصد الطبقة الدنيا الفقيرة فالطبقة الوسطى والعليا من المسلمين لها تقاليدها وعاداتها فى الطعام وسلوكياتهم وتفننوا فى صناعة أدوات المائدة وتزيينها ومازالت الآثار الموجودة من أوانى وأدوات فى المتاحف تشهد بذلك وفى أوراق الجنيزة عدد من الوثائق يشير إلى استعمال الطبقة الوسطى والعليا من اليهود لأدوات مائدة وإلى صناعاتها كذلك وردت إشارات إلى أنواع متعددة من الأطعمة من الكعك والجبن والأطعمة كالدبس بزغلى مع اللحم والشواء ، والكمونى والزلبانى .. إلخ .

ولقد اعتاد اليهود فى بعض مدن المغرب توزيع الفطير على جيرانهم المسلمين فى عيد الفطير اليهودى .

وكان يهود أسبانيا يغسلون أيديهم قبل الطعام تشبهًا بالمسلمين وفى الأسر الغنية يقوم الخدم بسكب الماء [٣٥٨]. وكان المسلمون يوزعون الصدقات من الطعام على اليهود عند مزار الخليل إبراهيم .

الملابس :

حاول اليهود التشبه بالمسلمين فى ملابسهم أيضًا فلم يكن هناك تمييز فى الملبس إلا فى الفترات التى طبق فيها الغيار وهى فترات محدودة لها أسبابها . ولقد أعطى الرسول بردة لكعب بن زهير الشاعر تنوعت الملابس التى ارتداها اليهود واختلفت وفقًا لطبقتهم الاجتماعية ، وكانت كل طبقة حريصة على تقليد المسلمين فى لباسهم .

أما الطبقة العليا من اليهود يمثلها من يعملون بخدمة الحكام ووصل بعضهم إلى درجة الوزارة كالتسترى التاجر والسياسى ابن النغزيلة فى أسبانيا أو كبار التجار كابن عوكل وتهارى ومضمون أو أطباء الحكام فى قصور خلفاء وسلاطين مصر والمغرب وأسبانيا ومن أشهرهم موسى بن ميمون أو رؤساء الطائفة فلقد قلدوا عليه القوم من المسلمين فى ملابسهم .

واعتاد الخلفاء سواء الأمويين أو العباسيون أو الفاطميون على منح كسوات الثياب لحواشيهم ومن يلوذ بهم من صغير أو كبير .

ولقد حرص الخلفاء الفاطميون الأوائل منذ عهد المعز على إيجاد دار للكسوة أو خزانة الكسوة وكان عملها إعداد الملابس للخليفة ، وذكر المقريزى عمل المعز لدين الله داراً سماها "دار الكسوة" وكان يفصل فيها جميع أنواع الثياب والبر ويكسو بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لأولادهم ونسائهم نصيب .

وكذلك أكد أنه لجميع خدمهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم نصيب فهناك كسوات الصيف والشتاء من العمامة إلى السراويل وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس [٣٥٩].

وكانت الخلع وفقًا لمرتبة الشخص ، وكان يخلع على أكابر الأمراء الأطواق والأسورة والسيوف المحلاة ، وكان يخلع على الوزير عوضًا عن الطوق عقد جوهر ، وكان من وزراء الفاطميين وأطبائهم وكبار رجالهم يهود كالتسترى وابن منشا وغيرهم .

وتكرر نفس الأمر فى أسبانيا فابن النغريلة وغيره من كبار الصيارفة والأطباء ورجال الدين ارتدوا الثياب االفاخرة والموشاة بل وخلعوا على أتباعهم [٣٦٠]. فيعقوب بن كلس وزير

الفاطميين الشهير والذى أسلم لقب بالوزير الآجل فى عهد العزيز ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م . كتب اسمه على الطرز ، وفى وثائق الجنيزة إشارة إلى أثواب التشريف التى منحت لأحدهم من نفس الطرز التى تعطى للطبقة البرجوازية فى القرن ١٢م . وبنيامين التطيلى أثناء رحلته ووجوده فى بغداد تحدث عن رأس الجالوت اليهودى " يكون الرئيس ممتطيًا صهوة جواد وعليه حلة من حرير مقصب وعلى رأسه عمامة كبيرة تتدلى منها قطعة قماش مربوطة بسلسلة منقوش عليها شعار الخليفة (٣٦١).

وإحدى الوثائق تضمنت أن أحد التجار اليهود فى الهند أحضر لابنه ثيابا من الدمستق مطرزة وعمائم مشغولة عليها اسم ابنه بالتطريز (٣٦٢).

والقوائم والتى تضمنها عقود الزواج تحتوى على نوعيات من ثياب وأثاث توضح مدى ما تمتع به اليهود من حرية ، فلقد تنوعت ثيابهم وكان منها المطرز والموشى باللؤلؤ وخيوط الذهب وتزينوا بالذهب والعنبر واللؤلؤ والأحجار الكريمة ، وارتدت نساؤهم الخمار فى محاولة لتقليد المرأة المسلمة فنجد فى الجنيزة أسماء لأغطية رأس كالتالى : الخمار ، منديل بخنق ، عصبة ، ملاية ، خرقة ، مقنعة ، مخلف ، برقع .

وكانت الملابس الغالية لها قيمتها بما تحويه من وشى وتطريز ، وبعض قطع الثياب ذات النوعية المتفردة تظل لها قيمتها عبر الفترات الزمنية وكانت تتوارثها العائلات ، والطبقة اليهودية البرجوازية مثل مثيلتها المسلمة لديها ملابس قيمة يتوارثها الأبناء من الآباء وتحفظ فى صوان خاص وتمثل الملابس فى قوائم المهور من ٥/٢ إلى نصف الجهاز ، كذلك تعكس الوضع الاجتماعى لفئات اليهود المختلفة وكيف أن الطبقات الدنيا تمتعت هى الأخرى بحرية فى الملبس وتملكت أثاثًا لا يختلف عن مثيلتها الإسلامية . وهناك ملاحظات . عامة من واقع تلك القوائم :

أولا : تردد فى أغلبها ذكر أغطية للرأس والوجه ولقد زين بعضها باللؤلؤ والذهب وبعضها وصف بالمغربى وبعضها كان الخمار من نفس نوع الثوب فى وثيقة تعود لعام ١١٠٥م/٤٩٩هـ ، ورد ذكر غطاء وجه مصنوع من اللؤلؤ الملون (٣٦٣). وعقد يعود لعام ١٣٢٨م / ٧٢٩هـ لعروس من اليهود القرائيين(٣٦٤) ، وذكر أكثر من خمار مع ثياب وفى عقد زواج حفيدة التاجر المشهور اللبيدى تضمن جهازها خمارا مغربيا ونفس الوثيقة ورد لفظ نقاب وهو من اللؤلؤ وفى وثيقة أخرى ورد ذكر غطاء بخيوط ذهبية وأغطية رأس سوداء .

ثانيًا : تضمنت القوائم ذكر لحلى وكل ما كانت العروس تنتمى إلى طبقة اجتماعية مرتفعة ارتفع معها مقدار حلى العروس ونوعيتها .

وكانت أكثر الحلى من الذهب واللؤلؤ والذى طعمت به أغلب المصنوعات الذهبية والعنبر الميمونى ، وكان العنبر من الأحجار النصف كريمة التى كان عليها إقبال كبير فى مصر ، ولقد ذكر العنبر الميمونى فى أغلب وثائق الزواج ، ويذكر المقريزى لا يوجد بأرض مصر امرأة وإن سفلت إلا ولها قلادة من عنبر ، وكان يتخذ منها المخاد والكلل والستور (٣٦٥). فذكرت فى وثيقة تعود لعام ١١٥٦م/٥٥١هـ قلادة من العنبر الميمونى مشغولة بالذهب . ونفس الأمر تكرر فى وثائق ١١٤٠ ، ١١٤٦م / ٥٣٥ ، ٥٤١هـ ، ولقد ورد ذكر أساور ولقد وردت بأسم أسورة العربى ، ومشابك ذهبية وقلائد مطعمة باللؤلؤ وأقراط متنوعة الصياغة والطرز .

ولقد ذكر المقريزى أسواقا فى القاهرة عرضت فيها حلى النساء فسوق يسمى الفقيصات " فحوت أقفاص من حديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلاخيلهم (٣٦٦).

ولقد استعملت بعض نساء اليهود الأغنياء عصابة الأكمام الطويلة للثياب سميت بالكتفية تكرر ذكرها فى الوثائق وصنفت فى جهاز عروس بأن بها إحدى عشرة قطعة ذهب وعشرين قطعة عنبر ، وكانت هناك ياقات من اللؤلؤ بل شغلت صدرية كاملة من اللؤلؤ .

ثالثًا : تشابهت الملابس مع ملابس المسلمات وتفننوا فيها فنجد ذكر لملابس من الديبق والكتان والقطن وأحزمة وأغطية رأس وكانت هناك أسواق للحرير فى كل مدينة ولقد ذكر المقريزى عدة أسواق للبزازين وخط يسمى خط الديباج وكانت تقام فى بعض حارات اليهود سوق للحرير كما فى أسبانيا كذلك ورد ذكر ملابس مستوردة من العراق وصقلية ومرجان وبلاد الروم فى وثيقة زواج عروس يهودية مصرية كانت طرز الثياب منوعة وفقًا للبلد الذى صنعت فيه ، فهناك العراقى والمغربى واليمن .

أما نوعيات الملابس التى ارتديتها اليهوديات فهى منوعة كما ذكرنا وتشبه ما ارتدته النساء المسلمات ، ولقد ورد أسماء أردية مثل الجاكنية ، ويذكر جوايتين أنه لفظ فارسى ربما جاء من لعبة الكرة بالصلجوان « البولو » وهو ذو أكمام قصيرة وتكرر ذكره فى القوائم وكان منه ألوان الخوضى والأحمر والمنقوش والمخاط بخيوط ذهبية .

والملحفة ويستعمل كمعطف ، والمئزر كان من الملابس الداخلية وكان عبارة عن سروال يصل إلى الركبتين ، وكان يباع بستة دراهم مؤيدية فى عهد المماليك ، والبعُلِق وهو معطف

عسكرى يعود لعصر المماليك ذو أكمام قصيرة طور وأصبحت النساء يرتدينه ، ويذكر دوزى أنه يكتب بغلطاق . وكان يزين بالجواهر وكان شائع الاستعمال ، وأشارة أيام الناصر محمد(٣٦٧) إلى ثوب يسمى المختومة به رسوم بخيوط ذهبية وبعضها يحمل شعارات قليل منها أو فيما ندر حمل شعار يهوديا كنجمة داود ، وهناك ملابس مزينة بزينة تسمى الحمالى وهى زينة من العصر الفاطمى على شكل قلادة من الزهور أو نقود صغيرة .

بل أن الوسائد فى بعض العقود صنعت من الديبق والحرير ومفارش للأسرة منسوجة ومزخرفة وأغطية من البروكار وبعضها مستورد من رومية ، ونجد ذكراً لمناشف وأسرة وأرائك بعضها مستورد من الخارج فهناك أسرة مصنوعة من البوكار الرومى وتتكون من ست قطع وأرائك طبرية من طبرستان تتكون من خمس قطع بالإضافة إلي الشمعدانات وخزانات الملابس وبعضها زين باللؤلؤ والعاج وخصص بعضها لملابس النساء الداخلية بالإضافة إلى أحواض استحمام (٣٦٨).

واستعمل يهود الشمال الإفريقى عمامة سوداء ولبس رجال الدين ملابسا قريبة من لبس البربر البرنس الذى تفتح أكمامه من عند الكوع حتى المعصم (٣٦٩)، كذلك لبس رجال الدين اليهود المآزر وطلب شاب من المتدينين فى خطاب لأبيه أن يشترى له إيزاراً حلبيًا للصلاة ، وكان هناك غطاء للرأس يسمى الشاشية يلبسونه عند الصلاة أرسل شخص يطلب شاشية كركوية بخيوط ذهبية وطلب أن تكتب اسمه عليها ، ولقد ذكر عليها أرنولد فون هارف(٣٧٠) الذى زار مصر ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م أن الملابس التى يرتديها الرجال وأورد رسما لملابس يهودى ومسيحى ومسلم لا تختلف كثيرا فهى عباءة واسعة تغطى الجسم كله ذات أكمام واسعة ، وكان القضاة والفقهاء المسلمون يرتدون الطيلسان ، ولقد كتب السيوطى كتابًا بعنوان " الأحاديث الحسان فى فضل الطيلسان فقلدهم رجال الدين اليهود وطلبة المدارس الجاؤنية فى بغداد وأسبانيا فارتدوا الطيلسان والشال ، ولقد أورد الونشيرسى شكوى وصلت لبحر ابن عمر صاحب سوق القيروان ٢٩٩هـ / ٩٠١م تشير إلى أن أهل الذمة فى القيروان تشبهوا بالمسلمين فى الملبس (٣٧١).

وإذا كان هناك اهتمام بالملابس ، فقد امتد الاهتمام حتى إلى النعال والأخفاف وتزيينها وذكر المقريزى سوقًا فى القاهرة يسمى سوق الأخفاف "ويباع فيه الآن خفاف النسوان ونعالهن". (٣٧٢)، ويقال للخف سرموزة وهو اسم فارسى ، ولقد ذكرن فى قوائم عقود الزواج أنواعا عديدة من الأخفاف وطرزها .

ولقد تأثروا بالجو المحيط بهم فتأثروا بالتمائم والتعاويذ التى كان يستعملها المسلمون فاستخدموا كف اليد " كف فاطمة " للوقاية من الحسد وزينوا به ملابسهم واستعملوه كحلية .

وقلدوا المسلمين فى استعمال الحمامات كما فى المغرب ، ومصر ، أما بالنسبة للقيود على الملابس فسأعرض لها فى الجزء الثانى فلقد طبق الغيار فترات محدودة ، ولكن من قوائم عقود الزواج اليهودية المختلفة وما تضمنه العقد من مصوغات وأحجار كريمة يمثل بعضها ثروة لا بأس بها ومن نوعيات الملابس المطرزة بالذهب والأحجار الكريمة بل صنعوا الوسائد وفرش السرير والمائدة من الحرير المطرز يتضح أنهم لم يكونوا تحت قيد إسلامى وإذا راجعنا تاريخ تلك القوائم نجدها تعود لفترات زمنية مختلفة أى أن التسامح لم يكن قاصراً على فترة بعينها .

ويذكر المستشرق أرنولد فى " كتابه تاريخ الحضارة الإسلامية" ما نصه : " إن صح ما نسب إلى عمر بن الخطاب لم يكن يطلب إلى أهل الذمة تنفيذ الشروط حرفيًا كارتدائهم ثوبًا مميزاً طبقًا لما ورد فيما نسب إلى عهد عمر فكان عماله النصارى يلبسون ثيابًا كثياب عظماء المسلمين"(٣٧٣) ، ولقد ذكرها هارشبرج أن اليهود أنفسهم كانوا حريصين على لبس الغيار وأن اليهود فى عام ١٢٢١م / ٦١٨هـ طلبوا من محمد الناصر بن يعقوب السماح لهم وبناء على طلبهم لبس أردية صفر وعمامة من نفس اللون ليبدوا مميزين(٣٧٤) .

تقاليد الزواج :

تأثرت عقود الزواج اليهودية بما كان سائداً فى المجتمع الإسلامى فنجد اختلافًا بين تلك النماذج وما كان في الغرب الأوربى بل كان هناك تعدد زوجات نجده بالنسبة للشرق ولم يكن مألوفًا فى الغرب الأوربى ، وبدت تأثيرات إسلامية واضحة فى الشروط ومقدم ومؤخر الصداق وقوائم الممتلكات ، ولقد حاول الحاخام جرشوم بن يهوذا فى أواخر القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى منع ظاهرة تعدد الزوجات ولكن استمر القرائيين بتأثير إسلامى واضح فى التعددية وإن اشترطوا العدل كالمسلمين ، وكان عقد الزواج عند اليهود يسمى كتوبة ، وكان يتم في حضور شاهدين شرعيين ويقدم لها خاتم ويحرر العقد وتعقد بعده صلاة البركة ، والمهر فى الشريعة اليهودية التلمودية لازم للزواج وانعقاده وجزء معجل وجزء مؤجل كما في الشريعة الإسلامية ويشار فى العقد إلى أنها تسلمت الجزء المعجل والمؤجل فى حالة الطلاق أو الوفاة يدفعه هو أو ورثته ، فهناك شرائع خاصة من التقدمة وكتابة العقد وصلاة البركة(٣٧٥) .

ولو قارنا عقد زواج إسلامى وما تضمنه من بنود وحقوق للزوجة وشروط باستقلاليتها المالية وموقفها من اتخاذ زوجة أخرى نجد أن العقود اليهودية قلدت بنوده وهو ما لم يكن مألوفًا من قبل بالنسبة للنساء اليهوديات ولموقف التوراة من المرأة فعقد زواج إسلامى يعود لعام ٢٩٧هـ / ٨٩٢م تضمن ما يلى " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أصدق يعقوب بن إسحق بن يحيى النساج الساكن مدينة أشمون هند بنت اسحق بن سرى عندما خطبها إلى نفسها وهى يومئذ امرأة أيم بكر بالغ بعد أن فوضت أمرها إلى ...... وتوكيلها إياه فى إنكاحها من يعقوب بن اسحق بن يحيى بالصداق العاجل والآجل لها عليه ، وعجل لها من ذلك قبل إصابته بها ودخوله عليها دينارين نقداً حالا معجلا هنيدة بنت اسحق بن سرى بعد أن خطبها خمسة سنين متواليات أولهن جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين مايتين ، وشرط اسحق بن سرى شروطًا أوجبها على نفسه بعد عقده نكاحها ، ... أو ذمية فأمرها بيد امرأته هنيدة بنت اسحق تطلقها عليه ماشاءت من الطلاق جايز عليه ولازم له كل جارية يتخذها عليها ... يكون معها بيد امرأته هنيدة إن شاءت عتقت ، وإن شاءت بيعت فعتقها وبيعها جايز ولازم له ولا يمنعها من أهلها ولا يمنع أهلها منها ... اسحق بن سرى بأمرها ورضائها بعد أن أشهدت له شهوداً بتوكيلها أياه وعليه .

أن يبق الله وحده لاشريك له ويحسن صحبتها وعشرتها ولايضار بها ويفعل ما أمره الله وسنه محمد صلى الله عليه وسلم من الإحسان بالمعروف أو التسريح بمعروف (٣٧٦). هذا النص لعقد زواج إسلامى « مجموعة جروهمان» تضمن ذكر اسم الزوج وذكر خطبته للمرأة وأنها بكر وذكر وكيلها والمهر والمقدم والمؤخر منه وتضمنت الشروط التى وضعتها الزوجة عدم الزواج بأخرى إلا بموافقتها وإن أمر التسرى بالجوارى يكون أمره بيدها ولايمنع أهلها وعليه أن يحسن معاشرتها ونجد أن عقود الزواج اليهودية قلدت الصيغ والشروط وهو يختلف عما كان قبل الإسلام وعلى عقود زواج اليهود فى الأقطار غير الإسلامية ، ففى عقد زواج يهودى عقد فى فلسطين يعود لعام ١٠٢٨ وصاحبه يهودى من جماعة القرائيين مؤرخ فى اليوم السادس والعشرين من يناير .

" جاء حزقيا ووقع وثيقة الزواج أمام الشيوخ وكتب أنه يقر ويعلن أنه وافق بكامل إرادته وبلا أى ضغط ، أنه يقر باتخاذ سروة الفتاة البكر زوجة وهى ابنة صادق بن جرار وأنه أمر بهبة الزفاف فى حضور الكاهن أو رجل الله كما سماه - وتضمن ما يلى :

١ - أولا : أنه عليه إطعامها وكسوتها بالملابس سواء للمنزل أو خارجه وأن يمدها بكل ما تريد فى حدود إمكاناته ، وأنه سيعاملها بصدق ومودة وحب ، وأنه لن يسىء إليها سيمنحها الطعام والملابس والعلاقة الزوجية كما يفعل أى رجل يهودى .

وبالنسبة للصداق سيمنحها ٥٠ قطعة فضة بالإضافة إلى ٤٠ قطعة ذهبية خالصة الوزن وأنه فعلا سلمها كمقدم للزواج أو مهرها قطعا ذهبية وسيعطيها ٥٠ فضة أثناء الاحتفال أما الخمسة وثلاثين الأخرى تعتبر دينا عليه والمقصود فى حالة الطلاق تسلم طوال حياته وبعد مماته، فى حالة موته تأخذ الزوجة مؤخر الصداق من تركته أو ورثته .

وكان العقد فى حضور سروة وأعلنت رضاها عن زواجها منه وأقسمت أن ترعاه وتخاف الله فى معاملته وأن تدبر منزله ووكلت سروة عنها أحد معارفها وهو جوزيف بن إبراهم الكاهن وكان هذا في حضور اثنين من الشهود وشهد على العقد عشرة أفراد (٣٧٧).

وفى عقد آخر يعود لعام ١١٤٦م / ٥٤١هـ والفتاة أبوها تاجر من الهند وهى حفيدة التاجر الشهير يوسف اللبدى ، وكانت تمتلك نصيبًا فى منزل فى الفسطاط وممتلكات أخرى تضمنتها قائمة عقد الزواج التى كان يذكر فيها ممتلكات العروس والملابس والحلى والأثاث الذى تحمله لبيت زوجها وكان اسمها ست الخاصة بنت بركة اللبيدى وزوجها أبو منصور بدأت الوثيقة بذكر التاريخ وهو يعادل ١١ نوفمبر ١١٤٦م/٥٤١هـ فى الفساط عقده الناجيد وذكر فى العقد أن الفتاة البكر ابنة بركات وأنه سيمنحها ٤٠ دينار معجلة ١٠٠ مؤجلة وتسلمها وكيلها وإن الزفاف سيكون فى العام التالى (٣٧٨).

وأنه سيتكفل بها ولن يسألها شيئًا فيما يتعلق بالطعام والشرب والمقصود إن إدارة المنزل لها . وأنه لن يتزوج امرأة أخرى ، وهذا يثير تساؤلا هل كان اليهود يتزوجون بأكثر من امرأة ، ولقد أورد دل ديورنت أن العقيدة اليهودية سمحت باتخاذ أكثر من زوجة فى حدود معينة مثل عقم الزوجة أو كان فى سعة من الرزق ويعدل بينهما وإذا كان بعيداً عن زوجته وإن هذا متبع فى البلاد الإسلامية والأندلس فقط لا الغرب " (٣٧٩).

وأن لايتخذ خادمة تكرهها وإن مرجع أمر الخادمة إليها وإلا ينفك عرى الزواج ، وفى حالة عدم إنجاب أولاد نصف المهر يذهب لأهلها ، وأن لها اختيار ومكان الإقامة وإن إيجار أملاكها تنفقه كما تشاء وليس له حق التدخل ،، وإن لم يتزوجها فى الموعد المحدد يدفع لها عشرين ديناراً ، وكان ذلك فى حضور شاهدين .

فلو راجعنا نصوص عقد الزواج السابق لوجدناه متشابها مع العقد الإسلامى فى شروطه وحقوق المرأة ، ولقد تعارض مع آراء حكماء التلمود كما ورد فى فتاوى الرابى دافيد خاصة فيما يتعلق بتكفل الزوج بجميع أعباء النفقة المالية واستعادة ما ادخلته من جوار وأثاث فى حالة الطلاق ، وكانت عقود الزواج ترفق بقائمة تتضمن الحلى والملابس والأثاث ، وكانت جميعها تقدر ماليًا وتكتب قيمة كل شيء بالعملة والدنانير ويوقع عليها العريس كما يحدث الآن فى بعض مناطق مصر .

ولقد حاولت النساء اليهوديات تقليد المسلمات كما ذكرنا فى طرز الملابس والأثاث ولكن كان هذا يتوقف على المستوى الاجتماعى للزوجين فالطبقة الثرية كانت قوائمها تتضمن الحلى والأحجار كريمة والملابس المحلية والمستوردة والحرير .

ولقد ذكر ابن الأخوة فى كتابه معالم القربة أن نساء أهل الذمة لم يكن يستطيع تمييزهن عن المسلمات إذا خرجن فلا توجد اختلافات فى الزى والمظهر " إذا خرجن من دورهن ومشين فى الطرقات لم يعرفن ، وكذلك فى الحمامات ، وربما جلست الذمية فى أعلى مكان من الحمام ... على حين تجلس المسلمة دونها ، ويخرجن إلى الأسواق ويجلسن عند التجار فيكرمونهن بما يشهدونه من حسن زيهن فلا يدرون أنهن أهل ذمة .

ولقد حرص اليهود على التشبه بالمسلمين فى ارتداء الملابس البيضاء فى الأعياد .

التأثيرات فى الجوانب الثقافية :

ذكر الشيخ مصطفى عبد الرزاق فى كلمة ألقاها فى احتفالية خاصة بموسى بن ميمون الفيلسوف الطبيب اليهودى فى دار الأوبرا أول أبريل ١٩٣٥م ما نصه " أبو عمران موسى بن ميمون فيلسوف من فلاسفة الإسلام فإن المشتغلين فى ظل الإسلام بذلك اللون الخاص من ألوان البحث النظرى مسلمين وغير مسلمين يسمون منذ أزمان فلاسفة الإسلام وتسمى فلسفتهم إسلامية بمعنى أنها نبتت فى بلاد الإسلام وفى ظل دولة تميزت ببعض الخصائص من غير نظر إلى دين أصحابها ولا جنسهم ولا لغتهم ، ويقول الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل " المتأخرون من فلاسفة الإسلام مثل يعقوب بن إسحاق الكندى و،حنين بن اسحق .. إلخ ، وإذا كان حنين بن اسحق المسيحى من فلاسفة الإسلام فإنه لا وجه للتفرقة بينه وبين موسى بن ميمون الإسرائيلى (٣٨١).

وابن ميمون من فلاسفة العرب على رأى من يسمى الفلسفة الإسلامية فلسفة عربية نسبة إلى العرب بمعنى اصطلاحى يشمل جميع الأمم والشعوب الساكنين فى الممالك الإسلامية المستخدمين فلسفة العربية فى أكثر تآليفهم العلمية ، ولغة كتب العلم وهذا هو الرأى الذى اختاره الأستاذ كارلونا فى محاضراته فى علم الفلك والتاريخ عند العرب فى القرون الوسطى، فابن ميمون من فلاسفة العرب وهو من فلاسفة الإسلام هذا التقييم للشيخ مصطفى عبد الرزاق. ونفس الرأى كرره حسين آتاى محقق كتاب دلالات الحائرين ، فذكر أنه لم يحظ عالم يهودى بما حظى به موسى بن ميمون من المؤرخين والعلماء المسلمين من الكتابة عنه قديمًا أو حديثًا ، وأورد ما نصه " نحن نشارك الشيخ مصطفى عبد الرزاق رأيه وكما يعتبر الفلاسفة اليهود المشاركين فى الفلسفة الغربية فى بلاد الغرب فلاسفة غربيين فإن الفلاسفة اليهود والنصارى الذين شاركوا فى الفلسفة الإسلامية وعاشوا فى العالم الإسلامى آنذاك يعتبرون فلاسفة إسلاميين .

وعلى ذلك فالفلاسفة أمثال موسى بن ميمون يعتبرون فلاسفة إسلاميين من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع لأنه نشأ فى ذلك المناخ الفكرى وساهم فيه وأضاف إليه بقدر ما أخذ وقولنا إنه فيلسوف إسلامى لا يعنى أننا نرمى إلى القول بأنه مسلم آمن بالإسلام دينًا ، بل هو فيلسوف إسلامى بالمعنى الثقافى والحضارى فحسب " وأضاف أن الدارس للثقافة الإسلامية حين يقرأ كتابه دلالة الحائرين يرى موسى بن ميمون حتى فى مناقشته لنصوص التوراة إنما تصدر عن فكر وثقافة إسلامية أنه عندما ينتقد المتكلمين المسلمين يكون نقده لهم بأسلوب خال من الشدة التى ينتقد بها المتكلمون المسلمون بعضهم بعضًا ، وأنه ينتقد بنى دينه بشكل أشد ، وأن ابن ميمون يدافع عن اليهودية بالأسلوب الذى جاءت به الفلسفة الإسلامية (٣٨٢).

النصوص السابقة توضح مدى السماحة التى تمتع بها اليهود ، فالشيخ مصطفى عبد الرزاق العالم وأستاذ الفلسفة الإسلامية فى كلية دار العلوم التى أقامت احتفالية ابن ميمون ، وساهم فيها إسرائيل ولفنسون الذى عمل بكلية دار العلوم ، وحصل على الدكتوراة على يد عميد الأدب العربى طه حسين ثم رحل عام ١٩٤٨ وحمل اسم بن زيفى وهاجر إلى إسرائيل ، وما سبق يوضح التسامح فى الجانب الإسلامى والتطرف فى اليهودى ، فموسى بن ميمون الذى ذكر الدكتور آتاى أنه انتقد الفلاسفة المسلمين بصورة ليس فيها شدة الفلاسفة المسلمين

مع بعضهم البعض له رسالة ذكرها إسرائيل ولفنسون وهى رسالة إلى اليمن وذكر أن نسختها العربية فقدت ووجد أصلها العبرى ، وطبع بثلاث لغات فى مجلد واحد فى نيويورك ١٩٥١م وجدت نسخة عربية وترجمت بالعبرية والإنجليزية والتى قام شتيلمان فى كتابه : Stillman The Jews of the Arab Lands A History and Source book ، وقام بإيراد نصها تتضمن قدحًا فى الدين الإسلامى والمسيحى والنبوات ، وذمًا فى المسيح والنبى محمد وسيتم عرض الموضع تفصيلا فى الجزء الثانى من الكتاب (٣٨٣). المهم فى الأمر أن موسى تمتع برعاية الأيوبيين وكان يقيم كما ذكر فى مقر السلطان صلاح الدين الأيوبى نصف النهار لأنه كان طبيبًا لابنه وطبيبًا للقصر وتمتع برعاية الأيوبيين وجعلوه نجيداً لليهود ، فكأن موسى كان يعيش بشخصيتين ظاهرها طبيب السلطة وفى داخله يهودى متعصب ، وكما ذكر فإن بيته فى فترة المساء كان مفتوحًا للمسلمين . والاستشارات الطبية ونصف يومه الأول فى مقر السلطنة، التقييم الإنسانى له يؤكد الازدواجية الموجودة فى الشخصية اليهودية وخاصة رجال الدين اليهود من حيث الاستفادة والخضوع للسلطة الموجودة ثم الشعور بالاضطهاد والكراهية للآخر مهما كان موقف الآخر .

ولكن إذا تركنا هذا جانبا ونظرنا إلى تأثيرات الفكر الإسلامى فى الفلاسفة والأدباء اليهود ، فنجدهم قد تأثروا فعلا بالثقافة الإسلامية والفكر الفلسفى الإسلامى الذى بلغ مرحلة كبيرة من النضج وخاصة فى أسبانيا بل إن التصوف اليهودي تأثر بالتصوف الإسلامى .

ولقد تلقى موسى بن ميمون العلم على يد فلاسفة من العلماء المسلمين مثل أبى بكر بن الصائغ وابن الأفلح وابن رشد وذكر أنه تلقى العلم على يد العالمين الأولين ولكنه لا يذكر ابن رشد من شيوخه إلا أنه يقول فى رسالة كتبها عام ١١٩١م/٥٨٧هـ أنه حصل على كل مؤلفات ابن رشد ماعدا كتابه الحس والمحسوس . ولقد رجع إلى ابن رشد أثناء تصحيحاته العربية لكتابه دلالة الحائرين وتنقسم مؤلفاته إلى ثلاثة أقسام مؤلفات خاصة بالشريعة اليهودية ، ثم مؤلفاته الفلسفية وأخيراً مؤلفاته الطبية (٣٨٤).

فما ذكره الشيخ مصطفى عبد الرزاق بتأثر موسى بن ميمون اليهودى بالفكر الإسلامى نجده يعكس صورة حقيقية لفكر العصور الوسطى فلقد تأثر اليهود فى المجتمعات الإسلامية التى عاشوا فيها وبالجو العلمى الزاهر تأثرت لغتهم بالعربية فكتبوا باللغة العربية أدبًا وشعراً تأثروا بالأوزان ، والنماذج الشعرية تأثروا بالفسلفة ، والطب والعلم فى مصر والمغرب والشام

وأسبانيا خاصة فقد كانت قرطبة مزدانة بالعلماء والفلاسفة المسلمين وشارك أعداد من اليهود في هذه الحضارة الزاهرة وكانت جموع منهم تتلقى العلم فى المعاهد الإسلامية .

وذكر جدع جلادى أنه فى العصر الأموى قد بدأ الاهتمام بترجمة العلوم اليونانية والسريانية للعربية ومن بين المترجمين كان يهودى يعيش فى البصرة فى عهد عمر بن عبد العزيز يدعى ماسر جويه ترجم كتبًا سريانية فى الطب إلى العربية (٣٨٥).

وفى القرن الحادى عشر قام نعيم بن يعقوب بن شعيب بجمع الحكايات العربية اليهودية وكتب هذه الحكايات باللغة العربية العامية وبحروف عبرية ، وكان منهج التعليم اليهودى فى القرن الثانى عشر يشمل دراسة أرسطو وابن رشد ولم يكن جميع يهود الإسلام مثقفين يجيدون اللغة العربية الفصحى لذلك ترجم علماؤهم الكتاب لمقدس وكتبهم المقدسة الأخرى إلى اللغة العربية ، وكتبوا تفسيراً للكتاب المقدس باللغة العربية العامية ، وعندما أصبح الشرح قديمًا كتبوا شرحًا جديداً عصريًا ، وهكذا أصبحت هذه الأعمال مصدراً مهمًا لدراسة اللغة العربية والعامية للطلبة اليهود منذ الفتوحات الإسلامية (٣٨٦).

وفى القرن الثالث عشر قامت طائفة كبيرة من علماء يهود الإسلام والأندلسيين ولاسيما فى منطقة بروفانس بجنوب فرنسا بترجمة الفلسفة والعلوم الإسلامية حتى اللغة العربية إلى اللغة العبرية وإلى اللاتينية وقامت بذلك عائلات بيتون .

يذكر دان كوهين إن اليهود اعتنقوا العربية كلغة لهم وأصبحوا على صلة بالفكر الإسلامى والنشاط الأدبى (٣٨٧).

نفس الأمر ذكره دافيد فاسرشتين Davide, j ; Wassiertein فى مقاله الصفوة اليهودية فى الأندلس بالنسبة للنشاط الفكرى "نادراً ما حدث تمييز بين اليهود والمسلمين بل العكس صلتهم بالمسلمين ملحوظة ومنتجة خاصة فى الأندلس" (٣٨٨). ومن أشهر الأسماء التى تأثرت بالأدب العربى فى الأندلس يهودا هليفى أو " أبو الحسن اللاوى " ألف شعراً بالعربية وكتب أفضل كتبه الفلسفية بها وإبراهيم بن حسداى درس اللغة العربية دراسة متعمقة شملت المفردات والقواعد والبديع ، واستمتع بعيون الكتب العربية وقام بترجمة عدة كتب للغة العربية واسحق الإسرائيلى وكتابه أمثال العرب المجموعة استمد مادته من كتب الأدب العربى والفلسفة اليهودية لم تقم إلا بتأثير الفلسفة الإسلامية وتأثير رسائل إخوان الصفا .

وبالنسبة لوجود معجم للشخصيات اليهودية التى ساهمت فى النشاط الأدبى فى شبه الجزيرة الأيبرية فى الفترة من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر ، فيذكر شتيرن أنه لاتوجد دوائر معارف أو قواميس وإنما يوجد كتابان كتاب ابن داود سفر القبالة ، وموسى بن العازر وكتابه المحاضرة ويحتوى على مجموعة من السير الذاتية على طريقة قواميس المسلمين لكنها تعتبر محدودة الأهمية لأن المعلومات الواردة بسيطة وإذا قارنا . هذا التسامح الإسلامى تجاه اليهود والمسيحيين لو قارناه بما قام به الأسبان سنجد الفرق شاسعًا لما تعرض له المسلمون على يد الأسبان وفقًا للوثيقة الأندلسية عن سقوط غرناطة ،إجبار المسلمين على اعتناق المسيحية وما حدث للموريسكيون وما تم من حرق كتبهم ومصاحفهم وإلقائها فى النار وأمرهم سب نبيهم وكل من رفض يعاقبوه بنهش لحمه وسجنه وممارسة معهم صنوف الإذلال معه (٣٨٩).

اللغة :

استخدم أغلب اليهود فى الأقطار الإسلامية اللغة العربية فى مؤلفاتهم وعدد كبير منهم كتب بالعبرية استعمل حروفا عربية كما فى مراسلات ابن عوكل والكتبة اليهود كانوا يجيدون الكتابة بالعربية والعبرية .

وكان اليهود يؤثرون الكتابة باللغة العربية لأنها كانت تسغفهم كوعاء حضارى ونهلوا من المصطلحات الإسلامية فى الفقه فكانت لهم فتاوى كفتاوى المسلمين وصاغوها صياغتهم ، وكانت لمشرعيهم اجتهادات ، وقامت لهم فرقة تدعو إلى الاتباع ولكن لم يستطيعوا أن يكون لهم علومهم كعلوم التوحيد والفقه والحديث والقرآن .

ولقد أصبحت اللغة العربية لغة اليهود على عكس اللاتينية فى أوربا ، وكان اليهود يستخدمون اللغة العربية فى كل أمورهم وأغراضهم الدينية والدنيوية فيما عدا استثناء واحد وهو الصلاة فى المعبد .

وفى وثائق الجنيزة ظهرت المصطلحات العربية ، أما عن الموقف من اللغة العبرية فقد كانت إحدى اللغات السامية من المجموعة الكنعانية ، وكان يتحدث بها الكنعانيون ثم اتخذها العبرانيون بعد استقرارهم فى فلسطين أو أرض كنعان ، وسميت بالعبرية فى وقت متأخر وكان يشار إليها باصطلاح يهوديت (الملوك الثانى ١٨/٦) وأول النصوص المعروفة بها تعود إلى ١٢٠٠ ق.م.

ولقد ظل العبرانيون يستخدمونها فى الأسر البابلى ٨٥٦ ق.م. ، ثم حلت الآرامية محلها، وظلت العبرية فى دائرة محدودة من الحاخامات ، وفى القرن الثالث ق.م. نسيها كثيرون من يهود الأسكندرية واستعملوا اليونانية ، وقصر استخدامها على الصلوات اليهودية وعلى الكتابات الدينية مثل المنشا ، ولكن الجمارة والزوهار كتبت بالآرامية أساسًا(٣٩٠).

أى أن العبرانية استخدمت فى فلسطين فى فترة تاريخية صغيرة ومحدودة وفى الفترة الإسلامية بل إن فى الجزيرة العربية فى فترة قبل الإسلام وفى عهد الرسول كان االيهود ويتكلمون ويكتبون الشعر بالعربية مثل كعب الأحبار وسارة القريظية (٣٩١).

واستخدم اليهود فى مؤلفاتهم العربية والأبجدية العبرية بلغة عربية ، أما لغة التأليف فكان أمرها مختلفا فيهود الأندلس كانوا يستخدمون العربية فى مؤلفاتهم الفلسفية والأدبية والدينية وتحولت العبرية إلى لغة تمرينات أدبية ، وكانوا يستخدمون رطانة من اللغة الأم تدخلها مصطلحات عبرية ، فيهود الأندلس يستخدمون لهجة دينية يهودية ويهود أسبانيا يتحدثون اللادينو .

وجزالة ألفاظ اللغة العربية ودقة معانيها ، وجدت التعبير الصادق لها فى المقامات التى بلغت ذروتها فى الجمال والروعة فى إنتاج الهمذانى والحريرى اللذين عاشا فى القرن الحادى عشر والثانى عشر فكان لإنتاجهما من الكتابة المزخرفة ، والعبارات المسجوعة واللفظ المنمق نصيب كبير فى تحبيب هذه اللغة وفى الاهتمام بدراستها ، وأول من قلد المقامة العربية كان يهوديا فى القرن الثانى عشر يدعى شلومو بن صفيل ، ولقد كان ابن صفيل أول من أدخلها للأدب العبرى ، وكذلك المقامات العربية التى كتبها الهمذانى والحريرى تلك المقامات التى تحوى كلٍ منها على قصة تشترك فيها شخصيتان هما الراوى وهو المؤلف والبطل عادة شخص مثقف جم المواهب كثير الحيل ويجتمع الراوى بالبطل فى كل مقامة والأخيلة التى وردت فى مقامته أخيلة عربية عن شاب يدعى شيرين يهودا فى قصر الحريم(٣٩٢).

حتى رجال الدين عددا كبيرا منهم كتبوا كتبا دينية باللغة العربية ثم ترجمت للعبرية ، ولقد وجدوا أن من المفيد جداً أن يشرح بعض الكلمات الصعبة التى وردت فى كتاباته عن الدين اليهودي لاسيما الأسماء المعنونة باللغة العربية ، ومن هؤلاء إسحق الفاسى الذى ولد فى قلعة حماد فى الجزائر ١١٠٩م / ٥٠٣ هـ ، ويطلق عليه أحيانًا اسم القلعى ، انتقل إلى أسبانيا ثم لوسنيا ، وكانت ترسل إليه أسئلة أدبية جميعها باللغة العربية حول مواضيع دينية

يهودية ، ولقد بلغت هذه الأسئلة والأجوبة من الكثرة بحيث جمعت فى كتاب خاص ولم يكن فى الإمكان ترجمتها إلى اللغة العبرية لكثرتها ، ترجم ٣٠٠ سؤال فقط للعبرية و٢٠٠ سؤال ظلت بلغتها العربية فى كتابه " أجوبة التوابع " وطريقته فى استنباط الأحكام هى شبيهة بطريقة علماء المسلمين فى استنباط أحكامهم من القرآن والسنة (٣٩٣).

ولقد ذكر سلطان اليوزبكى أن بعض اليهود اتقن اللغة العربية وآدابها واهتم بقواعد النحو، منهم هرون بن موسى يهودى بصرى أسلم واشتغل بالأدب وضبط النحو ولكنه لم يؤلف فيه . وظهر بعض الشعراء اليهود الذين كتبوا قصائدهم بالعربية ومنهم من كتب فى فقه اللغة العربية وفى الآداب القديمة وأشهرهم أبو عبيدة الشاعر المتوفى ٢٠٩هـ / ٨٢٤م اليهودى الفارسى وله كتاب المثالب (٣٩٤).

ومن المؤكد أن ابن عوكل وحسداى بن شبروط وموسى بن ميمون وغيرهم من اليهود كانوا يتكلمون العربية وإلا كيف كانوا يتعاملون مع زبائنهم فى البلاط الفاطمى والأيوبى أو الأموى فى أسبانيا حيث كان زبائنهم ، غالبيتهم من العرب والمسلمين ، أو مع مرضاهم بالنسبة لمن كان يمارس الطب ، وموسى بن ميمون معظم مؤلفاته بالعربية ، ولقد أصبحت اللغة العربية هى لغة التجارة والخبرة ، وترتب على قصر اللغة العبرية واستخدامها فى الصلوات أن أصبحت تسمى اللغة المقدسة .

الأدب والشعر :

بدأ التأثير واضحًا فى مجالات الأدب والشعر وكانت الأندلس على التحديد أحد المراكز العلمية الهامة فى ظل الخلافة الأموية وفى عهد ملوك الطوائف فيهودا الحريزى (١١٧٠ - ١٢٣٥م / ٥٦٦ - ٦٣٣هـ) يقول " أن بنى شعبنا بعد جلائهم عن أرض كنعان ، قد قطن الكثير منهم مع بنى العرب فى أوطانهم وألفوا التحدث بلغتهم والتفكير بتفكيرهم ، وبامتزاجهم بهم تعلموا منهم صناعة الشعر ، بل إن احتكاك اليهود بالثقافة العربية تغيرت نظرة اليهود إلى العهد القديم على أنه إنتاج أدبى رفيع (٣٩٥).

كذلك زاد الاهتمام بالآداب والعلوم العربية ، ولقد شهدت بلاد الأندلس أيام حكم الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر وخليفة الحكم الثانى وعهد حكمها الذهبى نهضة ثقافية شاملة وازدهرت قرطبة عاصمة الخلافة ازدهاراً عظيمًا وأصبحت أهم المراكز الثقافية العربية الإسلامية

ولقد لقى اليهود فى فترة الخلافة الأموية الأندلسية تسامحًا من العرب ووصلوا فى ظل الخلافة إلى ذروة النفوذ والرخاء حتى تولى أحدهم وهو حسداى بن شبروط الإشراف على الشئون الخارجية والخزانة العامة للخلافة الأموية .

ولدينا أسماء هامة عملت بمجال الأدب مثل مناحم بن ساروق الشاعر سكرتير حسداى بن شبروط الشاعر وعالم اللغة ودوناش بن لبراط Labrat منافس مناحم ، وقد قلدوا أوزان الشعر العربى وأصبحت مغناة فى الشعر الأسبانى حتى من كتب بالعبرية منهم ، كتبوا فى نفس الموضوعات من الغزل بالمذكر فلقد ظهر الشواذ فى المجتمع اليهودى (٣٩٦).

وكان من أشهر الأسماء يهودا هاليفى والذى عرف بأبى الحسن اللاوى فقد اعتاد اليهود اتخاذ أسماء إسلامية وعربية ، فصمويل هانجيد لقب نفسه أبا إسماعيل وابن غبيرول لقب نفسه أبا أيوب ، وبالنسبة ليهودا هاليفى أو أبو الحسن اللاوى ١٠٧٥م / ٤٦٨هـ فإنه كان يجيد العربية ونظم باللغة العربية وألف أفضل كتبه الفلسفية بها وله مؤلفات فى علم العروض فى اللغة العربية (٣٩٧).

ولقد ورد فى العديد من المؤلفات الأدبية الأندلسية ذكر لشعراء اليهود فالمقرى فى كتابه نفخ الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ذكر شعراء من يهود الأندلس نظموا شعرهم باللغة العربية فأجادوا صناعة الشعر وسموا بمعناه وذكر المقرى على سبيل المثال الشاعر اليهودى الإشبيلى نسيم الذى اشتهر بأشعاره الرقيقة .

وإبراهيم بن سهل من يهود أسبانيا المستعربين ١٢١٢م / ٦٠٩هـ نشأ فى إشبيلية زمن الموحدين وكانت الخلافة قد أذنت شمسها بالمغيب بعد أن هزمت القوات الأسبانية جيوشها فى موقعة العقاب ولم يتبق لها بعد موت الخليفة المأمون إلا أشبيلية وكان محمد بن هود قد استولى عليها ، ومع ذلك لم يتمكن من رد منافسه سلطان بن الأحمر فى أرجونة وجيان ، ولقد نشأ ابن سهل فى هذا الجو الملىء بالتقلبات السياسية ، ولقد قرأ إبراهيم بن سهل العربية على ابن على الشلوبين وأبى الحسن الدباج وهما من علماء إشبيلية الأعلام وخالط المسلمين فى دروسه ومطالعاته حتى اتقن اللغة وآدابها ونظم الشعر وعدد من شعراء الأندلس ، وكان إبراهيم بن سهل متعصبا للأندلسية العربية يؤيد أن تبقى الأندلس فى حكم المسلمين على أن يستعيدها الأسبان وحينما اتحدت مملكة لاون وقشتالة وهاجمتا أشبيلية وضربا عليها الحصار

مدة حتى استوليا عليها نظم ابن سهل قصيدة حث فيها أمراء العرب ليبادروا إلى إنقاذها قبل أن تسقط بأيدى العدو :

يا معشر العرب الذين توارثوا — شيم الحمية كابراً عن كابر
إن الإله قد اشترى أرواحكم — بيعوا ، ويهبكم ثواب المشترى
أنتم أحق بنصر دين نبيكم — وبكم تمهد فى قديم الأعصر

وفر إبراهيم بن سهل من أشبيلية بعد استيلاء الأسبان عليها ولابن سهل موشحات مشهورة ذكرها صاحب الوفيات ، ويعتبر ابن سهل من أكبر وشاحى أشبيلية وشعرائها(٣٩٨)، وهو فى شعره يؤثر الصنعة ويكثر من البديع شأنه شأن غيره من شعراء الأندلس ، كذلك من الشخصيات التى تأثرت بمجتمعها العربى الإسلامى ونعمت بتسامحه وتأقلمت مع ظروفه وعاشت كجزء منه فى ظل دولة إسلامية واعية لم تفرق وتضطهد الأديان بل سمحت بالحياة فى مجتمعها وكجزء منه فتعلموا لغتها وأدبها وأجادوه ، وهناك شخصية أخري مثل إسماعيل بن النغريلة أو صموئيل هاليفى بن يوسف هانجيد ولد ٩٩٣م/٣٨٣هـ ، وكان له تأثيره فى الحياة السياسية والاجتماعية فى الأندلس ، درس الأدب العربى وأصبح يتقن الكتابة المنمقة باللغة العربية ، وهاجر من غرناطة واستقر فى ملقا ، وكان منزله فى ملقا ملتقى الشخصيات السياسية والأدبية وقصده الناس الذين يطلبون كتابة العرائض إلى الخليفة وكان بليغًا واسع العلم باللغة العربية ، وبلغ صموئيل أوج عظمته فى عهد باديس ٤٢٨ - ٤٦٥هـ / ١٠٣٧ - ١٠٧٣م ، ويشهد على ذلك معظم مؤرخى العرب ، ويقول ابن الخطيب " شغف باللسان العربى ونظر فيه وقرأ كتبه ، وطالع أصوله فانطلقت يده ولسانه ، وصار يكتب عنه وعن صاحبه بالعربى (٣٩٩).

ويذكر أن الوزارة فى بلاد الأندلس ولاسيما فى عصر ملوك الطوائف تتعلق أساسًا بالكتابة، فكانت الكتابة هى الأداة الأولي التى تخول لصاحبها حق المناصب العليا ، وكتاباته تضمن إشارة لأهمية الثقافة والعلم

أمسك العلم لأنه يجمع — المال ويرفع الوضعاء
إلى السلطة فالعلم — يتحدث بلسان الملوك

ويذكر ابن عذارى المراكشى فى البيان المغرب أنه كان لصمويل وراقون ينسخون الكتب بالنفقات .

ولقد جعل من شعره مفكرة يومية تشمل دقائق الحوادث وديوان إسماعيل لم يصل إلينا كاملاً ويحوى موضوعات مدح وهجاء وحب وفراق وتكثر دلائل تأثير اللغة العربية والأسلوب العربى وما ذكره أن أشعاره الغزلية يقصد بها شعب إسرائيل لا صحة لهذا الادعاء ، فقد كتب عن أشخاص لهم لحم ودم ، ودخل فى مساجلات مع أكبر علماء المسلمين فابن حزم كتب كتاب الرد على ابن نغريلة اليهودى(٤٠٠).

وأدخل فى كتابه بن مشاليم الكثير من أمثال العرب والفرس وحكم الفلاسفة والأقوال المأثورة ، ويذهب كثير من الباحثين إلي أن كثيراً من أمثال كتاب بن مشاليم ، مأخوذة من كتاب ابن قتيبة البغدادى "عيون الأخبار" وكتاب ابن عبد ربه الأندلسى "العقد الفريد" ، بالإضافة إلى كتاب كليلة ودمنة .

ثم إبرهام بن حسداى درس اللغة العربية فدرس البيان والبديع وأبو عمر يوسف بن صديق من اليهود الذين اتخذوا أسماء عربية ولد ١٠٧٥م/٤٦٨هـ ، وتوفى ١١٤٩م/٥٤٤هـ ، وكان عليمًا بالثقافة العربية واقفًا على التيارات الفلسفية الإسلامية ، وكان من أحسن كتاب المقامات مطلعا على الفلسفة الإسلامية .

وإبراهيم بن عزرا الذى ولد فى طليطلة ١٠٩٢م/٤٨٥هـ ، كتب بالعربية والعبرية وكان عليمًا باللغة العربية وآدابها فتعرف على أسلوبها من دراسة اللغة العربية والكاتب اليهودى ابن جبيرول الذى اتخذ إسمًا عربيًا أبا أيوب كتب كتابه "إصلاح الأخلاق" باللغة العربية ثم ترجم إلى العبرية وهو ينتمى إلى عائلة يهودية عاشت فى فاس فى المغرب (٤٠١).

وموسى بن عزرا الذى ذكر أن أهم الإنجازات التى تحققت فى الأجيال الأولى فى الأندلس هى الاتصال القوى بالثقافة العربية ودراسة اللغة العربية وآدابها .

ومن الأشخاص الذين حصلوا على شهرة واسعة فى تاريخ الأدب العربى دونش بن لبرط وترجع شهرته إلى إدخاله الوزن العربى فى الشعر العبري واتبع أساليب البلاغة العربية وحاكى نماذج الشعر ونظم فى المديح والغزل وكتب فى الخمر والطبيعة ، ولقد عارضه مناحم بن سروق لإدخال الوزن العربى في الشعر العبري ورأوا أنه يهدم أسس اللغة العبرية ويزعزعها (٤٠٢).

اسحق بن خلفون ولد خلال الأعوام بين ٩٦٠-٩٧٠هـ/٣٤٩-٣٦٠هـ وجمعت قصائده فى ديوان استخدم ابن خلفون الأوزان العربية ، ونظم قصائد متحدة القافية فى موضوعات مأخوذة من الشعر العربى نحو المديح والاخوانيات والرثاء ، والهجاء وكان يتكسب من الشعر .

يهود بن شلومو الحريزى ولد ١١٧٠م /٥٦٦هـ أقام فى نهاية القرن ١٢ فى إحدى مدن بروفانس فى الفترة التى استولى فيها الأسبان المسيحيون على مناطق واسعة من أسبانيا وحاولوا أن يفرضوا على مواطنى المناطق المحتلة ثقافتهم غير أن هؤلاء المواطنين لم يقبلوا هذه الثقافة واحتفظوا بما تشربوا به من ثقافة عربية ولقد قام الحريزى بترجمة مقامات الحريرى ، وكان للحريرى حوالى خمسين مقامة ، وهى مسجعة مزينة بأنواع البديع ولاسيما الجناس وكان هدفه ترغيبًا فى حفظ اللغة وآدابها ولقد واجهته اصطلاحات مقتبسة من لهجات أبناء طبقات معينة وكانت هناك آيات متعددة من القرآن كما أن هناك كثير من الكتابات عن التقاليد الإسلامية بالإضافة إلى التلاعب باللغة كالألغاز والرسائل (٤٠٣).

ولقد كتب يهودا كتابا اسمه " تحكمونى " واستمده من مصادر أدبية مختلفة وأهمها مقامات الهمذانى الذى توفى ١٠٠٨م/٣٩٩هـ ، وتوجد فى دار الكتب فى القاهرة بقايا قصائد ومقامات عربية للحريزى أبو الفضل ابن حسداى ، كان المؤرخون العرب يطلقون علي الذين اعتنقوا الإسلام من اليهود أو من الجنس الرومانى أو من الأهالى الذين يدينون بالكاثوليكية اسمهم مسلمانى وعليهم جميعًا اسم مسالمة، ولقد تمتع الوزير اليهودى أبو الفضل بن حسداى من سرقسطة لدى أمراء بنى هود الثلاثة المقتدر ١٠٤٩-١٠٨١م/ ٤٤١ - ٤٧٨هـ ، والمؤتمن ١٠٨١-١٠٨٥م / ٤٧٤ - ٤٧٨هـ والمستعين ١٠٨٥-١١١٠م/ ٤٧٨ - ٥٠٤هـ بمكانة طيبة.

وكان أبو الفضل بن حسداى مترجم المقتدر وكتب له عدد من قصائد المديح أوردها الفتح بن خاقان فى كتابه قلائد العقبان ، وظل كاتبا ووزيراً للمؤتمن الذى خلف المقتدر وعندما زوج المؤتمن ابنة المستعين من ابنه وزير بلنسية أبى بكر ابن العزيز ، كان أبو الفضل هو الذى تولى تحرير الدعوة التى وجهت إلى كبار الشخصيات الأسبانية ، ولكن مكانته لم يستطع أن يصل لها أمثاله من المسلمين هناك ، ولقد اعتنق الإسلام (٤٠٤).

اسحق بن شلومو ابن سهولة ولد بن سهولة ١٢٤٤م / ٦٤٢هـ فى وادى الحجارة قام بكتابة كتاب عن أمثال الأقدمين على نمط المقامات العربية (٤٠٥).

أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا ولد فى الربع الأخير من القرن الحادى عشر ابن أحد العائلات الشهيرة وهم أربعة أخوة أبناء يعقوب بن عزرا ، وأبو هارن موسى ولد ١٠٥٥م/ ٤٤٧هـ وكان اسمه يصحب بلقب صاحب الشرطة وأجاد اللغة العربية إجادة تامة ، ولقد هرب بعد وصول يوسف بن تاشفين ١٠٩٠م / ٤٩٣ هـ ترك مسقط رأسه إلى أسبانيا المسيحية وكان يهتم بمتابعة العلوم والفلسفة والآداب العربية والإسلامية ألف كتابا بعنوان " المحاضرة والمذاكرة" نقل بعد ذلك إلى العبرية وألف كتابا أسماه حديث الجنينية .

ويذكر المقرى أن نساء يهوديات قد نظمن الشعر باللغة العربية واكتسبن شهرة عن طريق أشعارهن ، ولعل أهم ما ذكره المقرى من الشاعرات اليهوديات شاعرة يهودية ذات مقدرة على التعبير عن خلجات النفس وهى ميمونة بنت إسماعيل وفى الغالب أنها ولدت فى غرناطة ، وأبوها كان شاعرا كبيرا وشاحًا ماهراً فى اللغة العربية وعلمها صناعة الشعر العربى .

ومن أهم الشخصيات فى المجال السياسى والأدبى حسداى بن شبروط استخدم الأمير عبد الرحمن الثالث والحكم الثانى حسداى كطبيب للقصر ومتولى للمكوس ورأس المجتمع اليهودي وأصبح راعيا للكتاب والأدباء اليهود والشعراء وزادت أهميتهم فى قرطبة ، ولقد أرسل حسداى فى سفارات عديدة(٤٠٦) ، ولقد سبق ذكر مراسلاته مع ملك الخزر .

والملاحظ أن اليهود لمعرفتهم باللغات العربية واللاتينية أصبحوا يعملون كمترجمين ومبعوثين وسفراء وقاموا بالوساطة بين أسبانيا الإسلامية وأوربا المسيحية وكذلك استخدمهم أمراء الشمال المسيحيين فى أسبانيا للقيام بمهمة السفارات مع الجانب الإسلامى ، ففى معركة وادى آرة عام ٤٠٠هـ / ١٠١١م كان وزير الملك المسيحى ألفونسو السادس ابن شاليب وهو معروف فى المدونات العربية ، وكان مكلفا بإحضار الجزية التى فرضها الملك المسيحى على المعتمد أمير إشبيلية (٤٠٧)، كذلك أشار مشالوم فى رحلته إلى مصر وبيت المقدس إلى مترجم السلطان من أصل يهودى أسبانى (٤٠٨)، ولقد أشارت وثائق اليهود إلى يهودى فى صقلية يعمل بالترجمة فذكر Mann عن يهودى مثقف من النصف الثانى من القرن الحادى عشر كان فى صقلية ثم مصر ثم ذهب للمهدية وأخيراً أتى عكا واستخدم فى المهمات الدبلوماسية ، لآخر أمير مسلم لصقلية قبل الغزو النورمانى حيث عزل ١٠٦١م/ ٤٥٣هـ ، وهو أحمد صمام الدولة وكان المترجم يجيد العربية والعبرية ودرس الفلسفة وكان اسمه موسى بن يوسف وحضر إلى مصر فى صحبة سفير صقلية وقد أرسله صمام الدولة إلى الفاطميين

يطلب المساعدة ضد النورمان ، وكان حضور موسى كسفير لا كمترجم بلغة مصر العربية على بعض اليهود الموجودين فى بلاط الخليفة للاستجابة لطلب حاكم صقلية لأن اليهود كانوا يفضلون أن يكونوا تحت حكم المسلمين عن الاضطهاد تحت حكم النورمان .

ولقد كان للمترجمين دور هام بتعريف الدول المسيحية بثقافة العرب والإسلام ، فقاموا بالترجمة إلى اللغة العبرية واللغات الأوربية الأخرى وانتقلت المهنة إلى يهود جنوب فرنسا فى لنجدون وفى بروفنسال وفى شمال أسبانيا مثل قشتالة ، ويذكر شعشوع أن عدد المترجمين يفوق عدد المؤلفين وعلى ذلك لايمكن معرفة من قام بالترجمة وكانت عائلات هناك اشتهرت بالترجمة ، مثل عائلة تيبون وقمحى (٤٠٩).

وعائلة تيبون تنسب إلى يهودا بن شاؤول بن بيتون وهو طبيب ماهر ويعتبر من أوائل المترجمين من اللغة العربية وعاش فى الفترة من ١١٢٠-١١٩٠م / ٥١٤-٥٨٦هـ، ولد فى غرناطة ثم انتقل إلى مدينة لونيل فى جنوب فرنسا وتسمى عائلته بالعربية بن تبون أو التبان، وترجم بن تيبون عددا من كتب اليهود المؤلفة بالعربية إلى العبرية فترجم كتاب سعديا هاجؤون المسمى كتاب الإيمان والمعرفة وكتاب الخوزري وكتاب الوشى ، ولقد وصف ابن تيبون اللغة العربية بأنها أثرى لغات الأرض وأصلحها لكل المقالات والمقامات ، ومن عائلة قمحى ثلاثة أسماء مشهورة الأب وابناه يوسف قمحى وابنيه موسى وداود ولقد هاجروا من أسبانيا إلى فرنسا ، وذكر هارشبرج عائلة مشهورة فى بلاد المغرب منها المترجم إبراهيم زامير وعائلته فى مدينة صافى التى يحكمها البرتغال كذلك ذكر مترجما آخر يدعى موسى داردرو فى عام ١٥١٢م/ ٩١٨هـ (٤١٠).

ونجد قائمة طويلة بالمترجمين اليهود الذين أرسلوا فى سفارات وفتحت إجادة اليهود للغة العربية وآدابها مجالا أمامهم للعمل فنجد الأسماء تتردد فى أسبانيا خاصة والمغرب ومصر وبلاد الرافدين .

وهناك عدد من الأسماء على سبيل المثال لا الحصر ، فأبو عبد الله آخر ملوك بنى الأحمر كان يستعين بمترجمين يهوديين هما إسحق بردوينيل وصهره بودا وكان من المترجمين المشهورين فى القرن الخامس عشر ، عذرا لوندى الذى قام بدور الوسيط وتوضيح الاتفاقات قبل تسليم مدينة رندة ٨٩٠/ ١٤٨٥م.

وفى بلاد المغرب وفى ١٢٦٧م / ٦٦٦هـ كان هناك مترجم عربى للتجار الجنوية ، فهنا الترجمة تتخذ صفة تجارية ، وهناك المترجم إبراهيم فافا الذى استقر فى تونس قام بترجمة معاهدة بين فلورنسا وتونس ١٤٤٥م/ ٨٤٩هـ وربما اشترك معه مترجمين أوربيين [٤١١].

من الجلى أن اليهود استفادوا وتعايشوا مع المجتمعات التى عاشوا فيها وأجادوا لغتها وكتبوا بها أدابهم ، بل كتبوا أدبا وشعراً اشتهر بعضه وخاصة بأسبانيا ، فالعالم الإسلامى لم يكن يضع الحدود على الثقافة بل احترم كل من نبغ فى أدب وفن حتى إن اختلفت عقيدته ، فلم تكن هناك عزلة الجيتو الأوربى ، ولقد استغلوا معرفتهم اللغوية بالعمل فى الترجمة .

التطورات التى دخلت على الأدب اليهودى والفكر نتيجة تأثره بالعالم الإسلامى :

١ - سمح بنظم الشعر العلمانى ولم يعد هناك من يعارضه .

٢ - قوى الاتصال بالثقافة العربية وتم تطويع اللغة العبرية وظهور أساليب لغوية جديدة نظمت قصائد عبرية فى موضوعات جديدة مأخوذة من الشعر العربى كالطبيعة والغزل والهجاء والرثاء والأخوانيات ، ونظم شعراء يهود الأندلس قصائدهم وفقًا لأساليب البلاغة العربية[٤١٢].

الفلسفة :

تأثر اليهود بالفكر الفلسفى الإسلامى إذ عاشوا فى وسط علمى زاهر بالفلاسفة والعلماء الكبار ، ويقول جدع جلادى " كان موقف علماء الإسلام وأهل الكلام بالنسبة ليهود الإسلام معتدلاً وإيجابيًا ، مثل كتاب الباقلانى فى بغداد فى القرن العاشر ، وكانت العقلانية والبورجوازية والصوفية تتعاطف مع يهود الإسلام " .

وكان العراق فى خلافة أبى جعفر المنصور يحفل بمختلف الميول والنزعات الفلسفية بفضل احتكاك الفكر الإسلامى بثقافة الفرس واليونان وكان بعض علماء اليهود قد تأثروا بالمعتزلة وأصحاب الكلام من المسلمين فصاروا ينتقدون تعاليم الربانيين ويتحفزون للخروج على أحكام التلمود ، وكان على رأس هذه الحركة الفكرية الجديدة ثلاثة من علماء اليهود .

وكما يقول د. عبد المنعم حفنى أن التفكير اليهودى الفلسفى فى القرون الوسطى قد تفتح وتوسع نتيجة احتكاكه بالتفكير الفلسفى الإسلامى أدى إلى تقدم الفلسفة اليهودية وأصبحت جزءاً من العالم الإسلامى الحر الزاخر بشتى الآراء ، وكان سعديا الفيومى أول من اتصل

بالفلسفة الإسلامية واعتنق كثيراً من آراء الفلاسفة المسلمين الذين قرأوا فلسفة أفلاطون عن طريق الترجمة [٤١٣]. والفلسفة اليهودية لم تقم إلا بتأثير الفلسفة الإسلامية ، فكانت رسائل إخوان الصفا الأرمن التى بنى عليها يوسف بن صديق وبن جبيرول وموسى بن عزرا وغيرهم فلسفتهم ، ونلاحظ أن هؤلاء سبق ذكرهم عند الكلام عن الشعر ومدى تأثرهم بالثقافة والأدب والفكر العربى .

وتأثر بالفكر الفلسفى الإسلامى كل من بن نقودة وموسى بن ميمون ويهودا اللاوى وموسى جوده هاليفى ، وأثرت الصوفية الإسلامية على طقوس الشبانية[٤١٤] والحصيدية[٤١٥] ، والصوفية الأندلسية على القبالة[٤١٦] اليهودية .

كذلك أثر الفقه الإسلامى وقلدوا الفتوى الإسلامية وأدب الأسئلة والأجوبة وخاصة فى العراق ، كما أثر الإسلام على اليهود فى تقاليد الزواج والفلسفة الدينية .

ولقد حاول اليهود التنصل من هذا التأثر لرد الباطنية اليهودية إلى عصر ما قبل الإسلام ، ولكن الدراسات الحديثة المعاصرة تنفى ذلك ، وتأثر موسى بن ميمون وباهر بن فاقوده وغيرهم بفلسفة ابن رشد [٤١٧]. فأتى عندهم بعد ميمون ويصفونه بالحبر الأعظم وأخذ موسى بن ميمون عن ابن رشد ، كذلك ترجموا ابن سينا واستخدم موسى برهانه المشهور فى إثبات وجود الله المعروف ببرهان واهب الوجود وكذلك تأثر به إبراهيم بن داود فى نظرية النفس ، وسعديا الفيومى فى كتابه الأمانات والاعتقادات يردد الأفكار الإسلامية القائلة بأن المؤمن يبتلى " ويفسر الفيومى هذه العبارة بقوله " إن العذاب النازل على المؤمن هو نوع من الاختبار لعقيدة هذا المؤمن واستعداده لتحمل قضاء الله " .

ولقد ترجموا مؤلفات الغزالى "كمقاصد الفلاسفة" و "تهافت الفلاسفة" ومؤلفات ابن رشد وابن باجة وابن خلدون وكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر وابن سينا وابن طفيل والفارابى ورسائل إخوان الصفا [٤١٨].

ومن أشهر الفلاسفة ابن فقوده أو بقودة ابنًا لعائلة عربية ولد فى أسبانيا ، ولد فى العقد الرابع من القرن الحادى عشر وتأثر بالفكر الإسلامى ودرس الفلسفة اليونانية المترجمة إلي العربية وكتب كتاب الهداية وفرائض القلوب ويقال إنه أول كتاب فى الفلسفة اليهودية الأخلاقية وهو صورة من كتب الأخلاق الإسلامية ويقوم بالاقتباس من فلاسفة المسلمين . ولقد تأثر بمؤلفات الإمام الغزالى ، ولقد كتب الحاخام بنيامين فى كتابه " وجوه " يقول " من منا لم

يسمع بالغزالي وما هى اللغة التى لم يجر الحديث بها عنه وأشاد بعظم أثره على المفكرين اليهود فى أسبانيا " أما أشهر الشخصيات فهو موسى بن ميمون ويمثل الفكر اليهودى(٤١٩) فى القرن الثانى عشر ، وقد كان أثره فى الأجيال اللاحقة عظيمًا حتى تردد بين اليهود القول " من موسى إلي موسى لم يظهر أحد كموسى " ولقد عرف باسم رامبام ويقول شعشوع "لسنا نعرف رجلا آخر من أبناء اليهود غير ابن ميمون قد تأثر بالحضارة الإسلامية تأثرا بلغ الحد حتى بدت آثاره وظهرت فى مدوناته من مصنفات كبيرة وصغيرة "، " ورغم تحفظى على موقفه إنسانيًا وسلوكيًا لما كتبه ضد المسلمين فى رسالة إلى اليمن رغم ما لاقاه من تسامح" فقد كانت فلسفته التى تأثر بها اليهود .

وإسرائيل ولفنسون فى كتابه عن موسى بن ميمون " أبو عمران موسى بن ميمون على الخصوص أحق بالعناية من غيره لأنه أعظم فلاسفة اليهود فى تلك العصور شأنًا ولأنه تأثر وتخرج بدروس الحكيمين الأندلسيين الكبيرين ابن طفيل وابن رشد ؛ وموسى بن ميمون يعرف بابى عمران عبد الله ، ولد فى قرطبة ١١٣٠م/ ٥٢٥هـ وأحيانًا يذكر تحت مسمى موسى بن عبد الله القرطبى وكانت قرطبة حاضرة عظيمة ، وخرجت أسرته من قرطبة بعد فتح عبد المؤمن الكومى الزناتى مدينة قرطبة ١١٤٨م /٥٤٣هـ ، وكانت الأسرة مكونة من الوالد وولدين وبنت وأحدة ، أما أمه فتوفيت بعد أشهر من ولادته ورحلوا إلى المرية بجنوب الأندلس بعد أن دخلت فى حوزة المسلمين ١١٤٣م/٥٣٨هـ ، وكان بها الفيلسوف أبو الوليد محمد بن رشد ، وكان من أهل قرطبة وهاجر منها بسبب نزعته الفلسفية التى أثارت عليه الرأى العام وظل موسى وعائلته ١٢ عامًا ثم اتجهوا إلي المغرب التى دخلت تحت سيطرة الموحدين ثم اتجهت الأسرة لفلسطين ثم إلى مصر واشتغلوا بتجارة الجواهر ومات والده وأخوه (٤٢٠).

وقام بالتدريس والتف حوله مجموعة من الشبان يستمعون لمحاضراته فى الفلك والفلسفة ومن تلامذته يوسف بن يحيى السبتى المقدسى ، واشتهر أمر موسى في مصر والشام والمغرب والأندلس واشتغل كطبيب للقصر فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى وبعد وصوله بخمس سنوات ١١٧١م/٥٦٧هـ ، ولقد تمتع بتسامح السلطان وتولى أمور الطائفة اليهودية ، ومن أشهر كتبه دلالة الحائرين ويتكون من ثلاثة أجزاء كتبها بالعربية وحاول أن يوفق بين العقل والعلم ، شرح فلسفة أرسطو بنظريات فلاسفة المسلمين والمفكرين من أبناء عصره ورجع لكتب الغزالى وابن الصائغ وابن طفيل وكتب بحثًا مفصلا عن منزلة المعتزلة والأشعرية مما يدل على أنه قد درس المذاهب الإسلامية دراسة وافية وحاول التوفيق بين الدين والفلسفة ومؤلفاته ثلاثة

أقسام جزء خاص بالشريعة اليهودية وجزء خاص بالفلسفة وجزء خاص بالطب . وأسلوب موسى بن ميمون العربى فى كتابه دلالة الحائرين وغيره يقترب بوجه عام من الأساليب العربية المألوفة عند المسلمين فى المصنفات الفلسفية والأخلاقية وقد يستعمل فى أحوال كثيرة ألفاظًا عربية مأخوذة من القرآن الكريم ومن المصادر الفقهية الإسلامية وكان يستعمل لغة عربية غنية بالمفردات بعيدة عن التكلف ، ومن مؤلفاته مقالة عن صناعة المنطق بالعربية ، ولقد لقى الكتاب هجوما من عدد من اليهود فبعد وفاته قام رجل يهودى معروف بسليمان قصير القامة بالكتابة على قبره « هذا قبر موسى بن ميمون الطريد والمحروم والكافر » (٤٢١).

ورغم أن الكثيرين تكلموا عن مكانته الفكرية فإذا نحينا جانب الفيلسوف ونظرنا لجانب الإنسان فرغم أنه عاش فى وسط إسلامى وتأثر بالفلسفة والفكر الإسلامى وتمتع بمكانة كبيرة وأصبح طبيبًا لابن السلطان الذى عاش فى ظل تسامحه وكرمه فإنه لم ينس أنه رجل دين يهودى متعصب فكتب رسالة إلى اليمن وهى رسالة موجهة إلى يهود اليمن بصفته الناجيد فيها هجومًا سافراً على المسلمين والمسيحيين أوردها شتيلمان كما سبق ذكره وسأوردها فى الجزء الثانى من الكتاب والرد على ماورد فيها .

ومن الأسماء اليهودية التى تأثرت بالفلسفة الإسلامية(٤٢٢) ، سعديا الفيومى ، إبرهام بارخيا ١١٣٠م/ ٥٢٥هـ ، ونقل علوم العرب الفلسفية إلى أوربا ، إبراهيم بن داود ١١٨٠م/ ٥٧٦هـ ، جوده هاليفى ، إبراهيم بن عزرا ، البركات هبة الله بن ملكه البغدادى ، صمويل بن جوده ، بن تيبون اسحق بن نصيف ، سعيد بن منصور بن كمونة " كتب كتاب بعنوان ثلاث رسائل فى الأديان أساء إلى الإسلام رغم تمتعه بالتسامح والحماية الإسلامية ولقد ثار أهالى بغداد ومع ذلك حمته الإدارة السياسية " ، موسى بن يوسف هاليفى وغيرهم (٤٢٣).

وإذا انتقلنالمجال يدخل فى دائرة الفلسفة الإسلامية وهو مجال التصوف ، فلقد ظهر الزهد على الطراز الإسلامى كقوة فى الحياة اليهودية خلال هذه الفترة كعلامة من عاملات تأثير المجتمع الإسلامى وفكره على يهود العالم الإسلامى ومحاولتهم للتكيف وتقليد أنماط هذا المجتمع الفكرية .

ولقد ذكر مؤرخ يهودى " لقد انتقلت مدرسة فلسفية كاملة إلى التفكير الفلسفى اليهودى وهى مدرسة التصوف " (٤٢٤).

وذكر فى مؤلفات موسى بن ميمون فى القرن الثانى عشر أن بعض اليهود انخرطوا فى ممارسات صوفية ، وذكر مارك كوهين فقرة من مقدمة موسى بن ميمون لفصل فى المشنا وردت فيها كلمة لباس الصوف (٤٢٥).

ونتيجة لازدهار الطرق الصوفية فى مصر وتشجيع السلطان الناصر صلاح الدين وأبنائه لها وظهور العديد من الأسماء اللامعة واكتسابهم شعبية بين العامة والخاصة على السواء(٤٢٦).

فقلد اليهود هذا النموذج فأنشأت حلقة صوفية يهودية ضمت مجموعة من وجهاء اليهود ومنهم الأطباء والموظفون والقضاة والعلماء من بينهم إبراهيم بن موسى بن ميمون ، كما قامت حلقة أخرى فى الإسكندرية فى نفس الوقت ، ولقد مارس إبراهيم بن ميمون ورفاقه طقوسًا مماثلة للتصوف الإسلامى فقد أكثروا من الصيام وانهمكوا فى الصلوات المسائية (٤٢٧) ، كما صلوا صلوات إضافية مصحوبة بحنى الرؤوس والسجود مرات كثيرة ، والوضوء وغسل القدمين والسجود ، ورغم أنهم لم يرتدوا الصوف أو الخرق كالمتصوفة المسلمة إلا أنهم صمموا لبسًا خاصًا يعرف باسم البُقْيار وهو عبارة عن عمامة كبيرة شاعت بين الوزراء والموظفين والقضاة باعتبارها لباس الزهد والعبادة وبأن المتعبدين حرصوا على طابعهم الاعتزالى فقد انفردوا فى مكان خاص بهم للعبادة حيث مارسوا أسلوبهم التقشفى فى الصلاة (٤٢٨). ولقد اتبع إبراهيم التقاليد الإسلامية التقشفية فى إقامة الشعائر فى الكنيس فحاول نشر مجموعة شاملة من الممارسات التقشفية فى الطائفة اليهودية ولم تلق هذه الإصلاحات قبولاً بل إن بعض وجهاء اليهود شكوا إبراهيم على ذلك فقام بالرد دفاعا عن نفسه فى كتاب كتبه باللغة العربية وسماه "كفاية العابدين" يتضمن فى القسمين الرابع والأخير منها برنامجًا فى التصوف المهود للخاصة من الناس .

إن قيام إبراهيم فى تأليف كتاب فى الصوفية بعد أن قام أبوه بتأليف كتاب دلالة الحائرين يشير إلى أن التفسيرات العقلانية اليهودية فى الأندلس لم تكن كافية فى نظر اليهود(٤٢٩).

ولقد تأثر موسى بالفكرة الصوفية الإسلامية فنجد موسى يقول فى الأصل السابع أن موسى كان أبًا للأنبياء ومن جاء منهم من قبله ومن أتى بهم من بعده .

ويذكر د. ظاظا أن أثر عقيدة الأشاعرة المسلمين ، وهى عقيدة الدولة الأيوبية التى كان ابن ميمون كبير أطبائها واضحًا ، فهو ينص على ضرورة الإيمان بإثبات علم الله بأعمال الناس

ونواياهم ، مقدمًا بذلك الإيمان بالثواب والعقاب ، وفى الأصل الحادى عشر ونحن نعلم أن الأشاعرة كانوا قد وضعوا موقفًا وسطًا حول أفعال العباد فأخذ رأى المعتزلة الذين كانوا يقولون بحرية الإنسان مسيراً لا مخيراً وأن كل ما يصدر عنه من أعمال إنما يأتى بإرادة الله(٤٣٠).

ولقد تأثر موسى بالفكر الفلسفى السائد فهو لا يكتفى بالقصص البسيط فى سفر التكوين من أنه فى البدء خلق الله السموات والأرض ووضعت من حوله الشروط والاحتياجات فهو وحده الذى خلق والذى يخلق فيتم النص على اختصاصه بهذه القدرة منذ الأزل وإلى أبد الآبدين .

وابن فاقودة فى كتابه الهداية إلى فرائض القلوب ، وهو كتاب فى الفلسفة اليهودية الأخلاقية ويقوم بالاقتباس من فلاسفة المسلمين والأدب العربى ولذلك قيل أن الربانيين حاكموه لميوله الإسلامية وخاصة لاتجاهه إلى الصوفية الإسلامية وقوله أن فرائض القلوب أولى بالالتزام من الفرائض الجسمانية .

ويقول جدع جلادى اليهود العراقيين يسجدون فى صلاة يوم الغفران مثل المسلمين وهكذا نرى أن الصوفية الإسلامية كطريقة فكرية وأخلاقية كاملة أثرت على فلاسفة اليهود وشعرائهم.

ولقد كانت هناك مجالات ظهر فيها اليهود واشتهروا مثل الطب والفلك وتمتعوا بمكانة مميزة سواء في قصور الملوك أو فى المجالات الهامة .

الطب :

فى مجال الطب اشتهر العديد من الأطباء اليهود ، فهناك أبو الحسن بن شموئيل الذى تولى رئاسة اليهود سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٥٠م ، وأحمد بن المغرى الإشبيلى الذى أسلم سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م فى عصر السلطان الأشرف خليل بن قلاوون وتولى رياسة الأطباء شريكًا لعلاء الدين بن جعفر ، وفى خطاب من أواخر عصر السلاطين المماليك الذى حفظته أوراق الجنيزة موجه إلى الجماعة اليهودية فى القاهرة «الكهنة المحترمين واللاويين الأعزاء والشيوخ والأمناء والأطباء الأخيار». وهو يوضح المكانة الاجتماعية الراقية التى احتلوها فى المهنة . وأشار ابن العبرى إلى « هبة الله بن ملكا أبو البركات اليهودى ، وكان طبيبًا فاضلا عالمًا بعلوم الأوائل(٤٣١) وعالج أحد حكام السلاجقة واعتنق الإسلام بعد ذلك وموسى بن ميمون

كان طبيبًا للقصر ، وهناك طبيب عاصر الدولة الأموية والعباسية هو فرات بن شحناتا اليهودى خدم الحجاج بن يوسف وصحب فى آخر عمره عيسى بن موسى العباسى ولى العهد أيام المنصور (٤٣٢). وهناك قائمة طويلة بالأطباء وسأوردها فى الجزء الثانى من الكتاب .

ولقد تتلمذ بعض الأطباء اليهود على أيدى أطباء مسلمين ، كذلك تتلمذ عبد الباسط بن خليل التاجر فى عصر سلاطين المماليك على يد طبيب يهودى كان قد أعطاه إجازة فى تلمسان اسمه موسى بن صمويل لاجىء من ملجا (٤٣٣).

الفلك :

اشتهر عدد من اليهود بالعمل فى علم الفلك والتريخ ولقد اعتمد هؤلاء على مؤلفات عربية قاموا بترجمتها ، ومن علماء اليهود إبرهام زاكوتا Abraham Zacuta بإعداده لقوائم فلكية وإبراهيم بن برخيا المتوفى ١١٣٦م / ٥٣١هـ كتابه الجغرافية الفلكية ووصف صورة الأرض وكما كان متبع فى الكتب الإسلامية يحوى قوائم فلكية .

ومن أشهرهم ماشاء الله اليهودى الذى ظهر فى أيام المنصور وحتى أيام المأمون ويقول عنه ابن النديم فى الفهرست كان أوحد زمانه فى علم الأحكام (٤٣٤)، وله من الكتب كتاب المواليد الكبير ، ويحتوى على أربعة وعشرين كتابًا منها كتاب الأديان والملك ، والمعانى ، وكتاب صناعة الاصطرلاب والأمطار والرياح ، وسند بن على المنجم المأمونى وكان يهوديًا وأسلم فى عهد المأمون ، وكان يعمل فى جملة الراصدين .

كذلك هناك إبراهيم بن عزرا وهو غير إبراهيم بن عزرا الشاعر ، مترجم رسالتين فى التنجيم لماشاء الله اليهودى بالإضافة إلى يوحنا بن داود الأسبانى الذى أعد أبحاثا فلكية أندلسية ، والزيج الذى وصفه إسحق الفلكى للملك ألفونسو العاشر فى طليطلة بعد أن استرجعها الأسبان ولقد ترجمت رسائل فلكية من العربية ، واعتمد اليهود فى مؤلفاتهم على ما اطلعوا عليه من مؤلفات عربية فى الأندلس ونقلوها إلى اللغة اللاتينية والعبرية .

ومن أشهر ما نقلوه كتاب شرح الزيج للخوارزمى الذى وضعه أحمد البيرونى وكتابه الآثار الباقية من القرون الخالية فيه مقارنة علمية بين التقاويم والأشهر عند العرب ، والعبرانيين والآشوريين واليونان والروم والهند والترك ونقله إلى العبرية إبراهام بن عزرا .

ولقد ترجم يوحنا الإشبيلى عالم يهودى عاش في القرن ١٢ فى إشبيلية رسالة فى الاصطرلاب للمجريطى ، كذلك ترجم كتاب الفرغانى علم هيئة الأفلاك ، وبرع يوحنا فى صناعات الساعات وقد ترجم كتاب " آلات الساعات ، وثابت بن مرة .

ولقد قام يوحنا بالاشتراك مع أدلارد أوف بان المسيحى بنقل أربعة كتب لابن معشر الفلكى ويعرف أيضًا بالبلخى .

وهناك يعقوب بن طبون ، ولقد ترجم رسائل الفلك إلى العبرية (٤٣٥).

فتلك المجالات التى ظهر فيها اليهود اعتمدت فى الأصل على مؤلفات إسلامية استفادوا منها وبعضهم نقل علم العرب إلى الغرب .

الهوامش :

1 - Mark Cohen : Persecution P 145 - 165 In Jews of Medieval Islam, Leiden, 1995 .

١ - مارك كوهين : المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، المقدمة ص ٩ .

3 - Goitien : Cairo an islamic city in "Middle eastern Eastern cities" California p . 80 - 81 .

4 - Ashtor : Jews of spain p. 011 p . 285 .

5 - Stillman : Jews in the Medieval Islamic sity , p. 3 in Jews of medieval Islam

يرى شتليمان الوجود فى حارات يعود إلى أواخر العصور الوسطى حين بدأ العالم الإسلامى فى الانغلاق على نفسه لأسباب خارجية .

6 - D.S Richards : Documents from the Karaite , . Community p. 106 - 107 , in Journal of the Economic and Social History of the orient .

7 - Norman Stilman : The Eleventh crntury Merchent House of Ibn Awkal, p 15 - 88 , Journal of che. Economic and social History of the orient, Vol. XVI, 1973 .

9 - Newby : op. cit. p. 52 .

١٠ - محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ص ٦٩ .

١١ - ابن عبد الحكم فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٢٥ ، ووصف المقدسى مدينة الفسطاط بأنها خزانة المغرب "أحسن التقاسيم" ، ص ١٩٧ .

١٢ - يهوشواع بن أربيه القدس القديمة والجديدة فى القرن التاسع عشر ، ص ١٩٦ .

13 - Stillman : The Jews in medieval city, p. 10 .

على أحمد : الأندلسيون والمغاربة فى بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجرى ،ص ٨٤

١٤ - يقول صاحب الروض المعطار : عن المرية إحدى المدن الإسلامية فى أسبانيا ، كانت المرية أيام الملثمين مدينة الإسلام ، وبها من كل الصناعات كل غريبة وكان بها من طراز الحرير ثمانمائة طراز .

15 - Stillamen : Abn awakal , op. cit. 16 - 17 . From Journal of the Ecomic and Social History of the orient , vol. XVI , 1973 .

16 - Stillman : Jews in the Medieval Islamic city, p. 3 - 4 .; Goitein : Cairoan Islamic city , p. 80 - 116 .

17 - Rabbi ; Meshullam Ben R.Menahem of volterra, p. 156 - 208 .

18 - Obadiah da Bertinoro , p. 209 - 250 .

19 - Goitein : Cairo an Islamic City in Middle - Eastern Cities , california 1969, p. 20 - 26.

٢٠ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤١ .

٢١ - ابن دقماق ، القسم الأول ، ص ٢٥٤ .

٢٢ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٨٣ .

٢٣ - مارك كوهين : المجتمع اليهودى ، ص ٦٣ .

24 - Goitein : Cairo an Islamic City, p. 95 .

25 - Richards, Arabic Documents , p. 131 .

26 - Richards : op. cit, p. 108 .

27 - Richards: op. cit., p. 121 .

28 - Meshullam : op, cit., p. 168 .

29 - Obadiah : op. cit, p. 230 .

30 - Moshe Gil : Documents of the Jewish , Pious , Foundation from the Cairo Geniza , p.34 .

31 - Richards: op. cit., p. 113 , p. 105 - 162 .

32 - Moshe Gil : p, 148 .

٣٣ - القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ٥ ، ص ٤٩٠ - ٤٩١ ، جـ ٩ ، ص ٢٦٥ .

34 - Meshullam : op. cit, p. 156 - 206; Obedeah , 204- 250 .

٣٥ - المقريزى : الخطط ، ص ٤٧١ ؛ ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ، ص ١٧ - ٨٢ .

٣٦ - ابن دقماق : القسم الأول ، جـ٤ ، ص ١٥ .

٣٧ - ابن دقماق : جـ ٤ ، ص ١٦ .

٣٨ - ابن دقماق : جـ٤ ، ص ١٦ .

٣٩ - ابن دقماق : جـ٤ ، ص ١٦ .

٤٠ - ابن دقماق : جـ ٤ ، ص ١٥ .

٤١ - ابن دقماق : جـ ٤ ، ص ٨١ .

٤٢ - ابن دقماق : جـ ٤ ، ص ٣٢ .

٤٣ - عن المصاصة ودورها ، انظر : المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٦٤ .

٤٤ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٢٦ .

٤٥ - المصدر السابق ، ص ٢٥ .

٤٦ - المقريزى : ذكر المقريزى مكانين باسم درب السلسلة ، ص ٣٨ .

٤٧ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٢٦ .

٤٨ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٢٦ .

٤٩ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٢٦ .

٥٠ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٤٩ .

٥١ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٢٦ .

٥٢ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٨١ .

٥٣ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٤٦ .

٥٤ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٤٩

٥٥ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٤٩ .

٥٦ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٢٢ .

٥٧ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ١٦ .

٥٨ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ١٥ - ٢٤ ، ١٠٨ .

٥٩ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٨٠ .

٦٠ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤١ .

٦١ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

٦٢ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

٦٣ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤١ .

٦٤ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

٦٥ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

٦٦ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٧ .

٦٧ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٧ .

٦٨ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٦ .

٦٩ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٦ .

٧٠ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٦ .

٧١ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٧ .

٧٢ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .

٧٣ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤١ .

٧٤ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .

٧٥ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .

٧٦ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥٠ .

٧٧ - ابن دقماق : القسم الأول ، ص ٢١ .

٧٨ - المقريزى : جـ ٢ ، ص ٦٨ .

٧٩ - ابن دقماق : قسم أول ، ص ٣٧ .

٨٠ - ابن دقماق : قسم أول ، ص ٣٨٨ .

٨١ - ابن دقماق : ٨١ .

٨٢ - ابن دقماق : ٨٠ .

٨٣ - ابن دقماق : ٨٠ .

٨٤ - المقريزى : جـ ٢ ، ص ٣٩١ .

٨٥ - المقريزى : جـ ٢ ، ص ٣٨٦ .

٨٦ - المقريزى : جـ ٢ ، ص ٤٥١ .

٨٧ - المقريزى : جـ ٢ ، ص ٤٧١ ؛ ابن دقماق ، ص ١٠١ .

٨٨ - المقريزى : جـ ٢ ، ص ٤٧٢ .

٨٩ - المقريزى : جـ ٢ ، ص ٤٧٢ .

90 - Richards : op. cit, p. 112 , 113 .

٩١ - المقريزى : جـ ٢ ، ص ٤٩ .

٩٢ - ابن دقماق : قسم أول ، ص ٢٥ .

٩٣ - ابن دقماق : قسم أول ، ص ٢٥ .

٩٤ - ابن دقماق : قسم أول ، ص ١٦ .

95 - Moshe Gil - Pious. p. 290 - 297 .

96 - Moshe Gil : op. cit., p. 96 , 400 .

٩٧ - ابن دقماق : ص ١٩ .

98 - Richards : op .cit., p. 112 .

100 - Richards : op. cit., p. 112 .

101 - Richards: op. cit., p. 116 .

102 - Richareds : op. cit., p. 125 .

103 - Richards : op. cit., p. 130 .

104 - Goitein : Cairo. p. 83 ;also , daily Life .

105 - Mann : The Jews in Egypt and in Palestine under the Faitmid Caliphs, Oxford 1920 .

106 - Goitein : Daily Life, vol. 4, p. 275 .

107 - Goitein : Daily Life vol.4, p. 277 .

108 - D.S. Richards : Documents from the Karaite Community , p. 113 .

109 - Richards, op. cit, Appendix. Text of VI, p. 152 - 153 .

110 - Hirschberg : op. cit. p 132 , 162 .

١١١ - ابن عذارى : جـ١ ، ص ١٤ ، ابن عبد الحكم ، ص ٥٤ ، القيروان : لفظ فارسى ومعناه محط الجيش ومناخ القاتلة وموضع اجتماع الناس فى الحرب ، عبد العزيز الثعالبى : تاريخ شمال إفريقيا ، تحقيق أحمد بن ميلاد ، محمد إدريس .

112 - The Chronicle of Ahimaas translated by Marcus Salzman , Columbia Univ, 1924 .

١١٣ - الثعالبى : المرجع السابق ، ص ٣١٣ .

١١٤ - دول المغرب : انظر ابن خلدون ، ص ١٨٥ ؛ أيضًا : عبد الواحد المراكشى المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم ، القاهرة ١٩٩٤م .

١١٥ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، ص ١٩ ؛ أبو الفدا : المختصر ، جـ٢ ، ص ٢٦٨ .

١١٦ - انظر بن خوجة ، يهود المغرب العربى ، ص ٢٥ ، . Dan Cohen Atlas , p. 75

١١٧ - من مخطوطة بمكتبة الرباط بالمغرب ؛ Maraco. Bibliotheque Rabat, DIII 5 ؛ عن قصة المهاجرين المسلمون المسمون بالبلديين محقق ٢١٧ - ٢٤٦ .

١١٨ - لما أقام إدريس مدينة فاس " قصد إليها خلق كثير من اليهود ممن رغب وأقام بناحية واعلان إلى باب حصن سعدون وفرض عليهم الجزية فى كل سنة ٣٠ ألف دينار فغرسوا البساتين وبنوا الديار والحوانيت والرباع وأرادوا عمارة ذلك .

١١٩ - هى الملاح فى فاس مازال موجودا وبه مقبرة اليهود ومازالت أزقته الضيقة موجودة ومنازل الطوابق وفيها شرفات غير موجودة فى طراز المنازل الإسلامية القديمة فى المدينة وإن كان لايوجد سكان يهود الآن .

ولقد سميت بعد ذلك الأحياء اليهودية فى المغرب باسم الملاح فهناك ملاح مراكش ولقد وجدت بأحد محلات الثياب الشعبية مالك يهودى مازال موجوداً ، فى عام ٢٠٠١م وفى نهاية الحى مقبرة اليهود .

١٢٠ - ابن أبى زرع الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ، ليفى بروفنسال : أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة عبد الهادى شعيره ، مراجعة عبادى ١٩٥١م ، ص ١٠٠ .

121 - Stillman : Abn Awkal, 15 - 88 .

١٢٢ - حسن عبد الوهاب : ورقات فى الحضارة العربية ، ص ٧٣ .

١٢٣ - ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٤٦ .

١٢٤ - ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٤٦ .

١٢٥ - البكرى : المغرب ، ص ١١ .

١٢٦ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ط١ ، ص ٢٣١ ؛ ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٧٧ .

127 - Hirschberg, op.cit., pp. 373 , 374 .

١٢٨ - مدينة فاس من خلال رسائل كليناز نيكولا القرن ١٦ مجلة البحث العلمى ، العدد ٣٢ ، الرباط، جـ٢ ، ص ٢٣ .

١٢٩ - مارمول كربخال ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ .

١٣٠ - الحسن الوزان : "ليون الإفيرقى" ، وصف إفريقيا ، السعودية ١٩٧٩م ، ص ٣٤ .

131 - Hirschberg. p. 371 .

١٣٢ - آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ترجمة عبد الهادى أبو ريدة جـ ١ ، ص ٩٣ .

١٣٣ - حاييم زعفرانى ، ص ٢٤ .

١٣٤ - هناك رسالة فى جامعة الإسكندرية بعنوان دولة بنى وطاس ودورها السياسى .

١٣٥ - الخوجة : يهود المغرب ، ص ٢٦ .

١٣٦ - فيليب فارج ويوسف كرباج : كتاب تاريخ المسيحيون واليهود فى التاريخ : الإسلامى والعربى والتركى ص ٤٤ .

137 - Stillman : The Jews of Arab Lands Ahistory and Source book, p. 23 .

١٣٨ - يشير شلومو جوايتين فى مقالة فى كتاب القدس دراسات فى تاريخ المدينة بعنوان القدس فى الفترة العربية (٦٣٨ - ١٠٩٩) إنه ورد فى المشنا لا تسلم أورشليم إلا إلى ملك يسمى عظيمًا) .

١٣٩ - جوايتين : القدس فى الفترة العربية من كتاب دراسات فى تاريخ المدينة ، ص ١١ - ٣٤.

140 - Moshe Gil, p. 76 .

141 - Moshe Gil : Palestin , p. 636 .

١٤٢ - شولمو جوايتين : القدس فى الفترة العربية ، ص ٤٦ .

١٤٣ - يوسف درورى : القدس فى عصر المماليك ، ص ١١٧ ؛ فى كتاب القدس دراسات فى تاريخ المدينة .

144 - Moshe Gil : pious foundation 173 .

145 - Moshe Gil : op. cit., p. 230 .

146 - Moshe Gil : op. cit., p. 230 .

147 - Moshe Gil : Pious, 482 .

١٤٨ - انظر : ابن عساكر : تاريخ دمشق .

149 - Goitein :Daily life , vol 4, p. 207 ; Moshe Gil : Pious Foundation , p. 22 .

١٥٠ - بنيامين التطليلى ، ص ١٢٢ .

151 - Adler : betachia . p. 77 .

152 - Isaec chelo . p. 133 .

١٥٣ - ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٠٠ .

١٥٤ - بنيامين التطيلى ، بيت المقدس ، دمشق ١١٥ ، ص ٤٩ .

١٥٥ - انظر : نيامين التطيلى: ص ١١٩ .

156 - Adler : Isaec Chelo , p. 133 .

157 - Adler : Elijah of Ferrara, p. 158 .

158 - Adler : Meshullum ben R.Menahem, p. 181 .

159 - Adler : Obadiah de Bertinoro, p. 222 , 228 .

160 - Adler : op. cit., pp. 222 - 228 .

161 - Stillman : Jews in the Medival Islamic City, p. 3 - 9 .

١٦٢ - بنيامين التطيلى ، ص ١٢٩ ، سور تأسست فيها ٢١٩ مدرسة كبرى كان بها جماعة من الأحبار وكانت لقيادتهم اعتبار عند الجاليات اليهودية فى الشرق ، ص ١٤٧ .

163 - Adler : Betachia of Ratisbon, p. 77 .

١٦٤ - بنيامين ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

165 - Adler : Betachia of Ratisbon, p. 77 .

166 - Adler : Betachia of Ratisbon, p. 77 .

167 - Fischel : Jews in the Economic and Political life of Mediaeval Islamic, London, 1937

اشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادى عبلة.

١٦٨ - الإدريسى : كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق بيروت ١٩٨٩ ، جـ٢ ، ص ٥٧١ .

169 - Ashtor The Jews of moslem spain , p. 294 .

١٧٠ - عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ص ١٧٠ .

١٧١ - المقريزى ، جـ ١ ، ص ١٤٨ ؛ جـ٢ ، ص ١٦١ ؛ الإدريسى : نزهة المشتاق ، جـ٢ ، ص ٥٧٥ .

١٧٢ - محمد عبد الله عنان : دول الإسلام فى الأندلس ، ص ١٣ .

173 - Ashtor, Vol I, p. 299 .

١٧٤ - ابن عذارى ، جـ٢ ، ص ٢٣٧ .

175 - Ashtor : Vol I, p. 246 .

١٧٦ - المقرى ، جـ١ ، ص ٢٠٤ .

177 - Ashtor : p. 302 .

178 - Ashtor : p. 302 .

١٧٩ - وثائق فى أحكام قضاة أهل الأندلس للقاضى ابن سهل ، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، ص ٢٦ .

180 - Ashtor : Vol I, p, 302 .

181 - Ashtor . Vol I, p. 403 .

182 - Ashtor : Vol I, p. 301 .

١٨٣ - الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٥٦٩ ؛ القزوينى : الآثار الباقية ، ص ١٦١ .

١٨٤ - الإدريسى : نفس المرجع ، ص ٥٦٩ .

١٨٥ - الطاهر أحمد مكى : دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ والفلسفة ، ص ٥٤ ، القاهرة ١٩٨٧م.

١٨٦ - ياسر طه محمد : يهود غرناطة فى عصر دول الطوائف ، سنة ٤٢٢ - ٤٩٠هـ / ١٠٣١ - ١٠٩٦م ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ٢٠٠٠ ، ص ٩٥ .

١٨٧ - آشتور : الجزء الثانى ، ترجمة عن العبرية جـ ٢ ، ص ٨٦٨ - ٨٨٧ .

١٨٨ - المرجع السابق ، نفس الصفحة ؛ Divid . J.Wassertein : Jewish Elite in the jews of Medieval Islam. Leiden, 1995, p. 101 - 111 .

١٨٩ - بجانة الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٥٣٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٦ .

١٩٠ - الإدريسى : نزهة المشتاق ، جـ ٢ ، ص ٥٦٢ .

191 - Ashtor : op. Cit., Vol I , p. 319 - 321 .

192 - Ashtor : Op. cit, Vol I, p. 322 - 323 .

193 - Ashtor : Op. Cit, Vol I, p. 325 .

194 - Ashtor : op. cit., Vol I, p. 326 .

١٩٥ - الإدريس : نزهة المشتاق ، ص ٥٥٤ .

196 - Ashtor : Vol I, p. 335 .

197 - Ashtor : Vol I , p. 336 .

١٩٨ - الإدريسى : نزهة المشتاق ، جـ٢ ، ص ٥٥٥ .

١٩٩ - الإدريسى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٥٣٨ .

200 - Stillman : The Jews of Arabs Land; Goitein : Leters of Medieval jewish traders, p. 7 , 10 , 12 , 202 , 196 , 199, 201 , 204 , 212 , 214 , 244 .

- عن الكارمية انظر الأشقر تجارة التوابل كذلك انظر الفصل التالى الكارمية .

201 - David. J. wasserstein jewish Elite in Andalus in the Jews of medieval Islam p. 101 - 111 .

٢٠٢ - مارك كوهين : المجتمع ، ص ٢١ - ٢٢ .

203 - Mann: Text p. 452 .

٢٠٤ - فيليب فارج - يوسف كرباج واليهود ، ص ٤٤ .

205 - Adlen : Meshullam , p. 189 .

206 - Adler : Obadiah , p. 235 .

207 - Goitien : Leters of Medieval Jewish Traders. princeton , p. 26 - 27 .

208 - J.Mann : Texts and Studies in Jewish History, p. 452 - 209 ; Mann : Text, Vol I, p. 452 .

٢٠٩ - مارك كوهين : المجتمع ، ص ٧٣ .

٢١٠ - مارك كوهين : المجتمع ، ص ٦٩ .

211 - Hirschberg : op . cit., p. 269.

٢١٢ - عن التجارة انظر : Goitein : Med. Society , Vol.I

٢١٣ - ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، تحقيق صبحى الصالح ، بيروت ، ١٩٩٤م ، جـ١ ، ص ٢٦٩ " أخذ من يهودى ثلاثين وثقًا من شعير ورهنه درعه " .

٢١٤ - الدمشقى : محاسن التجارة ، ص ٧٥ .

215 - Goitien : p, 70 .

٢١٦ - آشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادى عبلة ، لبنان ، ص ١٨٥ .

217 - Goitien : ISlamic Cities. Cairo, p. 83 .

٢١٨ - إسرائيل شاحاك ، ص ٨٥ .

٢١٩ - بالنسبة للأوقاف اليهودية تأثرت بالإسلامية؛ انظر : . Moshe Gil. p. 224

220 - Moshe Gil : pious , 323 .

221 - Hirschberg, p. 296 .

٢٢٢ - أحمد الطاهرى : عامة قرطبة ، ص ١٥٦؛ ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٧٩ .

٢٢٣ - بنيامين التطيلى ، ص ١٧٦ .

224 - Hirschberg : op, cit, p. 271 .

٢٢٥ - ابن دقماق ،جـ٤ ، ص ١٦ .

226 - Moshe Gil : p. 144 .

227 - Moshe Gil : Pious 475 .

٢٢٨ - قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر ، ص ٦٦ .

٢٢٩ - المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٠١ - ١٠٦ .

230 - RichardsDocument , p. 131 .

٢٣١ - ابن دقماق ، القسم الأول ، جـ ٤ ، ص ٤٢ .

٢٣٢ - السيوطى : حسن المحاضرة ، ط١ ، ص ٦٠ .

233 - Richards : Document , p. 116 .

٢٣٤ - الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٢٤ .

٢٣٥ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، ص ١٣٦ .

٢٣٦ - انظر : Goitein : Jews and Arabs .

٢٣٧ - المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٩٠٩ .

٢٣٨ - الطاهرى : عامة قرطبة ، ص ١٥٩ .

٢٣٩ - المقريزى ، جـ٢ ، ص ١٠١ .

240 - Stillman : Abn Awkal , p. 15 - 30 .

241 - Moshe Gil : p. 208 , 209 .

٢٤٢ - مارك كوهين : المجتمع ، ص ٣٣ .

243 - Moshe Gil . Pious , p. 547 .

٢٤٤ - عن الشراكة فى العمل انظر : Goitien : Med. Society. vol, I, No.1 , p. 87 - 88 .

٢٤٥ - ابن دقماق ، جـ٤ ، ص ٤١ - ٤٤ مطابخ السكر .

٢٤٦ - Stillman : Abn Awkal 15 - 67 أحمد الطاهرى : عامة قرطبة فى عصر الخلافة ، منشورات عكاظ ، ١٥٨ .

٢٤٧ - الجاحظ : المختار فى الرد على النصارى ، ص ٦٣ ، بيروت ١٩٩١ .

248 - Stillman : Jews of Islamic world p. 3, 13 .

249 - Nissim Rajwan : The Jews of Iraq, p. 90 - 91 .

٢٥٠ - هناك رسالة فى الجامعة العبرية عن نسيم ، انظر دليل الجنيزة ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ص ١٥ .

٢٥١ - آشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط ، ص ١٩٥ .

252 - Goitein : Traders , p. 156 .

٢٥٣ - الدمشقي : الإشارة لمحاسن التجارة ، ص ٧١ - ٧٥ .

254 - Goitein : Med, Vol I, p. 157 .

٢٥٥ - حسنين ربيع : وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانىء الحجاز واليمن فى العصور الوسطى سلسلة دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ، ١٩٧٩ ، ص ١٣١ - ١٤٤ .

256 - Stillman : Ibn Awkal , p. 15 - 30 ; Goitein : Letters of Medieval Jewish traders, p. 27.

257 - Stillman : Ibn Awkal, p. 15 - 30 .

258 - Goitein : Med , Vol 5 , p. 59 ; Hirschberg , Op. Cit., p. 280 .

259 - Moshe Gil : Palestin , p. 274 .

260 - Goitein : Traders, p. 145 ; Med , society, vol II, p. 195 .

٢٦١ - ابن ميسر ، جـ٢ ، ص ٢ ؛ المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٣٥٥ ؛ السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ١١٦ ؛ ابن منجب الصيرفى ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

٢٦٢ - ابن ميسر ، جـ١ ، ص ٢١ ؛ ابن منجب ، ص ٧٦ ، ٧٧ ؛ انظر أيضًا : حسن إبراهيم : حسن تاريخ الدولة الفاطمية .

٢٦٣ - ابن منجب ، ص ٣٦ .

٢٦٤ - ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٨٤ .

٢٦٥ - السيوطى : جـ ٢ ، ص ١١٦ .

٢٦٦ - المقريزى : الخطط ، ص ٣٥٥ ؛ ابن منجب ، ص ٣٧ ، ٣٨ ؛ حسن إبراهيم ، ص ٢١١ .

٢٦٧ - Fischel , p. 168 ، الرشيد بن الزبير : كتاب الذخائر والتحف ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ٢٥٧.

٢٦٨ - عطية القوصى : دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ؛ جوايتين ، ترجمة عطية القوصى : الكويت ١٩٨٠م ، ص ٢٤٦ ، عن تونس ونشاطها .

269 - Goitein : Traders , p. 76 - 79 .

٢٧٠ - Goiten : Traders , p. 81 ؛ كان لأبو ذكرى جودة ميزة فى إرسال البضائع فى سفن السلطان.

271 - Goitein : Med. Economic , p. 181 - 182 ; Goitein : Traders, p. 150 - 151 .

272 - Stillman : Ibn Awkal, p. 20 .

273 - Goitein : Traders, p. 95 .

٢٧٤ - انظر : حسنين ربيع : مقالة وثائق الجنيزة وأهميتها فى دراسة التاريخ الاقتصادى لموانىء الحجاز واليمن (دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية) ١٩٧٩م.

275 - Stillman : Ibn Awkal , p. 20 - 27 .

276 - Goitein : Traders, p. 327 - 328 alse ; Goitein : From Aden to India. Speclum Ajournal of Medieval study Vol XXIX April 1945, No2., 1 .

277 - Goiten : Traders , p. 190 - 191 .

278 - Moshe Gil : Palestin, p, 198 .

279 - Ashtor : Jews of Muslem spain Vol. I , p. 198 .

280 - Goitein : From Meditrenian to India speclum 1954 , p. 191 - 195

- تناول ما يخص اللبدى التاجر : . Goitein : Traders, p. 179

281 - Goitein : Traders, p. 103 - 140 .

282 - Moshe Gil : Palestin, p. 190 , p. 240, 254 .

283 - Goitein : Traders , p. 183 .

٢٨٤ - الدمشقى : محاسن التجارة ، ص ٧٥ .

285 - Moshe Gil : History of Palestin, from 636 - 1094 , p. 249 .

286 - Goitein : From Aden to India, p. 137, Goitein : Traders, p. 216 - 217 .

٢٨٧ - انظر : ابن ميسر : تاريخ مصر .

٢٨٨ - المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٤٥٠ - ٤٥١ . أنشأ المأمون بن البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار ولم يسبق إلى ذلك أحد .

٢٨٩ - المسبحى ، ص ٢٣ .

٢٩٠ - عطية القوصى : التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ، ص ٢٨٢ .

291 - Goitein : Aden , p. 13 - 66 .

292 - Goitein : Aden, p. 47 ; Goitein : Traders, p. 199 .

٢٩٣ - عطية القوصى : النظم ، ص ٢٩٩ ؛ Goitein : Aden 47 ؛ هناك مقال عن رامشت التاجر من سراف فى القرن الثالث عشر ؛ . Journal of Royal Asiatic Society, April, 1976

294 - Goitein : Med society , Vol I, p. 60 - 75 .

٢٩٥ - ناصر خسرو : سفر نامة ، تعريب : يحيى الخشاب ١٩٩٣ ، ص٦٠ ؛ انظر أيضًا : الخطيب البغدادى ، جـ٤ ، ص ٢١٦ .

296 - Moshe Gil : A History of Palestin , p. 249 .

297 - Moshe Gil : Palestin, p. 25 .

298 - Goitein : Traders 82 ; Stillman : Ibn Awkal, p. 15 - 88 .

299 - Stillman : Ibn Awkal, p. 15 - 88 .

300 - Goitein : Aden , p. 13 - 66 .

٣٠١ - بالنسبة للكارم وتجارته ، انظر القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

- آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص ٣٧١ ؛ كلود كاهن : تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ١٥٤ ؛ محمد عبد الغنى الأشقر : تجارة التوابل فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ، تاريخ المصريين ١٩٩٩ ، ص ٢٣ ؛ نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ١٩٢ ؛ شوقى عبد القوى : تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية ؛ المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ص ٨٩٩ الحاشية ؛ صبحى لبيب : تجارة الكارمية ، المجلة التاريخية ، ص ١٧٩٦ ؛ Fischel, op. cit, p. 174 - 178 ;

Goitein : New light of begineng of the Karim merchent Jesho 1925 , p. 175 - 184 ; Journal of the econimic and social history , 1985 .

302 - Fischel : op. cit., p. 174 .

٣٠٣ - القلقشندى : صبح الأعشى ، ص ٥٢٠ - ٥٢٤ ؛ المقريزى :اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٥٨ .

٣٠٤ - عطية القوصى : النظم ، انظر تجارة الكارم .

٣٠٥ - أبو مخرمة : ثغر عدن ، ص ١٤٧ ؛ .Fischel : The Spice trade , p. 161 - 163

٣٠٦ - أحمد عبد اللطيف : الدور السياسى والحضارى للمغاربة والأندلسيين فى مصر فى عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية ، رسالة دكتوراة ، جامعة طنطا ؛ الأشقر : تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى ، ص ٣٣ - ٥١ .

Wiet : Les Marchand d'epice, p. 15 .

٣٠٧ - السخاوى : الضوء اللامع ، جـ ٣ ، ص ١٥١ ، جـ ٧ ، ص ٢٨٧ .

308 - Clrget : etude geographique urbane et Histoire Econimic le Caire , 1943;

309 - Goitein : Letters of medieval traders. : انظر

٣١٠ - مارك كوهين : المجتمع ، ص ٧٣ .

٣١١ – آرنولد : الدعوة للإسلام ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٨٥ – ٣٨٦؛ الأشقر : نفس المرجع ، ص ٤٧ .

٣١٢ – الاصطخرى : المسالك ، ص ١٥٣.

313 - Goitein : Aden , p, 175 , 184

314 - Goitein : Treders , p. 175 - 228 .

٣١٥ – بزرك : عجائب الهند ، ص ١٤١ .

٣١٦ – عطية القوصى : نفس المرجع ، ص ٢٣٣ .

317 - Goitein : Med, Society , Vol I, p. 279 .

٣١٨ – ظاظا : الفكر الدينى ، ص ١٩٦ .

٣١٩ – سفر التثنية ١٩/٢٣–٢٠ ؛ ظاظا : اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة ، ص ١٠٨ .

320 - N. Stillman : Aspects of Jews life , p. 313 .

٣٢١ – انظر : ناصر خسرو : سفرنامة ، ص ١٧٣ رأى فى إيران سوقا فيه مائتا صراف .

٣٢٢ – الفخرى محمد بن طباطبا : الآداب السلطانية ، بيروت ، ص ٢٦٠ – ٢٦٩ ؛ يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، دمشق ١٩٨٢م ، ص ١٧٢ – ١٨٠ .

٣٢٣ – الفخرى : : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ – ٢٦٩ .

324 - Fischel : op. cit., pp . 6 - 7 .

325 - Fischel : op. cit., pp. 22 - 23 .

٣٢٦ – آشتور : التاريخ الاقتصادى : ص ١٨٠ – ١٨١ .

327 - Fischel : op. cit., p. 22 - 25 .

٣٢٨ – آشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى ، ص ١٨٠ – ١٨٢ .

329 - Goitein : Med. Society , Vol I, p. 109 .

330 - Fischel : Op. cit., p. 23 .

٣٣١ – آشتور : التاريخ الاقتصادى ، ص ١٨٠ – ١٨١ .

332 - Goitein : Med Society , Vol I, p. 241 .

333 - Goitein : Med Society, Vol I , p. 230 .

334 - Obedeah : Jewish travllers, p. 251 .

335 - Nissim Rejwan : The Jews of Iraq, p. 90 , 91 .

336 - Goitein : Med. Society, Vol I, p. 284 .

٣٣٧ - Goitein : Med. Society Vol .I, pp. 281 - 295 ؛ وتضمن شرح لوكالات البريد .

238 - Goitein : op. cit., p. 287 .

٣٣٩ - Hirschberg : op. cit., p. 259 ؛ أرسل موسى بن صمويل كتب إلىّ ابن عوكل فى قافلة للأغيار .

340 - Ashtor : op. cit., p. 128 .

341 - Goitein : Med. Soc , Vol.I , p. 288 .

٣٤٢ - ابن دقماق : جـ٤ ، ص ٤١ - ٤٤ .

٣٤٣ - المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٩٧ .

344 - Goitein : Med.Soc, Vol.I, p. 143 .

٣٤٥ - ابن دقماق : جـ٤ ، ص ٤١ ، ٤٤ .

346 - N . Stillman : Ebn Awkal, p. 15 - 30 .

٣٤٧ - Adler : Petachia , p. 67 , 79 ، عرض لأحوال بغداد واليهود فيها .

348 - Moshe Gil : pious foundation, p. 173 - 482 .

349 - Richards : Document from the Karite , p. 133 ; Stillman : The jews of the Arsb lands , p. 145 .

350 - Hirschberg : op. cit., p. 259.

351 - Goitein : From Aden to India , p. 33 - 66 ; Journal of Econmic and social History of Orient, vol XXI .

352 - Goitein : Med . Society, Daily life, vol 4 , p. 311 .

٣٥٣ - ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، ص ٥٠ .

٣٥٤ - عن قوانين الطعام ، انظر : المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية ، ص ٢٠٩ ؛ ظاظا : الفكر الدينى اليهودى ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ تحرم الديانة اليهودية الطيور ذات منقار معقوف أو مخلب وكذلك تمنع أكل الأسماك الملساء .

٣٥٥ - صلاح خليل : عامة إشبيلية ، رسالة ماجستير ، عين شمس ، ص ٢١٨ .

356 - Obadiah : op. cit., p. 227 .

357 - Meshellam : op. cit., p. 169 .

٣٥٨ - ياسر طه : يهود غرناطة فى عصر دول الطوائف ، رسالة ماجستير غير منشورة عام ٢٠٠٠ ، ص٩٩ .

٣٥٩ - المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٤٠٢ .

٣٦٠ - انظر ما ورد فى كتاب التبيان للأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى فى غرناطة عن ابن النغريلة ، "تحقيق ليفى بروفنسال" ، ١٩٥٥م .

٣٦١ - بنيامين التطيلى ، ص ١٣٧ .

٣٦٢ - انظر ما كتبه Goitein فى الجزء الخاص بالحياة اليومية عن نوعيات الثياب .

363 - Goitein : Med . Society, Daily life, vol 4 , p. 322 .

364 - Ibed ., p. 314 .

365 - Ibed ., p. 328 .

٣٦٦ - المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٩٧ .

٣٦٧ - Goitein : Daly life, Appendix, d ؛ دوزي : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة أكرم فاضل ، بغداد ، ١٩٧١ .

٣٦٨ - Goitein : Ibid, p. 328 ؛ حيث شرح الدراعة والخمار والخرقة والبغلطاق .

٣٦٩ - عبد الرحمن بشر : اليهود فى المغرب العربى ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص ١٢٣ .

٣٧٠ - أوقاف اليهود فى مصر المملوكية فى ضوء وثائق الجنيزة ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ٣٥٠ .

٣٧١ - انظر الونشريسى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب ، بيروت، ١٩٨١، جـ٦ ، ص ٤٢١ .

٣٧٢ - المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ .

٣٧٣ - أرنولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥٢٠ .

374 - Hirschberg : op. cit., p. 370 .

٣٧٥ - ليلى أبو المجد : عقد الزواج عند اليهود كتوباه وتأثره بعقود الزواج عند شعوب الشرق الأدنى ، حوليات كلية آداب عين شمس ، جـ١ ، ص ٩٥ - ٩٦ ؛ عبد الرحمن البشير : يهود المغرب ٣٢٦ .

٣٧٦ - أودلف جروهمان : مجموعة أوراق البردى : Adolf Grohman. Arabic Papyr in the Egyptian , library , vol I, p. 68 - 88 .

٣٧٧ - وثيقة تعود لعام ١٠٢٨ : Goitein : Daliy life, p. 314 ، الوثيقة Univ, Library. Camb ULC Add. 3430 .

٣٧٨ - وثيقة تعود لعام ١١٤٦ : Goitein : Daliy life, p. 317 ، كان تعدد الزوجات مشروعًا والطلاق حق للزوج ، ووضع سفر التثنية قيود معينة على حق الطلاق ، انظر سبتينو : الحضارات السامية ، ص ١٤٠.

379 - Goitein : Daily life, Vol 4 . p. 317 - 326 .

٣٨٠ - مارك كوهين : المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية ، ص ٥٢ - ٥٣ .

٣٨١ - إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ، مقدمة الكتاب للشيخ مصطفى عبد الرازق .

٣٨٢ - موسى بن ميمون " تحقيق حسين آتاى" : دلالات الحائرين .

383 - Stillman : The Jews of Arab lands : Maimonides Epistle to the Jews of Yemen, p. 233 - 247 .

٣٨٤ - عبد المنعم حفنى : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، ص ١٥٥ .

٣٨٥ - جدع جلادى : نفس المرجع ، ص ٣٠ .

٣٨٦ - جدع جلادى ك نفس المرجع ، ص ٣١ .

387 - Dan Cohen : op. cit., p. 74 .

388 - David. J, : Wassiertein : p. 103 - 104 .

٣٨٩ - جيمس مونرو : الوثيقة الأندلسية ترجمة عبد الله الشرقاوى ، ص ٢٠ .

٣٩٠ - شعشوع : العصر الذهبى ، ص ٢٤ .

٣٩١ - إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، ص ٣٤ ، نسب لسارة شعر فى رثاء قومها .

٣٩٢ - شعشوع : العصر الذهبى ، ص ٨٤ .

٣٩٣ - سلطان اليوزبكى : تاريخ أهل الذمة فى العراق ، ص ٣٩٨ ؛ بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٥٤ ؛ Ashtor : A History of jews in Arab land: p. 45 .

٣٩٤ - سلطان اليوزبكى : تاريخ أهل الذمة ٣٩٨ .

٣٩٥ - إكرام سكر : رسالة ماجستير آداب عين شمس " المؤثرات العربية فى شعر صموئيل هانجيد ، ص٨ .

٣٩٦ - إكرام سكر : نفس المرجع ، ص ٥٩ ؛ Norman Stillman : Aspects of jewish life , p. 57 .

٣٩٧ - إكرام : نفس المرجع ، ص ٢٣ ؛ شعشوع : نفس المرجع ، ص ٢٥ .

٣٩٨ - شعشوع : نفس المرجع ، ص ٥١ ؛ ترتون : أهل الذمة ، ص ١٦٧ .

٣٩٩ - ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ١ ، ص ٤٣٨ ؛ إكرام : نفس المرجع ، ص ٥٣ .

٤٠٠ - ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ، ص ٢٧١ ؛ ابن حزم : الرد على بن النغريلة اليهودي : التبيان الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى تحقيق ليفى بروفنسال .

٤٠١ - شعشوع : الاسم إبراهام هاليفى بين شموئيل بن حسداى ، ص ٤٤ .

٣٠٢ - إكرام سكر : نفس المرجع ، ص ٣٠ .

٤٠٣ - هنرى بيريس الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ملامحه وموضوعاته ، ترجمة الطاهر مكى ، ص ٢٣٩ - ٢٤١ .

٤٠٤ - . Dan Cohen : op. cit., p. 60 ؛ ليفى بروفنسال : أسبانيا الإسلامية فى القرن العاشر ، ص٧١ .

٤٠٥ - شعشوع : نفس المرجع ، ص ٧٠ ؛ إبراهيم عبد الفتاح المصرى : الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها .

٤٠٦ - ليفى بروفنسال : أسبانيا الإسلامية ، ص ١٠ .

٤٠٧ - المقرى : نفخ الطيب ، ص ٤٣٩ ؛ البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٩٨ .

٤٠٨ - كان المترجم يجيد العربية والتركية والفرنسية والألمانية واليونانية وكانت له سلطات واسعة حيث توسط لمشيلوم ، حتى لا يأخذ منه جمارك على الأحجار الكريمة التى كان يحملها لأورشليم Adler: Meshellum : op. cit. p. 167 .

٤٠٩ - عبد المنعم حفنى : الفلسفة ، ص ٥-٨ .

٤١٠ - أحمد الطاهرى : عامة قرطبة ، ص ١٥٨ ؛ يوسف بكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ١١ .

411 - Hirschberg : op . cit . p. 374 .

٤١٢ - هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ، ترجمة طاهر مكى ، ص ٢٣٩ - ٢٤٦ .

٤١٣ - عبد المنعم حفنى ، ص ٥ - ٨ .

٤١٤ - الشبانية : مصطلح طلق على الحركات المسيحانية الدينية الباطنية الغنوصية اليهودية التى ظهرت فى الغرب وأطراف الدولة العثمانية بعد أن اسلم شبتاى تسفى وكلها هرطقات ضد الدين اليهودى ، ص ٣٠٣ .

٤١٥ - الحسيدية : حسيد كلمة وردت فى العهد القديم تشير إلى الرجل التقى الثابت على إخلاصه وإيمانه ولقد استخدمت للجماعات المؤيدة للتمرد الحشمونى ثم استخدمت إشارة إلى الحركة الصوفية التى نشأت فى ألمانيا فى القرن الثانى عشر ثم أصبحت تشير إلى اتباع الحركة الحسيدية التى نشأت فى بولندا فى القرن الثامن عشر .

٤١٦ - القبالة ، مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود ، مشتق من كلمة عبرية التقبل .

٤١٧ - جدع جلادى ، ص ٣٥ ، عبد المنعم حفنى ، ص ٣٤ .

٤١٨ - عبد المنعم حفنى : الفلسفة ؛ شعشوع ، ص ٢٢ .

٤١٩ - شعشوع : نفس المرجع ١٦٨ .

٤٢٠ - إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ، المقدمة .

٤٢١ - حسين آتاى : مقدمة كتاب موسى بن ميمون دلالات الحائرين .

422 - Stillman : Jews and Arab. Maimondie's Epistle, p. 233 - 247 .

٤٢٣ - ابن كمونة "سعد بن منصور" ، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية المسيحية الإسلام ، القاهرة دار الأنصار .

٤٢٤ - شعشوع : نفس المرجع ١٥٦ .

٤٢٥ - مارك كوهين : المجتمع اليهودى ، ص ٧٧ - ٧٨ ؛ انظر سعيد عاشور الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ١٢٨ .

٤٢٦ - عن التصوف والصوفية : ثمة ظاهرة دينية بدت واضحة فى عصر الأيوبيين وهى ظاهرة انتشار التصوف واتخاذه مظهراً اجتماعيًا بعد أن كان يمثل اتجاهًا فرديًا وصحب ذلك إنشاء الخانقوات وهى منازل الصوفية وعرفوا باسم الفقراء وأنشأ صلاح الدين أول خانقاه بمصر .

٤٢٧ - مارك كوهين : المجتمع اليهودى ،و ص ٧٧ ، ٧٨ ؛ عبد المنعم حفنى : نفس المرجع ١٣٦ .

٤٢٨ - مارك كوهين : المجتمع ، ص٧٨ .

٤٢٩ - حسن ظاظا : المجتمع ص ٧٨ ذكر فلسفة ابن ميمون وصلتها بالأشاعرة ، ص ١٣٨ .

٤٣٠ - جدع جلادى : ص ٢٩ .

٤٣١ - ابن العبرى « جريجوريوس الملطى » تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٠ .

٤٣٢ - القفطى : كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٦٩ .

٤٣٣ - المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ٧٢٨ ؛ قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، ١٩٨٧ ، ص ٦٣ .

٤٣٤ - توفيق سلطان اليوزبكى : تاريخ أهل الذمة فى العراق ، الموصل ، ١٩١٢، ص ٣٩٧ .

٤٣٥ - المجريطى يعد من أشهر علماء الفلك فى الأندلس .

الفصل الثالث

الاتجاه إلى بيت المقدس

السؤال الذى يطرح نفسه هل سعى اليهود إلى إقامة وطن قومى فى فلسطين؟ أو بتعبيرهم جمع شتاتهم والإقامة فى فلسطين فى فترة التاريخ الوسيط ؟ وما مدى اتساع حركة الاستيطان إن وجدت ؟، وهل كانت هناك هجرة يهودية من دول العالم الإسلامى أو من دول الغرب إلى فلسطين فى العصور الوسطى .

وما دور كبار أثرياء العصور الوسطى من اليهود كابن عوكل الذى نعته شتليمان بمالك المليارات ، أو نهارى بن نسيم الذى كانت له منازل فى المغرب والإسكندرية كما كانت له تجارة واسعة أو مضمون وكيل التجار فى ثغر عدن ، والشركات التجارية العائلية التى ضمت عائلات تعمل فى مجال التجارة فى البحر الأبيض والمحيط الهندى والبحر الأحمر كالتسترى والمجانى والتاهرتى ، ولماذا كانت صلتهم ببيت المقدس لا تتعدى تقديم الهبات للمعبد؟ .

ونجد أن موقف يهود العصور الوسطى من بيت المقدس وفلسطين قريب الشبه من موقف الإصلاحيين اليهود فى أوربا فى القرن الثامن عشر . وقد كانت للإصلاحيين آراء جديدة فى السياسة والجوانب الإنسانية ، فلقد أنكروا أن الخلاص معناه إقامة دولة فى فلسطين ، فهم من الفرق غير الصهيونية ، وعندهم أن الخلاص يكون فى الدنيا بالحصول على المساواة فى الحقوق المدنية ولا ضرورة لربط ذلك بفلسطين أو بغيرها من البلاد .

وخالفوا جميع اليهود إذ قالوا إن الله فعل خيراً لبنى إسرائيل إذ فرقهم فى الأرض فهم بذلك يستطيعون أن يعيشوا فى كل الآفاق وأن يقيموا الدليل على دعوة موسى . وأنهم

صرفوا النظر عن إعادة بناء الهيكل فى أورشليم ، ومن المؤكد أن يهود العصور الوسطى لم يكن لديهم هذا الفكر المتطور ، ولكن لديهم جوهر الفكرة فتواجدهم لم يكن مرتبطًا بالعودة إلى القدس وإقامة وطن إنما ارتبط بالبلاد التى عاشوا فيها وأصبحت وطنًا لهم واختلطوا بأهله فيما خلا أعداد من رجال الدين المتعصبين ، ولذلك لم يفكر أثرياؤهم أو حتى أواسط الناس فى الهجرة من أوطانهم والاستيطان هناك فيما عدا عدد قليل من كبار السن من الأشكيناز (اليهود الغربيين) الذين كانت تأتى أعداد قليلة منهم للحج والتبرك ويموتون هناك ويتركون أراملهم فى حالة من الفقر وهذا ما حدث وفقًا لروايات الرحالة اليهود فضمت القدس أعداداً قليلة من أراملهم ورجال الأكاديمية الدينية ، فلم يكن هناك تواجد عددى على مستوى ما طرحته الكتابات اليهودية الحديثة .

وكما قال الدكتور حسن ظاظا فى كتابه القدس مدينة الله أم مدينة داود " إن للصهيونية وجهان : الأول هو الوجه اليهودى القح الذى يتكلم إلى اليهود الأقحاح فلا يترك قسمًا غليظًا ولا قولاً معسولاً فى الاستيلاء على القدس وتطهيرها من الإسلام والمسيحية إلا قاله ، أما الوجه الثانى فتلتفت به الصهيونية إلى الأمم الأخرى ، تلتفت لتقول لهم كلامًا معسولاً أيضًا عن المدينة المتحف المدينة المقدسة لكل الملل والأديان مدينة الله ، وكانت إسرائيل بهذا الوجه تستجدى رضاء الرأى العام المسيحى فى أوربا وأمريكا ، وتخدر الرأى العام الإسلامى فى أفريقيا وآسيا ، وتتهرب من نقمة العلمانية اللاعنصرية فى العالم أجمع "(١).

أما عن أصل اسم المدينة فإن أقدم النقوش التى ورد فيها اسم أورشليم بمسمى أورسالم كانت فى نقوش تل العمارنة وتعود لعهد الفرعون من ١٤١١ - ١٣٧٥ ق.م. وابنه اخناتون ١٣٧٥ - ١٣٥٠ ق .م وفى رسالة كتبها عبد يحببا حاكم أورسالم التابعة لفرعون من هجوم شراذم خبيرو والذى اتفق على أنهم العبرانيين .

وتكرر الاسم بعدة لغات فى نقوش الملك الأشورى سنحاريب ٧٠٠ق.م ، حيث يرد اسمها أوروشليمو وفى العبرية يروشالايم وفى النقوش اليونانية فى عهد الإسكندر الأكبر ٣٣ ق.م. هيروشوليما أو سوليما .

وهيرودوت ٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م. ذكر مدينة فى الجزء الفلسطينى من الشام سماها قديتسى والمستشرق اليهودى الفرنسى سالومون مونك فى كتابه فلسطين ذكر أن الاسم محرف عن اليونانية المأخوذ عن النطق الآرامى قديشتا ، واستعمل اليهود كلمة القدس فى الكتاب المقدس فى آشعيا ٢/٤٨ ، نخميا ١/١١) (٢).

أما اسم أورشليم فليس عبريًا أصلاً فقد كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول العبرانيين بدليل أن اليهود وجدوا صعوبة فى كتابته باللغة العبرية يروشالايم فهذه الياء الواقعة قبل الميم الأخيرة لم تكن تثبت فى الكتابة العبرية .

أما المعنى الذى رجحته غالبية الآراء أنها مركبة من أور بمعنى موضع أو مدينة وسالم وهو اسم إله وثنى لسكان فلسطين الأصليين هو إله السلام .

فالمدينة مكرسة لإله السلام حتى وصل العبرانيون ، وهناك من يقول إن كلمة أور معناها الميراث فيكون أورشليم بمعنى ميراث السلام (٣).

وكانت فلسطين منذ الألف الخامسة قبل الميلاد قد وفد إليها من قلب الجزيرة العربية قبائل العموريين والكنعانيين ومعهم اليبوسيين .

وإلى عهد يوشع ابن نون خليفة موسى ١٤٥م كانت فلسطين خارج دائرة العبرانيين .

وتحالف أمراء فلسطين ضد العبرانيين (يوشع ١٠/٣-٤) " وأرسل أدونى صادق ملك أورشليم إلى هوهام ملك حبرون (الخليل) وقرآم ملك يرموت ، ويافع ملك لخيش ودبير ملك عجلون ، فالأرض لم تكن لهم منذ قدوم إبراهيم إلى عهد يوشع وكانت فلسطين من المدن التى قاومت الغزو ، تصفها التوراة بأنها مدينة اليبوسيين « سفر يوشع ١٥/٦٣ » " أما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى هذا اليوم " والمقصود الفترة التى رويت فيها الأحداث " وهو بعد وفاة يوشع بن نون وسنجد عبارة توضح من هو الساكن الأصلى لفلسطين فى سفر القضاة (١٩) " وفيما هم عند بيوس ، وقد انحدر النهار جداً ، قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها ، فقال له سيده : لا تمل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بنى إسرائيل هنا " . ولقد ظلت القدس فلسطينية فى أيدى اليبوسيين إلى السنة الثامنة من حكم داود (٤).

ولقد بدأ داود بالاستيلاء على جبل صهيون وكانت فيه قلعة أمامية لليبوسيين يدافعون فيها عن القدس ، وكانوا يسمون جبل صهيون المدينة الفوقانية وبالنسبة لهضبة الحرم كانوا يسمونها المدينة التحتانية واستولى داود على المدينة الفوقانية صهيون وجعلها قاعدة لحكمه ، وفى العصر الحديث استغل المتعصبون اسم صهيون ليكون له تأثير على بسطاء اليهود اتخذوه اسمًا لحركتهم . ولقد ضايق داود اليبوسيين وجعلهم يرحلون ، ولم يبق إلا سطح القمة وهو الصخرة واشتراه من أحد اليبوسيين وبنى مذبحًا .

ويبدى د. ظاظا تساؤلاً عن أى صخرة يتكلم اليهود فالتلمود يذكر أن الصخرة التى يقدسونها ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاثة أصابع والتلمود - يوما / ٨٥-٣ ,٤ ، توسفتا ٦/٨٣ وموسى بن ميمون فى كتابه طقوس يوم الغفران بينما الصخرة الموجودة حالياً ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو متر كامل ومحيطها يناهز العشرة أمتار (٥).

فهنا نتكلم عن مدينة لم تكن يهودية سكنها اليهود من داود إلى العصر الأشورى والبابلى لفترة محدودة ولم تقم لهم مملكة وفقًا للتوراة إلا فى عهد شاؤول وداود وسليمان ثم انقسمت بعده ، ومع ذلك فالدراسات الحديثة التي تصدر عن مؤلفين يهود تحاول أن تمحو من ذاكرة التاريخ فترة الاستيطان الأصلية لشعوب سكنت فلسطين قبل غزو العبرانيين وفترة تالية بعد طردهم وتعتبرها مدينة يهودية فى حين أن إقامتهم واستعمارهم لها وطردهم سكانها من كنعانيين ويبوسيين كان لفترة محدودة تبعها سبى وتفرق ومن أهم الدراسات التى كتبت عن القدس وتناولت تاريخها عبر عصور تاريخية مختلفة وبأقلام كتاب يهود وواحدة من تلك الدراسات التى صدرت فى القدس فى كتاب شامل باللغة العربية بعنوان " القدس دراسات فى تاريخ المدينة" ١٩٩٠م (٦)، تحرير أمنون كوهين . ويضم أربعة عشرة دراسة عن القدس عبر الفترات الزمنية وعدد من هذه الدراسات يحاول أن ينفى عروبة القدس أو أى تواجد إسلامى فعلى على أرضها خلال العصور الوسطى وهو ما يخالف الحقيقة وخاصة ما كتبه جوايتين ونصه " إن استغلال الفاتحين العرب للسكان المحليين بدأ يعطى نتائجه ، ولقد أصاب الركود الاقتصادى فلسطين أيضًا الأمر الذى ظهرت علاماته زمن الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦ -٨٠٩م / ١٧٠-١٩٤هـ) فهرب الناس من الزراعة والأرض التى كانت متوفرة فى جميع أنحاء الإمبراطورية " " وفى مستهل فترة المأمون ٨١٣ - ٨٣٣ / ١٩٨-٢١٨هـ تفشى الجوع فى البلاد وأصابها الجراد حتى أن غالبية سكان القدس المسلمين رحلوا عنها . ولقد استغل البطريرك توما هذا الوضع لترميم كنيسة القيامة " (٧).

وفى محاولة للإشارة إلى سوء الأحوال وفى نفس الوقت إلى وجود غالبية غير عربية وغير إسلامية ذكر ما قام به تميم أبو حرب الثائر على الخلافة " لقد استقبله المواطنون فى البداية بحرارة بمن فيهم اليهود والنصارى لأنه خفض قيمة الجزية " ومن خلال الكلام السابق نجد إشارة لتواجد يهودى كبير رغم أنه سبق أن كتب فى كتابه عن اليهود والعرب " إننا لا نستطيع الكلام عن التواجد اليهودى فى القرون الثلاث الأولى للإسلام لندرة المصدر " (٨).

ثم ما كتبته حواء لاتسرس يافة فى مقالة بعنوان: "قدسية القدس فى الإسلام" تقول ما نصه :" لقد كانت القدس - رغم قدسيتها فى الإسلام - مدينة لم يقطنها من المسلمين إلا أعداد قليلة نسبيًا حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ، وعادت لتلفت انتباه رجال الدين والسياسة العرب فقط منذ العشرينات من هذا القرن نتيجة لمكانتها الفريدة « وبما فيها حائط المبكى » فى نظر اليهود ، وأنه بعد حرب ٦٧ اشتدت حركة الاهتمام بالقدس، وأخذ غالبية رجال الدين المسلمين يتباكون على سقوط القدس فى أيدى الكفار ، ويرددون مرة أخرة كما حدث بعد الحملات الصليبية فضائل القدس وحرمتها فى الدين الإسلامى " المقال كما هو واضح ينفى ما يربط المسلمين بالقدس ومكانتها فى القلوب (٩).

وما أورده يهوشواع براڤر فى مقاله: " القدس كما انعكست فى المفاهيم الدينية المسيحية واليهودية فى مستهل القرون الوسطى" يذكر مقولة لأحد رجال الدين اليهود وهو الرابى إفرايم من بون الذى تحدث عن الحروب الصليبية " قلب الله تعالى أيدوم "النصارى" ، كما قلب سدوم، وقلب إسماعيل " المسلمون" ، كما قلب عمورا " (١٠).

وفى فقرة أخرى أن الصدام بين العملاقين النصرانية والإسلام زمن الحروب الصليبية سيكون لصالح إقامة دولة إسرائيل ، ويذكر أن موسى بن ميمون أعطى المفتاح لفهم دوافع الهجرة حيث أنهى كتابة تفسيره للتوراة فى القدس ؛ ففسر الآية من سفر الأحبار ٣٤:٣٦ " واجعل الأرض بلقعا فينذهل لها أعداؤكم الذين يسكنونها " بقوله : أنها بشرى سارة لدى جميع الجاليات أن بلادنا لا تقبل أعداءنا وفى ذلك برهان كبير ، ووعد لنا لأنك تجد مكانًا فى المدينة وبلداً طيبًا ورحبًا مستوطنًا منذ الأزل ضرب مثله لأنه منذ أن خرجنا منه لم يقبل أية أمة أو لغة ويحاول الجميع استيطانه إلا أنهم لا يقدرون على ذلك " والغريب أن الدراسات الثلاثة السابقة تتكلم عن الموضوعية وهى تخلو تمامًا من الموضوعية ويوشع برافر بصفته أستاذ للتاريخ الوسيط يعرف أن المدينة عمرت فى زمن صلاح الدين وازدهر أمرها بل إن المقالات التالية فيها توضيح مدى التواجد العددى الكبير للمنشآت الدينية وللأفراد .

وهناك الدليل الصادر بعنوان Jerusalem أورشليم والذى شارك فى تحريره حوالى عشرين باحث وأستاذ يهودى واعتمد على مادة علمية من الانسكلوبيديا اليهودية ويوزع على نطاق واسع و " يتضمن بأن المدينة ظلت من حيث التفوق العددى مدينة غير إسلامية ، ويضيف أن المؤرخ المقدسي: يذكر أن من الصعب العيش فيها وأن غالبية من يأتى إليها من الحجاج

المسيحيين واليهود ، والمسلمين يأتى لبعض الوقت ثم ينصرفوا إلى بلادهم " فهو ينفى التواجد الإسلامى رغم أن الكتاب تضمن أعداد اليهود فى القدس فى العصر العثمانى فى الفترة (١٥٢٥-١٥٣٣م / ٩٣٢-٩٤٠هـ ، ١٥٣٩ - ١٥٥٣م/٩٤٦-٩٦١هـ) عدد اليهود فى القدس بين ألف وألف وخمسمائة فرد فقط (١١).

وموسى جيل فى كتابه فلسطين «الصادر بالعبرية باسم أرض الميعاد » يذكر أن اليهود فى القرن الحادى عشر كانوا يدفعون عن المجموع ككل وأن أعدادهم قلت ، واقترضوا لسداد ما عليهم من أغنياء المسلمين فى فلسطين ، ولجئوا إلى يهود الفسطاط فى طلب المساعدة على الحياة فاقترضوا من عائلة نهارى بن نسيم التاجر المقيم فى مصر ومن أثرياء اليهود وفقًا لخطاب مؤرخ ١٠٥٥م ، ومع ذلك يصر على تواجد يهودى مكثف فى القدس .

وهذه الآراء تحتاج لمناقشة علمية ومن المصادر بالأرقام لكل من التواجد الإسلامى والمسيحى واليهودى بالقدس ، ولإيضاح كيف أن المدينة الإسلامية وحكامها من العرب المسلمين عاملوا الأديان الأخرى بالتسامح بشهادة رحالتهم أنفسهم سواء بتاحيا أو عوبدايا أو مشلوم ، وكيف كانت المدينة تمثل للأديان الثلاثة مكانًا دينيًا له مكانته يسعون لزيارته وكيف تمتع الحجاج سواء المسيحيون أو اليهود برعاية السلطات الإسلامية ، وكما قال رحالتهم إن المسلمين حرصوا على الأماكن الدينية التى أمتها الأديان الثلاث وأن المسلمين وزعوا الصدقات على قبر إبراهيم وإسحق ويعقوب بلا تفرقة بين دين وآخر .

القدس الإسلامية :

القدس تمثل للمسلمين أول القبلتين وثانى الحرمين ، فقد اتجه الرسول بالصلاة فى البداية إلى بيت المقدس ، ولقد أسرى الله بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى { سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير } «سورة الإسراء آية ١» ، وكان العديد من الحجاج المسلمون يبدأون رحلة الحج من بيت المقدس ، استناداً للحديث التالى (من أهل بعمرة من بيت المقدس غفر الله له ومن صلى فى بيت المقدس ظهراً أو عصراً أو مغربًا وعاد ثم صلى الغداة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) ، (صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام والمسجد الأقصى) ، وعن خالد بن الوليد أن عبادة بن الصامت قال : "قال رسول الله ﷺ الصخرة صخرة بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة آسية

امرأة فرعون ومريم بنت عمران " وقيل من زار ببيت المقدس محتسبًا أعطاه الله أجر ألف شهيد ومن صلى ببيت المقدس غفرت له ذنوبه كلها ... وعن الرسول الكريم (لا تشد الرحال إلا إلي ثلاث مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى) .

ولقد اهتم المؤرخون المسلمون بالقدس وفضائلها فكتبت عنها العديد من المؤلفات منها كتاب أبو بكر محمد بن أحمد الواسطى فضائل بيت المقدس ، ومجير الدين العليمى الحنبلى « كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » ، المقدسى شهاب الدين أحمد بن محمد «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام ٧٦٥هـ/١٣٦٣م » والمقدسى المشرف بن إبراهيم « كتاب فضائل بيت المقدس » ، وأبو الفرج ابن الجوزى ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م « فضائل القدس » والنعيمى : كتاب لطائف أنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل ، والسيوطى أبو عبد الله شهاب الدين واتحاف الأقصا بفضائل المسجد الأقصى ، ومكى بن عبد السلام كتب كتابًا عن تاريخ بيت المقدس لكنه قتل على يد الصليبيين وضاع الكتاب .

وصلة العرب بالقدس قديمة وتضمنت التوراة إشارات لتواجدهم وسفر أيوب قيل إنه سفر عربى فى أصله وذكر جواد على " تمكن عربى من حكم اليهود وتأسيس أسرة حاكمة وذلك الرجل هو انتيباتور Antipator الأدومى نسبة إلى آدوم وهم سكان جبل سعير ، وتحكى هذا الرجل الذى لم يكن من أسرة ملكية ولا من أسرة معروفة من فرض نفسه حاكمًا على آدوم ثم تمكن من جعل نفسه حاكمًا Procurtator على اليهودية Judaea ولقد اعترف به يوليوس قيصر كحاكم عليها حوالى ٤٧ ق.م. ، وفى أيام استرابون كان العرب فى جملة سكان المدينة(١٢).

وحرم اليهود من دخول فلسطين مدة طويلة بشهادة مؤرخيهم ، واعتبروا العرب كمخلص لهم ، وسبق ذكر ماورد عن اشتراطات صفرنيوس بعدم دخول اليهود ثم السماح لسبعين أسرة فقط ، كذلك ماورد فى مصادرهم وقصة نستادوت دربى شمعون باريوحاى والتى سبق ذكرها ومضمونها " سيقوم ملك الإسماعيليين الثانى عمر باحتلال جميع الممالك وسيصل إلى القدس وسيستتب لله وسيحارب الأيدومين والبيزنطين الذين سيولون الأدبار وسيستتب له الحكم وينظر لبنى إسرائيل بعين الرضا" .

ويذكر جدع جلادى أن الحاخام شمعون باريوحاى صاحب كتاب نستادوت السابق ذكره عاش فى العصر الأموى فى فلسطين والشخصية كما يقول جلادى بمثابة ولى شعبى ويترجم

كما يلى " أن عمر بن الخطاب كان يحب اليهود وأن الملاك قد وعده قائلاً لا تخف يا ابن آدم أن الله قد أقام دولة إسماعيل راى الإسلام لمساعدتكم ضد القوم الظالمين ، يضيف المصدر أن باريوحاى يؤكد أن الإيمان بالله فى الديانتين الإسلامية واااليهودية وأن من ضمن السبعين شعبًا الذين خلقوا بإذن الله تعالى وضع الله اسمه فى شعبين هما بنو إسرائيل وبنو إسماعيل وأن كلا الاسمين ينتهيان آل ومعناها بالعبرية اله " (١٣). ومن الواضح أن القصة موضوعة وغير حقيقية وضعها الحاخام تقربًا للمسلمين الذين نعم بتسامحهم هو واليهود ويشهد الحاخام يهوداى " عندما جاء بنو إسماعيل والمسلمين ، تركوا اليهود يدرسون التوراة "

وهذه الروايات تؤكد أنه لم يكن هناك تواجد حقيقى لليهود فى القدس فى الفترة السابقة للإسلام إنما جاء تواجدهم مع الفترة الإسلامية ، أما عن التواجد الإسلامى فى القدس فمع الفتح انتقلت العديد من القبائل العربية القيسية واليمينة للإقامة فى القدس واستوطنها عدد من الصحابة من بينهم حسان بن ثابت شاعر الرسول وعبادة بن الصامت الصحابى ومع الحكم الأموى ازدادت أهميتها إذ كانت الشام قاعدة لحكمهم ودمشق حاضرتهم وكانت المدينة عاصمة القسم الجنوبى لفلسطين . ولقد اهتم المسلمون منذ الفتح بإقامة المساجد والمنشآت الدينية والرحالة اركولف المسيحى الذى زار القدس عام ٦٧٠م/ ٥٠هـ زمن معاوية ابن أبى سفيان ذكر وجود مبنى خشبى فى ساحة الحرم القدسى يبلغ سعته ما يكفى ٣٠٠٠ شخص وعلى مايبدو فهذا أول مسجد أقيم فى المنطقة التى أقيم فيها المسجد الأقصى فيما بعد وخلال عهود عبد الملك بن مروان والوليد أنشأ مسجد قبة الصخرة ٧٢هـ / ٦٩١م ، ثم المسجد الأقصى ولقد جلبت عملية الإنشاء أصحاب الحرف من البلاد القاصية ومنها مصر وكذلك جموعًا من البشر من الأقطار الإسلامية المختلفة ، ولقد بلغ من حب الخليفة سليمان بن عبد الملك لمدينة القدس أن ترك فى دمشق أخاه الأصغر وحضر إلى القدس وهم أن يجعلها عاصمة للخلافة ثم عدل عن ذلك .

ودخلت بلاد الشام فى مجال الصراعات العربية فى عصر الأمويين المتمثلة فى الصراع بين القيسية واليمنية حيث انحاز الأمويون إلى اليمنية ، فهناك كانت عملية اندماج وبلورة تحدث فى الأقطار التى فتحها العرب ، أصبحت القدس جزءاً من الوجدان الإسلامى فبعد سقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية حرص عدد من الخلفاء على زيارتها فزارها أبو جعفر المنصور ٧٥٨ - ٧٧١م / ١٤١-١٥٥هـ وزارها المهدى ٧٨٠م/١٦٤هـ ولقد انفق الخلفاء كثيراً من الأموال فى ترميم مبانيها الدينية .

ولقد ارتبطت نظرية الأمن المصرى خلال العصور الإسلامية بالتواجد فى عمق بلاد الشام والسيطرة على بيت المقدس ، لما تمثله تلك المدينة من مكانة دينية وما يرتبط بها من أحاديث دينية ، وكان أغلب حجاج المغرب يبدأون حجهم من هناك، وكذلك تعتبر منطقة الدفاع الأمامية عن أمن مصر ، وهذا ما دفع الطولونيين إلى إيجاد عمق لهم فى الشام وهو نفس الأمر الذى تكرر مع الإخشيديين .

ولقد حرص عدد من حكام مصر على أن يُدْفنوا فى بيت المقدس لما لها من مكانة فى قلوبهم فعيسى بن محمد النوشرى حاكم مصر بعد القضاء على البيت الطولونى توفى فى القاهرة ودفن فى القدس ٩٠٩م / ٢٩٧هـ ، ولقد حرص كل ملوك بنى الإخشيد كذلك على أن يدفنوا فى بيت المقدس ، فقد مات محمد بن طغج الإخشيد فى دمشق ودفن فى القدس ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م ، ولما توفى أنوجور ابنه ٣٤٩هـ / ٩٦٠م ، حمل إلى القدس ودفن عند أبيه، كما حمل إليها أبو الحسن ٣٥٥هـ / ٩٦٥م ودفن بجوار والده وأخيه ، وكذلك دفن كافور الإخشيدى ٣٥٦هـ / ٩٦١م .

ولقد حرص هؤلاء الحكام المسلمون على إنشاء المساجد وإعادة ترميم ما تصدع ، ولقد اتخذت المدينة طابعًا عربيًا إسلاميًا فى سكانها ومنشآتها وحياتها وشاركت فى نفس صراعات الدولة الإسلامية وعانت نفس مشاكلها ، ومع ذلك ظل التسامح قائمًا بين أصحاب الديانات المختلفة التى تسكنها ، وفى رسالة للبطريرك ثيودسيوس من القدس إلى صديق له فى القسطنطينية يمدح فيها المسلمين الذى يسمحون للنصارى ببناء الكنائس والعيش حسب إيمانهم ومعتقداتهم ، وبرنارد السائح فى القرن التاسع أشار إلى الأمن والسلام المستبينين في القدس . ومع قيام الدولة الفاطمية ٩٦٩ - ١٠٧١م حرص الفاطميون على السيطرة على بيت المقدس ، ونعمت المدينة بفترة سلام . وكتابات الرحالة المسلمين الذين عاصروا فترات الحكم العباسي وولاته ، وفترة الفاطميين توضح مدى ما تمتعت به المدينة من مكانة فى نفوس الناس فالاصطخرى الذى توفى ٣٤٠هـ/٩٥١م يقول : "فلسطين أزكى بلاد الشام ومدينتها العظيمة الرملة وبيت المقدس ويليها فى الكبر ، وبيت المقدس مدينة مرتفعة على جبال يصعد إليها من أى مكان شئت ، وبها مسجد ليس في الإسلام مسجد أكبر منه " (١٤). وفى مسجد بيت المقدس لعامة الأنبياء المعروفين لكل واحد منهم محراب معروف ، وعلى ناحية جنوب بيت المقدس محراب معروف علي ستة أميال منها قرية تعرف ببيت لحم ، وهى مولد عيسى (عليه

السلام) ويقال أن فى كنيسة من كنائسها قطعة من النخلة التى أكلت منها مريم" (عليها السلام) ، "ومن بيت لحم على سمته فى الجنوب مدينة صغيرة شبيهة فى القدر بقرية تعرف بمسجد إبراهيم (عليه السلام) ، وفى المسجد الذى يجمع فيه الجمعة قبر إبراهيم واسحق ويعقوب ثم قبور نسائهم صفًا " . ويذكر أن بفلسطين عشرين منبراً على صغر مساحتها أى عشرون مسجداً ولقد ظلت القدس فى أيدى الفاطميين إلى قدوم الأتراك السلاجقة الذين حاولوا السيطرة عليها واستطاع الفاطميين الاستيلاء عليها ١٠٧١م/٤٦٢هـ وأقيمت الخطبة للخليفة العباسى ثم استعادها الفاطميون ، ثم أخذها أتسز بعد ستة أشهر ثم سيطر عليها تتش وقتل اتسز ثم قام الأراتقة بأمرها واستفادها الأفضل ٤٩١هـ/١٠٩٨م[١٥] . ثم استولى عليها الصليبيون .

وإذا نظرنا إلى نوعية وأعداد السكان فى هذه الفترة التى انتهت بالاحتلال الصليبى نجد أن الغالبية كانت من المسلمين يليهم المسيحيون يليهم اليهود ، وكان أغلبهم من السامرة كما ذكر اليعقوبى ذمه المسلمين كانوا السامرة [١٦]. وكانت أعداد اليهود محدودة كقول دانيال القومسى القرآئى " يقدم إلى أورشليم من أربع جهات الأرض شعوب غير شعب إسرائيل كل شهر ، كل سنه يبغون وجه الله ، فما لكم يا أخواننا بنى إسرائيل لا تنتهجون أيضًا نهج شعوب الأرض فى الحضور دون الاكتفاء بالصلاة " فمن الواضح أن عدد الحجاج لبيت المقدس كان محدوداً وأن الصراعات على القدس إلى وقت قدوم الصليبيين كانت صراعات إما بين قوى عربية أو فى مواجهة أطماع بيزنطة لبلاد الشام فى عصر الصحوة البيزنطى فى القرن العاشر وجزء من الحادى عشر وخاصة فى عهد تفقور فوكاس وحنا زمسيكس ، ولقد وفد إلى القدس كثير من علماء المسلمين وخرج من أبنائها من تلقى العلم فى أقطار العالم الإسلامى فهناك وشائج صلة وطيدة تجمعها بأقطار العالم الإسلامى، ولما جاء الغزو الصليبى كان رد فعل العالم الإسلامى تعزيز مكانة القدس ، وقامت حركة الجهاد الإسلامى التى تزعمها الزنكيون ثم صلاح الدين لاستعادة بيت المقدس ، وازدهرت آداب وفضائل القدس التى كانت جذورها وطيدة فى الإسلام ، وعلى أثر تحرير القدس علي أيدى المسلمين بقيادة صلاح الدين عام ٥٨٣ / ١١٨٧م نفذت مشاريع معمارية كثيرة حول الحرم وفى المدينة بشكل عام ، ولقد دخل صلاح الدين المدينة ومعه زهاء عشرة آلاف من الفقهاء ولقد فضل عدد منهم الإقامة هناك ثم تدفق عليها المسلمون ، ويذكر مجير الدين العليمى أن كثيراً من الناس اتجه إلى بيت المقدس لمكانتها الدينية ووجدت بها الحدائق والمدارس وخوانق الصوفية ويصف المقريزى فى

السلوك فتح صلاح الدين لها بقوله : "وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس فأتوه رجالاً وركبانا من كل جهة لزيارته حتى كان الجمع لا ينحصر"(١٧) ، ويذكر أن الصخرة غسلت بعدة أحمال ماء ورد وبخرت وفرشت ورتب فى المسجد من يقوم بوظائفه ، وجعلت به مدرسة الشافعية ويقول ابن كثير عن نفس الواقعة وكيف " نصب المنبر إلى جانب المحراب وبسطت البسط وعلقت القناديل وتلى التنزيل " ، " ولما أذن المؤذنون قبل الزوال كادت القلوب تطير من الفرح(١٨) ، ولقد أصبحت القدس فى عصر سلاطين المماليك نيابة كبرى بعد أن كانت ولاية فى العصر الأيوبى ، ووفقًا لكتاب الأنس الجليل فلقد انتشرت المدارس الإسلامية فى القدس وتعددت أسماؤها فمنها :

المدرسة المعظمية والمدرسة الوجيهية ، المدرسة الصبيبية ، المدرسة الأسفردية ، المدرسة الملكية ، المدرسة الفارسية ، المدرسة الأمينية ، المدرسة الباسطية ، المدرسة الدوادارية ، المدرسة التشتمرية ، المدرسة الجهاركسية ، المدرسة البارودية ، المدرسة الحنبلية ، المدرسة الجوهرية ، المدرسة الأرغونية ، المدرسة المزهرية ، المدرسة الخاتونية ، المدرسة العثمانية ، المدرسة البرية ، المدرسة البلدية ، المدرسة السلطانية الأشرفية ، المدرسة الفخرية ، المدرسة الأفضلية ، المدرسة الغزية ، المدرسة السلامية ، المدرسة الجوالية . ومن الزوايا الصوفية الزوايا الختنية ، الزاوية الشيخونية ، زاوية الهنود ، الزاوية المهمازية ،و الزاوية الأدهمية ، الزاوية البسطامية ، الرباط الماردينى ، الزاوية اللالائية ، الزاوية الأزبكية ، الزاوية الوفائية ، الزاوية اليونسية ، الزاوية المحمدية ، الزاوية الظاهرية ، زاوية الشيخ محمد القرمى ، زاوية الحيادرة ، زاوية الطواشية ، زاوية الشيخ يعقوب العجمى ، الخانقاه الصلاحية ، الزاوية الحمراء (١٩).

بالإضافة إلى العديد من المساجد . ولقد قام المماليك بالعديد من الإصلاح والترميم والبناء ، وبالنسبة للسكان الذين هاجروا إليها فهناك هجرات من المشرق ، فلقد قام كثير من سكان العراق والبلدان الأخرى بالهجرة إلى سورية ومصر ، فكثير من المسلمين الاتقياء الراغبين فى العيش فى ظل الحكم الإسلامى غادروا العراق بعد غزو المغول ، وذهب الفقهاء إلى سورية ومصر ، كما أن الازدهار الذى نعمت به سورية ومصر فى ظل دولة المماليك البحرية جذب الكثيرين من الناس إليها فشهد النصف الثانى من القرن الثالث عشر سيلاً متدفقًا من الهجرة العراقية من تجار وأطباء وفقهاء وصناع (٢٠).

ولم يكن هناك مشارقة فقط بل هاجر إليها كثير من المغاربة ، فلقد وصل من المغرب وشمال إفريقيا القائلون بالمذهب المالكى وأقاموا لأنفسهم حيًا خاصًا هو حارة المغاربة وتولوا

العديد من المناصب كإمامة المالكية ومشيخة المغاربة وكان منهم خطباء ومقرئون وربما كان الدافع الظروف السياسية والاقتصادية التى سادت المغرب ، وجاء أيضًا أهالى من المناطق الشرقية والبعيدة مثل هراة فى أفغانستان ومن أردبيل وخوى فى آذربيجان ومن حضن كيفا ومن رأس العين فى الجزيرة .

فهؤلاء جميعًا كانوا يمثلون المواطنين المسلمين والعرب المقيمين فيها ، وبالإضافة إلى هؤلاء هناك قبائل بدوية فهناك (قبيلة بنى عمر وبنى حرم والجعافرة وبعض الهنود والأكراد والتركمان، ثم المسيحيون المحليون وكانوا يشملون الروم الأرثوذكس والسريان والأرمن والكرج والأقباط والأحباش ثم أعداد بسيطة من الكاثوليك والفرنسيسكان ، وأقلية يهودية (٢١).

ولقد كانت الحياة الثقافية زاهرة فى القدس آخر العصر المملوكى ، فالقائمة التى شملها كتاب "مجير الدين" حوت مساجد ومدارس وزوايا وصوفية وربط ، ولقد اشتهرت عدد من الطرق الصوفية وهى البسطامية ، والأدهمية الوفائية والقلندرية (٢٢)، ولقد لجأ إليها الإمام الغزالى وأقام بها ، ولقد انفق العديد من أثرياء المدينة الأموال على بناء المدارس والأسبلة وشاركت النساء فى هذا ، فامرأة من أصفهان تدعى شاه خاتون بنت المدرسة العثمانية والمدرسة الخاتونية بنتها أغُل خاتون بنت شمس الدين البغدادى .

ومن أشهر علماء العصر ابن غانم المقدسى ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م ، ابن قدامة الحنبلى المقدسى، وشرف الدين المقدسى ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م ، بدر الدين ابن جماعة ٧٣٣هـ / ١٣٢٢م، وابن الثقيف المقدسى ٦٩٨هـ/١٢٩٩م ، وعبد الرحمن بن إسماعيل القلقشندى المقدسى ٨٢٦هـ/١٤٢٢م ، والمقدسى إبراهيم بن على إبراهيم ٨٧٨هـ/١٤٧٣م ، ومحمد بن إبراهيم بن جماعة ٩٠١هـ/١٤٩٥م ، ولقد قسم العلماء حسب مذاهبهم الدينية وهم الذين اطلع على ترجمتهم ، ذكر ٢٩٨ فقيهًا شافعيًا وخمسة وستين فقيهًا حنفيًا ، والمالكة ثلاثة وثلاثين وأربعة عشرة من الحنابلة ، ومن الواضح أن القدس كانت عربية الطابع زاهرة كمركز حضاري ولاصحة لفكرة عدم التواجد الإسلامى التى طرحها المؤرخين اليهود . وإن كانت الفترة الأخيرة شاهدت تراجع فى عدد السكان نتيجة الاضطراب السياسى والوباء ، وإن كان تراجع الأعداد شمل جميع الطوائف السكانية (٢٣). وإن ظلت الأغلبية الكبرى من المسلمين حيث تراجعت أعداد المسيحيين واليهود ، وحين زارها ابن بطوطة يذكر أسماء علمائها وفضائلها والأماكن الدينية مما يدل على استمرار الازدهار الثقافى ، فتحدث عن القاضى شمس الدين بن سالم قاضى القدس وهى عائلة من غزة اشتهر ابنائها بالعلم والمكانة الاجتماعية ، والخطيب عماد

الدين النابلسي ومنهم المحدث شهاب الدين الطبري ومنهم مدرس المالكية شيخ الخانقاه أبو عبد الله محمد الغرناطي الشيخ الزاهد أبو علي حسن المحجوب ومنهم الشيخ العابد أبو عبد الرحيم عبد الرحمن من أهل أرزت الروم ، فمازالت مدينة القدس تستقبل العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي .

أما أهمية القدس للمسيحيين ، فإنها كانت مكانًا مقدسًا سعى إليه المسيحيون للحج وزيارة الأماكن المقدسة التي ارتبطت بسيرة السيد المسيح ورغم أن المسيحية لم تقرر الحج في تعاليمها ، إلا أن كثيراً من المسيحيين كانت لديهم رغبة قوية في رؤية الأماكن التي عاش فيها المسيح ، وقبل اعتراف الإمبراطورية بالمسيحية كديانة مصرح بها ، فلم تكن الرحلا ميسورة وإن كان عدد من الأشخاص ذهب مثل أسقف فيرميلان Firmilian . وبدأت رحلات الحج منذ عهد قسطنطين حيث ذهبت هيلينا أم قسطنطين إلى القدس حيث قيل إنها عثرت على صليب الصلبوت وأقامت مكان ذلك كنيسة القيامة وأنشأت في بيت المقدس أكثر من مكان ، وكان الحجاج المسيحيون يحرصون على اقتناء الذخائر المقدسة من رفات القديسين وشيء من ملابسهم أو متعلقاتهم .

ومع الفتوح الإسلامية اتسمت سياسة المسلمين بالتسامح واستمر الحجاج في القدوم وألف بعض الحجاج أدلة للأماكن المقدسة فهناك حاج من الرهبان ابيفانوس Epiphanius عاصر بداية الدولة العباسية ووضع دليلاً للأماكن المعاصرة آنذاك (٢٥).

ومن أشهر الحجاج أركولف Arculf جاء من بلاد الغال عام ٧٠٠م/٨١هـ وليبولد الإنجليزي ٧٢١ - ٧٢٧م/١٠٣ - ١٠٩هـ وبرنارد الحكيم في القرن التاسع وكنراد أسقف كونستانس ٩٤٠ - ٩٧٦م / ٣٢٩-٣٦٦هـ .

وفي عهد شارلمان توثقت العلاقة وسمح له الرشيد بإقامة نزل للحجاج وهناك وثيقة خاصة بكنائس بيت المقدس تعرض لكنيسة القيامة ولأديرة المدينة وكنائسها والمناطق المجاورة لها وكذلك أسماء وأعداد الشمامسة والأساقفة والرهبان الذين يقومون بالخدمة في تلك المؤسسات.

والوثيقة تحمل عنوان " مذكرة حول بيوت الرب في القدس " ولقد دفع شارلمان للمسلمين ٥٨٠ ديناراً وعلى ما يبدو فقد كان هذا مبلغ الجزية وهو ربع المصاريف على القدس بالإضافة إلى ما يجب أن يدفع للموظفين المسلمين .

ولقد فرض لويس بن شارلمان ضريبة على كل ضيعة فى مملكته بمبلغ دينار سنويًا لصرفها على الاحتياجات الدينية ، وأقام شارلمان مبانى دينية فى القدس ، ويذكر الراهب برنارد عدة مبان منها أديرة للرجال والنساء وفندق للحجاج ومكتبة كما وقف سوقًا وقطعا من الأرض فى وادى يهوشفاط للصرف على هذه المؤسسات .

ويقال أن شارل بعث بعثة أخرى لبطريرك بيت المقدس الذى بعث إليه بمفتاح كنيسة القيامة وراية مدينة القدس ووصلت هذه الهدية فى عيد الميلاد ٨٠٠م/١٨٤هـ فى نفس الوقت الذى أعلن فيه شارل إمبراطوراً على يد البابا وفى عام ١٠٦٥م/٤٥٨هـ ووصلت قافلة تضم اثنى عشرة حاجًا من جنوبى ألمانيا وهولندا ، وبعد فترة الحروب الصليبية ورغم ما حدث على أيدى الصليبيين فرحلات الحج استؤنفت بعد خروجهم وسمح للحجاج والمسيحيين بالقدوم ، ويذكر فيكلس فابرى Felix Fabri الرحالة الذى زارها فى أواخر القرن الخامس عشر عدد المسيحيين بما يعادل ألف فرد (٢٦). وكان صلاح الدين قد سمح للمسيحيين الأرثوذكس - والذين طلبوا البقاء فيها - بالتواجد ، وذكر العماد الأصفهانى " أقر السلطان قسوس النصارى أربعة قوام لقمامة وأعفاهم ولم يكلفهم الغرامة وأقام بمدينة القدس وأعمالها منهم ، وكانت برسم الفرنج ومقدميهم مجاورة الصخرة وعند باب الرحمة مقبرة وفيات وأحداث تقصينا أثارها ، ولقد أشير على السلطان بتخريب كنيسة القيامة فرفض " (٢٧). وقد ذكر ابن الأثير نفس الرأى حين قال : " اشتراه النصارى من أهل القدس الذين ليسوا من الفرنج فإنهم طلبوا من صلاح الدين أن يمكنهم من المقام فى مساكنهم ويأخذ منهم الجزية فأجابهم لذلك (٢٨)" ، وكانت القرى التى تحيط بالقدس وتتبعها إداريًا آنذاك بها أعداد كبيرة من المسيحيين مثل بيت لحم وبيت جالا ، واستمر الأمر فى عصر سلاطين المماليك . وظل سكان بيت المقدس من المسيحيين يتمتعون بحماية الدولة وكانوا فى غالبيتهم من أصل عربى ومن الطوائف القديمة العهد بالسكنى بالمدينة .

وكانت أهم الطوائف المسيحية هى الأرثوذكس وكانت لهم المكانة الرئيسية باستثناء فترة الحكم الصليبى ولهم كثير من المؤسسات الدينية ، ثم هناك السريان والأرمن والكرج والأقباط(٢٩)، وجاءوا إليها منذ القرن الرابع ولهم كنيسة أمر لهم بها السلطان وديرمار أنطونيوس وكنيسة ما ريوحنا وكنيسة صغيرة فى داخل كنيسة القيامة ودير مارجرجس قرب الخليل وهيكل فى جبل الزيتون . وإن كانت أعدادهم قليلة بالإضافة إلى الأحباش ولهم كنيسة ولكن فى غالبيتهم زواراً وليسوا مقيمين .

ثم طوائف المسيحيين الغربيين الروم الكاثوليك ومن أهمهم الفرنسيسكان وكانوا قد حصلوا من السلطات الأيوبية ٦٤٥هـ/ ١٢٤٥م على حق توليهم رعاية الأماكن المقدسة وفى ٧٣٦هـ/ ١٣٣٠م قاموا بتوسيع مقرهم وبناء دير صهيون الذى ضمت إليه كنيسة صهيون(٣٠).

ولكن بعد طرد الصليبيين من الشام فى عهد الأشرف خليل ١٢٩١م / ٦٩٠هـ ونهاية الحروب الصليبية فإن البابا نيقولا الرابع فى ١٢٩٢م/٦٩٢م ، والذى كان ينتمى لطائفة الفرنسيسكان أرسل عقب سقوط عكا يطلب من السلطان الأشرف خليل أن يسمح لبعض رجال الدين اللاتين أن يقيموا فى بيت المقدس لحماية القبر المقدس وقد استجاب السلطان لهذا الطلب . وسمح بأن يرسل بعض الرهبان لبيت المقدس والرحالة فى فرسكوبالدى وجوس اللذين زارا بيت المقدس ١٣٤١م/٧٤٢م يشيران لوجود كنيسة للفرنسيسكان وإن كانت أعدادهم قليلة وأغلب الفرنسيسكان الموجودين فى بيت المقدس حجاج وكان تمويل تلك الكنائس أو الأديرة تأتى من التجار الأوربيين البنادقة ، كذلك أرسل ملك أرغونة Jaimes II جيمس الثانى فى عام ١٣٢٢م/ ٧٢٢هـ برسالة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون يطلب فيها أن يعهد السلطان للرهبان الدومنيكان بحراسة القبر المقدس وإدارة شئونه فوافق السلطان وكان طائفة الرهبان الفرنسيسكان الطائفة الوحيدة التى كان لها قنصل لدى دولة المماليك .

والتسامح كان السمة العامة فبعد الاحتلال الصليبى تمتع المسيحيون سواء الأرثوذكس السكان المحليون أو اللاتين من الرهبان والحجاج بتسامح الدولة والغريب أن يوسف دورى فى مقالة عن القدس فى عصر المماليك حين عرض لطوائف السكان كتبها كما يلى " طوائف الأقليات الإسلامية - النصارى - اليهود فأحال المسلمين لأقليات وحاول نسبة التعصب للمسلمين وحكامهم ، والأمر الذى يثير الدهشة أن يصف السلطان جقمق بالسلطان المتعصب ويورد نقشًا حققه فان برشم فى المدخل الجنوبى لحارة الأرمن فقد حصل الأرمن على مرسوم بحماية ممتلكاتهم مما ينفى تهمة التعصب عن السلطان(٣١) .

ونص النقش : " برز مرسوم السلطان الملك الظاهر أبو سعيد محمد جقمق عز نصره بأبطال ما أحدث أبو الخير ابن النحاس من ضمان مار يعقوب دير الأرمن بالقدس الشريف عازما سيف الدين المقر الشرفى الأنصارى وسأل ذلك ليسطر فى الصحائف الشريفة بتاريخ أربع وخمسين وثمانمائة من الهجرة الشريفة ملعون ابن ملعون وعليه لعنة الله تعالى من أحدث ضمانًا أو جدد مظلمة .

اليهود : الحنين إلى زيارة الأماكن المقدسة هى السمة الواضحة للديانات الثلاث فزيارة الأماكن الدينية محببة للمسلم والمسيحى واليهودى .

ولقد ذكرنا من قبل ما يتعلق بالتواجد اليهودى فى القدس ، وما قاله أبا إيبان أنه مع بداية الفترة المسيحية كانت أعداد اليهود أقل نسبة فى ذلك العصر . وأكد أنه خلال قرون واليهود قلة فى أى مكان بما فيها أرض إسرائيل وأنهم منعوا من دخول بيت المقدس لمدة خمسمائة عام وإن عدد اليهود لايزيد عن خمسة آلاف فى أى بلد ، ومنذ عهد هادريان كانت أورشليم أرضًا ممنوعة على اليهود ويزورنها مرة واحدة فى السنة يوم ٩ أغسطس ، يسمح لهم بزيارة حطام المعبد والبكاء وللبقاء لفترة أطول ويجب رشوة الجند ، وكيف أصبحت المدينة مدينة رومانية تحمل اسم الياكابتولينا واتخذت الطابع المسيحى . ومع الإسلام سمح لهم بدخول المدينة وإن كان مارك كوهين يذكر أنه لم يسمح لهم بالتواجد طوال عهد الخلفاء الراشدين ولكن سمح لهم بذلك فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان والذى أعاد بناء قبة الصخرة(٣٢) ، وإن كان هذا يخالف ما ذكرته المصادر عن سماح عمر بن الخطاب بإقامة ٧٠ عائلة يهودية وفى عهده كان اليهود يقومون بأعمال النظافة نظير إعفائهم من الجزية ولما تولى عمر ابن عبد العزيز الخلافة ٩٩-١٠١هـ / ٧١٧ - ٧١٩م شعر بسوء نيتهم وماقاموا به من شغب وشرب الخمر فأمر بإعفائهم من هذه الأعمال .

وعامة الفترة الأولى فى تاريخ يهود الإسلام أو القرون الأولى يسودها الغموض بالنسبة لوضعهم نتيجة لقلة المصادر وهناك إشارة فى بعض المصادر العربية لتواجد يهودى بسيط فى عدد من الأماكن فى فلسطين فابن خرداذبة " يذكر من بيت المقدس إلى البحيرة النتنة وربما يقصد "البحر الميت" ويخرج منه ملح يصلح للصباغة وأشار لإقامة اليهود "(٣٣) اليعقوبى أشار إلى وجود يهود من السامرة فى الرملة وفى نابلس(٣٤) .

ومع عصر الفاطميين الذى اعتبره اليهود عصراً ذهبيًا كما ذكر عدد كبير من مؤرخى اليهود كمارك كوهين وأبا إيبان وجوايتين حيث تملك اليهود الثروة وأصبح منهم كبار تجار ووزراء كابن عوكل ونهارى بن نسيم والتاهرتى والتسترى التاجر والوزير ورغم عدم وضع الفاطميين لأى قيود على حركة اليهود وسكناهم فلم يرغب أى منهم فى ترك القاهرة والمغرب والإقامة فى بيت المقدس بل فضلوا الإقامة فى القاهرة والفسطاط والقيروان ومدن الأندلس على الحياة فى بيت المقدس . ولم تتجاوز صلتهم بالقدس إلا تقديم الهبات للمعبد ولبعض الفقراء هناك .

وحتى حسداى بن شبروط حين لجأ إلى مصر لم يسع للإقامة فى بيت المقدس وموسى بن ميمون أقام فترة فى عكا ثم ذهب لمصر وعمل فى خدمة البلاط الأيوبى وكانت له دار فى الفسطاط .

ولقد تضاءلت أعداد اليهود فى فترة الحكم الصليبى لبيت المقدس التى استمرت ما يقرب من تسعين عامًا ويقول يهوشواع بن أرابيه " طوال المراحل التى تلت خراب الهيكل ، عاشت فى القدس طائفة يهودية فيما عدا فترات محدودة كالفترة الصليبية حينما لم يسمح لليهود بالعيش فى المدينة ، ولكن حينما فتح الطريق أمامهم ، حتى وإن لم يفتح إلا قليلاً ، عادوا إليها مع أن عدد العائدين أحيانًا كان ضئيلاً " (٣٥).

وبنيامين التطيلى ذكر أن فيها عدداً كبيراً من اليعاقبة والسريان والأرمن واليونان والكرج، والأفرنج من كل أمة ولسان ، وبها معمل للصباغة يستأجره اليهود من ملك بيت المقدس أمورى ١١٦٢-١١٧٣م / ٥٨٨ - ٥٩٦هـ ، فتنحصر فيهم هذه المهنة دون غيرهم ، ويبلغ عددهم فى هذه المدينة نحو المائتين ، ويقيموا فى مكان مجاور لبرج داؤد ، وبيت لحم فيها إحدى عشر يهوديًا ، كان الجليل بها كنيسة القديس إبراهيم ، وكانت أيام حكم المسلمين كنيسًا لليهود حتى استولى عليها الفرنج (٣٦).

وعرض بتاخيا راتسبان Patachia Ratisbon الذى زار القدس ١٢٨٠م / ٦٧٩هـ للوجود اليهودى فذكر أن بها يهوديًا واحداً يعمل صباغًا اسمه إبراهام ويدفع ضرائب للحاكم الصليبى ليسمح له بالبقاء (٣٧).

ومع استرداد المسلمين لبيت المقدس سمح صلاح الدين لليهود بالعودة . وذكر أحد المؤرخين اليهود أن العادل آخا صلاح الدين استقبل الوافدين من اليهود وسمح لهم ببناء مدارس دينية ودور عبادة ، ومع ذلك ظلت أعدادهم أقلية وأشار رجل دين يدعى صمويل بن شمشوز Samueil Ben Samson والذى زارها فى عام ١٢١٠م / ٦٠٧هـ يصحبه شخصية بارزة هى جوناثان هاكوين ، وأنهم أخذوا تصريح من حنا دى برين بالسماح لـ ٣٠٠ حاج فرنسى وإنجليزى من اليهود بالحضور والأمر يحتاج لإيضاح فهذه الفترة كانت القدس تحت سيطر المسلمين فى عهد العادل الأيوبى وربما يقصد السماح بالحضور إلى عكا ثم الذهاب إلى بيت المقدس ؛ لأن هناك هدنة مع المسلمين عقدها حنا دى برين عام ١٢١٠م / ٦٠٧هـ وربما لكونه حجاجًا من أقطار غربية لجأوا إلى حنا دى برين لمساعدتهم والدخول فى حمايته ولقد مات عد منهم لكبر سنه (٣٨).

استقبل الوافدين من اليهود عام ١٢٠٠ ويسمح لهم ببناء مدارس ودور عبادة ، ويذكر إسحق شيلو الذى زار القدس ١٣٣٤م/ ٧٣٥هـ فى عصر سلاطين المماليك أن بالقدس عائلات فرنسية وفى رامله يهودى واحد من قرطبة .

فمن الواضح أنه خلال فترة الحكم المملوكى التي استمر بين ١٢٥٠ - ١٥١٧م / ٦٤٨ - ٩٢٣هـ ، أن أعداد اليهود فى فلسطين كان محدوداً وغالبيتهم من الأشكيناز القادمين للحج أو لقضاء أخريات أيامهم للتبرك بالمكان والذين وافتهم المنية فأصبح الموجود مجموعة من أراملهم ، ونعموا بالتسامح من قبل السلطات الحاكمة .

ولقد أكد هذا الأمر اثنين من الرحالة واحد مسيحى والآخر يهودى زاراها فى فترة متقاربة.

وأولهما الياهو من فرارا الذى زارها عام ١٤٣٤م / ٨٣٨هـ فذكر أن اليهود يتاجرون فى الحرير ويعملون بصياغة الذهب فى القدس جنبًا إلى جنب مع التجار المسلمين ولم يكن بينهم غيرة أو حقد (٣٩).

ونفس الأمر أكده رحالة مسيحى هو فيلكس فابرى الذى زارها فى عهد قايتباى المحمودى فى الفترة ١٤٦٨ -١٤٩٦م / ٨٧٢ / ٩٠١هـ وذكر أن غالبية سكان المدينة من المسلمين - يأتى بعدهم المسيحيون الأرذوكس ويسميهم اليونان ، ثم السوريون واليعاقبة والأحباش والهنود والنساطرة ثم الأرمن وطائفة المارنويين المسيحيين . ومجموعات من البدو - وعدد من الحشيشية الباطنية ويهود ، ويبلغ تعدادهم خمسمائة فقط ولديهم طوائف عديدة كالسامرة، وكان المسيحيون اللاتين أقلية ، وأن عدد الطوائف المسيحية الأخرى حوالى ١٠٠٠ مسيحى .

ويشير فامبرى لقصة الكنيسة على جبل الزيتون تخص الفرنسيسكان التى طلبها اليهود من السلطان وادعوا أحقيتهم لها لأن فيها قبر النبى داوُد ، فرأى السلطان أن المسلمين أحق بقبر النبى داود وتبجيله فأخذها وجعلها مسجداً ، وهو يرى أن اليهود لم يسعوا إلى أخذها من المسيحيين تبيجيلاً للنبى داوُد ولكن للوصول إلى توابيت الملوك وإيجاد الكنوز التى يعتقدون بوجودها هناك .

وأورد عوبديا قصة مشابهة لقصة هذه الكنيسة وأنها تخص الفرنسيسكان وأن مقدسات الملوك كانت تخصهم من فترة طويلة ولكن حضر أحد أغنياء الأشكناز اليهود إلى القدس وحاول شرائها من السلطان ودخل فى صراع مع رجال الكنيسة فأخذها العرب نتيجة لذلك ولم

يعطوها لأحد منهم . ولما عرف فى البندقية أن المكان أخذ من الكاثوليك بسبب اليهود القادمين من الغرب والأراضى المسيحية ، فصدر مرسوم من البندقية بمنع سفر أى يهودى إلى فلسطين على مراكب البنادقة ، وقد ذكر النعيمى فى الأنس الجميل " فى عام ٨٩٤هـ أحدث النصارى المقيمين بدير صهيون كنيسة ظاهر القدس الشريف بالقرب من الدير "(٤٠) وساعدهم فى ذلك النائب . وذكر ما ترتب على الأمر وأدى إلى تحويلها إلى مسجد (٤١).

ويذكر عوبدايا أن هناك حوالى ٤ آلاف عائلة فى القدس منها ٧٠ يهودية من الطبقة الفقيرة ونادراً ما تجد عائلة تملك احتياجتها الضرورية ومن لديه خبز يكفيه يعتبر غنيًا ، ومجموعة اليهود الموجودين من كبار السن ومن آرامل الألمان والأسبان والبرتغال والأقطار الأخرى وكان العدد سبع نساء ورجل ".

وهذه الظاهرة لم تكن وليدة عصر المماليك فلقد اعتاد اليهود كغيرهم من الأديان وخاصة كبار السن الذين لديهم رغبة فى قضاء آخر أيامهم بجوار الأماكن الدينية للتبرك واكتساب الغفران ومن هنا كان وجود الأرامل الأشكناز .

وفى الجنيزة وفى وثيقة تعود إلى حوالى ١٠٦٠م/٤٥٩هـ كتب رجل فى خطاب أنه يأمل أن تدفن عظامه فى الأرض المقدسة ، ولكنه لم يمت وامتد به العمر ولم يجد أسباب العيش هناك فرحل إلى دمشق ثم بيزنطة ثم إلى القسطنطينية . ثم إلى سالونيك وكتب خطابًا إلى ابنه فى الفسطاط الذى لم يره من ٢٦ سنة (٤٢) ، ولقد تكرر هذا مع يهود آخرين من كبار السن . فهو لم يكن يقصد الهجرة والاستيطان وإقامة وطن وجديد ويقول يوسف دورى كان اليهود أقلية غير ذات طموحات سياسية وينقصها القوة وكان اليهود يعيشون فى حارة اليهود التى تقع في الجزء الجنوبى واذى يصل إلى باب العمود وباب النبى داود ويبدو أن العلاقات التى كانت قائمة بين اليهود وبين جيرانهم كانت علاقة إنسانية حسنة .

ونجد أن هناك عدداً من المصادر الإسلامية واليهودية أكد على تبجيل المسلمين للأماكن الدينية والتى كانت لها مكانها فى نفوس المسيحيين واليهود وكان يسمح لليهود بزيارتها .

فيذكر ابن بطوطة فى مدينة الخليل والتى زار مسجدها وهو منى بالصخر المنحوت وفى داخل المسجد والغار المكرم المقدس " فيه قبر إبراهيم وإسحق ويعقوب ، ويقابلها قبور ثلاثة هى قبور زوجاتهم وعن يمين المزارين جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل إلى مسلك ضيق يفضى إلى ساحة مفروشة بالرخام فيها صور القبور الثلاثة ، وكان

هناك مسلك إلى الغار وهو مسدود الآن ، وذكر أن بداخل هذا المسجد قبر يوسف عليه السلام وبشرقى حرم الخليل تربة له ، وهى على تل مرتفع يشرف على غور الشام وبالقرب من المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين ، وزار بيت لحم موضع ميلاد السيد المسيح " زرت أيضًا بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام وبه أثر جذع النخلة ، وعليه عمارة كثيرة والنصارى يعظمونه أشد التعظيم ويضيفون من نزل به " (٤٢) . كما زار عدوة الوادى مهد عيسى وكان يتبرك به " فهنا الأماكن الدينية يتبرك بها الجميع وهذا ما أكده عوبدايا الرحالة اليهودى الذى تحدث عن نفس المدينة الخليل " يوجد هناك الكهف الذى بنى عليه المسجد ويكرم المسلمون المكان وتحضر إليه جميع ملوك العرب للصلاة ولكن لا يستطيع عربى أو يهودى دخول الكهف ، ويلقى من يحضر نقوداً من نافذة فى مدخل الكهف حيث توجد المقابر ، وقال له اليهود أن جميع المزارع المجاورة تخص الكهف ، وهناك من يقوم من المسلمين بتوزيع الخبز والشعير وأنواع الطعام توزع على الفقراء دون تمييز بين الأديان يوميًا ، وعند أسوار الكهف فتحة ، وإنها فتحت بعد وفاة إبراهيم عليه السلام وسمح لليهود بالصلاة بجوارها " (٤٤) .

وكذلك كرر هذا ميسلوم الرحالة اليهودى فيما يتعلق بالخليل فذكر مقبرة الأنبياء " تقع فى وسط المدينة حيث الكهف وبنى المسلمون مسجداً هناك وأحاط المسلمون المكان بأسوار فيها فتحة حيث يدعو اليهود ويصلوا ويلقوا بالنقود والبخور والمسلمون يبجلون المكان ويوزعون ١٣,٠٠٠ ألف رغيف على الفقراء يوميًا تكريمًا لإسحق وإبراهيم ويعقوب وكان الخبز يحتوى على لحم . بالنسبة لإبراهيم أما إسحق ويعقوب يوزع خبز وماء وخضر " ويصف المقابر بأنها مصفحة بالمعدن الثمين والحرير والمفروشات الغالية ، وبالقرب من بيت لحم قبر راحيل وإن كل من المسلمين واليهود يكرمون هذه الأماكن ويصلى المسلمون هناك (٤٥).

فإذا كانت هذه الفترة فترة حكم المماليك كما ادعى بعض المؤرخين تعد فترة الانهيار نتيجة سياسة مماليك العصر الثانى وكما ذكر جوايتين لأنها فترة ظهور العصبية الدينية فما ذكره رحالتهم من اليهود أكبر دليل على روح التسامح ونفى تهمة التعصب ، فالاضطهاد لم يكن القاعدة أبداً ، وثمة أمر يخص الأكاديمية اليهودية سنورده بالتفصيل فى الجزء الثالث ، فلقد اعترف الفاطميون فى بداية حكمهم برئيس المعهد الفلسطينى رئيسًا على يهود دولتهم ، ولقد حدثت تطورات أدت إلى استبدال رئيس المعهد الفلسطينى بأحد الزعماء المحليين وأصبح الناجد فى مصر رئيسًا على يهود الدولة الفاطمية خلال القرن الحادى عشر وكان أشهر من

تولاها مبارك بن سعدايا . فالزعامة الدينية انتقلت إلى مصر فترة ثم جاء الصليبيون فانحسرت القيادة الدينية اليهودية عن القدس ، القدس لم تكن يهودية في العصور الوسطى .

المسيح :

هناك نظرية مرتبطة بفكرة العودة لبيت المقدس فى الدين اليهودى وهى شخصية المسيح ، وكما رأينا فلم تكن هناك محاولة من جموع اليهود فى العصور الوسطى للعودة إلى القدس أو سكناها ، بل ارتبطوا بالأقطار التى عاشوا فيها وارتبطت بحياتهم ومصالحهم . ولكن نجد ادعاء بعض اليهود ظهور المسيح المنتظر والتى ظهرت فى فترات بين بعض الأفراد ولم تلق استجابة من جموع اليهود كما حدث مع داود الرائى أو شبتاى صبى بل وقف أغلب اليهودموقفًا مضاداً منها كما ذكر بنيامين التطيلى بالنسبة لفتنة داود الرائى .

ولقد ادعى عدد من اليهود شخصية ذلك المسيح المنتظر ، وذلك لأهداف وأغراض معينة ، وارتبط ظهور أولئك المدعين بسياسة لها دوافع وأحداث استغلها أولئك المدعين فخلال فترة الحروب الصليبية ظهر واحد فى فرنسا ١٠٨٧م/ ٤٨٠هـ وآخر فى المغرب فى فاس ١١٢٧م / ٥٢١ هـ وقرطبة ١١١٧م/ ٥١١هـ(٤٦) .

ويذكر الدكتور المسيرى أن كلمة المسيح من مسح أى مسح بالزيت المقدس وكان اليهود على عادة الشعوب القديمة يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت بمعنى الروح الإلهى يسرى فيها(٤٧)، ولم تستخدم كلمة المسيح فى العهد القديم بالمعنى المحدد الذى اكتسبته ، فمن خلال أسماء التوراة الموسوية لا نجد شيء يستند إلى فكرة انتظار المسيح المخلص ، ولكن الباحثون واليهود منهم بوجه خاص ، أولوا ذلك وادعوه من خلال آيتين فى التوراة مع كثير من التعسف فالآية " تكوين " تقول " لايزول صولجانى من يهودا ومشترع من سلالته حتى يأتى شيلو وتطيعه الشعوب (تكوين إصحاح ٤٩/ ١٠) ولقد اختلفوا فى تفسير شيلو وفسره كل حسب نظرته فسعديا الفيومى يبدو أنه قرأ شيلو ومعناها بالعبرية الذى ينتمى إلى صاحبه ، لذلك يقول فى ترجمته بالعبرية " ولايزول القضيب من آل يهوذا ، والراسم من تحت أمره إلى أن يجيء الذى هو له وإليه تجتمع الشعوب " ، وأما الفرنسى جنيير يري رأيًا آخر فيقرأه موشلو بدلاً من شيلو ومعناها حاكمه أو المسيطر عليه والترجمة الرسمية للحاخامية اليهودية بفرنسا تقرأ شاليو ومعناها المسالم المتمسك بالهدوء والسكون (٤٨). وكلها كما نرى افتراضات حول نص غامض لا سبيل إلى الوصول إلى أوجه الحق فيه ولا يمكن أن ينطبق على المسيح بحال من الأحوال .

وهى ربما تشير إلى سبط يهوذا الذى ينتمى إليه داود وسليمان وأسرتيهما الملكية الوحيدة فى التاريخ اليهودى جعلوا الكلمة فيما بعد تشير إلى ملك من نسل داود سيأتى بعد ظهور النبى إلياهو (الياس) واعتقد اليهود أن إيليا أو الياهو سيأتى مبشراً بمجىء المسيح ، بل يقال أن المسيح هو ابن الأرملة الذى أعاده الياهو إلى الحياة وأنه سيأتى فى آخر الزمان بعد أن يتقدمه إلياهو . واعتقدت بعض فرق اليهود أن إلياهو والمشيخ شىء واحد .

ولقد بدأت العقيدة تظهر أثناء السبى البابلى وهى متأثرة بالفكر الفارسى ، فالديانة الفارسية كانت تدور حول صراع الخير مع الشر وإله النور مع الظلام ، وتنتهى بانتصار الخير ، وذلك الذى أسماه الفرس خيراً هو نفسه الذى أسماه اليهود المشيح ، ولقد تأكد بالنكبات التى حلت باليهود ، فكرة الأمل فى المسيح المخلص والتى سميت من مؤرخى تطور الفكر الإسرائيلى باسم المشيحانية ، ولقد تدعمت حين عادت الأسرة الحاكمة اليهودية حتي أنه عندما اعتلى الخشمانيون الفرس كان ذلك مشروطًا بتعهدهم بالتنازل فور وصول المشيح .

لقد أخذت عقيدة الماشيح صورتين متعارضتين ظاهراً على الأقل فهى دنيوية ، فالمسيح محارب عظيم سيعيد ملك اليهود ويبيد أعدائهم (اشعيا ٩ / ٩-٧ وصمويل ٧-١٩) أما الصورة الأخرى والتى ترد في سفر دانيال (٧-١٣) . فتظهره على أنه إنسان سماوى وأن طبيعته تجمع بين الله والإنسان وأنه سيأتى ليفتح ملكوت الأرض ويجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون . ويحطم أعداء إسرائيل ويتخذ أورشليم عاصمة له ويعيد بناء الهيكل .

ولقد ظهر عدد من الأدعياء والدجالين استغلوا هذا المعتقد منهم كما أشار يوسفوس كبركوبا سنة ٤٤م واتبعه عدد من اليهود وأراد استغلالهم لصالحه سياسيًا(٤٩) وادعى أنه سيشق ماء النهر ، وقتله الرومان هو وأتباعه ، وبعد هزيمته سماه اليهود بركوزيا أى ابن الكذاب ، وكان اسمه الأصلى بركوسيبا ، ولقد أشار المسيح عيسى بن مريم إلى هؤلاء فى انجيل متى "احذروا أن يضلكم أحد لأن الكثيرين سيأتون باسمى قائلين أنا المسيح ويضلون كثيرين " انجيل متى (٢٤ - ٤-٥) .

وفى العصر الإسلامى ومع التسامح الإسلامى والطمأنينة حاول أحد الأدعياء استغلال هذه الأسطورة بادعاء النبوة وهو إسحق بن يعقوب عوبديا المعروف باسم ابن عيسى الأصفهانى ، ولقد ذكر أنه كان فى عهد عبد الملك بن مروان ٦٨٢ - ٧٠٥م/٦٣ - ٨٧هـ ، وإن كان محقق بنيامين التطليلى يرجعه إلى مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية ٧٤٤ - ٧٥٠م / ١٢٧ - ١١٣ واسمه عبد الله أبا عيسى إسحق بن يعقوب(٥٠) ، وذكره الشهرستانى فى الملل

والنحل[٥١] . وكانت هذه الادعاءات تظهر بين الأقليات فى فترة الانتقال كالانتقال بين الأمويين والعباسيين ، ويقال أنه تناول الشريعة اليهودية التغيير والتبديل ثم خلفه تلميذه بودغان وهى كلمة فارسية مرادفه ليهوذا الذى ادعى بدوره أنه المسيح المنتظر وقدم تفسيراً باطنيًا للعهد القديم واعترف بعيسى ومحمد وفرض الصيام ولم يراعى شرائع السبت وينسب إليه الطائفة البودغانية .

وفى أيام عمر بن عبد العزيز ٧١٧ - ٧٢٠م / ٩٩ - ١٠٢هـ ظهر مسيح آخر في سوريا اسمه سيرنيوس وكان عمر بن عبد العزيز قد لاحظ اساءة استعمال اليهود للحرية التى نالوها فأخذهم بالشدة ، وسعى سيرنيوس المشيح لإقامة مجمع يهودى قائم على التحرر من سلطة الحاكم فأغفل شرائع التلمودذ والصلوات وألغى عقود الزواج ورفع الحظر على المحرمات فى الطعام والشراب إلخ واستمرت دعوته إلى عهد يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ولقد ألقى هذا الخليفة القبض عليه فادعى أنه لم يكن جاداً فأرسله الخليفة إلى بعض الربانيين من اليهود المتمسكين بعقيدتهم ليتوب وهكذا انتهت هذه الحركة وسعى من اتبعه إلى العودة إلى اليهودية الرسمية ، واستفتى فى هذا الجاؤون فى فومبدثيا الذى رأى إمكان عودتهم إلى حظيرة اليهودية بإيمانهم [٥٢].

وفى فترات الاضطراب السياسى والهجوم الخارجى على العالم الإسلامى كانت تظهر دعوات مشابهة فقد استغل البعض فترة الحروب الصليبية وما ساد العالم الإسلامى من عدم استقرار نتيجة لتلك الحملات .

وكان أشهر من ادعى شخصية المسيح المخلص داود الرائى وتحدث عنه بنيامين التطليلى أثناء رحلته وعرض أحباره فى العراق ويذكر باسم داود الرائى أو الروحى ويذكر بنيامين أن داود درس علي رأت الجالوت حسداى ورأس المثيبة جاؤون يعقوب فتضلع فى التوراة والفقه والتلمود وسائر العلوم ، وبرع بلغة المسلمين وآدابهم ونبغ بفنون السحر والشعوذة ، فدخل فى روعه أن يعلن العصيان على ملك العجم ، ويجمع حوله اليهود القاطنين فى أرض السلاجقة ومقاتلة النصارى للتمكين فى أورشليم والاستيلاء عليها وطرد المسلمين منها ، ويلاحظ أن المصدر العربى الوحيد عن هذه الفتنة هو كتاب " بذل المجهود فى إفحام اليهود" [٥٣].
لصمويل بن يحيى بن عباس المغربى الذى اعتنق الإسلام ببغداد ١١٦٢م/٥٥٨هـ ، أما المصادر اليهودية فتستند فى روايتها إلى رحلة بنيامين وتختلف فى اسم بطل القصة فبنيامين

يسميه داود الروحى وفى سلسلة التواريخ لابن يحيى يسمى داود المنصور وصاحب بذل المجهود يسميه مناحم بن سليمان ويعرف بابن الروحى والغالب أن اسم مناحم مختلق أطلقه هذا المسيح الدجال على نفسه لأن التقاليد اليهودية تقول أن المسيح المنتظر يحمل اسم مناحم أى المخلص .

ويمكن تحديد الفتنة بعام ١١٦٠م/٥٥٦هـ فى خلافة المقتفى لأمر الله العباسى اعتماداً على أن بنيامين ذكر أنه حدثت قبل قدومه بعشر سنوات وبنيامين زار فاس ١١٧٠م/٥٦١هـ وذكر بنيامين أنه تلقى العلم على يد رأس المثيبة وكان بن إسرائيل اللاوى تولي رئاسة المثيبة ١١٥٢م/٥٤٧هـ إلى ١١٦٠م/٥٥٦هـ لذلك يمكن القول أن داود قام بحركته فى حدود هذه السنة ويذكر بنيامين فى روايته ، أنه كان ينشر دعوته بالبراهين الباطلة " كأن يقول لهم أن الله قيضه لفتح القدس وإنقاذهم من نير الاستعباد ، وآمنت به جماعة من نساء اليهود وحسبوه المسيح المنتظر وذكر بنيامين أن سلطان العجم ويقصد قطب الدين مودود صاحب الموصل ٥٥٦هـ / ١١٦٠م كتب للخليفة أن يعلمه بما كان من أمر داود ، وسأله أن يوسط رأس جالوت ورؤساء المثيبة ببغداد ، لإنقاذهم من الهلاك المحقق بأن يرشدوا داود لطريق الصواب .

فكتب فعلاً كتابًا إلى داود ، وختموا كتبهم بالعبارات التالية :" ليكن أن موعد ظهور المسيح لم يحن بعد وليس لدينا براهين عن قرب ظهوره ، وهذا لا يأتى بالعنف ولا بشق عصا الطاعة وإنا لمطالبون بالكف عما أنت فيه والأمر من جماعة بنى إسرائيل" .

وأرسلت نسخة من الكتاب إلى الرئيس زكاى ويوسف الفلكى الملقب ببرهان الفلك فى الموصل ، لكى يبعث بمثل فحواه إلى داود بن الروحى ، فصدع رئيس الموصل وبرهان الفلك بالأمر فوجها إلى داود رسالة كلها اقناع ووعيد لكنه لم يعدل عن زيغه وأباطيله " فلما ولى الحكم الأمير زين الدين على بن بكتكين ذكر بنيامين أنه دبر مكيدة مع صهره داود ومنحه عشرة آلاف دينار فقتله وهو نائم ، ونجد بنيامين يلخص رأيه فى القصة " وهكذا انتهى أمره وتخلص اليهود من شره " (٥٤).

أما السموأل فذكر أن داود بعد أن درس فى بغداد عاد إلي العمادية واتصل بصاحب قلعتها ثم أصبح من أصدقائه المقربين لادعائه التدين فطمع هذا المحتال فى جانب الوالى واستضعف عقله فتوهم أنه سيتمكن من الوثوب على القلعة وأخذها ، وأنها ستكون له معقلاً

حصينًا ودخل فى روعه أنه المسيح المنتظر ، وأنه دعا يهود العمادية لحمل السلاح حتى أن الوالى قام بقتل صاحب الفتنة وحده حتى لا يكشف أمره وأن الباقين فروا بعد أن ذاقوا الخسارة والفقر.

ويتحدث السموأل بن يحيى عن أثر الفتنة فذكر أنه لما وصل الخبر إلى بغداد قام اثنين من محتالى اليهود ودواهى مشيختهم وقرروا على لسان داود كتبًا إلى يهود بغداد ليبشروا بالفرج الذين قديمًا ينتظرونه ، وأنه يعين لهم يومًا يطيرون فيها أجمعين لبيت المقدس فانقاد إليهم بعض السذج من اليهود وذهبوا بأموالهم وحليهم إلى الرجلين ليتصدقا بها على من يستحقه بزعمهما ، وصرف اليهود أغلب أموالهم على هذا الوجه ، واكتسوا ثيابًا خضراء ، واجتمعوا فى تلك الليلة علي أسطح المنازل ، وفى الصباح لم يحدث شيء واكتشفوا أنهم خدعوا وأخذ المحتالان أموالهم وتكشف وجه الحيلة ، واكتشفوا كذبهما فسموا ذلك العام عام الطيران (٥٥). ويذكر د. مسيرى أن بدايتها كان فى بغداد والموصل ثم انتقلت بعد هزيمته إلى آمد بكردستان ولكن ما ذكره السموئل يشير إلى أن بدايتها الحقيقية فى آمد واعتقد أن هذا الأرجح ولازالت توجد أعداد من اليهود هناك أقرب إلى الصواب من الفترة التاريخية السابقة ويرجع د.مسيرى أسبابها إلى هجوم القفجاق على اليهود فى كردستان وأن داود أيده يهود آذربيجان وبعد هزيمته انتقل إلى آمد لأنها على الطريق الاستراتيجى الموصل بين مملكة الخزر السابقة والممالك الصليبية .

ومن الواضح أن هذه المحاولات لم تلقى استجابة بل انضم إليها عدد بسيط من السذج ولقد استغل هؤلاء الطامعين الأوضاع القائمة من صراع إسلامى صليبى ، وقيام الصليبيون بتكوين ممالك لهم فى الشرق ، واستغل بعض اليهود حلم المسيح لصالحه فظهر المدعون ولكن مالبث أن انتهت حياتهم بالقتل .

ولقد ظهر فى الغرب بعضًا من هؤلاء حيث وجدوها فرصة صالحة لنشر دعوتهم فهناك ديفيد رؤبين ت ١٥٣٥م/٩٤٢هـ والذى ولد مع نهاية فترة العصور الوسطى ١٤٩٠م/ ٨٩٦هـ وادعى أنه ابن ملك يسمى سليمان وأخ لملك يسمى بيوسف ولكنه ولد فى خيبر بالقرب من المدينة المنورة وتوفى فى أسبانيا ١٥٣٥م بدأ دعوته بادعاء أنه الوريث الشرعى لمملكة خيبر وأنه حاكم قبيلة جاء وروبين ونصف قبيلة منشا التى قضى عليها المسلمون وأرسل إلى البابا فى روما وإلى ملوك أوربا يطلب أن يمدوه بأسلحة ليحارب العرب واستقبله البابا كلمنت السابع فى الفاتيكان ١٥٢٤م لتحقيق أغراضه (٥٦).

وفى السنة التالية جري له استقبال رسمى فى قصر ملك البرتغال وكثر اتباعه فى أوربا وذاع صيته ولكن أدى هذا إلي أن عدداً كبيراً من اليهود الذين دخلوا المسيحية بدءوا يتهودون من جديد ومنهم دييجو بيريز الذى أصبح اسمه سلومون مولوخو ولقد أدى هذا إلى إحراق سلومو لارتداده ثم القبض على داود وإيداعه السجن ثم دس له السم ومات ، ويورد ادلر رحلته فى كتابه الرحالة اليهود ١٥٢٢-١٥٢٥م/٩٢٩ -٩٣٢هـ حيث كتب يومياته وادعى أنه بدأ رحلته من جدة ثم الحبشة ومصر وفلسطين ثم عاد إلى الاسكندرية ثم روما حيث قابل البابا ومنحه مالاً وخطابًا لملك البرتغال (٥٧)، ولقد كانت محاولات دافيد لاستغلال تطلعات البابوية للسلطة الدينوية وأملاً فى حملة صليبية بعد انتهاء فترتها .

ثم هناك شبتاى صبى وأحيانًا تكتب زيفى ولد عام ١٦٢٦م / ١٣٦هـ ومات فى ألبانيا ١٦٧٥م / ١٠٨٦هـ وأبوه من سلاله من الأشكناز الألمان واستقر فى سمرنه ـ أزمير) ودرس التلمود والتوراة وأصبح أبوه من كبار الأغنياء ، وهذه الفترة كانت بداية تدهور للشبكة التجارية اليهودية فى العالم وتدنى وضع النخبة اليهودية بسبب تصاعد عملية تركز السلطة فى يد الدولة (٥٨). وادعى أنه المسيح وأعلن رؤساء اليهود لعنهم له فهرب إلى القسطنطينة وأرسل رؤساء اليهود يحذرون منه فهرب إلى سالونيك ثم إلى مصر واستعان بيهودى اسمه رفائيل يوسف مدير ضريبة الدولة ورئيس الطائفة اليهودية ومساعده وذهبا إلى فلسطين ولم يكن لهما من المؤيدين سوى مجموعة من الفقراء والصعاليك وطرده الحاخامات من القدس فعاد إلى أزمير ١٦٦٥م/١٠٧٦هـ وقبض عليه ودخل السجن وأحضره حاكم أدرنه ، ومثل أمام السلطان العثمانى محمد الرابع واعتنق الإسلام وأصبح اسمه محمد أفندى وسمى زوجته سارة فاطمة .

ورغم إسلامه ودراسته القرآن وتفسيره فإنه كلما قابل اتباعه أنكر الإسلام وإذا التقى بالأتراك راح يتناول اليهود بالسخرية وإذا التقى اليهود سخر من الدين الإسلامى . وبعد ذلك أحس الأتراك بخطورته فنفوه إلى البانيا ومات ١٦٧٥م ودفن فى مقابر المسلمين وأطلق على أتباعه الدونمة وفى الأصل تعنى العقيدة ذات الأصلين اليهودى والمسلم ولقد ادعى ابنه وحفيده نفس الأمر وتابع له أيضًا اسمه مردخاى .

الهوامش :

١ - حسن ظاظا : القدس مدينة الله أم مدينة داود ، الإسكندرية ١٩٧٠ ، ص ٦ .

٢ - ظاظا : القدس ، ص ٨ .

٣ - ظاظا : القدس ، ص ٩ .

٤ - ظاظا : القدس ، ص ٩ ، ١١ .

٥ - ظاظا : القدس ، ص ١٩ .

٦ - أمنون كوهين : القدس دراسات فى تاريخ مدينة القدس ١٩٩٠ .

٧ - جوايتين : القدس فى الفترة العربية ٦٣٨ - ١٠٩٩ (من كتاب القدس دراسات فى تاريخ مدينة ، ص ١١ - ٢٥ .

٨ - حركة القمع فى ٢٢٧ هـ ثار أبو حرب المبرقع اليمانى فى فلسطين لأسباب شخصية وألبس وجهه برقعًا لئلا يعرف ، وأخذ يحرض الناس على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويذكر السلطان فيعيبه واستجاب إليه أتباع قيل ما بين ٥٠ ومائة ألف رجل وأرسل إليه المعتصم أحد قواده فطاوله حتى وقت الحصار فتفرق أصحابه عنه وقبض عليه قائد المعتصم وأسره وجاء به إلى سامرا ، الدورى : العصر العباسى، ص١٩٣ ، الطبرى جـ١١ ، ص ٦ .

٩ - حواء لاتروس يافه : قدسية القدس فى الإسلام من كتاب القدس ، ص ٣٥ - ٤٦ .

١٠ - يهوشواع برفر : القدس كما انعكست فى المفاهيم المسيحية واليهودية فى مستهل القرون الوسطى من كتاب القدس ص ٤٦ - ٧٨ .

١١ - " Encyclopedia Judaica : Isreal pocket library Jeursalem المادة مقتبسة من دائرة المعارف اليهودية ، . Jerusalem 1973

١٢ - جواد على : العرب قبل الإسلام ، ص ٦٥ .

١٣ - جدع جلادى : إسرائيل نحو الانفجار ، ص ٢٥ .

١٤ - الاصطخرى : نفس المصدر ، ص ٥٨ .

١٥ - رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة سهيل زكار ، ص ١١٤ .

١٦ - اليعقوبى : نفس المصدر ، ص ٨١ .

١٧ - المقريزى : السلوك ج١ ، ق١ ، ص ٥١٧ ؛ المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٣٤ .

١٨ - ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١ ، ص ٣٢٥ .

١٩ - العليمى : الأنس الجليل ، جـ٢ ، ص ٧٣ .

٢٠ - آشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ص ٣٧٢ ، ٢٧٥.

٢١ – على السيد : القدس فى العصر المملوكى ، ص ٦٩ .

٢٢ – العليمى : الأنس الجليل ، جـ٢ ، ص ٧٠٣ .

٢٣ – يوسف دورى : القدس فى عصر المماليك ، كتاب القدس ، ص ١٠٩ .

٢٤ – ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٥٥ – ٥٨ .

٢٥ – مؤنس : الرحالة الأوربيين فى مملكة بيت المقدس ١٠٩٩ ، ص ٢٢ .

26 - Felix Fabri : The Book of the wandering , Vol I, p, 226 .

٢٧ – العماد الأصفهانى : سنا البرق الشافى ، تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ، ص ١١٦ .

٢٨ – ابن الأثير : الكامل ، جـ١١ ، ص ٥٢ – ٥٣ .

٢٩ – على السيد على : نفس المرجع ، ص ٨٢ .

٣٠ – أحمد دراج : وثائق دير صهيون ، ص ٢٢ ، ٢٥ .

٣١ – يوسف درورى ، ص ١١٧ .

32 - Mark Cohen : Prescution p, 145 - 165 .

٣٣ – ابن خردذابه : المسالك ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

٣٤ – اليعقوبى : كتاب البلدان ، ص ٨٩ .

٣٥ – يهوشواع أربيه : القدس القديمة والجديدة فى القرن التاسع عشر كتاب القدس ، ص ١٩٤ ، ٢٢ .

٣٦ – بنيامين التطيلى ، ص ١٥٢ – ١٥٥ .

37 - Patachia of Ratisbon , p. 77 .

38 - Sameul Ben Samson , 103 - 110 .

39 - Elijahu of Ferrara. p, 153 .

٤٠ – ذكر القصة كل من Felix Fambrey , op. cit ، Obedeah .

٤١ – النعيمى ، جـ٢ ، ص ٦٧٦ ، ٦٨٢ .

42 - Mann : P. 125 .

٤٣ – ابن بطوطة : نفس المصدر ، ص ٥٥ – ٥٨ .

44 - Obadiah de Bertinoro , p. 232 .

45 - Meshullam, op. cit ., p. 185 - 186 .

٤٦ – ظاظا : الفكر الدينى ٩١ – ١٩٩ – ١١٦ ، ١١٧ .

٤٧ – المسيرى : الموسوعة « اليهود واليهودية » ، ص ٢٩٤ ؛ الفكر المسيحانى فكر حلولى متطرف يعبر عن فشل الإنسان فى فصل الحدود وعن ضيقه بفكرة حدود الإرادة الإنسانية وبالعقل البشرى وبالتاريخ واعتباره المجال الذى تركه الإله بالمسيح وربما يرجع لتأثرهم بالإسلام .

٤٨ - ظاظا : الفكر الدينى ، ص ٩١ - ٩٩ .

٤٩ - ظاظا : الفكر الدينى ، ص ١١٦ - ١١٧ .

٥٠ - بنيامين التطيلى : ص ١٥٢ - ١٥٥ .

٥١ - الشهرستاني : الملل والنحل ، جـ٢ ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، هامش كتاب ابن حزم الفصل فى الملل والأهواء والنحل .

٥٢ - بنيامين ، ص ١٥٢ - ١٥٥ ؛ ظاظا : الفكر الدينى ص ١١٧ .

٥٣ - السموءل بن يحيى المغربى الطبيب : الذى اعتنق الإسلام فى بغداد ٥٥٨هـ / ١١١٢ وارتحل عنها إلى آذربيجان حيث خدم بيت البهلوان وأمراء دولتهم وتوفى ٥٧٠هـ /١١٧٤م ، وعلى هذا يكون شاهد حوادث تلك الفتنة عن كثب فادرجها فى فصل خاص فى رسالته لأنه وجد فى موضوعها وسيلة للطعن فى اليهود فى كتابه بذل المجهود فى إفحام اليهود ، ص ٢٠٢ .

٥٤ - بنيامين التطيلى ، ص ١٥٥ .

٥٥ - السموءل : بذل المجهود ، ص ٢٠٤ .

56 - David Reubeni in Adler Jewish travellers , p. 278 - 288 .

٥٧ - المسيرى : الموسوعة « اليهود واليهودية » ، ص ٣٠٠ .

٥٨ - ظاظا : الفكر الدينى ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

قائمة المصادر والمراجع(*)

- آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة . ط٢ . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ (الألف كتاب الثانى - ١٦٨) .
- آشتور (آ.) : التاريخ الاقتصادى الاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادى عبلة ، مراجعة أحمد غسانو . دمشق ، دار قتيبة ، ١٩٨٥م.
- أحمد رمضان أحمد : حضارة الدولة العربية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية . القاهرة ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية ، ١٩٧٨م.
- أحمد سوسة : ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق . بغداد ، جامعة بغداد ، مركز الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٨م.
- أحمد الطاهرى : عامة قرطبة فى عصر الخلافة ، دراسة فى التاريخ الاجتماعى الأندلسى ، منشورات عكاظ . (سلسلة المعتمد بن عباد للتاريخ الأندلسى ومصادره).
- أحمد عبد اللطيف : الدور السياسى والحضارى للمغاربة والأندلسيين فى مصر فى عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية . جامعة طنطا ، كلية الآداب ١٩٩٢ (رسالة دكتوراة غير منشورة) .
- أحمد غسانو سبانو : تاريخ دمشق القديم ، دمشق ، دار قتيبة .
- أخبار مجموعة وفتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق محمد زينهم ، القاهرة ، دار المفرجانى ، ١٩٩٤م.
- أرنولد : الدعوة للإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ، ١٩٧٠م.
- إسبوزيتو (چول ل .) : التهديد الإسلامى خرافة أم تحقيق ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ط٢ ، القاهرة ، دار الشروق ، ٢٠٠٢ .
- إسرائيل شاحاك : التاريخ اليهودى ، اليهودية وطأة ثلاث آلاف سنة ، ترجمة صالح على سوداح ، بيروت ، بيسان ، ١٩٥٥م.

---

* - رُتبت هذه القائمة ترتيبًا هجائيًا محضًا ، مع إغفال أل ، ابن ، وأبو حكمًا ووجودها رسمًا .

- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام . القاهرة ، مطبعة الاعتماد / لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٢٧م.
- .... : موسى بن ميمون . القاهرة ، ١٩٣٦م.
- أشرف الصباغ : غواية إسرائيل ، الصهيونية وانهيار الاتحاد السوفيتى . القاهرة ، جماعة حور الثقافية ، ٢٠٠٠م .
- أمنون كوهين : القدس دراسات فى تاريخ المدينة ، ترجمة سلمان مصالحة ، مراجعة إسحاق حسون ، ياريتسحاق بن تسفى ، القدس ، ١٩٩٠م.
- الإدريسى (محمد بن محمد بن عبد الله) : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . بيروت ، ١٩٨٩م ، ٢ جـ .
- الأزدى (محمد بن عبد الله) : تاريخ فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر . القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٧٠م.
- الأزرقى (أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد) : أخبار مكة ، تحقيق رشدى صالح ملحس . القاهرة ، دار الأندلس ، ١٩٩٦ . ٢ جـ × مج .
- الأصطخرى (أبى إسحاق إبراهيم) : مسالك الممالك . بيروت ، ليدن ، ١٩٢٧م.
- هيمان (أ) : الأصولية اليهودية ، ترجمة سعد الطويل ، مراجعة جمال أحمد الرفاعى ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٨م (الألف كتاب الثانى ٢٩٧) .
- بدران محمد بدران : التوراة : العقل ، العلم ، التاريخ . القاهرة ، دار الأنصار ، ١٩٧٩م.
- بزرك : عجائب الهند .
- ابن بطوطة (أبى عبد الله محمد بن عبد الله) : رحلة ابن بطوطة . بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٢م.
- البغدادى (عبد القاهر بن طاهر) : الفرق بين الفرق . بيروت ، دار الجيل / دار الآفاق ، ١٩٨٧م.
- البغدادى (عبد اللطيف) : رحلة عبد اللطيف البغدادى فى مصر . القاهرة ، ١٩٥٨م.
- بنيامين التطيلى (النبارى الأندلسى) : رحلة بنيامين (٥٦١ - ٥٦٩هـ / ١١٦٥ - ١١٧٣) ، ترجمة عزرا حدد : بغداد ، ١٩٤٥م.
- البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر) : فتوح البلدان ، تحقيق طلاح الدين المنجد . القاهرة، الهيئة المصرية ، د.ت . ٣ جـ .

- ترتون (أ . س) : أهل الذمة فى الإسلام ، ترجمة حسن حبشى . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م (تاريخ المصريين - ٧٠) .
- التوراة السامرية : النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية ، ترجمة الكاهن السامرى أبو الحسن إسحق الصورى ، نشر أحمد حجازى السقا . القاهرة ، دار الأنصار ، ١٩٧٨م.
- توفيق سلطان اليوزبكى : تاريخ أهل الذمة فى العراق (١٢٠ - ٢٤٧هـ) ، الرياض ، ١٩٨٣م.
- تيودور هرتسل : الدولة اليهودية ، ترجمة محمد يوسف رعدس ، مراجعة عادل حسن غنيم. القاهرة ، دار الزهراء ، ١٩٩٤م.
- الجاحظ (أبى عثمان) : المختار فى الرد على النصارى . بيروت ، د.ت .
- جدع جلادى : إسرائيل نحو الانفجار الداخلى ، التقاطب بين المستوطنين الأوربيين وأبناء دار الإسلام ، مراجعة عبد المجيد إبراهيم . القاهرة ، دار البيان ، ١٩٨٨م.
- جرنى (أ . د) : الحيثيون ، ترجمة محمد عبد القادر محمد ، مراجعة فيصل الوائلى . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٧م (الألف كتاب الثانى - ٢٥٧).
- جروهمان (أودلف) : مجموعة أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، ترجمة عبد الحميد حسن ، محمد مهدى علام . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٦٨، ٦ جـ .
- جمال حمدان : شخصية مصر ؛ دراسة فى عبقرية المكان . القاهرة ، ١٩٩٣م. ٤جـ .
- جوايتين (س.د) دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ، ترجمة عطية القوصى . الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٨٠م.
- حامد عبد القادر : الأمم السامية ، مصادر تاريخها وحضارتها . القاهرة ، ١٩٨١م.
- حاييم الزعفرانى : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ترجمة أحمد شملان عبد الغنى أبو العزم . د.م ، د.ن ، ١٩٨٧م.
- ابن حزم الأندلسى (الإمام أبى محمد على الظاهرى) : الفصل فى الملل والأهواء والنحل. بيروت ، دار صادر ، ١٣١٧.

- ابن حزم الأندلسى : الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى ، تحقيق إحسان عباس . القاهرة ، مكتبة دار العروبة ، ١٩٦٠م.
- حسن أحمد محمود ، منى حسن محمود : تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة . القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٩م
- حسن ظاظا : القدس مدينة الله أم مدينة داود . الإسكندرية ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٠م.
- .... : الفكر الدينى اليهودى ، أطواره ومذاهبه . ط٣ . دمشق ، دار القلم ، ١٩٩٥م.
- حسن ظاظا ، السيد محمد عاشور : اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة . القاهرة ، د.ت ، ١٩٧٥م.
- حسنين محمد ربيع : وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانى الحجاز واليمن فى العصور الوسطى ، من كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية . جامعة الرياض ، ١٩٧٩م.
- حمزة الأصفهانى (حمزة بن الحسن) : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د.ت .
- حواء لاتسروس يافه : قدسية القدس فى الإسلام . من كتاب دراسات فى تاريخ المدينة . القدس ، ياديتسحاق بن تسفى ، ١٩٩٠م.
- حورانى (البرت) : تاريخ الشعوب العربية ، ترجمة نبيل صلاح الدين ، مراجعة عبد الرحمن الشيخ . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩. ٢جـ (الألف كتاب الثانى) .
- ابن حيان الأندلسى : المقتبس فى تاريخ الأندلس ، تحقيق إسماعيل العربى . المغرب ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٩٠م.
- ابن حيان القرطبى : المقتبس لابن حيان ، نشره شالميت ، ف كوريتطى ، م. صبح . مدريد ، المعهد الأسبانى العربى / كلية الآداب بالرباط ، ١٩٧٩م ، جـ٥ .
- ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله) : اللمحة البدرية فى الدولة النصرية . ط٢. بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٨م.

- ابن خلدون (عبد الرحمن) : تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربرى) . بيروت ، ١٩٩٢م.
- دان أوريان : شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى ، ترجمة محمد أحمد صالح ، مراجعة محمد خليفة حسن . القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠ (المشروع القومى للترجمة - ٢٠٨) .
- دراسات فى تاريخ المغرب . كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين ، الدار البيضاء ، ١٩٩٠م.
- ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) : الانتصار لواسطة عقد الأمصار فى تاريخ مصر وجغرافيتها ، تحقيق لجنة إحياء التراث . بيروت ، العربى ، د.ت . جـ٤ ، ٥ .
- دليل وثائق وأوراق الجنيزا الجديدة . جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، مركز الدراسات الشرقية ، ١٩٩٣م.
- الدمشقى (أبى الفضل جعفر بن على) : الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق البشرى الشوربجى . الإسكندرية ، ١٩٧٧م.
- دنلوب (د.م) : تاريخ يهود الخزر ، ترجمة وتقديم سهيل ذكار . دمشق ، دار حسان ، ١٩٩٩م.
- الدوادار المنصورى (بيبرس بن عبد الله المنصورى الناصرى الخطائى) : التحفة الملوكية فى الدولة التركية ، تاريخ دولة المماليك البحرية فى الفترة من (٦٤٨ - ٧١١هـ) ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان . القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٨٧م.
- دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة أكرم فاضل . بغداد ، ١٩٧١م.
- دوزى (رينهرت) : المسلمون فى الأندلس ، ترجمة حسن حبشى . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، ٣ جـ .
- رشاد عبد الله الشامى : القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة . الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، ١٩٩٠م. (عالم المعرفة - ١٨٦) .

- رشاد عبد الله الشامى : إشكالية الهوية فى إسرائيل . الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، ١٩٩٧م (عالم المعرفة - ٢٢٤) .
- .... : الرموز الدينية فى اليهوردية . جامعة القاهرة / مركز الدراسات الشرقية ، ٢٠٠ (سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية - ١١) .
- رفعت سيد أحمد : وصف مصر بالعبرى ؛ تفاصيل الاختراق الإسرائيلى للعقل المصرى . القاهرة ، سينا للنشر ، ١٩٨٩م.
- رقيق القيروانى : تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب . القاهرة ، دار الفرجانى ، ١٩٩٤م.
- روجيه جارودى : ملف إسرائيل ، دراسة للصهيونية السياسية ، ترجمة مصطفى كامل فودة.
- روجيه جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية (الترجمة الكاملة الشرعية) ، ترجمة محمد هشام ، تقديم محمد حسنين هيكل ، ط٣ . القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٩م.
- ابن الزبير (القاضى الرشيد) : الذخائر والتحف ، تحقيق محمد حميد الله ، مراجعة صلاح الدين المنجد . ط٢ . الكويت ، ١٩٨٤م.
- ابن أبى زرع : التبصرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ، ترجمة عبد الهادى شعيرة ، مراجعة مصطفى العبادى ، ١٩٥١م.
- ابن أبى زرع (أبو الحسن على بن عبد الله) : الأنيس المطرب بروض القرطاس .
- سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية ، ترجمة السيد يعقوب . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ (الألف كتاب الثانى - ٣٠٧) .
- السخاوى (محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عثمان) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . القاهرة ، ١٣٥٣ / ١٣٥٤هـ .
- سعيد عبد الفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام .ط جديدة مزيدة . القاهرة، دار النهضة العربية ، ١٩٩٣م.
- سليم شعشوع : العصر الذهبى ؛ صفحات من التعاون اليهودى العربى فى الأندلس . القاهرة ، الجامعة الأمريكية ، ١٩٧٩م.

- السمهودى (جمال الدين أبى المحاسن عبد الله بن شهاب الدين بن العباس بن أحمد الحسينى الشافعى) : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى . القاهرة ، مطبعة الآداب ، ١٣٢٦هـ.
- السموءل بن يحيى بن عباس المغربى : بذل المجهود فى إفحام اليهود ، تحقيق عبد الوهاب طويلة . دمشق ، دار القلم ، ١٩٨٩م.
- سميث (روبر تسن) : محضرات فى ديانة الساميين ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، محمد خليفة حسن . القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٧م. (المشروع القومى للترجمة) .
- سناء عبد اللطيف صبرى : ثقافة السلام لدى الأطفال الإسرائيليين ، دراسة تحليلية لديوان (سلامى وأمنى) . ط٢ . القاهرة ، مدبولى . ١٩٩٩م.
- سهام نصار : الصحافة الإسرائيلية والدعاية الصهيونية فى مصر . القاهرة ، الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٩١م.
- .... : اليهود المصريون صحفهم ومحلاتهم ١٨٧٧ - ١٩٥٠ ، تقديم خليل صابات . القاهرة ، العربى ، د.ت .
- ابن سهل (القاضى أبى الأصبع عيسى) : وثائق فى إحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى ، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، مراجعة محمود على مكى ، مصطفى كامل إسماعيل . القاهرة ، المركز العربى ، ١٩٨٠م.
- سوزان السعيد يوسف : المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية ، دراسة عن مولد يعقوب أبى حصيرة بمحافظة البحيرة . القاهرة ، عين للدراسات ، ١٩٩٧م.
- سلام شافعى محمود سلام : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى والعصر الأيوبى (٤٦٧ - ٦٤٨ هـ / ١٠٧٤ - ١٢٥٠م) . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢م.
- .... : النشاط التجارى فى خيبر فى الجاهلية وحتى الفتح سنة ٧ هـ / ٦٢٨م . الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٨٩م.
- .... : حصون خيبر فى الجاهلية وعصر الرسول . الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٨٩م.

- .... : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٥م (تاريخ المصريين - ٧٥) .
- سيجموند فرويد : موسى والتوجيد ؛ اليهودية فى ضوء التحليل النفسى ، ترجمة عبد المنعم حفنى ، مراجعة محمد الدمياطى . القاهرة ، الدار المصرية ، ١٩٧٣م.
- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة . الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٦١م.
- سيد محمد عاشور : اليهود فى عصر المسيح . دمشق ، ١٩٩٣م.
- سيدة إسماعيل الكاشف : مصر فى عصر الأخشيديين . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٩م (تاريخ المصريين - ٢٩) .
- سيديو : خلاصة تاريخ العرب . بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
- السيرافى : رحلة السيرافى ؛ تحقيق عبد الله الحبشى . أبو ظبى ، المجمع الثقافى ، ١٩٩٩م.
- السيوطى (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن على بن عبد الخالق المنهاجى) : اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى ؛ تحقيق أحمد رمضان أحمد . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب /مركز تحقيق التراث ، ١٩٨٤م. ٢ جـ .
- أبى شامة المقدسى (شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم) : الروضتين فى أخبار الدولتين . بيروت ، دار الجليل ، د.ت . ٢ جـ .
- .... : تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، نشره السيد عزت العطار الحسينى . بيروت ، دار الجليل ، د.ت .
- شلومر دوف جوايتين : القدس فى الفترة العربية ٦٣٨ - ١٠٩٩ (من كتاب دراسات فى تاريخ المدينة) . القدس ، ياد يتسحاق بن تسفى ، ١٩٩٠م.
- الشهرستانى (أبى الفتح عبد الكريم) : كتاب الملل والنحل (على هامش كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل) . بيروت ، دار صادر ، ١٣١٧هـ .
- شوقى عبد القوى : تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الاسلامية (٤١ - ٩٠٤هـ / ٦٦١ - ١٤٩٨م) . الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، ١٩٩٠م (عالم المعرفة - ١٥١) .

- صبحى لبيب : التجارة الكارمية ، وتجارة مصر فى العصور الوسطى . المجلة التاريخية المصرية ، مج ٤ ، جـ٢ ، ١٩٥١م.
- صموئيل أتينجر : اليهود فى البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠) ، ترجمة جمال أحمد الرفاعى ، مراجعة رشاد عبد الله الشامى . الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، ١٩٩٥ . (عالم المعرفة - ١٩٧) .
- صلاح أحمد عيد خليفة : طبنة قاعدة الزاب المغربى (١٢٤ - ٢٩٣ هـ / ٧٦١ - ٩٠٦م)، مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب / جامعة المنيا ، قسم التاريخ ، يناير ٢٠٠٢ .
- أبى ضياء المكى الحنفى : مكة المشرفة ، والمسجد الحرام ، والمدينة الشريفة ، والقبر الشريف، تحقيق علاء إبراهيم الأزهرى ، وأيمن نصر الأزهرى ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧م.
- الطبرى (أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى) : تاريخ الطبرى ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩م.
- عادل حسن غنيم : حائط البراق أم حائط المبكى . القاهرة ، مركز بحوث الشرق الأوسط، دار قباء ، ٢٠٠١ .
- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصرى) : فتوح مصر والمغرب ؛ تحقيق عبد المنعم عامر . القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٩ . ٢ جـ (الذخائر - ٤٩ - ٥٠) .
- عبد الحليم عويس : دولة بنى حماد ، صفحة رائعة من التاريخ الجزائرى . ط٢ ، القاهرة ، دار الصحوة / دار الوفاء ، ١٩٩١م.
- عبد الرحمن بشير : اليهود فى المغرب العربى (٢٢ - ٤٦٢هـ / ٦٤٢ - ١٠٧٠م) . القاهرة ، عين للدراسات ، ٢٠٠١ .
- عبد العزيز الثعالبى : تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامى إلى نهاية الدولة الأغلبية ، تحقيق أحمد بن ميلاد محمد إدريس ، تقديم حمادى الساحلى . بيروت ، دار الغرب الإسلامى ، ١٩٨٧م.
- عبد المنعم حفنى : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية . القاهرة ، مدبولى ، ١٩٨٠م.

- عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ؛ تحقيق محمد زينهم محمد عزب. القاهرة ، دار الفرجاني ، ١٩٩٤م.
- عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . القاهرة ، مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٤م.
- .... : الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم / معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥م.
- .... : الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ . القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٧م.
- .... : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ؛ نموذج تفسيري جديد . القاهرة، دار الشروق ، ١٩٩٩ . ٥ مج .
- .... : من هو اليهودي . ط٢ . القاهرج ، دار الشروق ، ٢٠٠١م.
- ابن العديم (كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله) : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان . دمشق ، المعهد الفرنسي ، ١٩٥١. ٣ جـ .
- عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦م.
- علي أحمد : الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري . دمشق .
- علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي . القاهرة ، دار الفكر للدراسات ، ١٩٨٦م.
- ابن عمارة اليمني : تاريخ اليمن ؛ تحقيق محمد زينهم محمد عزب . بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٢م.
- علاء طه رزق : تاريخ القدس في المصادر المملوكية المتأخرة . القاهرة ، جامعة القاهرة / مركز بحوث والدراسات التاريخية ، ٢٠٠١م.
- فؤاد حسين : أطماع اليهود وأسفارهم . بيروت ، دار الكتب الثقافية ، ١٩٨٩م.
- أبي الفداء (عماد الدين إسماعيل) : المختصر في أخبار البشر . القاهرة ، مكتبة المثنى ، د.ت . ٤ جـ × ٢ مج .
- فراس السواح : آرام ، دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي . دمشق ، ١٩٩٥م.

- ابن الفرضى الأندلسى : كتاب الألقاب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب . بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٢م.

- فوشيه الشارترى : الاستيطان الصليبى فى فلسطين ، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥ - ١١٢٧م ؛ تحقيق وترجمة قاسم عبده قام ، القاهرة ، دار الشروق ، ٢٠٠١م.

- فيليب فارج ، يوسف كرباج : المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى ، ترجمة بشير السباعى . القاهرة ، سينا للنشر ، ١٩٩٤م.

- قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى . القاهرة ، دار الفكر للدراسات ، ١٩٨٧م.

- ابن قتيبة (أبى محمد عبد الله بن مسلم) : المعارف ؛ تحقيق ثروت عكاشة . ط٦ . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م.

- ابن قتيبة الدينورى (أبى محمد عبد الله بن مسلم) : كتاب عيون الأخبار . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٩٦. ٤جـ × ٢ مج .

- - ابن القفطى (جمال الدين أبى الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف) : أخبار العلماء بأخبار الحكماء . القاهرة ، المتنبى ، د.ت .

-- ابن القفطى (رجال الدين أبى الحسن على بن يوسف) : إنباه الرواه على أبناه النحاه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . بيروت ، مؤسسة الكتب ، ١٩٨٦. ٢ جـ .

- القلقشندى (أبى العباس أحمد بن عبد الله) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩١٣م . ١٤ جـ .

- ابن القلانسى (أبى يعلى حمزة) : تاريخ القلانسى المعروف بذيل تاريخ دمشق . القاهرة ، المتنبى ، د.ت .

- ابن القيم الجوزية : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ؛ تحقيق محمد أحمد الحاج . دمشق ، ١٩٩٦م.

- .... : إحكام أهل الذمة ؛ تحقيق صبحى الصالح . لبنان ، دار العلم للملايين ، ١٩٩٤م ، ٢جـ .

- ابن كبر : مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة ، نشر صموئيل السريانى . القاهرة ، د.ن ، د.ت .
- ابن كثير (الحافظ بن كثير) : البداية والنهاية . القاهرة ، ١٩٩٨م.
- كلود كاهن : تاريخ العرب والشعوب الإسلامية . بيروت ، ١٩٨٣م.
- ابن كمونة (أسعد بن منصور) : تنقيح الأبحاث للملل والثلاث ، اليهودية ، المسيحية ، الإسلام . القاهرة ، دار الأنصار .
- كيستلر (آرثر) : القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم ، ترجمة أحمد نجيب هاشم . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩١ (الألف كتاب الثانى - ١٠١) .
- لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ، ط٢ . القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٩م.
- ليفى بروفنسال : مذكرات الأمير عبد الله ، آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة (٤٦٩ - ٤٨٣)، المسماة بكتاب التبيان . مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٥ (ذخائر العرب - ١٨) .
- .... : تاريخ أسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٧٦م.
- ليلى أبو المجد : عقد الزواج عند اليهود كتوباه وتأثره بعقود الزواج عند شعوب الشرق الأدنى ، حوليات كلية الآداب / جامعة عين شمس ، جـ١ .
- مارك كوهن : المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، ترجمة نسرين مرار ، سمير نقاش ، مراجعة سليمان جبران ، تقديم ساسون سوينج . جامعة تل أبيب ، المعهد اليهودى العربى ، ١٩٨٧م.
- مانويل جوميث مورينو : الفن الإسلامى فى أسبانيا ، ترجمة عبد العزيز سالم ، لطفى عبد البديع ، مراجعة جمال محرز ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف ، ١٩٦٨م.
- محاسن محمد الوقاد : اليهود فى مصر المملوكية فى ضوء وثائق الجنيزة . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٩. (تاريخ المصريين - ١٣٥) .
- محسن على شومان : اليهود فى مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ (تاريخ المصريين - ١٩١ ، ١٩٢) ، ٢ جـ .

- محمد بن عبد الجليل : صور من حياة يهود المغرب على عهد المولى الحسن الأول وابنه عبد العزيز ، كلية الآداب - الدار البيضاء .
- محمد جبريل : مصر من يريدها بسوء . القاهرة ، دار الحرية ، ١٩٨٦م (كتاب الحرية - ١٢) .
- محمد جلاء إدريس : الشخصية اليهودية ، دراسة أدبية مقارنة . القاهرة ، عين للدراسات، ١٩٩٣م.
- .... : يهود الفلاشا ، أصولهم ، ومعتقداتهم ، وعلاقتهم بإسرائيل . القاهرة ، مدبولى ، ١٩٩٣م.
- .... : فلسفة الحرب فى الفكر الدينى الإسرائيلى ، جامعة القاهرة ، مركز الدراسات الشرقية ، ٢٠٠١ (سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية - ١٨).
- .... : الاستشراق الإسرائيلى فى المصادر العربية . القاهرة ، العربى ، ١٩٩٥م.
- .... : الأدب المقارن ، قضايا وتطبيقات . القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ٢٠٠٠ .
- محمد خليفة حسن أحمد : رؤية عربية فى تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته . القاهرة ، ١٩٩٥م.
- .... : تاريخ الأديان ، دراسة وصفية مقارنة ، القاهرة ، د.ن ، ١٩٩٦م.
- محمد خليفة حسن ، النبوى جبر سراج : الجنيزا والمعابد اليهودية فى مصر . جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية ، ١٩٩٩م (سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية - ٩) .
- محمد الطيب بن الخوجة : يهود المغرب العربى . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣م.
- محمد عبد الله الشرقاوى : الكنز المرصود فى فضائح التلمود . بيروت ، دار عمران ، ١٩٩٣م.
- محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة ، ١٩٨٨م، (عالم المعرفة - ١٢٨) .

- محمد عبد الغنى الأشقر : تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، (تاريخ المصريين - ١٣٧) .
- محمد عبد الكريم المغيلى التلمسانى : مصباح الأرواح فى أصول الفلاح ، تحقيق رابح ، بونار . الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر ، ١٩٦٨م.
- محمد العزب موسى : موسى مصريًا ، نظرية فرويد فى التاريخ اليهودى . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٦٩م ، (المكتبة الثقافية - ٢٣٠) .
- محمود حسن صالح منسى : فرنسا وإسرائيل ، القاهرة ، ١٩٩٤م.
- محمود سعيد عبد الظاهر : الصهيونية وسياسة العنف ، رئيف جابوتنسكى وتلاميذه فى السياسى الإسرائيلية . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م. (نصوص ودراسات الصهيونية - ٢) .
- .... : يهود مصر ، دراسة فى الموقف السياسى ١٨٩٧ - ١٩٤٨م ، مراجعة محمد خليفة حسن . جامعة القاهرة ، مركز الدراسات الشرقية ، ٢٠٠٠ (سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية - ١٧) .
- مونرو : وثيقة أندلسية عن سقوط غرناطة ، ترجمة عبد الله الشرقاوى، بيروت ١٩٩١م .
- با مخرمة (أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد) : تاريخ ثغر عدن ، مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندى والأهدل ؛ نشره أوسكار لوفجرن . ليدن ، ١٩٣٦ . ٢ جـ .
- مخطوطات البحر الميت ، منشورات دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٦٧م.
- المسعودى (أبو الحسن على بن الحسينى بن على الشافعى) : التنبيه والإشراف . بيروت، دار مكتبة الهلال ، ١٩٨١م.
- .... : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٨٢م . ٣ جـ .
- مصطفى كمال عبد العليم ، سيد فرج راشد : اليهود فى العالم القديم . دمشق ، دار القلم، ١٩٩٥م.
- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية . بيروت ، دار صادر ، د.ت . ٢ جـ .

- .... : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا ؛ تحقيق جمال الدين الشيال ، محمد حلمى أحمد ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ٦٧ - ١٩٧١م. ٣ جـ .
- .... : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرين . القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٧٣ . ١٢ قسم فى ٤ جـ .
- .... : تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر ، تحقيق عبد المجيد . القاهرة ، دار الفضيلة ، ١٩٩٧م.
- موسى بن ميمون القرطبى الأندلسى : دلالة الحائرين ، تحقيق حسن آتاى . القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت .
- موشيه ساسون : مذكرات أخطر سفير إسرائيل فى مصر ، ٧ سنوات فى بلاد المصريين ، تقديم آبا إيبان . القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٩٤م.
- ناصر خسرو علوى : سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، تصدير عبد الوهاب عزام . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣. (الألف كتاب الثانى - ١٢٢)
.
- نريمان عبد الكريم أحمد : معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٦م. (تاريخ المصريين - ٩٠) .
- نعيم زكى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، أواخر العصور الوسطى . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م.
- النميرى البصرى (أبى زيد عمر بن شتيه) : تاريخ المدينة المنورة ؛ أخبار المدينة النبوية ؛ تحقيق على محمد دندل ، ياسين سعد الدين بيان . بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٦م . ٢جـ .
- النهروانى المكى (قطب الدين محمد بن علاء الدين على بن أحمد) : تاريخ المدينة ، تحقيق أبى عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل . بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧م.
- ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤوف . بيروت ، ١٩٧٥م ٤ جـ .
- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ، ترجمة طاهر مكى .

- هويدا عبد العظيم رمضان : اليهود في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الأيوبى . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠١م.
- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، حسنين ربيع ، سعيد عبد الفتاح عاشور . القاهرة ، د.ت ، ٥ جـ .
- الواقدى (محمد بن عمر بن واقد) : فتوح الشام ، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد . إسكندرية ، د.ت . ٢ جـ .
- ابن الوردى (زين الدين عمر بن مظفر) : تاريخ ابن الوردى . لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٦م. ٢ جـ .
- ولز (هـ . ج) : معالم تاريخ الإنسانية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م . ٤ جـ (الألف كتاب الثانى - ١٥٦ - ١٥٩) .
- الونشريسى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب . بيروت ، ١٩٨١م.
- ياسر طه محمد : يهود غرناطة فى عصر دول الطوائف (٤٢٢ - ٤٩٠هـ / ١٠٣١ - ١٠٩٦م) ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، ٢٠٠٠ ، (رسالة ماجستير غير منشورة) .
- يشعياهو ليفمان : العلاقات بين المتدنيين والعلمانيين فى إسرائيل ، ترجمة محمد محمود أبو غدير ، مراجعة إبراهيم البحراوى . القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠م (المشروع القومى للترجمة - ١٦٦) .
- يعقوب لاندوا : تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية ١٥١٧ - ١٩١٤ ، ترجمة جمال أحمد الرفاعى ، أحمد عبد اللطيف حماد ، تقديم محمد خليفة حسن . القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠م.
- اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) : تاريخ اليعقوبى . بيروت، دار صادر ، د.ت .

- يهوشواع بن أربيه : القدس القديمة والجديدة فى القرن التاسع عشر (من كتاب : القدس دراسات فى تاريخ المدينة) .
- يوحنا النيقوسى : تاريخ العالم القديم ودخول العرب مصر . القاهرة ١٩٩٦م.
- يوسف بكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر .
- يوسف دوورى : القدس فى عصر المماليك (من كتاب : القدس دراسات فى تاريخ المدينة). القدس ، يتسحاق بن تسفى ، ١٩٩٠م.
- أبى يوسف (يعقوب بن إبراهيم) : كتاب الخراج ، نشر محب الدين الخطيب . القاهرة ، ١٣٠٢هـ.
- يوسيفوس : تاريخ يوسيفوس اليهودى . بيروت ، المكتبة العمومية ، د.ت .
- يوشواع برافر : القدس كما انعكست فى المفاهيم الدينية المسيحية واليهودية فى مستهل القرون الوسطى . (من كتاب : القدس دراسات فى تاريخ المدينة) ، القدس ، ياد يتسحاق بن تسفى ، ١٩٩٠م.

ثانيًا : المراجع الأجنبية:

1 - Adler : Jewish Travellers. New York, 1996 .

2 - Ashtor (E): Lesprix dans l'Egypte Medievale. Jouenal of the Economic and social History of orient . vol. Vl, part I, 1963 .

3 - Ashtor (E) : The Jews of Moslem Spain. The Jewish publication Society of America , vol. I. Philadelphia, 1973. vol: 2 Korot Ha-Yehudim Ha-Muslemit Jerusalem. Kiryat sepher, 1960-66 .

4 - .... : Le Coût de la Vie dans l'Egypté medievale. Journal of the Economic and Social History of the Orient , vol III, Leiden, 1960.

5 - Anderson, M.A., : The History and Religion of Israel, Oxford Univ, 1969.

6 - Biale (David) : Power & Powerlessess in Jewish History, N.Y, 1986 .

7 - Bibliographical Essays in Medieval Jewish Studies The Study of Judism, U.S.A., N.Y., 1976 .

- Bulletin of the School of Oriental and African Studies. Univ, of London 1967 . Vol. XXX, part2.
- Cantor (Norman) : The Sacred Chain, A History of the Jews. Fonrana press, Great Britain, 1995 .
- Carbini : History and Jdology in Ancient Isreal .
- Cohen (Mark) : Persecution, Reponse and Collective Memory : The Jews of Islam in the Classical Period 145 - 165 in Jews of Medieval Islam.
- .... : Jewishe Self-Government in Medieval Egypt .
- Coitein (S.D.) : The Main Industries of the Mediterrean area as Reflected in the Records of the Cairo Geniza, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Leiden, 1960. Vol III .
- David (J.Wassertein) : Jewish Elite in Andalus in the Jews of Medieval Islam. Leiden, 1995 .
- Eban (ABBA) : Heritage Civilization and the Jews. N.Y.
- Fischel (W.J) : Jews in the conomic and Political Life in Medieval Islam. London, 1937 .
- Fischel (W.J) : The Relgion of the Persian Gulf and its Jewish settlements in Islamic times in Alexander Marx . Jubilec volum .
- Fischel (W.J) : The Spice trade in Mamluk Egypt. Journal of the Economic and Social History of the Orient. Leiden, 1958, Vol. I .
- Frank (Daniel) : The Jews of Medieval Islam, Community, Society, and Indentity. Leiden, E.J.Brill, 1955 .
- Gil (Moshe) : Documents of the Jewish pious Foundations from the Cairo Geniza . Leiden, 1976 .
- .... : A History of Palestine 634 - 1099. Camb. Univ, 1992 .
- Goitein (S.D.) : Jews and Arabs : Their Contacts through the Ages. 3rd ed. New Yprk, Schocen books, 1974 .
- .... : Letters of Medieval Jewish . princeton , Traders, 1973 .
- .... : Letters and Documents on the India trade in Medieval times in studies of Islamic History and institutions . Leiden, 1966 .

- .... : Side lights of Jewish Education in the Cairo Geniza . in Gratz college Anniversary volume, philadelphia, 1971, pp.83-110 .

- .... : Mediterrean Society. 5 Vols. London, Univ. Colifornia, 1967.

- .... : From Aden to India . Journal of the Economic and social hist. of the orient Vol. XX III, Part I, 1980 .pp.34-66

- .... : New Light on the Beginning of the Karim Merchants. Journal of the Economic and Social History of the Orient. Leiden, 1958 .

- Gottheil, Richard and Worrells : Fragments from the Cairo Geniza in the freer Collection, 1927 .

- Halkin, Abraham.S, Judo - Arabic literature. in the Jews their history culture and Religon vol.2, N.Y. 1961, pp.1116 -48 .

- Hirschberg (H.Z.J.W.) : A History of the Jews in North Africa. Leiden, E.J.Brill, 1974. vol. I.

- Israel Pocket Library Jerusalem. Israel 1973. the book Complied from material originally. published in the Encylopaedia .

- Mann (Jacob) : The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs. Oxford, Univ., 1920 .

- Mann (J.) : Texts and Studies in Jewish History and literarure. N.Y. 1984 .

- Marcus, Jacob. R. The Jew in Medieval world U.S.A., 1938 .

- Margoliouth (M.A.) : The Relation between Arabs and Israelites prior to the Rise of Islam. London, 1920 .

- Marx, Alexander : The importance of Geniza for Jewish History. proceeding of the American Academy for Jewish research 1946-47, pp. 188 - 204 .

Max.L (Margolis) and Alexander (Marx) : A History of the Jewish People. U.S.A., Temple Book, 1977 .

- Newby (Gorden Parnell) : A History of the Jews of Arabia From incient Times to their Eclipse under Islam. Univ. of South Caroline press, 1988 .

- Rejwan (Nissim) : The Jews of Iraq 3000 of History and culture . Colorado, 1985 .

- Richards (D.S.) : Arabic Documents from the Karaite community in Cairo, Journal of the Economic and Social History of the orient, 1971. vol XIV, part 1 .

- Richards. D.S : Documents from sinai Concerning mainly cairene property in Journal of the Economic and socid Hist. Vol. XXVIII. Part 1 .

- Stillman (Norman) : The Eleventh Century Merchant house of Ibn' Awkal. Journal of the Economic and social History of the orient Vol XVI, 1973 .

- .... : The Jews of Arab Lands; A History and Source book. The Jewish publication society of America, 1979 .

- Sherbok, Dan Cohen : Atlas of Jewish History . N.Y., 1996 .

- Sarah Stroumsa : on Jewish intellectuals who Converted in the Early middle Ages in Jews of Medieval Islam, Leiden, 1995.

- The Chronicle of Ahimaaz trans Marcus Sulzman. Columbia Univ., Oriental Studies, 1924. Vol. XVIII .

- Yom Tov Assis : The Judeo - Arabic tradition in christian Spain in the Jews of medieval Islam. Leiden, 1995.

- Yedid, Kalfon Stillman : Costume as cultural statement the Esthetics, Economics, and politices of Islamic . press in the Jews of Medieval Islam, Leiden, 1995 .

- Zinberg, Isreal : A History of Jewish literature. Trans. Bernard Martin. Vol.I.

- .... : the Arabic - Spanish Period. Cleveland and London, 1972 .

المحتويات

رقم الإيداع ٥٤٨٠ /٢٠٠٣

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 - 109 - 1

مطابع زمزم ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق